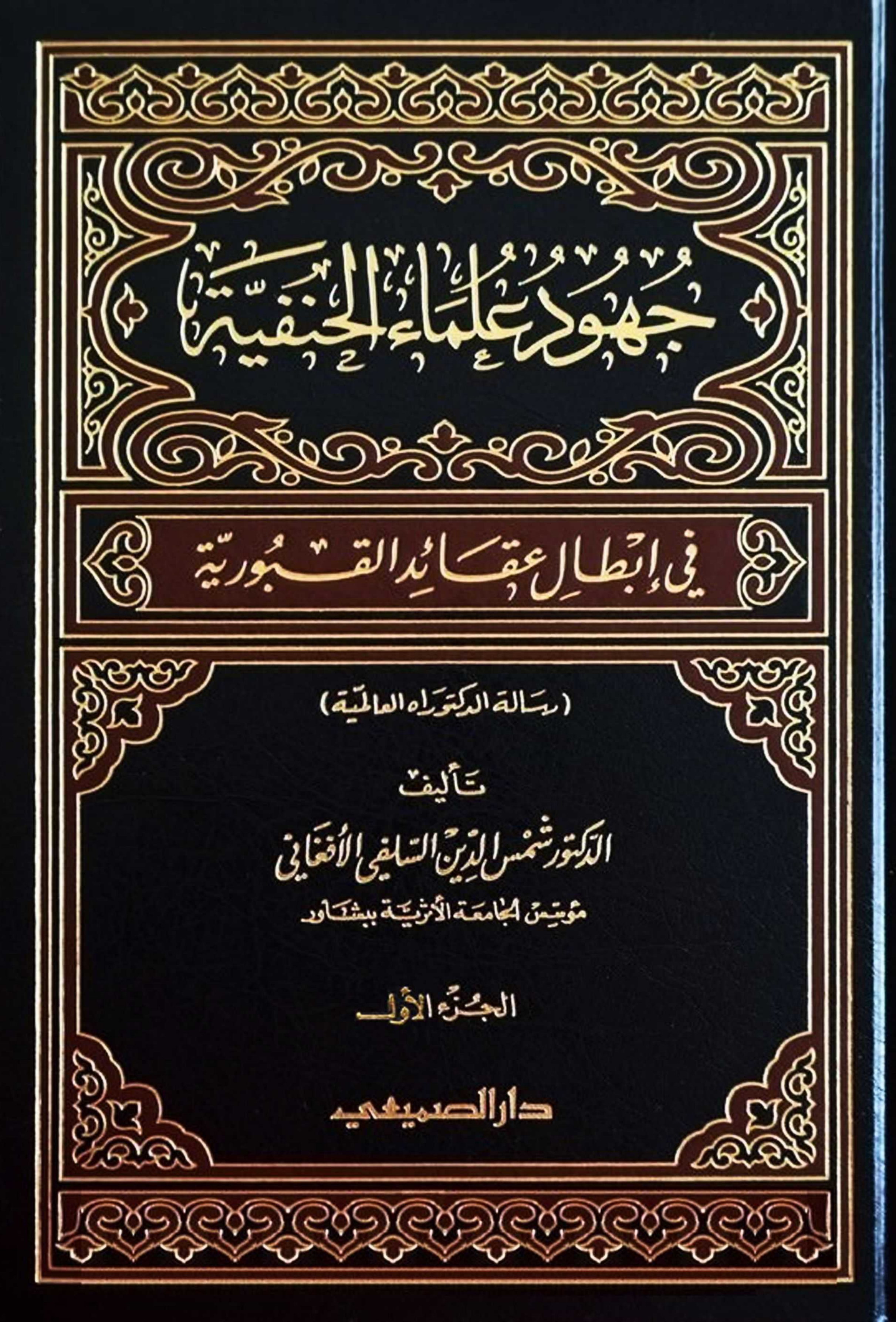

جهود علماء الحنفية
في إبطال عقائد القبورية
(رسالة الدكتوراه العالمية)
تأليف
الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني
مؤسس الجامعة الأثرية ببشاور
الجزء الأول
دار الصميعي

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩

الرياض - السويدي - شارع السويدي العام

ص.ب: ٤٩٦٧ - الرمز البريدي ١١٤١٢

المملكة العربية السعودية

جهود علماء الحنفية

في إبطال عقائد القبورية

(رسالة الدكتوراه العالمية)

تأليف

الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني

مؤسس الجامعة الأثرية ببشاور

الجزء الأول

دار الصميعي

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الصفحة الأولى لرسالة الدكتوراه
وعليها توقيعات المناقشين والمشرف لتحقيق أنها رسالة مصححة

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
* كلية الدعوة * قسم العقيدة *

* * * * *

* جهود علماء الحنفية *
* في إبطال *
* عقائد القبورية *

* رسالة مقدمة بمرحلة الدكتوراة العالمية العالية *

* من الطالب : شمس الدين بن محمد أشرف السلفي الأفغاني *

* بإشراف : فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله آل عبّود *

* حفظه الله *

نوقشت هذه الرسالة ليلة الثلاثاء بتاريخ ٢٠/ ١٢/ ١٤١٤هـ، ونالت درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى بحمد الله تعالى، وكانت لجنة المناقشة من فضيلة الشيخ د. صالح بن عبدالله العبود مشرفاً، وفضيلة الشيخ د. علي الحذيفي إمام الحرمين مناقشاً، ود. غالب العواجي مناقشاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات

١ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢ ـ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

٣ ـ ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا ما اسْتَجابوا لَكُمْ وَيَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

٤ ـ ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ وما يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

٥ ـ ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً ولا ضَرّاً إِلَّا ما شاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٦ ـ ﴿وإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...﴾

[الأنعام: ١٧، يونس: ١٠٧].

٧ ـ ﴿قُـلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمـاءِ والأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْـعَ والأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقونَ﴾ [يونس: ٣١].

٨ ـ ﴿ويَقُولونَ هؤلاءِ شُفَعاؤنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨].

٩ ـ ﴿... ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبونا إِلى اللهِ زُلْفى﴾ [الزمر: ٣].

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحاديث

١ ـ «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [ص ٤١٥].

٢ ـ «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠].

٣ ـ «ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» [ص ١٦٢٨].

٤ ـ «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً» [ص ٤١٢].

٥ ـ «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» [ص ٦٤٢ ـ ٦٤٣].

٦ ـ «لا تجعلوا قبري عيداً . . .» [ص ١٦٠٢].

٧ ـ «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم» [ص ٨١٩ ـ ٨٢٠].

٨ ـ «لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» [ص ٦٤٥].

٩ ـ «الدعاء هو العبادة» [ص ١٤١٠].

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالة الحنفية الحنيفية التي تقمع القبورية

١ ـ مقالة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد أئمة الحنفيّة: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به * وأكره أن يقول: أسألك بمعقد العز من عرشك * والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِها﴾ [الأعراف: ١٨٠] * وكره قوله: بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك أو بحق البيت الحرام *» [ص ١١٢٣ - ١١٢٩].

٢ ـ مقالة الفقهاء الحنفية: «من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم؛ كفر» [ص ٨٣٩].

٣ ـ مقالة أخرى للفقهاء الحنفية: «من ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاده ذلك؛ كفر» [ص ٩٦٠].

٤ ـ مقالة الإمام ولي الله الدهلوي حجة الحنفيّة (١١٧٦هـ): «كلّ من ذهب إلى بلدة أجمير، أو إلى قبر سالار مسعود، أو ما ضاهاها لأجل حاجة يطلبها؛ فإنّه آثم إثماً أكبر من القتل والزنى، ليس مثله إلا مثل من كان يعبد المصنوعات، أو مثل من كان يدعو اللات والعزى...» [ص ١١٤١ - ١١٤٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

القصيدة السلفية اليمانية ثم الحنفية في كشف فضائح القبورية الشركية

أَعــادوا بهــا مَعْـنـى سُواعٍ ومِثْلُهُ
يَغـوثُ وَوَدٌّ بِئْسَ ذلِـكَ مِنْ وَدِّ

وَقَـدْ هَتَفُـوا عِنْـدَ الشَّـدائِـدِ باسْمِها
كَما يَهْتِفُ المُضْطَرُّ بالواحِدِ الصَّمَدِ

وكَمْ نَحَـروا في سُوحِهـا مِنْ بَحِيرَةٍ
أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْـلًا على عَمـدِ

وَكَـمْ طائِفٍ عِنْـدَ القُبـورِ مُقَبِّـلٍ
وَيَلْتَـمِسُ الأَرْكـانَ مِنْـهُـنَّ بالأَيْدِي

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة مشتملة على:

- مقدمة.
- وعشرة أبواب.
- وخاتمة.



المقدمة

وفيها أمور ثلاثة عشر:

- الأول: خطبة الحاجة.
- الثاني: أهمية توحيد العبادة.
- الثالث: حالة الناس قبل نشأة القبورية.
- الرابع: نشأة القبورية وتطورها في الأمم الخالية.
- الخامس: نشأة القبورية في هذه الأمة ومصادرها، وأسباب تطورها وانتشارها.
- السادس: أشهر فرق القبورية.
- السابع: جهاد أئمة الإسلام في الرد على القبورية.
- الثامن: خلاصة جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية.
- التاسع: أسباب اختيار هذا الموضوع الخطير.
- العاشر: خطة البحث.
- الحادي عشر: منهج هذه الرسالة.
- الثاني عشر: مواجهة المشكلات.
- الثالث عشر: كلمتا رجاء وشكر.

المقـــدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمـد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنـا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يـا أيهـا الـذين آمنـوا اتقـوا الله حق تقـاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفـر لكم ذنـوبكم ومن يطع الله ورسـولـه فقـد فاز فوزاً عظيمـاً﴾[١] [الأحزاب: ٧٠].

---

(١) رواهـا أبـو داود: ٢/٥٩١-٥٩٢، والترمـذي: ٣/٤٠٤-٤٠٥، والنسـائي: ٦/٨٩-٩٠، وابن ماجه: ١/٦٠٩-٦١٠، وأحمد: ١/٣٩٢، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهو صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود ٢/٣٩٩. وصحيح سنن النسائي ١/٣٠٣. =

«أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[1]، «وكل ضلالة في النار»[2].

والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين، والذين تبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

(٢) أهمية التوحيد:

أما بعد: فيقول أبو عبد الله، شمس الدين بن محمد أشرف الأفغاني السلطاني المدني السلفي، غفر الله له ورحمه وحفظه:

إنه لا يخفى: أن الله عز وجل قد اختار لعباده دين الإسلام، دين الصدق والعدل؛ كما قال سبحانه: ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ [المائدة: ٣].

وقال جلّ وعلا: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً**﴾ الأنعام: ١١٥].

وأساس هذا الدين القيم: هو توحيد الله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له.

وهذا هو المقصد الأعلى، والهدف الأسمى، والغاية العظمى،

= وصحيح سنن الترمذي ١/ ٣٣٠. وصحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣١٩ كلها للألباني.

وهذه الخطبة تسمى «خطبة الحاجة» وهي سنة بين يدي كل خطبة: جمعة، أو عيد، أو نكاح، أو درس، أو محاضرة، أو مؤلف، انظر خطبة الحاجة / لشيخنا الألباني: ٣١، والسلسلة الصحيحة: ١/ ٣، أيضاً له.

(١) رواه مسلم: ٢/ ٥٩٢، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) زادها النسائي: ٣/ ١٨٩، وقال شيخنا الألباني: «سندها صحيح، ومن أنكرها فقد وهم». تخريج المشكاة: ١/ ٥١. وانظر صحيح سنن النسائي: ١/ ٣٤٦.

والمرام الأسنى؛ وأرسل للدعوة إليه الرسل، وأنزل لتحقيقه الكتب، وهو أول واجب على المكلف، وآخر واجب عليه، وهو الذي يقاتل لأجله، ويوالي ويعادي بسببه[1]؛

ولكن القبورية ناقضوا هٰذا الأصل؛ فهدموا الإسلام من أساسه!.

(٣) حالة الناس قبل نشأة القبورية:

لقد كان الله سبحانه وتعالى خلق آدم أبا البشر وزوجه أم البشر وارتضى لهما ولجميع بني آدم هٰذا الدين القيم؛ فكانوا يعبدون ربهم وحده لا شريك له.

وقد كانوا كلهم أمة واحدة على ملة واحدة؛ يوحدون ربهم عزَّ وجلّ ويعبدونه وحده لا شريك له، بطريقة واحدة أرشدهم إليها بواسطة أنبيائه عليهم السلام، فلم يكونوا يشركون بعبادة ربهم أحداً، كما أنهم لم يكونوا يعبدون ربهم بطرق بدعية.

فكانوا كلهم رجالاً ونساءً مسلمين موحدين سنيين، ولم يكن فيهم مشرك بالله، ولا قبوري، ولا وثني، ولا صنمي، ولا مبتدع في دين الله، ولا خرافي في شرع الله.

فلم يكن يوجد صنم يسجد له، ولا وثن يعبد، ولا قبر يعكف عليه، ويراقب إليه، ولا شجر يتبرك به، ولا حجر يذبح عنده، ولا ملك مقرب ينذر له، ولا نبي مرسل يستغاث به، ولا ولي صالح يستعان به[2].

(٤) نشأة القبورية في الأمم الخالية:

وقد كان إبليس عليه لعائن الله تترى عدواً لدوداً لهم جميعاً، وكان

---

(١) سيأتي تحقيقه في ص ١٢١-١٤٨.

(٢) راجع ص ٤٠١.

وضعهم هٰذا يُسيئه؛ لكونه يراهم في طاعة الله يسيرون، وعلى شرع الله يسلكون، والله وحده يعبدون، وإياه يوحدون؛ فكان يتحيّن لهم الفرص لإغوائهم بطرق إبليسية سرية شيطانية مزخرفة؛ فلم يتمكن من ذلك؛ إلى أن توفي بعض الصالحين الذين لهم مكانة في قلوبهم؛ أمثال ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، فحزنوا لفراقهم حزناً شديداً.

فاحتـال عليهم الشيطان، وسول لهم أموراً استدرجهم بها إلى أن عكفوا على قبورهم فعبدوهم.[1]

وبهٰذه الطريقة الشيطانية، ظهرت فرقة قبورية في بني آدم قبل رسول الله نوح عليه الصلاة والسلام؛ حيث انحرفوا عن عبادة الله تعالى وحده، وناقضوا توحيده سبحانه، حتى رسخت الوثنية في قلوبهم، وجعلوا يعبدون هٰؤلاء الصالحين بأنواع من العبادات تحت ستار التعظيم والولاية والمحبة والتوسل والشفاعة.

وقد آل بهم الأمر إلى أن صارت أمة التوحيد أمة وثنية، فأرسل الله تعالى إليهم رسوله نوحاً عليه الصلاة والسلام، فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وكان يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ونبذ عبادة القبور وأهلها، وترك الاستغاثة بالصالحين، والاستعانة بهم.

فحاربوه وعاندوه، ولم يقبلوا منه، وبقوا على قبوريتهم ووثنيتهم، إلا نزراً قليلاً من الموحدين السنيين؛ إلى أن اجتاحهم الله تعالى بطوفان من عنده، ونجا أهل التوحيد.

ثم بعد فترة من الزمن احتال عليهم إبليس؛ فزين لهم بمكائده ومكره عبادة القبور وأهلها من الصالحين، إلى أن انتشرت القبورية بسبب عبادتها

---

(١) انظر ص ٤٠١-٤٠٥.

وعبادة أصحابها في كثير من الأمم؛ أمثال عاد وثمود ومدين وغيرهم[1].

حتى دخلت القبورية بشكل واضح إلى الفلاسفة اليونانية، أمثال أرسطو وتلاميذه؛ مع ما كانوا يعبدون الأصنام أيضاً[2].

ثم آلت سموم القبورية إلى اليهود والنصارى، فكانوا قبورية أقحاح؛ يعبدون القبور وأهلها[3].

وانتشرت القبورية وتطورت، واتخذت صوراً شتى، وآل الأمر إلى عبادة الأوثان والأصنام والأحجار والأشجار التي لها علاقة بالقبور وأهلها من الصالحين.

حتى وصل الأمر إلى مشركي العرب...

وقد كانوا في الأصل على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولكن استدرجهم الشيطان، فزين لهم عبادة القبور وأهلها، فدخلت فيهم الوثنية من طريق عبادة القبور وأهلها، فكانوا قبورية وثنية صنمية[4].

هٰكذا عمت القبورية البلاد والعباد وطمت؛ إلا من شاء الله من موحدي الفطرة.

(٥) نشأة القبورية في هٰذه الأمة، ومصادرها، وأسباب انتشارها:

ثم أنعم الله تعالى على هٰذه الأمة؛ فبعث محمداً ﷺ رسولاً إلى الثقلين، «على فترة من الرسل»[5]، وقد «مقت أهل الأرض عربهم

---

(١) راجع ما سيأتي في ص ٤٠١-٤١٦.

(٢) راجع ما سيأتي في ص ٤١٦-٤١٧.

(٣) راجع ما سيأتي في ص ٤٠٧-٤١١، ٤١٤-٤١٦.

(٤) راجع ما سيأتي في ص ٤١١-٤١٤.

(٥) اقتباس من قوله تعالى في سورة المائدة ١٩.

وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[1]، ماتوا ـ أو أكثرهم ـ قبيل مبعثه ﷺ، والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب مبدل، أو منسوخ، ودين دارس بعضه مجهول، وبعضه متروك. وإما أمي: من عربي، وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنه، وظن أنه ينفعه؛ من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك؛ والناس في جاهلية جهلاء: من مقالات يظنونها علماً، وهي جهل؛ وأعمال يحسبونها صلاحاً، وهي فساد . . .

فهدى الله الناس بنبوة محمد ﷺ، وبما جاء به من البينات والهدى: هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين[2]، وفتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً[3]، وجمعهم على دين الإسلام؛ دين التوحيد، والملة الإبراهيمية الحنيفة بعد تشتت تام وعداوة كاملة، وانهيار خلقي، وانحلال ديني وفساد عقدي، وألف به بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخواناً، وكسرت الأصنام، والأوثان، وطمست التماثيل، وسويت القبور المشرفة، وأزيل كل ما يعبد من دون الله؛ من قبر وشجر وحجر ونصب وصنم ووثن، وأبطل، وصار الدين كله لله.

وصار الناس مسلمين موحدين يعبدون الله وحده مخلصين له الدين، إلا من شاء الله تعالى من المشركين والمنافقين والكتابيين.

---

(١) اقتباس من حديث مرفوع رواه مسلم ٤/٢١٩٧، من حديث عياض المجاشعي رضي الله عنه.

(٢) اقتباس من كلام شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط ١/٦٣-٦٤.

(٣) هذا من وصف رسول الله ﷺ في التوراة. رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما ٢/٧٤٧-٧٤٨، ٤/١٨٣١.

وانقشعت ظلمـــات الإشـراك بالله، ورفـرفت رايات التـوحيد في البلاد * والعرب والعجم من العباد.

وتـوفى الله تعالى رسوله ﷺ والإسلام في تقدم وشوكة تامة وغلبة كاملة، ليظهر على الدين كله.

فواصـــل خلفـــاؤه الــراشـــدون سيرهم إلى أن صارت الـدولتـان العظيمتان * والقوتان الماديتان * الفرس والروم في ذلة وهوان * وخوف بعد أمان * إلى أن جعل قيصر مقصوراً محصوراً * وكسرى مكسوراً مقهوراً *

ولمـا رأى أعداء الإسلام * من اليهود والنصارى والمشركين: من عبدة القبور والأوثان والأصنام * أنه لا يمكن القضاء على هٰذا التيار * جند الإسـلام الكرار * اندس كثير من جواسيسهم في المسلمين * متبرقعين بالإسـلام لإحـداث القلاقل والزلازل والفتن وبث وثنية الوثنيين * تحت خطط مدبـرة سرية * يهودية نصرانية ومجوسية وثنية * فتمكنوا من تمهيد الـطريق لإعـادة الجاهلية الأولى * واليهودية الخرقاء والنصرانية الحمقاء والمجوسية الجهلاء * عن طريق الغلو في الصالحين وتعظيم قبورهم بما لم يأذن به الله عزَّ وجلّ.

فابتليت هٰذه الأمة بملحد زنديق مشرك منافق يهودي يدعى عبد الله بن سبأ وابن السوداء (٤٠هـ)[1]؛

فادعى ألـوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأحدث عقيدة رجعته بعد موته ورجعة النبي ﷺ أيضاً، وحياة الأموات الأولياء حياة دنيوية،

---

(١) راجـع البـدء والتـاريخ للمقدسي ٥/١٢٥-١٢٩. ولسان الميزان لابن حجر ٣/٢٨٩-٢٩٠. وانظر الميزان ٢/٤٢٦.

وكانت له جمعية سرية تعرف بالسبئية، إلى أن تطورت وعرفت بالروافض[1]، ثم الإسماعيلية القرمطية، والنصيرية، وغيرهم من الباطنية[2]،

فكانوا يعبدون القبور وأهلها ويبنون عليها المساجد والقباب، فأحيوا بذلك سنن اليهود والنصارى والمشركين،

فظهرت في هٰذه الأمة فرقة قبورية وثنية في صورة هٰؤلاء الروافض؛ فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد[3].

هٰذه من ناحية. . .

---

(١) جمع الرافضة. والنسبة إليها «رافضي» والرفض لغة الترك؛ والروافض لغة: كل جند تركوا قائدهم وذهبوا عنه وخذلوه. واصطلاحاً: فرقة من غلاة الشيعة؛ سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي بن الحسين، ورفضوه وخذلوه رحمه الله تعالى (١٢٢هـ). وقد كانوا بايعوه أولاً ثم قالوا له تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأبى، وقال: كانا وزيري جدي رسول الله ﷺ. فقالوا: إذاً نرفضك، فرفضوه. فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة. وثبت معه نزر قليل قالوا بقوله فسموا زيدية. فالزيدية: أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة. انظر الفرق بين الفرق ٢٤ـ٢٥. السير ٥/ ٣٩٠. وتاج العروس ٥/ ٣٤.

(٢) هٰذه ألقاب لطائفة من الروافض الزنادقة الذين ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض. لقبوا بالباطنية؛ لدعواهم أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجري مجرى اللب من القشر. ولقبوا بالقرامطة لانتسابهم إلى حمدان قرمط أحد دعاتهم. وبالإسماعيلة لانتسابهم إلى زعيمهم محمد بن إسماعيل بن جعفر (١٩٨هـ). وبالنصيرية لانتسابهم إلى محمد بن نصير البصري، وقيل غير ذلك (٢٦٠هـ).

وهم أكفر من اليهود والنصارى. انظر مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٢٠ـ١٦٢. وفضائح الباطنية للغزالي ١١ـ١٦. والطائفة النصيرية لسليمان الحلبي ٣٣ـ٣٤. وللعلامة إحسان إلٰهي كتاب فخم «الإسماعيلية. . ». وانظر ما سيأتي في ص ١٢٨٧.

(٣) انظر ما سيأتي في ص ٤١٨.

ومن ناحية أخرى: أنه عربت كتب الفلاسفة اليونانية القبورية الوثنية، وعكف عليها كثير ممن تفلسفوا في الإسلام:

أمثال الفارابي الكافر (٣٣٩هـ)[1]، وابن سينا الحنفي القرمطي (٤٢٨هـ)[2]، ونصير الكفر والشرك الطوسي (٦٧٢هـ)[3]، وغيرهم ممن لعبوا بالإسلام كما لعب بولس (٦٥م)[4] بالنصرانية، فتأثروا بآرائهم الفلسفية، ومنها العقائد القبورية، فصاروا دعاة للقبورية الوثنية بتفلسفهم[5].

---

(١) راجع ما سيأتي في ص ١٢٩٥.

(٢) انظر ما سيأتي في ص ١٢٩٤ - ١٢٩٥.

(٣) هو محمد بن الحسن المعروف بخواجه نصير الدين. أحد المتفلسفة الملاحدة الزنادقة القبورية الوثنية السحرة. رام أن يجعل إشارات ابن سينا القرمطي (٤٢٨هـ) مكان القرآن، فلم يقدر. فقال: هي قرآن الخواص، وذلك قرآن العوام. ورام تغيير الصلوات وجعلها صلاتين، ورام إبطال الأذان، وتحويل القبلة إلى القطب الشمالي. وكان ساحراً يعبد الأصنام، وكان وزيراً للملاحدة التتارية. وفعل الأفاعيل وارتكب الأباطيل ضد الإسلام والمسلمين. وكان منكراً للبعث ألف في ذلك كتابه «مصارعة المصارعة» ردّاً على كتاب ابن رشد «مصارعة الفلاسفة». وبالجملة: أنه كان من الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، قاله الإمام ابن القيم رحمه الله. انظر إغاثة اللهفان: ٢/ ٣٨٠-٣٨١، الصواعق المرسلة: ٢/ ٧٩٠، ٣/ ١٠٧٧-١٠٧٨، والقصيدة النونية: ٤٩-٥٠، وشرحها توضيح المقاصد: ٣٥٨-٣٦٤، شرحها للدكتور محمد خليل هراس: ١/ ١٥٨-١٥٩، وانظر أيضاً شرح بعض خبثه في درء التعارض: ٥/ ٦٧، ٦٨، ٦/ ٧٨، ١٠/ ٥٧ و٥٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٣٩-٣٤٠.

(٤) هو شاول اليهودي. ولد بطرطوس. روماني الجنسية. كان عدوّاً لدوداً للنصرانية. ثم تظاهر باعتناقها نفاقاً وتخريباً، فحرفها. انظر الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٤٠. ودائرة المعارف لبطرس البستاني ٥/ ٧٠١.

(٥) انظر ما سيأتي في ص ١٢٩٤-١٢٩٧.

وسايرهم كثير من المتكلمين من الماتريدية[1] الحنفية، والأشعرية الكلابية[2] بسبب العكوف على كتبهم الفلسفية، فتأثروا بعقائدهم القبورية، حتى صاروا دعاة إلى القبورية والجهمية في آن واحد: أمثال: التفتازاني الحنفي فيلسوف الماتريدية والقبورية (٧٩٢هـ)، والجرجاني الحنفي الصوفي الخرافي الكلامي (٨١٦هـ)[3].

ومن ناحية ثالثة: أنه قد ظهر ناس من المسلمين بمظهر التقشف، (وكان أخطر هؤلاء الأعداء * على الدهماء * وأبعدهم غوراً في الإغواء * أناس ظهروا بأزياء الصالحين: بعيون دامعة كحيلة * ولحى مسرحة طويلة * وعمائم كالأبراج * وأكمام كالأخراج * يحملون سبحات كبيرة الحبات * ويتظاهرون بمظهر الدعوة إلى سنة سيد السادات * مع انطوائهم على مخاز ورثوها عن الأديان الباطلة * والنحل الآفلة * وكان من مكرهم الماكر * أن خلطوا الكذب المباشر * بالتزيد في تفسير مأثور * أو حديث صح أصله عند الجمهور * باعتبارهم ذلك أنجع في إفساد دلالة كتاب الله * وسنة رسوله)[4] ﷺ.

---

(١) أتباع أبي منصور الماتريدي الحنفي الجهمي (٣٣٣هـ). انظر كتابي الماتريدية ١/٢٠٥-٣٧٦.

(٢) الأشعرية أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) في دوره الثاني. والكلابية نسبة إلى ابن كلاب (٢٤٠هـ). راجع كتابي الماتريدية ١/٣٩٥-٤٠١.

(٣) راجع ما سيأتي في ص ١٢٨١-١٢٨٣، ١٥٨٦، ٧٦٢.

(٤) ما بين القوسين كله اقتباس من كلام الكوثري، وقد قاله في صدد تاريخ الوثنية وكيف دخلت في المسلمين. فزعم هذا الكذاب أن الوثنية دخلت في المسلمين من طريق المحدثين، وعلى آخرهم الشيخ الحراني ابن تيمية، فإنه قد تجرد لنشر الوثنية في الإسلام. (انظر: تبديد الظلام ٢-٣).

=

وقد عرف هؤلاء الملاحدة الزنادقة بالصوفية[1] الحلولية والاتحادية[2] القبورية الخرافية؛ أمثال الحلاج[3] (٣٠٩هـ)، وابن الفارض[4] (٦٣٢هـ)، وابن عربي[5] (٦٣٨هـ)، وابن سبعين[6] (٦٦٩هـ)، والمولوي

= ولما كان الكوثري دجالاً أفاكاً في طعنه في أهل الحديث عامة وفي شيخ الإسلام خاصة، وكان هذا الوصف الذي ذكره أليق بأمثال الكوثري من القبورية والصوفية، قلبتُ كلامه عليه خاصة وعلى القبورية عامة؛ فإن هذه الصفات التي ذكرها الكوثري هي من أبرز صفات الصوفية القبورية؛ ولنعم ما قاله الإمام ابن القيم في وصف هؤلاء الصوفية القبورية الجهمية:

هذا وإنّي بعدُ ممتحنٌ بأر	بعة وكلهم ذوو أضغان
فظ غليظ جاهل متمعلم	ضخم العمامة واسع الأردان
أو حاسد قد بات يغلي صدره	بعداوتي كالمرجل الملآن
والثالث الأعمى المقلّد ذينك الـ	ـرجلين قائد زمرة العميان
هذا ورابعهم وليس بكلبهم	حاشا الكلاب الآكلي الأنتان

(النونية ٢٥٢-٢٥٤)

(١) انظر لتحقيق نسبة هذه الكلمة ومعناها: «الصوفية والفقراء» لشيخ الإسلام، ط مكتبة المدني بجدة. وهي مطبوعة في مجموع الفتاوى ١١/٥-٢٤، أيضاً.

(٢) راجع لتعريف هاتين الطائفتين ما سيأتي في ص ١٣٢٣، ولشيخ الإسلام رسالة: «حقيقة مذهب الاتحاديين» ط، الباكستان. وهي مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٤/٢-١١٤.

(٣) انظر ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ١٣٢٤، ١٣٣٥-١٣٣٧.

(٤) راجع ترجمته وشيئاً من خرافاته في ١٣٣٧-١٣٣٨.

(٥) انظر ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ١٣١٦-١٣١٨، ١٣٢٤، ١٣٣٨-١٣٥٠.

(٦) راجع ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ١٣٢٥، ١٣٥٠-١٣٥٢.

الـرومي الحنفي صاحب المثنوي[1] (٦٧٢هـ)، والقونوي[2] (٦٧٣هـ)، والتلمساني[3] (٦٩٠هـ)، وخواجه نقشبند إمام النقشبندية[4] (٧٩١هـ)، وعبـد الكـريم الجيلي[5] (٨٧٢هـ)، والجـامي الحنفي شارح الكـافية والفصوص[6] (٨٩٨هـ)، والشعراني[7] (٩٧٣هـ)، والنابلسي الحنفي[8] (١١٤٣هـ).

فمن طريق هؤلاء الروافض والمتفلسفة والمتكلمة والصوفية الخرافية تسربت القبورية إلى كثير ممن ينتمون إلى الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى.

فأكثـر القبورية في الحنفية؛ لكثرة عددهم، وكثرة الفرق المبتدعة فيهم، وكثـرة الملوك والأمـراء والقضـاة القبـورية فيهم، ثم في المالكية والشافعية ونزر قليل من الحنابلة[9]؛

مع أن الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الإسلام برآء من قبوريتهم.

هكذا انتشرت القبورية في شرق الأرض وغربها، وجنوبها وشمالها، وهندها، وفارسها، وتركها، وورومها، وعربهاتـ، وعجمها[10].

---

(١) انظر ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ٧٣.

(٢) راجع ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ١٣٢٥، ١٣٥٢.

(٣) انظر ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ١٣٥٢-١٣٥٥.

(٤) راجع ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ٧٥٣-٧٥٦.

(٥) انظر ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ١٣١٨-١٣٢٠، ١٣٥٦-١٣٥٧.

(٦) راجع ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ٦٤٨.

(٧) انظر ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ٧٤١-٧٥٢.

(٨) راجع ترجمته وشيئاً من خرافاته في ص ٦٢٥، ٦٤٢، ١٥٨٨.

(٩) انظر ص ٤١٩، ٤٢٣.

(١٠) انظر ص ٤٢٢، ٤٤٧-٤٨٣.

بل أصيب بهـذا الـداء العضـال داء القبـورية كثير من أهل العلم والفضل والفقه واللغة والأدب من العلماء الأعلام فضلاً عن الجهلة العوام، إلا من شاء الله تعالى من عباده الموحدين[1].

واشتـد أمر القبورية في القرون الوسطى حيث كانت على مستوى الحكومات والشعوب، وظهرت القبورية في كثير من الطوائف بشكل واضح.

(٦) أشهر فرق القبورية:

والقبورية فرق كثيرة، ولكنها متفاوتة في دركاتها القبورية من حيث الغلو، ومتباينة في الأسماء من حيث انتمائهم إلى الأشخاص والمدارس:

فبعضهم وثنية أقحـاح، وبعضهم يعتقـد بعض العقـائـد القبورية الشركية، وبعضهم متأثر ببعض البدع القبورية.

وهٰذه الفرق القبورية متمثلة في الروافض، بجميع فرقهم، والصوفية الحلولية والاتحـادية[2]، التي هم غلاة القبـورية الـوثنية، والقـادرية[3]، والرفاعية[4]، والشاذلية المغربية المصرية[5]، والميرغنية[6]، والجلوتية[7]،

---

(١) انظر ص ٤٦٩، ٧٧١-٨٠٧، ١١٥٠، ١٢١٤، ٤٢٣ (١٢٥٢-١٢٥٤).

(٢) انظر ص ١٣٢٣.

(٣) انظر ص ٧٢٧-٧٣٢.

(٤) انظر ص ٧٣٣-٧٤٠.

(٥) نسبة إلى علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي (٦٥٦هـ). ترجمته في نكت الهميان للصفدي ٢١٣. وطبقات الشعراني ٢/٤، وانظر ص ١٠٠٧.

(٦) انظر ص ١٠٥٣.

(٧) راجع ص ١٠٠٧، ١٤٥٥.

والخلوتية[1]، والمـدارية الهنـدية[2]، والجشتية الأفغـانية الهنـدية[3]، والسهـروردية[4]، والمـولـوية المثنـوية الـرومية الفـارسية الأفغانية التركية الهنـدية[5] والبـدوية السطوحية المصرية[6]، والنقشبندية الفارسية التركية الأفغـانية الهنـدية[7]، والمجـددية الهنـدية الأفغانية التركية[8]، والتجانية الأفريقية المغربية[9]. . . إلى غيرها من طرق الصوفية القبورية[10].

وأكثر المتفلسفة المعطلة المنطقية[11]، وكثير من المتكلمة الجهمية: كبعض الماتريدية الحنفية، وبعض الأشعرية الكلابية[12]،

---

(١) راجع ص ١٠٠٧، ١٤٥٥.

(٢) راجع ص ١١٩٢.

(٣) انظر ص ١١٤١-١١٤٢.

(٤) نسبة إلى أبي حفص عمر بن محمد السهروردي الشافعي البغدادي الزاهد الصوفي. صاحب معارف العوارف (٦٣٢هـ). انتشرت طريقته الصوفية في الهند والسند. راجع سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٧٣-٣٧٨. ومعارف العوارف للندوي ١٨٣-١٨٤.

(٥) انظر ص ٧٣.

(٦) راجع ص ٧٤١-٧٥٢.

(٧) انظر ص ٧٥٣-٧٥٦.

(٨) راجع ص ٧٣، ٧٥٣، ١٤٩١.

(٩) نسبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد المختار التجاني البربري الصوفي الخرافي (١٢٣٠هـ). راجع جوهر المعاني ١/٥، ٢٢-٢٧، لعلي الفاسي الخرافي. والتجاني لعلي بن محمد ٤٠-٤٨.

(١٠) لقد ذكر الشيخ محمود بن عبد الرؤوف مئتي طريقة من طرق الصوفية. انظر كتابه الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣٥٣-٣٧٥.

(١١) انظر ص ١٢٩٤-١٢٩٦.

(١٢) راجع ص ٧٦٧-٨٠٧، ٨٤٣-٨٤٥، ١٧٨.

والبـريلوية الهنـدية البـاكستـانية الأفغـانية [1]، والكـوثـرية التركية المصرية السورية الهندية الباكستانية [2]،

وكثير من الديوبندية، وكثير من التبليغية [3]، وغيرهم من فرق القبورية.

(٧) ـ جهاد أئمة الإسلام في الرد على القبورية:

وقد أكرم الله تعالى هٰذه الأمة وتداركها بشيخ الإسلام (٧٢٨هـ)، وتلاه ابن القيم الهمام (٧٥١هـ)، ثم مجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ)، وغيرهم من الأعلام.ـ

فكشفوا الأستار عن أسرار القبورية، وجاهدوا لتحقيق التوحيد فبارك الله تعالى في مساعيهم حتى أقيمت دولة التوحيد في جزيرة العرب، وزالت دولة القبورية والخرافات الصوفية والجهمية.

والقبـورية بجميع أصنـافهـا حاربـوها عن قوس واحدة لا بسلطان البرهان بل بسلطان السيف والسنان والكذب والبهتان *

ولٰكن الله تعالى أراد بقاء شوكة أهل التوحيد، فقوى دولتهم وأيدها وأغناها بخيراتها المعنوية وثمارها المادية، فعمت خيراتها البلاد * ووصلت ثمارها العباد * يجتنون من ثمرات هٰذه الدولة دولة التوحيد، وينعمون في خيراتها شرقاً وغرباً وعرباً وعجماً في أكناف الأرض، وأطرافها سهولها وجبالها.

---

(١) انظر ص ٧٠٥، ٦٩٥-٧١١، ٧١٩-٧٢١.

(٢) راجع ص ٦٩٦، ٧٧٨، ٧٦٢، ٧٦٣، ١٥٠٢، ١٦١٤، ١٨٢٣ - ١٨٢٦.

(٣) انظر ص: ٧٧١-٨٠٧، ٥١٧-٥٢٤، ٦٣١-٦٣٥، ٦٤٧-٦٥٠، ٧٢٧-٧٢٨، ٧٣٩-٧٤٠، ٧٥٣.

وتحقق الأمن بتشييد معالم التوحيد وتطبيق شرع الله تعالى فاشتاق إلى ديار هٰذه الدولة الناس، حتى أعداؤها،

بل نرى أصنافاً من القبورية والصوفية الخرافية الذين هم يكرهون العقيدة السلفية وهٰذه الدولة وعلماءها وجامعاتها من أعماق قلوبهم لأجل ما عندهم من التوحيد المضاد للقبورية، يتملقون إليهم للاستفادة من خيراتها وثمارها، وكثير منهم أطرقوا رؤوسهم إطراق الكرا لتحقيق أغراضهم المادية، وبث أمراضهم المعنوية،

وقد وصل الأمر بسبب ذٰلك، وسكوت السلفيين المثلجين إلى أن الدعوات البدعية المستوردة من الهند ـ كالدبوبندية التبليغية ـ ومن الترك ـ كالكوثرية الجهمية ـ ومن مصر ـ كالإخوانية السياسية ـ، ومن غيرها ـ كالصوفية القبورية ـ ونحوها قد دفعت عقيدتها في هٰذه البلاد الطاهرة، إلى أن تأثر بها بعض أهل التوحيد فناصروها وكرهوا الرد عليها وعلى أصحابها، بل عابوا الانتساب إلى السلفية، ولٰكني أقول لهم:

وعيرني الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ولٰكن الله وفق العلماء الربانيين، فردوا على هٰذه الدعوات المستوردة البدعية وأصحابها؛ بياناً وبناناً، على طريقة أهل الحديث في القديم والحديث؛ حماية لحمى التوحيد وذبّاً عن السنة؛

فإذا هم سمعوا بمبتدع هذى صاحوا له طراً بكل مكان

(٨) **خلاصة جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية:**

ولم يكن الرد على القبورية والدعوة إلى التوحيد محصورين في أمثال شيخ الإسلام، بل شاركهم كثير من الأعلام غيرهم من أهل المذاهب الثلاثة، وعلى رأسهم علماء الحنفية؛

فقـد كانت لهم جهـود عظيمـة في الـرد على القبـورية، وكشف عوراتهم، وقـطع دابـرهم، وقمـع شبهـاتهم، وكسـر جمـوعهم وبيان فضائحهم، بنصوص دامغة صارمة قاطعة؛

فإن أصل مذهب الحنفية كله قضاء على القبورية من أصلها:

فقد قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى مقالة حنفية حنيفية قاطعة لدابر القبورية في القديم والحديث وهي مقالة سارت بها الركبان * وصارت لأهل التوحيد من أعظم البرهان * على القبورية عامة * والقبورية الحنفية خاصة * وهي قولته المشهورة المستفيضة: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به. . .»[1].

وهٰـذه المقـالة الحنفية الحنيفية في باب توحيد العبادة؛ كالمقالة المالكية الملكية للإمام مالك: «الاستواء معلوم والكيف مجهول. . .»[2] في باب توحيد الصفات؛

كما أن هٰذه قمعت الجهمية كذٰلك تلك دمغت القبورية.

وهٰكـذا كثير من مسـائـل الفقـه الحنفي وقواعدها[3] رد بالغ على القبورية وقمع لهم ولشبهاتهم؛ كنفي سماع الموتى[4]، وتحريم البناء على القبور[5]، وأحكام الارتداد[7]، وكلماته[6]، وغيرها من المطالب المدونة في

---

(١) انظر تخريجها وتوثيقها في ص ١١٢١-١١٢٩.

(٢) انظر ص ١١٢٣.

(٣) راجع ص ٦٠١-٦٢٠.

(٤) راجع ص ٨٤٦-٨٧٤.

(٥) راجع ص ١٦١٩-١٦٤٦.

(٦) راجع ص ٥٢٩-٥٣١.

(٧) تنبيه: ليس قصدي من هٰذا الكلام - ترجيح مذهب الحنفية على غيرهم، ولا =

فقه الحنفية[1].

لذلك تتابعت جهود علماء الحنفية في الرد على القبورية ونشطوا لبيان فضائحهم، ولا سيما الحنفية الذين تتلمذوا على كتب شيخ الإسلام واطلعوا على تحقيقات أئمة السنة الأعلام، بعد شيخ الإسلام، فوقفوا للقبورية بمرصاد، وألفوا في الرد عليهم وقمعهم وقلع شبهاتهم، كتباً كثيرة أفردوها، غير تلك المباحث القيمة التي ضمنوها في كتبهم الأخرى.

فمن أبرز هؤلاء العلماء من الحنفية الرادين على القبورية المبطلين لعقائدهم الوثنية: الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ)، والإمامان: البركوي (٩٨١هـ)، وأحمد الرومي (١٠٤٣هـ)، وصنع الله الحلبي (١١٢٠هـ)، والإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ)، وأسرته من أبنائه وأحفاده وأسباطه، ولا سيما العلامة إسماعيل المجاهد (١٢٤٦هـ)، والأسرة الألوسية ابتداء من الألوسي الأب (١٢٧٠هـ)، ثم الابن (١٣١٧هـ)، وانتهاء بالحفيد (١٣٤٢هـ)،

= التعصب للحنفية، ولا الطعن في غيرهم، ولا الغلو والإفراط في أبي حنيفة، والتفريط والقدح في الأئمة الثلاثة وفي مذاهبهم، وليس المراد أن هذه ميزات مذهب الحنفية فحسب، وأن بقية المذاهب فارغة عن هذه الميزات، وأن الأئمة الثلاثة فتحوا شبابيك الشرك؛ كما زعم ذلكم المتعصب الحنفي الفنجفيري الديوبندي في كلامه المسجل في شريط عندي؛ بل القصد أن في المذهب الحنفي مواد تقطع دابر القبورية، فضلاً عن المذاهب الأخرى؛ وأما مقارنة المذهب الحنفي بالثلاثة ـ فحاصلها: أنه أبعدها عن السنة والتحقيق وأنه مبني على كثير من الأصول الباطلة، والأقيسة العاطلة، والآراء الفاسدة، والأدلة الكاسدة، فأبو حنيفة كان من أئمة أهل الرأي، والثلاثة كانوا من أئمة أهل الحديث. انظر الماتردية ١/١٣٣-١٣٦، ٢/١٠١، ٥٦٠، ٣/٤٨٣-٤٨٧.

(١) راجع ص ٦٢١-٦٨٢.

وبعض الديوبندية ولا سيما الفنجفيرية[1]، وغيرهم من علماء الحنفية الذين سترى نصوصهم اللامعة كالأنوار الكاشفة للظلمات، القاطعة للقبورية كالصوارم، فلله درهم، وعليه شكرهم.

فقد حكموا على القبورية بأنها فرقة مشركة وثنية[2] عبدة القبور والأنصاب التي جعلوها أوثاناً، وأنصاباً بعبادتهم لها أنواعاً من العبادات[3]، مع التصريح بعدم تكفيرهم قبل إيضاح المحجة وإقامة الحجة كما هو منهج أهل السنة[4].

وقد شددوا في الرد على المعاندين من القبورية، نكاية فيهم وكشفاً لفضائحهم بكلمات كالسهام النافذة إلى الأفئدة، وجروح كالصوارم المهندة القاطعة لأقفيتهم، ولينوا مع العوام الجهلة من القبورية عدلاً وحكمةً كما هو منهج أهل السنة.

ولا أطيل على السامعين...

بل أحيلهم إلى رياض هٰذه الرسالة التي غرست فيها أزهار جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية؛ فليرجعوا إليها، وليرتعوا في

---

(1) تنبيه مهم: لا يفهم أن أمثال الفنجفيرية الديوبندية صاروا سلفيين بردهم على القبورية؛ لأن هٰؤلاء مع ردهم على القبورية مبتدعة بأنواع من البدع؛ فهم حنفية متعصبة كالكوثرية، ومقلدة جامدة يردون كثيراً من الأحاديث الصحيحة للتمذهب، كما أنهم مرجئة، وماتريدية جهمية، وصوفية نقشبندية، فما كل من رد على القبورية يكون سلفياً؛

* فما كل مخضوب البنان بثينة * وما كل مصقول الحديد يمانيا *

راجع الماتردية ١/٧٥-١٤٥.

(2) انظر ص ٤٢٥-٤٣٩.

(3) راجع ص ٤٢٩-٤٣٨.

(4) راجع ص ٥٣٤-٥٣٧.

بساتينها، وليشموا نفحات حدائقها، وليسرحوا في منتزهاتها،

ليجدوا نصوص علماء الحنفية القواطع اللوامع في صعيد واحد؛ وليعلموا أن علماء الحنفية قد جازوا القبورية وفاقاً لبعض إجرامهم؛ ليتذكروا قول القائل:

ستعلم ليلى أي دين تداينت وأي غريم في التقاضي غريمها

(٩) - أسباب اختيار الموضوع:

لما كانت القبورية بهذه الكثرة الكاثرة، وضررها على الإسلام والمسلمين أعظم وأشد وأعم وأطم؛ حيث جروا ويلات على العقيدة السلفية طيلة هذه القرون،

وكانت لعلماء الحنفية جهود عظيمة في إبطال عقائدهم وكشف فضائحهم،

ثم كان أكثر القبورية المنتسبين إلى الأئمة هم الحنفية -

أردت أن أضرب أعناق معانديهم بسيوف أهل مذهبهم تنكيلاً لهم، وأرشد جهالهم بنصوص أئمتهم نصحاً لهم؛

لذلك سميت كتابي هذا: «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية».

وقد حداني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب غير ما ذكر، أهمها ثلاثة:

الأول: أن كتابي الأول: «الماتريدية . . .» بمرحلة الماجستير كان في تحقيق توحيد الأسماء والصفات وإبطال عقائد الماتريدية الحنفية الجهمية؛ فناسب ذلك أن يكون كتابي هذا في تحقيق توحيد العبادة بجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية؛ ليتم الرد على الفرقتين: الجهمية

والقبورية، لاشتراكهما في القدر المشترك من التعطيل والتشبيه.

* فأدافع بذلك على التوحيدين * لعلي أفوز بثواب كلتا الحسنيين *

الثاني: أن علماء الحنفية كانت لهم جهود عظيمة في إبطال عقائد القبورية مبعثرة في كتبهم كالدرر المنتشرة الشاردة الآبدة، ولم أجد أحداً جمع هٰذه الجواهر من تلك الخزائن المدفونة، وخاض بحرهم الخضم ليخرج تلك اللآلىء من ذلكم الغطمطم الزخار.

وقد كانت الحاجة ماسة إلى نظم تلك اليواقيت في ديوان واحد؛ لتكون عدة لإبطال عقائد القبورية، ولا سيما القبورية من الحنفية وما أكثرهم!؟!.

وقد كنت عشت في أوساط الحنفية وتجمعاتهم وتتلمذت عليهم في علومهم المنطقية والكلامية والأدبية والأصولية والفقهية والتفسيرية، في البلاد الأفغانية والتركستانية والباكستانية، وقد عرفت أهل التوحيد منهم والقبورية، والجهمية، والصوفية، منهم حق المعرفة، واختبرتهم اختبار الحكيم المجرب، واطلعت على كتبهم العربية والفارسية والأفغانية والأردية، فعرفت كثيراً من عجرهم وبجرهم * وكثيراً من خيرهم وشرهم.

فصاحب البيت أدرى بما فيه، وأهل مكة أعرف بشعابها.

فعزمت على هٰذا العمل الشاق متوكلاً على الله ومستعيناً منه، ومستغيثاً به.

الثالث: أن كثيراً من القبورية يزعمون أن الرد على القبورية من خصائص طائفة ظنوها شاذة محصورة في أمثال: شيخ الإسلام (٧٢٨هـ)، وابن القيم الهمام (٧٥١هـ)، ومجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ)، ونبذوهم

بلقب منفر «الوهابية» تحذيراً للناس منهم وإضلالاً للعوام، وإغواء للجهال بهٰذه الحيلة الماكرة الشاطرة القبورية.

فأردت إبطال هٰذا الزعم الباطل بجمع جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية في صعيد واحد، ليعلم القبورية أن أهل الحديث وأئمة السنة الذين ينبذهم القبورية بالوهابية، ليسوا شذاذاً ولا متفردين بالرد على القبورية؛ بل شاركهم في ذٰلك أعلام هٰذه الأمة، ولا سيما علماء الحنفية، وليتبين للقبورية أنه لا صلة لهم بأي إمام من أئمة الإسلام، ولا سيما الأئمة الأربعة؛ وإنما عقائدهم مستقاة من اليهود والنصارى * والوثنية الأولى، من طريق الروافض والصوفية، والمتفلسفة في الإسلام، والمتكلمة المعطلة الجهمية.

وبهٰذا يظهر أن أهل الحديث ليسوا مبطلين لعقائد القبورية وحدهم،

بل هم وعلماء الحنفية وكل من عرف توحيد الأنبياء والمرسلين وألم بتاريخ الوثنية كلهم حرب شعواء على القبورية، وكلهم في ذٰلك جنود لأهل الحديث، يحاربون القبورية بصوارمهم التي لا نبوة فيها، كما قيل:

فلست وحيداً يا ابن حمقاء فانتبه ... ورائي جنود كالسيول تدفق

(١٠) خطة البحث:

هٰذه الرسالة مشتملة على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة.

المقدمة: وفيها ثلاثة عشر أمراً.

الباب الأول: في جهود علماء الحنفية في بيان أهمية شأن العقيدة وتعريف التوحيد، وأنواعه، وأهمية توحيد الألوهية، وكونه هو الغاية، وشروط صحته، وردهم على القبورية في ذٰلك كله.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في أهمية شأن العقيدة عند علماء الحنفية.

الفصل الثاني: في تعريف التوحيد وبيان أنواعه عند علماء الحنفية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في تعريف التوحيد لغة وإصلاحاً.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في تعريف التوحيد لغة عند علماء الحنفية.

المطلب الثاني: في تعريف التوحيد إصطلاحاً عند علماء الحنفية.

المطلب الثالث: في إبطال علماء الحنفية لتعريف القبورية للتوحيد.

المبحث الثاني: في أنواع التوحيد عند علماء الحنفية.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في أن القبورية لا يقسمون التوحيد إلى الربوبية والألوهية، ورد علماء الحنفية عليهم.

المطلب الثاني: في التقسيم الثنائي للتوحيد عند علماء الحنفية.

المطلب الثالث: في التقسيم الثلاثي للتوحيد عند علماء الحنفية.

الفصل الثالث: في أهمية توحيد الألوهية وكونه هو الغاية عند علماء الحنفية.

الفصل الرابع: في أركان توحيد الألوهية وشروط صحته عند علماء الحنفية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في بيان ركني توحيد الألوهية عند علماء الحنفية.

المبحث الثاني: في بيان شروط صحة توحيد العبادة عند الحنفية.

الباب الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال قول القبورية باتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وإبطال جعلهم توحيد الربوبيه هو الغاية، وبيان التعريف الصحيح للعبادة، وأركانها، وأنواعها، وشروط صحتها.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في عرض عقيدة القبورية في اتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية.

الفصل الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال قول القبورية باتحاد التوحيدين: الربوبيه والألوهية.

الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها للقول باتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية، وإبطال زعمهم أن المشركين كانوا يشركون آلهتهم بالله تعالى في الخالقية والمالكية والربوبية والرازقية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها للقول باتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وجعل توحيد الربوبية هو الغاية.

المبحث الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها لزعمهم أن المشركين كانوا يشركون آلهتهم بالله تعالى في الخالقية والمالكية والربوبية والرازقية.

الفصل الرابع: في جهود علماء الحنفية في تعريف العبادة وأركانها وأنواعها وشروط صحتها، وإبطال عقيدة القبورية في ذلك كله.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في تعريف العبادة عند القبورية.

المبحث الثاني: في تعريف العبادة عند علماء الحنفية، وجهودهم في إبطال تعريف العبادة عند القبورية.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في جهود علماء الحنفية في إبطال تعريف العبادة عند القبورية.

المطلب الثاني: في تعريف العبادة لغة عند علماء الحنفية.

المطلب الثالث: في تعريف العبادة إصطلاحاً عند علماء الحنفية.

المبحث الثالث: في أركان العبادة وأنواعها وشروط صحتها عند علماء الحنفية، وردهم على القبورية في ذلك كله.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في أركان العبادة عند علماء الحنفية.

المطلب الثاني: في أنواع العبادة عند علماء الحنفية.

المطلب الثالث: في شروط صحة العبادة عند علماء الحنفية.

الباب الثالث: في جهود علماء الحنفية في تعريف الشرك وبيان أنواعه وتطوره، ومصدر عبادة القبور، ونشأة القبورية وانتشارهم، وتحقيق أن الشرك موجود في القبورية من هذه الأمة، وجهودهم في إبطال عقائد القبورية في ذلك كله.

وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في تعريف الشرك، وبيان أنواعه ومصدره وتطوره، ونشأة القبورية وانتشارهم، عند علماء الحنفية، وإبطال عقائد القبورية في ذلك كله.

وفيه مباحث ثلاثة :

المبحث الأول : في تعريف الشرك عند علماء الحنفية، وردهم على القبورية في ذلك .

وفيه مطالب ثلاثة :

المطلب الأول : في تعريف القبورية للشرك .

المطلب الثاني : في تعريف علماء الحنفية للشرك .

المطلب الثالث : في إبطال علماء الحنفية تعريف القبورية للشرك .

المبحث الثاني : في بيان أنواع الشرك عند علماء الحنفية وردهم على القبورية .

المبحث الثالث : في بيان مصدر الشرك بعبادة القبور وتطوره ونشأة القبورية وانتشارهم عند علماء الحنفية؛ وتحقيقهم أن القبورية أهل الشرك؛ وثنية عبدة الأوثان .

وفيه مطالب ثلاثة :

المطلب الأول : في بيان مصدر الشرك بعبادة القبور ونشأة القبورية عند علماء الحنفية .

المطلب الثاني : في تطور الشرك بعبادة القبور وأهلها، وانتشار القبورية في العالم عند علماء الحنفية، وردهم على القبورية في ذلك كله .

المطلب الثالث : في تحقيق علماء الحنفية : أن القبورية أهل الشرك وثنية عبدة الأوثان والأنصاب، وجهود علماء الحنفية في إثبات ذلك بوجوه ثمانية .

الفصل الثاني : في جهود علماء الحنفية في تحقيق أن الشرك موجود في القبورية، وأنه انتشر شرقاً وغرباً، وردهم على القبورية في ذلك كله .

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: في تحقيق علماء الحنفية: أن الشرك موجود في القبورية، شرقاً وغرباً، وأن القبورية قد عمت البلاد وطمت العباد إلا من رحمه الله تعالى.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان تاريخ القبورية إجمالاً.

المطلب الثاني: في جهود علماء الحنفية في بيان أن الشرك بعبادة القبور قد عم البلاد وطم العباد إلا من رحمه الله.

المبحث الثاني: في جهود علماء الحنفية في المقارنة بين القبورية وبين الوثنية الأولى، وتحقيق أن القبورية على طريقة لوثنية الأولى بل القبورية، أشد شركاً من الوثنية الأولى في باب الاستغاثة.

المبحث الثالث: في الجواب عن شبهة القبورية في إنكارهم وجود الشرك في هٰذه الأمة.

الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية عن شبهات القبورية الأخرى التي تشبثوا بها لتبرير شركهم الأكبر، وعبادتهم القبور وأهلها.

الباب الرابع: في جهود علماء الحنفية في التحذير من الشرك ووجوب حماية حمى التوحيد ووجوب سد جميع الذرائع الموصلة إلى الشرك وردهم على القبورية في ذٰلك كله.

وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في جهود علماء الحنفية في التحذير من الشرك.

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: في ذكر بعض الآيات الكريمات التي تحذر من

الشرك مع أقوال علماء الحنفية في تفسيرها.

المبحث الثاني: في ذكر بعض الأحاديث النبوية التي تحذر من الشرك مع أقوال علماء الحنفية في شرحها.

المبحث الثالث: في نصوص علماء الحنفية في التحذير من الشرك.

الفصل الثاني: في تقرير سبعة قواعد أصولية فقهية لعلماء الحنفية يستفاد منها في حماية حمى التوحيد وسد جميع الذرائع الموصلة إلى الشرك.

الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال ثلاثين ذريعة للشرك، وردهم على عقائد القبورية في ذلك حمايةً وسدّاً لجميع ذرائع الشرك.

الباب الخامس: في بيان غلو القبورية في الصالحين وجهود علماء الحنفية في إبطاله.

وفيه قسمان:

القسم الأول: في عرض أمثلة لغلو القبورية في الصالحين.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في غلوهم في رسول الله ﷺ.

الفصل الثاني: في غلو القبورية في بعض الأولياء خاصة.

الفصل الثالث: في غلو القبورية في الأولياء عامة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في عرض أمثلة لغلو القبورية في الأولياء عامة.

المبحث الثاني: في التنبيه على أمر مهم.

المبحث الثالث: في التنبيه على أمر أهم من الأمر الأول: المقارنة بين القبورية من بعض الديوبندية وبين البريلوية.

القسم الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال غلو القبورية في الصالحين:

وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في جهود علماء الحنفية في إبطال غلو القبورية إجمالاً:

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في استدلال علماء الحنفية بالكتاب، على إبطال الغلو.

المطلب الثاني: في استدلال علماء الحنفية بالسنة على إبطال الغلو.

المطلب الثالث: في نصوص علماء الحنفية على أن الغلو في الصالحين من أعظم أسباب وقوع القبورية في الشرك.

الفصل الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال غلو القبورية في حياة الأموات وسماعهم نداء المستغيثين عند الكربات:

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في حياة الأموات وجعل حياتهم البرزخية حياة دنيوية.

المبحث الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في سماع الموتى نداء المستغيثين بهم عند النوازل:

وفيه مقامان:

المقام الأول: في عرض عقيدة القبورية في سماع الأموات لنداء المستغيثين بهم.

المقام الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في سماع الموتى.

المبحث الثالث: في إبطال علماء الحنفية لشبهات القبورية في حياة الأموات وسماع الموتى.

الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال غلو القبورية بجعلهم النبي ﷺ نوراً لا بشراً.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في كلام بعض علماء الحنفية لإبطال عقيدة القبورية في جعلهم النبي ﷺ نوراً لا بشراً.

المبحث الثاني: في تنبيهات ثلاثة.

الباب السادس: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في علم الغيب، والتصرف في الكون للصالحين - بل للطالحين:

وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في علم الغيب لغير الله:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في استدلال علماء الحنفية ببعض الآيات الكريمات على إبطال عقيدة القبورية في علم الغيب لغير الله.

المطلب الثاني: في استدلال علماء الحنفية ببعض الأحاديث الصحيحة على إبطال عقيدة القبورية في علم الغيب لغير الله.

المطلب الثالث: في ذكر بعض نصوص علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في علم الغيب لغير الله.

الفصل الثاني: في جهود علماء الحنفية لإبطال عقيدة القبورية في التصرف في الكون لغير الله تعالى.

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: في ذكر الآيات القرآنية التي استدل بها علماء الحنفية على إبطال عقيدة القبورية في التصرف في الكون لغير الله سبحانه.

المبحث الثاني: في ذكر بعض الأحاديث التي استدل بها علماء الحنفية على إبطال عقيدة القبورية في التصرف في الكون لغير الله سبحانه.

المبحث الثالث: في نصوص علماء الحنفية على إبطال عقيدة القبورية في التصرف في الكون لغير الله سبحانه، وتصريحاتهم بأن هٰذه العقيدة شرك وكفر.

الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها لدعم عقيدتهم في علم الغيب والتصرف في الكون لغير الله.

الباب السابع: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في استغاثتهم بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وعرض عقيدة القبورية في الاستغاثة وتحقيق أنهم أشد شركاً من الوثنية الأولى.

وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في عرض عقيدة القبورية في استغاثتهم بغير الله

فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: في تحقيق أن الاستغاثة بغير الله أهم العقائد القبوريات عند القبورية.

المبحث الثاني: أن الاستغاثة بغير الله أنفع للمكروب عند القبورية من الاستغاثة بالله. وثمانية عشر مثالاً لذلك.

المبحث الثالث: في بيان أمثلة متفرقة لعقيدة القبورية في استغاثتهم بغير الله.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في عرض عقيدة القبورية في الاستغاثة بالأحياء الغائبين والأموات.

وفيه أمران مهمان:

الأمر الأول: في صيغ استغاثتهم بغير الله.

الأمر الثاني: في عقيدة القبورية أن الاستغاثة بغير الله تجوز في جميع الحالات والأوقات.

الفصل الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في استغاثتهم بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في استدلال علماء الحنفية على إبطال عقيدة القبورية في استغاثتهم بغير الله.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في استدلال علماء الحنفية بالكتاب على إبطال

عقيدة القبورية في الاستغاثة بغير الله.

المطلب الثاني: في استدلال علماء الحنفية بالسنة على إبطال عقيدة القبورية في الاستغاثة بغير الله.

المبحث الثاني: في نصوص علماء الحنفية لتحقيق أن الاستغاثة بغير الله تعالى أمر محرم بل إشراك بالله تعالى، بل أم لعدة أنواع من الإشراك.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في نصوص علماء الحنفية لتحقيق أن الاستغاثة بغير الله أمر محرم في دين الله.

المطلب الثاني: في نصوص علماء الحنفية على أن الاستغاثة بغير الله إشراك بالله تعالى.

المطلب الثالث: في نصوص علماء الحنفية على أن الاستغاثة بغير الله ليس شركاً بالله فحسب، بل هي أم لعدة أنواع من الإشراك بالله عزَّ وجلّ.

الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية في تحقيق أن القبورية أشد شركاً من الوثنية الأولى، وأنهم أشد خوفاً وأكثر خضوعاً وأعظم عبادةً للأموات منهم لخالق الكائنات؛ في باب الاستغاثات.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في جهود علماء الحنفية في تحقيق أن القبورية أشد شركاً من الوثنية الأولى.

المبحث الثاني: في جهود علماء الحنفية في تحقيق أن القبورية أشد خوفاً ورجاء وأكثر خضوعاً وتضرعاً وأعظم توجهاً وعبادةً للأموات منهم

لخالق البريات في باب الاستغاثات.

الباب الثامن: من جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها لتبرير استغاثتهم بالأموات: وهي عشرون شبهة[1].

الباب التاسع: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في التوسلات الشركية والبدعية:

وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في تعريف التوسل والوسيلة لغةً وإصطلاحاً عند علماء الحنفية، وعند القبورية.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في تعريف التوسل والوسيلة لغة.

المطلب الثاني: في تعريف التوسل والوسيلة إصطلاحاً عند علماء الحنفية.

المطلب الثالث: في تعريف التوسل والوسيلة في إصطلاح القبورية، وأنواع التوسل عندهم.

الفصل الثاني: في جهود علماء الحنفية في بيان أنواع التوسل الشرعية منها والقبورية وإبطال التوسلات القبورية الشركية منها والبدعية.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في بيان أنواع التوسل الشرعي عند علماء الحنفية.

المطلب الثاني: في بيان أنواع التوسل القبوري: الشركي والبدعي عند علماء الحنفية.

---

(١) تنبيه: جميع شبهات القبورية التي ذكرت جهود علماء الحنفية في إبطالها في هذا الكتاب ـ هي خمس وسبعون شبهة. انظر ص ١٢٣٣-١٢٣٥.

المطلب الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال توسلات القبورية الشركية منها والبدعية بعدة وجوه.

الفصل الثالث: في إبطال علماء الحنفية شبهات القبورية في توسلاتهم الشركية والبدعية.

الباب العاشر: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في النذر والتبرك وزيارة القبور وبناء القبب والمساجد عليها.

وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في النذر لأهل القبور والتبرك المحذور.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في النذر لأهل القبور.

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في عرض عقيدة القبورية في نذورهم لأهل القبور.

المطلب الثاني: في إبطال علماء الحنفية عقيدة القبورية في نذورهم لأهل القبور.

المطلب الثالث: في إبطال علماء الحنفية لبعض شبهات القبورية في نذورهم لأهل القبور.

المبحث الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في التبرك.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في عرض عقيدة القبورية في الشرك.

المطلب الثاني : في جهود علماء الحنفية في إبطال تبركات القبورية الشركية والبدعية .

الفصل الثاني : في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في زيارتهم الشركية والبدعية للقبور.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: في عرض عقيدة القبـورية في زيارتهم الشـركية والبدعية للقبور.

المبحث الثاني : في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في زيارتهم الشركية والبدعية للقبور.

الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في بناء القبب والمساجد على القبور.

وفيه مباحث ثلاثة :

المبحث الأول: في عرض عقيدة القبورية في بناء القبب والمساجد على القبور.

المبحث الثاني : في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في بناء القبب والمساجد على القبور.

وفيه مطلبان :

المـطلب الأول: في استـدلال علماء الحنفية بالسنة على تحريم البناء على القبور ووجوب هدم القباب المبنية عليها .

المطلب الثاني : في جهود علماء الحنفية في بيان مفاسد بناء القبب والمساجد على القبور.

المبحث الثالث: في إبطال علماء الحنفية لبعض شبه القبورية في

بناء القبب والمساجد على القبور.

الخاتمة: وفيها أمور ثلاثة:

الأول: النتائج.

الثاني: الاقتراحات.

الثالث: الفهارس.

وقد حققت في هٰذه الأبواب بفصولها ومباحثها أموراً علمية لا تجدها في صعيد واحد، أهمها:

أ ـ أهمية توحيد الألوهية وأنه هو الغاية، والفروق الجوهرية بينه وبين توحيد الربوبية بثلاثين وجهاً، وإبطال عشرين شبهة للقبورية في جعلهم التوحيدين واحداً.

ب ـ مباحث مهمة تتعلق بالعبادة والتعريف الصحيح للشرك وأنواعه، وتطوره، ووجوده في هٰذه الأمة وبيان ثلاثين ذريعة للشرك مع بيان وجوب سدها حماية لحمى التوحيد.

ج ـ الاهتمام البالغ بتاريخ القبورية ونشأتهم الأولى والثانية في الأمم الخالية، ونشأتهم الثالثة في هٰذه الأمة، وتطور القبورية وانتشارهم ومفاسدهم وأمثلة لشركهم وكفرهم حتى في توحيد الربوبية فضلاً عن توحيد الألوهية، وبيان أنهم أشد شركاً من المشركين السابقين.

د ـ الكشف عن زندقة الصوفية القبورية الحلولية والاتحادية، وأمثلة لأنواع من إلحادهم وتحقيق أنهم أكفر من اليهود والنصارى، مع ذكر خمس وسبعين شبهة للقبورية مع قلعها وقمع أهلها.

هـ ـ تحقيق أن الديوبندية والتبليغية الحنفية قبورية ولكنهم أخف من البريلوية، إلا من شاء الله، مع كون الديوبندية متعصبة كوثرية، مرجئة

ماتريدية جهمية، أعداء ألداء للعقيدة السلفية وأهل الحديث، وأئمة الدعوة، وقد سقت من خرافاتهم ثلاثة وثلاثين مثالاً، ولطالما خفي على الناس حقيقة أمرهم، ولكن الحقيقة كما قيل:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١١) منهجي في هذه الرسالة:

لقد اخترت المنهاج الأفضل؛ لجمع جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، وعرض عقائد القبورية، وإبطالها، وإليكم بيان ذلك:

أولاً: سقت نصوص علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية من كتبهم مباشرة.

ثانياً: تابعت علماء الحنفية في الشدة والقسوة والغلظة على المعاندين من القبورية[١]،

وفي اللين والرحمة والشفقة على العوام الجهلة منهم، اقتضاءً للحكمة، وتحقيقاً للعدل والإنصاف.

ثالثاً: ذكرت ردود علماء الحنفية على القبورية من النواحي الثلاث:

الناحية الأولى: إبطال علماء الحنفية لعقائد القبورية.

الناحية الثانية: جروح علماء الحنفية جروحاً شديدة وقدحهم في القبورية ولا سيما أئمتهم الدعاة إلى الخرافات بذكر أسمائهم وبيان طاماتهم، تحذيراً للأمة منهم ومن عقائدهم[٢].

الناحية الثالثة: ذكرت كلام علماء الحنفية للطعن في كتب القبورية

---

(١) راجع ص ١٧٩، ٤٢٧-٤٢٨، ٣٠١-٣٠٧، ٤٣١، ١٠٠٧-١٠٠٩، ١١٥٦-١١٥٧، ١٢٩٤، ١٣٦٧-١٣٦٩، ١٣٧٨.

(٢) انظر الحاشية السابقة نفسها.

وإسقاطها عن حيز الاعتماد، لبيان أنها كتب الوثنية والضلال والإضلال[1].

رابعاً: سقت نصوص علماء الحنفية لتحقيق توحيد العبادة، وتوضيح المسائل المتعلقة به.

خامساً: أشرت إلى نصوص أئمة السنة من علماء هٰذه الأمة ولا سيما شيخ الإسلام (٧٢٨هـ)، وابن القيم الهمام (٧٥١هـ)، ومجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ)، وغيرهم؛ لتأييد أقوال علماء الحنفية؛ وبيان أن الحنفية في ردودهم على القبورية ليسوا منفردين، أو لبيان أن علماء الحنفية قد اقتبسوا أنواراً من أضواء هٰؤلاء الأئمة[2].

سادساً: كل ما نقله علماء الحنفية من نصوص في الرد على القبورية عن شيخ الإسلام أو غيره من الأئمة الأعلام قد خرجته بعزوها إلى كتبهم[3].

سابعاً: عرضت عقائد القبورية من كتبهم ولا سيما من كتب أئمتهم بغاية إنصاف وأمانة بعيداً عن التحريف والخيانة.

ثامناً: قد ذكرت كثيراً من الأعلام الفضلاء في عداد القبورية؛ لأنهم قبورية عند الحنفية، بل قد يكون بعضهم من الغلاة القبورية عند الحنفية، وإن كان له محاسن في أبواب الفقه والأصول وغيرها من العلوم[4]،

مع العلم أن القبورية يتفاوتون في دركات القبورية من حيث الغلو والإفراط؛ ففيهم وثني أغلى، ووثني غال، ووثني متوسط، وفيهم من قارب

---

(١) راجع ص ٧٧١-٧٧٥، ١٨١٤.

(٢) راجع ص ٩٣-٩٤، ١٠٥، ١١٣، ١٤٨، ٢١٩.

(٣) راجع ص ٣١٩، ٤٢١، ٤٣٧، ٤٥٣، ٤٥٨، ٦٥٥، ٦٥٦، ٨٢٥.

(٤) راجع ص ٨٤٣-٨٤٥، ٦٩٩، ٦٧٨، ١٧٩٥.

الـوثنية، وفيهم من كان من الدعاة إلى القبورية، وفيهم من اعتنق بعض عقائد القبورية، وفيهم من تأثر ببعض أفكارهم البدعية، فاستحق اسم القبوري.

تاسعاً: خرجت الآيات والأحاديث والآثار، ووثقت النصوص، وشرحت اللغويات، والمصطلحات، وترجمت للأعلام، وعرفت الفرق والأماكن، ونبهت على الأغلاط والأخطاء اللغوية والنحوية الواردة في النصوص، ولا سيما نصوص علماء الحنفية[1].

عاشراً: جمعت جهود علماء الحنفية، وجندتها ووظفتها لإبطال عقائد القبورية، وشبهاتهم، وتحريفاتهم؛ كتبديلهم لمفهوم التوحيد، وتغييرهم لمعنى الشرك، وتحريفهم لمسمى العبادة؛ وكجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية، وإنكارهم لتوحيد الألوهية؛ وكعقيدتهم في علم الغيب والتصرف في الكون للأولياء أحياء وأمواتاً؛ وجعل حياتهم البرزخية حياة دنيوية، وإثباتهم لهم سماع نداء المستغيثين بهم؛ وكارتكابهم الاستغاثات الشركية الكفرية والتوسلات الشركية، والبدعية، وزيارة القبور زيارة شركية

---

(١) راجع ص ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، (٤٣٣)، ٤٥٥، ٥١٠-٥١٣، (٥٦٠)، ٥٩٨، ٦٠٨، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٨، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٥٩-٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧١، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٧١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٩٠٥، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٤٠، ٩٥٩، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٨، ٩٦٩، ١٠١٨، ١٠٢٣-١٠٢٦، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١١٦٥-١١٦٧، ١١٧٨، ١١٧٩، (١١٩١)، ١١٩٣-١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٧، ١٢٠٨، ١٢١١، ١٢١٣، ١٢١٩-١٢٢١-١٢٢٤، ١٢٢٨، ١٢٤١، ١٣٢٨-١٣٣٢، (١٤٦٥-١٤٦٧)، (٧٨١-٧٨٢)، (١٤٧٥-١٢٧٨)، (١٤٧٩-١٤٨٢)، ١٥١٣-١٥١٥، ١٥٣٣، ١٥٢١، ١٥٧٦، ١٥٧٨، ١٦٥٥.

وبدعية، وبناء القبب والمساجد على القبور ونحوها من العقائد الباطلة.

(١٢) مواجهة المشكلات:

وقد عانيت في تصنيف هٰذا الكتاب عناءً كثيراً، وسهرت الليالي لاستخراج اللآلىء، مع وفرة أشغالي وانشغالي بعوائلي وأشبالي، وكثرة أعدائي وقلة أصدقائي، وقصر باعي وضيق دائرة علمي.

وقد واجهتني عدة من المشكلات؛ كطول هٰذه الرسالة، وتشعب مضامينها، وعدم توفر مراجع القبورية، وأمراض أصابتني في نفسي وأهلي وأولادي، وفتن تتابعت على بلادي ودياري، ولٰكن الله تعالى سهل لي العسير، وبارك لي في اليسير.

وها إني أقدمت على هٰذا العمل العظيم مع هٰذه المشكلات لأني أعتقد كما يعتقد سلفنا الصالح: من أن الرد على أهل البدع من أعظم الجهاد في سبيل الله، ومن أجلّ الطاعات لله؛ ومن أهم الواجبات في سبيل الذب عن دين الله[1]:

من الدين كشف العيب عن كل كاذب ... وعن كل بدعي أتى بالمصائب

ولولا رجال مؤمنون لهدمت ... معاقل دين الله من كل جانب

(١٣) كلمتا رجاء وشكر:

وبالجملة: فهٰذا هو جهد المقل قد قدمته للمسلمين دفاعاً عن توحيد رب العالمين، وقد توخيت فيه الحق والصدق والصواب والإنصاف، وأردت الخير لي وللحنفية، وللقبورية، ولعامة المسلمين، ولخاصتهم.

فإن أصبت فذٰلك قد قصدت * وإلا فالخير توخيت والحق أردت *

---

(١) راجع كتابي الكبير الماتريدية ١/٢٢-٤٥.

وأقول جهاراً:

إن ما كان في رسالتي هٰذه من حق وصواب وخير ونفع ـ ففضيلة شيخي المشرف عليها، والجامعة الإسلامية، وكل من أعانني من أهل العلم وطلابه وزملائي وأصدقائي حفظهم الله كلهم شركاء معي في الأجر.

وكل ما كان فيها من شر وزلة وغلطة وخطأ فأنا المسؤول عن ذٰلك وحدي فقط، وتبعته عليّ ونسبته إليّ فحسب؛ لا إلى فضيلة شيخي المشرف حفظه الله،

ولٰكن إذا نُبِّهت على خطأ علمي ـ ولو كان المُنَبِّه من القبورية والجهمية ـ فأنا أرجع عن ذٰلك بدون إصرار ولا عناد إلى الحق والصواب * فإن الحق أحق بالاتباع بلا ارتياب *

وإني أحمد الله تعالى وأشكره على أن هداني إلى الإسلام الصحيح الصافي المتضمن للعقيدة الصحيحة السلفية الأثرية، وعلى أن وفقني لتأليف هٰذا الكتاب في الرد على القبورية، كما وفقني لتأليف الكتاب الأول في الرد على الماتريدية، وعلى أن حبب إلي السنة وأهلها وكرّه إلي البدعة وأهلها.

كما أشكر فضيلة شيخي المشرف على هٰذه الرسالة الدكتور صالح ابن عبدالله آل عُبُود حفظه الله وأكرمه في الدنيا والآخرة؛ لإخلاصه وسعيه المتواصل ونصحه الكامل، وإشرافه على هٰذه الرسالة، وتحمل العناء الكثير في هٰذا الصدد.

كما أشكر الجامعة الإسلامية؛ جامعة أهل السنة والحديث والأثر التي تهتم بالتوحيد والعقيدة السلفية ونشر السنة النبوية.

كما أشكر كل من أعانني من مشايخي وأهل العلم وطلابه من

أصدقائي وأحبائي .

والحمد لله رب العالمين * وصلى الله وسلم على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين * والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين *

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

* * * * *



الباب الأول

في جهود علماء الحنفية في أهمية شأن العقيدة وتعريف التوحيد وأنواعه، وأهمية توحيد الألوهية، وكونه هو الغاية، وأركانه، وشروط صحته، وردهم على عقيدة القبورية في ذلك كله

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: في أهمية شأن العقيدة عند علماء الحنفية.
- الفصل الثاني: في تعريف التوحيد وأنواعه عند علماء الحنفية وردهم على القبورية في ذلك.
- الفصل الثالث: في أهمية توحيد الألوهية عند علماء الحنفية.
- الفصل الرابع: في أركان توحيد الألوهية وشروط صحته عند علماء الحنفية وردهم على القبورية في ذلك.

الفصل الأول

في أهمية شأن العقيدة عند علماء الحنفية

كلمة بين يدي هٰذا الفصل:

لما كان انحراف القبورية عن أهم أبواب الإيمان والإسلام ـ ألا وهو باب العقيدة[1] في توحيد الألـوهية ـ ناسب ذلك بيان أهمية العقيدة عند علماء الحنفية لندرك أن انحراف القبورية عن التوحيد الخالص إلى الشرك الأكبر؛

---

(١) «العقيدة» لغة: فعيلة من «عقد» بمعنى الشد والتوثيق، يقال: عقد الحبل: إذا شده، وعقد البيع: إذا أمضاه ووثقه، وعقد العهد والميثاق: إذا أكدهما ووثقهما.

قال تعالى: ﴿والذي عقدت أيمانكم﴾ النساء: ٣٣.

انظر العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون للدكتور عبد العزيز القاري ٩.

وراجع: أساس البلاغة للزمخشري ٣٠٩ ومختار الصحاح للرازي ١٨٦ والمغرب للمطرزي ٢/٧٣-٧٤، وروح المعاني ٢/١٥١.

وقال الزبيدي (١٢٠٥هـ): (والذي صرح به أئمة الاشتقاق: أن أصل العقد: نقيض الحل...، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم). تاج العروس ٢/٤٢٦.

واصطلاحاً: (الحكم الجازم الذي يعقد الإنسان قلبه عليه بغير تردد وشك) العقيدة أولاً ١٠، أو (هي القضية التي يصـدق بهـا) النبـراس للفـريهـاري ١٣، وانظر تعريفات الجرجاني ١٩٦، ومحيط المحيط للبستاني ٦١٨.

ليس أمراً سهلاً هيناً في الإسلام، بل هو ضلال وإضلال في صميم هٰذا الدين المتين، بل خروج عن الملة الإسلامية وارتداد عن دين الإسلام، بعد إتمام الحجة وإيضاح المحجة[1].

إن منزلة العقيدة في الإسلام كمنزلة الأساس للمبنى، فكما أن فساد الأساس يستلزم فساد المبنى وصحته تستلزم صحة المبنى، كذٰلك الشأن للعقيدة بالنسبة إلى الأحكام العملية[2] ولذلك نرى أن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح البشر جميعاً.

فكان الرسل عليهم السلام يهتمون بإصلاح العقيدة قبل إصلاح الأعمال[3].

وفساد العقيدة بالإخلال بالتوحيد وارتكاب الشرك يحبط الأعمال كلها، ويجعلها هباء منثوراً، كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى[4] وقد نرى في كثير من الآيات القرآنية تقديم العلميات الاعتقادية على الأحكام العمليات فتكرر قوله تعالى ﴿... آمنوا وعملوا الصالحات...﴾[5] وهٰذا

---

(١) انظر ص ٥٣٤-٥٣٧.

(٢) انظر العقيدة أولاً ٣٨-٣٩.

(٣) راجع العقيدة أولاً ٢٤-٢٦.

(٤) في ص ٥٧٨-٥٨٠.

(٥) انظر البقرة: ٢٥، ٨٢، ٢٧٧، وآل عمران: ٥٧، والنساء: ٥٧، ١٢٢، ١٧٣، المائدة: ٩، ٩٣، والأعراف: ٤٢، ويونس: ٤، ٩، وهود: ٢٣، والرعد: ٢٩، وإبراهيم: ٢٣، والكهف: ٣٠، ١٠٧، ومريم: ٩٦، والحج: ١٤، ٢٣، ٥٠، ٥٦، والشعراء: ٢٧٧، والعنكبوت: ٧، ٩، ٥٨، والروم: ١٥، ٤٥، ولقمان: ٨، والسجدة: ١٩، وسبأ: ٤، وفاطر: ٧، وص: ٢٤، ٢٨، وغافر: ٥٨، وفصلت: ٨، والشورى: ٢٢، ٢٣، ٢٦، والجاثية: ٢١، ٣٠، ومحمد: ٢، ١٢، والفتح: ٢٩، والطلاق: ١١، والانشقاق: ٢٥، والبروج: ١١، والتين: ٦، والبينة: ٧، والعصر: ٣.

إن دل على شيء فإنما يدل على الاهتمام العظيم بأمر العقيدة بالنسبة إلى الأعمال.

وقد اهتم أئمة السنة، وجبال هٰذه الأمة بشأن العقيدة اهتماماً لا مزيد عليه. فكانوا يوالون ويعادون بسبب العقيدة وبها كان ولاؤهم وبراؤهم.

ولم يكتفوا بذلك، بل اهتموا بشأن العقيدة درساً وتدريساً وتأليفاً وهٰذا دليل قاطع على أنه أول واجب على المكلف،

والذي يتأمل نصوص القرآن الكريم يدرك أن الآيات المتعلقة بالاعتقاد أكثر وأوفر، وأن آيات الأحكام العملية قليلة محدودة، وهٰذا من البراهين الساطعة والحجج الناصعة على أهمية شأن العقيدة في الإسلام * وأن تعلم العقيدة وتصحيحها مقدمان على تعلم بقية الأحكام[1] *

ولا سيما ما يتعلق بعلم التوحيد فإنه مواضع القرآن الكريم[2].

وقد درج على ذلك علماء الحنفية أيضاً؛ فاهتموا بشأن العقيدة درساً وتدريساً وتصنيفاً، ورأوا أنها أساس للأعمال الشرعية، وأن تعلمها وتعليمها أفضل بالنسبة للأحكام العملية، إلى أن سموا علم الاعتقاد بالفقه الأكبر وفيما يلي بعض نصوص أئمة الحنفية وعلمائهم:

١ ـ قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (١٥٠هـ)[3]:

---

(١) راجع العقيدة أولاً: ١٣-١٧ و ٢٤-٢٦.

(٢) تنشيط الأذهان للشيخ الرستمي ٢٠، وانظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ط دار البيان ٣١، ومنح الأزهر للقاري ١٥-١٦.

(٣) هو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين وأقدمهم، وصفه الذهبي في السير ٦/٣٩٠ بفقيه الملة، وفي التذكرة ١/١٦٨ بالإمام الأعظم، ووصفه كثير من الجهابذة بإمام أهل الرأي منهم المزي في التهذيب ٢٩/٤١٨ ونعته ابن معين بصاحب الرأي انظر تاريخه رواية الدوري ٢/٦٠٧ و٣/٤٨٠.

(الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير)[1].

٢ ـ وقال الإمام أبو الليث السمرقندي (٣٧٥)[2] في شرح كلام الإمام أبي حنيفة هٰذا:

(لأن الفقه[3] في الدين[4] أصل، والفقه في العلم فرع؛ وفضل

= وثقه بعض أئمة الجرح والتعديل كابن معين وجرحه جمع من هٰذا الشأن.

والكلام فيه له وعليه طويل الذيل وترجمته واسعة متوفرة في كتب الرجال والأنساب والطبقات وهو من أئمة السنة كما حققته في كتاب الماتريدية ١/١٧٠-١٧١، والحنفية ينتسبون إليه وفيهم فرق كثيرة من أهل البدع راجع كتابي الماتريدية ١/١٧٢-١٧٦، أقربهم إلى السنة الماتريدية فهم يشهدون على أنفسهم جهاراً أنهم حنفية الفروع ماتريدية الاعتقاد انظر المهند ٢٩-٣٠ للسهارنفوري ولازم هٰذه المقالة أنهم لا يرضون بعقيدة الإمام أبي حنيفة، بل هٰذا عين مذهبهم. راجع كتابي الماتريدية ١/٦٣-٦٤.

وقد ألفت في ترجمة أبي حنيفة عدة كتب: كأخبار أبي حنيفة للصيمري ومناقبه للموفق ومناقبه للبزازي وعقود الجمان للصالحي وخيرات الحسان للهيثمي وتبييض الصحيفة للسيوطي وترجم له الخطيب في تاريخه ١٣/٣٢٣-٤٥٤، وذكر ما له وما عليه ورد عليه الكوثري بتأنيبه فغوى وبغى فنكله ذهبي العصر المعلمي بالتنكيل فكفى وشفى وأفاد وأجاد.

(١) الفقه الأبسط ٤٠.

(٢) هو نصر بن محمد الملقب عند الحنفية بإمام الهدى كأبي منصور الماتريدي؛ وهو من كبار أئمة الحنفية ومن عظماء الماتريدية ترجمته في الجواهر المضية ٣/٦٤٤ وتاج التراجم المحققة ٣١٠ و ٧٩ ط القديمة والفوائد البهية ٢٢٠.

(٣) **الفقه اصطلاحاً**: على ما ذكره الحنفية عن أبي حنيفة رحمه الله: (معرفة النفس ما لها وما عليها) وقالوا: (العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية). فالأول عام يشمل العقائد والأحكام والثاني خاص بالأحكام. انظر التنقيح مع شرحه التوضيح لصدر الشريعة مع شرح الشرح التلويح للتفتازاني ١/١٠-١٢.

(٤) **الدين اصطلاحاً**: (وضع إلٰهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى =

الأصل على الفرع معلوم)[1].

٣ ـ وقال القاضي كمال الدين البياضي (١٠٩٨)[2] في شرح كلام الإمام أبي حنيفة أيضاً:

(وأشار إلى اسمه الدال على شرف مسماه، وكونه أصلاً لما سواه سماه الفقه الأكبر لعظم موضوعه)[3].

٤ ـ ومثله كلام للشيخ عبيد الله المفتي[4]. في شرح قول الإمام المذكور[5].

٥ ـ وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى (٧٩٢)[6] محققاً أهمية شأن العقيدة عامة والتوحيد خاصة:

(أما بعد: فإنه لما[7] كان علم أصول الدين أشرف العلوم إذ شرف

= الخير بالذات).

وهذا يشمل أصول الشرائع وفروعها. كليات أبي البقاء ٤٤٣.

قلت: المراد هنا التوحيد وما يتعلق بالاعتقاد بقرينة المقام.

(١) شرح الفقه الأبسط ٦.

(٢) هو أحمد بن حسن بن سنان الدين الرومي أحد كبار علماء الحنفية وأعاظم الماتريدية ومشاهير قضاة عساكر الدولة العثمانية وصدورها ترجمته في خلاصة الأثر ١٠٦/٥ وإتحاف السادة للزبيدي ٣/٢ وهدية العارفين ١٦٤/١ وإيضاح المكنون ٨٤/١ ومقدمتي الكوثري ويوسف لإشارات المرام ٨-١٧.

(٣) إشارات المرام ٣٠.

(٤) هو من معاصري الحنفية الديوبندية في باكستان.

(٥) انظر نظم الدرر شرح الفقه الأكبر ٨٩-٩٤.

(٦) هو الإمام علي بن علي الدمشقي أحد مشاهير القضاة بدمشق ومن كبار أئمة الحنفية وأحد رافعي لواء السنة والعقيدة السلفية ترجمته في الدرر الكامنة ١٥٩/٣-١٦٠ تحقيق محمد سيد وشذرات الذهب ٣٢٦/٦.

(٧) لم أجد جواب «لما» في جميع النسخ الموجودة لشرح الطحاوية عندي، وقد =

العلوم بشـرف المعلوم؛ وهـو الفقـه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع ولهٰذا سمي الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: «الفقه الأكبر»؛ وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف معبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه)[1].

٦ ـ وقال رحمه الله أيضاً مبيناً أهمية التوحيد:

(اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله. . .).

ثم قال: (فـالتوحيد أول ما يدخل (المرء) به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا).

ثم قال: (وهو أول واجب وآخر واجب)[2].

٨ ـ وقال رحمه الله تعالى أيضاً وتبعه العلامة القاري (١٠١٤)[3] محققاً أن الموضوع[4] المركزي للقرآن إنما هو التوحيد، واللفظ للأول:

= فكرت في عبارته كثيراً، وأرى أن الجواب إما قوله: «ولهٰذا سمي» بحذف كلمة «ولهٰذا» أو يكـون الجـواب قوله: «وقد أحببت» بحذف كلمة «وقد»، وإلا يكون الكلام ركيكاً عربية ونحوياً، انظر شرح الطحاوية ٦٥-٧٤ ط المكتب و٣-١٤ ط دار البيان.

(١) شرح الطحاوية ٦٥ المكتب الإسلامي و٣ ط بشير عيون / دار البيان.

(٢) شرح الطحاوية ٧٥-١٧ ط دار البيان.

(٣) هو علي بن سلطان محمد أبو الحسن الهروي المكي، من كبار أئمة الحنفية الجامعين بين الحديث والفقه. راجع خلاصة الأثر ٣/١٨٥ والتعليقات السنية ٧.

(٤) موضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية كبدن الإنسان لعلم الطب والكلمة والكلام لعلم النحو. راجع تعريفات الجرجاني ٣٠٥ وكليات أبي البقاء ٨٦٨.

(وغـالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد؛ بل كل سورة من القرآن الكريم فالقرآن إما خبر عن الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبـد من دونـه فهو التوحيد الإرادي الطلبي وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا ويحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم)[1].

٩ ـ وقال الناصري: **(٦٥٢)**[2] مبيناً سبب تقديم الإمام الطحاوي **(٣٢١)**[3] التوحيد على غيره:

(إنما ابتدأ بالتوحيد؛ لأنه أول خطاب يجب على المكلفين وإليه دعت الرسل عليهم السلام وبه نزلت الكتب السماوية)؛ ثم ذكر الأدلة من

---

(١) شرح الطحاوية ٨٨ ط المكتب و ٣١ ط دار البيان ومنح الأزهر ١٥ ـ ١٦.

(٢) هو أبو شجاع نجم الدين «بكبرس» أو «منكوبرس» بن «يلنقلج» التركي من كبار الحنفية ورؤساء الماتريدية راجع الجواهر المضيئة ١/٣٢٨ وتاج التراجم ١٤٣ ط المحققة. وطبقات الطاش ١٠٦ وطبقات التميمي ٢/٢٥٤ والفوائد البهية ٥٦ وإتحاف الزبيدي ٢/٣.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري أحد كبار مشاهير أئمة الحنفية وزعمائهم المناضلين الجامعين بين الحديث والفقه راجع الجواهر المضيئة ١/٢٧١ وتاج التراجم ١٠٠ـ١٠٢ المحققة والطبقات للتميمي ٢/٤٩ـ٥٢ والفوائد البهية ٣١ـ٣٤.

وألف الكـوثري في ترجمته كتاباً سماه «الحاوي» فأساء إليه وإلى نفسه قاتل الله التعصب كيف لعب بأهله.

الكتاب و السنة على هذه المطلوب في كلام طويل)[1].

١٠ ـ وقال السمرقندي (٦٩٠)[2]:

(أما بعد فإن العلوم وإن تنوع أقسامها وتفرع انقسامها لكن أشرفها رتبة وأعلاها منزلة هو العلم الإلهي الباعث بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة عن أحوال الألوهية وأسرار الربوبية التي هي المطالب العليا والمقاصد القصوى من العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية إذ بها يتوصل إلى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وتصور صنعه ومصنوعاته)[3].

١١ ـ ١٥ ـ وقال التفتازاني الملقب عند الحنفية بالعلامة الثاني (٧٩٢هـ)[4] والخيالي (٨٦٢هـ)[5] والكستلي (٩٠١هـ)[6]، والبهشتي

---

(١) النور اللامع ١٨/ب ـ١٩/ب خ/ الأزهرية ومثله كلام للإمام الأكمل البابرتي (٧٨٦) في شرحه للطحاوية ٢٨.

(٢) هو شمس الدين محمد بن أشرف من علماء الحنفية الماتريدية لم أجد له ترجمة كافية غير شذرات قليلة. انظر: مفتاح السعادة ١٠٦/١ وكشف الظنون ٣٩/١، ١٠٥، ١٠٧٤/٢ـ١٠٧٥ وأسماء الكتب لمحمد رياضي زاده ١٩١ وهدية العارفين ١٠٦/٢ والأعلام للزركلي معجم المؤلفين لرضا كحالة ٦٣/٩ ومقدمة الصحائف للدكتور أحمد بن عبد الرحمن الشريف.

(٣) الصحائف الإلهية ٥٩ تحقيق للدكتور أحمد بن عبد الرحمن الشريف.

(٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر من كبار الحنفية فيلسوف الماتريدية كالرازي فيلسوف الأشعرية ومن زعم أنه شافعي أشعري فقد أبعد النجعة. راجع الماتريدية ٢٩٣/١ـ٢٩٦.

(٥) هو شمس الدين أحمد بن موسى الرومي حنفي ماتريدي شهير انظر الشقائق النعمانية ٨٥ وطبقات الفقهاء ١٣٤ كلاهما لطاش والبدر الطالع للشوكاني ١٢١/١ والماتريدية ٣٠٢/١.

(٦) هو مصلح الدين مصطفى بن محمد حنفي ماتريدي انظر الشقائق النعمانية =

(٩٧٩هـ)[١]، والفريهاري (١٢٣٩هـ)[٢]، واللفظ للأول:

(وبعد: فإن مبنى علم الشرائع والأحكام * وأساس قواعد[٣] الإسلام * هو علم التوحيد والصفات)[٤].

١٦ ـ وقال التفتازاني عن الحنفية أيضاً:

(وسموا العلم باسم الفقه، وخصوا الاعتقاديات باسم الفقه الأكبر، والأكثرون خصوا العمليات باسم الفقه، والاعتقاديات بعلم التوحيد والصفات)[٥].

١٧ ـ وقال أيضاً:

(قال: «فهو أشرف العلوم»[٦]؛

أقول: لما تبين: أن موضوعه أعلى الموضوعات * ومعلوماته أجل

= ٨٧-٨٩ وطبقات الفقهاء للطاش ١٣٤ والكواكب السائرة ١/٣٠٦ والتعليقات السنية لعبد الحي اللكنوي ٢١ والماتريدية ١/٣٣١-٣١٢.

(١) هو رمضان بن عبد المحسن الرومي: حنفي كلامي، انظر العقد المنظوم لبللي لالي ٤٠٨ وشذرات الذهب ٣٨٧/٣ وكشف الظنون ١١٤٦/٢.

(٢) هو العلامة عبد العزيز بن أحمد حامد القرشي الهندي: شاعر مجيد ناثر مفيد كان حنفياً ماتريدياً شهيراً، ويظهر لي من خلال ترجمته أنه رجع إلى العقيدة السلفية. انظر ترجمته في نزهة الخواطر ٢٨٣/٧-٢٨٥ وحاشية البرخوردار على النبراس ٢، وكتابي الماتريدية ٦٢/١، ٣٣١-٣٣٢.

(٣) جمع «القاعدة» هي كل قضية كلية منطبقة على جزئياتها. تعريفات الجرجاني ٢١٩.

(٤) شرح العقائد ٢ وحاشية الخيالي مع حاشية البهشتي ١٠-١١ وحاشية الكستلي ٥-٦ والنبراس ١٢-١٤.

(٥) شرح المقاصد ١٦٤/١ تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

(٦) هٰذه عبارة التفتازاني في المقاصد، وما بعده عبارته في شرح المقاصد.

المعلومات * وغايته أشرف الغايات *،

مع الإشارة إلى شدة الاحتياج إليه * وابتناء سائر العلوم عليه *)[1].

١٨ ـ وقال الإمام البدر العيني (٨٥٥هـ)[2]، مبيناً وجه تقديم الإمام البخاري (٢٥٦هـ) رحمه الله تعالى ـ كتاب الإيمان ـ على غيره من الكتب في جامعه الصحيح:

(وقد قدم كتاب الإيمان، لأنه ملاك الأمر كله؛

إذ الباقي مبني عليه، مشروط به، وبه النجاة في الدارين)[3].

١٩ ـ وقال العلامة القاري (١٠١٤هـ):

(اعلم أن علم التوحيد الذي هو أساس بناء التأييد أشرف العلوم تبعاً

---

(١) المقاصد وشرحها ١/١٧٥.

(٢) هو أبو الثناء بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العينتابي المصري أحد كبار صدور الحنفية والأعلام الجامعين بين الحديث والفقه، والعلماء المشاركين في العلوم من النحو واللغة والتاريخ وغيرها، وكان متعصباً للحنفية، كان يناطح الحافظ، ولكن ساقيته لاطمت بحراً!؟!

ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٦/٨ـ٩ وبدائع الزهور لابن إياس ٢/٢٩٢ والفوائد البهية للكنوي ٢٠٧ـ٢٠٨.

وكان تقلب في عدة مناصب حكومية وفاز بخلعة سلطانية وصار رئيساً للقضاة الحنفية بمصر، انظر نزهة النفوس للجوهر الصيرفي ٣/١٠، ٢١، ٥٥، ٦٤، ٩٩، ١٠٢.

وكان ينافس الحافظ ابن حجر وأنى له ذلك؟ ومع ذلك يستمد من علومه بطرق سرية خفية، راجع كشف الظنون ١/٥٤٨ـ٥٤٩.

وللكوثري كتاب في ترجمته سماه التاج اللجيني تعصب له ورجحه على ابن حجر، كما رجح العمدة على الفتح، ولصالح يوسف معتوق كتاب «بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث».

(٣) عمدة القاري ١/١٠١ ط دار الفكر و ١/١١٤ ط البابي الحلبي.

للمعلوم . . .)[1].

قلت: هٰذا النص وما تقدم مما كان في معناه؛

يدل على فضل التوحيد وأهميته؛

كما أن لله سبحانه وتعالى فضلاً على غيره؛

فللعلم فضل على قدر فضل المعلوم.

٢٠ ـ وقال الإمام ولي الله الدهلوي الملقب عند الحنفيه ـ بشيخ الإسلام وحجة الهند، وحجة الله، ومسند الوقت (١١٧٦هـ)[2]:

(باب التوحيد: أصل أصول البر وعمدة أنواعه ـ

هو التوحيد؛

وذلـك؛ لأنه يتوقف عليه الإخبات لرب العالمين الذي هو أعظم الأخلاق الكاسبة للسعادة، وهو أصل التدبير العلمي الذي هو أفيد التدبيرين . . .

---

(١) منح الأزهر: ٥.

(٢) هو الإمـام الكبير، والمصلح الشهير، الجـامع بين الحديث والفقه، وباعث النهضة السنية ورافع لواء الإصلاح، وشيخ أهل الحديث والحنفية جميعاً في القارة الهندية، حارب القبورية حرباً شعواء،

انـظر الفـوز الكبير ١٩ ـ ٢٠، وتـرجمته المنبرية ٦ ط القديمة و ٢٠ ط الجديدة وترجمته الندوية ٢٦ ط الجديدة و ٣٩ـ٤٠ ط القديمة، وانظر ما سيأتي من نصوصه.

وشن الغارة على الحنفية المتعصبة المقلدة العمياء ونصر مذهب أهل الحديث، فله عقد الجيد، والإنصاف ومباحث في حجة الله ١/١٣١ـ١٦١ ط السلفية و ١/٣٧٩ـ٤٦٣ ط دار إحياء العلوم، وبين زيف أصول الحنفية الباطلة وأبطلها ونقدها نقداً مرّاً.

انـظر حجة الله ١/١٦٠ـ١٦١ ط السلفية و ١/٤٥٩ـ٤٦١ ط دار إحياء العلوم، والإنصـاف ٨٨ـ٩٢ ط أبي غدة ٥٦ـ٥٨ ط قصي محب الدين الخطيب، وذب عن شيخ الإسلام، انظر جلاء العينين للآلوسي عنه ٤٥ـ٤٦.

وقـد نبـه النبي ﷺ على عظم أمـره، وكونه من أنواع البر ـ بمنزلة القلب، إذا صلح صلح الجميع[1]، وإذا فسد فسد الجميع؛ حيث أطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله شيئاً:

«إنـه دخل الجنة أو حرمه الله على النار. . .»[2]، وحكى عن ربه تبارك وتعالى:

«من لقيني بقراب الأرض خطيئة، لا يشرك بالله شيئاً ـ لقيته بمثلها مغفرة»[3]. . .)[4].

٢١ ـ وقال الشيخ أبو الحسن الندوي[5]:

---

(١) مضمون حديث النعمان، رواه البخاري ١/٢٩ ومسلم ٣/١٢٢٠.

(٢) هو مضمون حديث رواه مسلم ١/٩٤ عن ابن مسعود وجابر رضي الله عنهما.

(٣) هو مضمـون حديث قدسي رواه الترمـذي ٥/٥٤٨، ورواه أحمد ٥/١٥٤ والدارمي ٢/٧٧٨ والحاكم ٤/٢٤١ وصححه وأقره الذهبي في التلخيص وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/١٧٦.

(٤) حجة الله ١/٥٨ـ٥٩ ط السلفية و ١/١٧٥ـ١٧٦ ط دار إحياء العلوم.

(٥) هو العلامة علي ابن الفهامة عبدالحي بن فخر الدين الحسيني الهندي الحنفي الماتريدي النقشبندي الديوبندي الندوي؛

الملقب بمفكر الإسلام والمنعوت بالداعية الكبير، رئيس ندوة العلماء بالهند، كاتب مفيد بالأردية ناثر مجيد بالعربية، خطيب مصقع باللغتين. فاز بشهرة عالمية بسبب كتاباته في الـذب عن الإسلام، وقد تظاهر بالعقيدة السلفية، وأفرد الجزء الثاني من كتابه رجال الفكر، وتاريخ الدعوة في ترجمة شيخ الإسلام؛

فأرغم أنوف الصنوف من أهل البدع، وأفاد فأجاد،

حارب القبـورية فتـرجم كتـاب «تقـوية الإيمان» للإمام المجاهد الشاه إسماعيل الـدهلوي (١٢٤٦هـ) حفيد الإمـام ولي الله (١١٧٦هـ) وسماه رسالة التوحيد، قمع بها القبورية، وشفى وكفى.

ولكنه مضطرب متناقض جامع بين الضب والنون؛ =

. . . .

= فعظم الغزالي حجة إسلام الصوفية والقبورية والجهمية الأشعرية (٥٠٥هـ)، انظر تاريخ الدعوة ١/١٣٠-١٩٦ ورجال الفكر ١/١٤٥-١٩٩، وانظر بعض أمثلة طامات الغزالي فيما سيأتي في ص ١١١٥-١١١٦،

بل أكبر الجلال الرومي (٦٧٢هـ) غاية الإكبار، انظر تاريخ الدعوة ١/٣٣٥-٤٠٠ ورجال الفكر ١/٢٦١-٣٠١، مع أنه أحد أعناق الصوفية القبورية الوجودية الحلولية الوثنية، وإمام النقشبندية المولوية الحنفية، انظر بعض كفرياته في الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود عبد الرؤوف القاسم ١٥٢-١٥٤.

ويكفي لزندقته ما هذى به في إجلال كتابه «المثنوي» مضاهاة بالقرآن الكريم: (هٰذا كتاب المثنوي وهو أصل أصول أصول الدين * في كشف أسرار الوصول واليقين * وهو فقه الله الأكبر * وشرع الله الأزهر * وبرهان الله الأظهر * مثل نوره كمشكاة فيها مصباح * يشرق إشراقاً أنور من الإصباح * وهو جنان الحنان * ذو العيون والأغصان * . . . ، يضل به كثيراً * ويهدي به كثيراً * وأنه شفاء الصدور وجلاء الأحزان * وكشاف القرآن * وسعة الأرزاق * وتطييب الأخلاق * بأيدي سفرة كرام بررة * يمنعون أن لا يمسه إلا المطهرون * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه * والله يرصده ويرقبه * وهو خير حافظاً وأرحم الراحمين * وله ألقاب آخر لقبه الله تعالى، واقتصرنا على هٰذا القليل * والقليل يدل على الكثير * والجرعة تدل على الغدير * والحفنة تدل على البيدر الكبير *) مقدمة المثنوي لهٰذا الرومي ٧٠ وانظر الماتريدية ١/٥٣-٥٥.

كما أفرد الندوي الجزء الرابع من كتابه تاريخ الدعوة وهو الثالث رجال الفكر في ترجمة أحمد السرهندي الملقب عندهم بمجدد الألف الثاني ومؤسس الطريقة النقشبندية المجددية (١٠٣٤هـ) وأجله نهاية الإجلال؛

مع أنه من كبار أهل وحدة الشهود التي هي وحدة الوجود المتطورة المهذبة،

راجع على سبيل المثال الدرر المكنونات ـ ترجمة المكتوبات للمنزاوي ٢/٥-٧ والمنتخبات من المكتوبات ١٠، وانظر نزهة الخواطر ٥/٥٣، ٥٤، في ترجمته وراجع ما سيأتي في ص ١٤٩١-١٤٩٢، وللعلامة الخجندي المعصومي (١٣٧٩) كلام مهم في مفتاح الجنة ٨٠-٨١ في ذكر بعض خرافاته وشركياته. =

(إن من ميزات الإسلام التركيز على العقيدة؛
لأن جميع الأنبياء قد دعوا إلى عقيدة واحدة؛

= مع اعترافي بأن الإمام السرهندي قد قام بأعمال طيبة أيضاً لمناصرة الإسلام وجهاد الطاغوت الأكبر الطاغية أكبر بن همايون التيموري أكبر ملوك الهند (١٠١٤هـ) انظر أفاعيله وأباطيله في تحريف الإسلام وتوطيد الوثنية والقبورية في نزهة الخواطر ٥ / ٧٥ ـ ٨١، هٰذا من ناحية،

ومن ناحية أخرى نرى الشيخ الندوي مع تظاهره بالعقيدة السلفية، قد عظم شأن الإمام أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) ورجح طريقته على طريقة المحدثين، وزعم أن الإبانة أول تأليف له بعد رجوعه عن الاعتزال؛

انظر مقدمته لكتاب الإبانة، ١١ ط دار البيان و ٣٤ ط الجامعة الإسلامية،

وراجع تاريخ الدعوة ١/١٠٥ـ١١٤ ورجال الفكر ١/١١٧ـ١٢٩،

كما نوه بأمر أبي منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) إمام الحنفية الماتريدية الجهمية، ورجحه على الأشعري إمام الأشعرية المعطلة؛

انظر تاريخ الدعوة ١/١١٤ـ١١٥ ورجال الفكر ١/١٢٧ـ١٢٨،

وهٰكذا ترى الشيخ الندوي يعظم ويجل ويكبر كبار أئمة الصوفية:

كخواجة معين الدين حسن بن الحسن السجزى الجشتي إمام الصوفية الجشتية (٦٢٧هـ)، انظر تاريخ الدعوة ٣/٢٤.

وخواجة قطب الدين بختيار (٦٣٣هـ)، انظر المصدر نفسه ٣/٣١ـ٣٦، وخواجة فريد الدين جنج شكر مجدد الجشتية (٦٦٤هـ) انظر المرجع المذكور ٣/٣٦ـ٤٢، وسلطان المشائخ خواجة نظام الدين أولياء محمد بن أحمد بن علي الحسيني (٧٢٥هـ) انظر تاريخ الدعوة ٣/٥٢ـ١٧٤،

ومخدوم الملك شرف الدين: أحمد بن يحيى المنيري (٧٨٢هـ)، راجع تاريخ الدعوة ٣/١٧٥ـ٣١٢،

مع أن هٰؤلاء هم الذين نشروا وباء التصوف السفاك وسمه الفتاك في الهند، وحسناتهم لا تغطي طاماتهم، ولا تبرر إجلالهم، ولا توجب الإغضاء عن بدعهم وخرافاتهم؛

فما كل مخضوب البنان بثينة وما كل مصقول الحديد يمانيا

ولا يمكن الإصلاح بدونها؛
فإن أعلى العلوم وأهمها ـ ما يتعلق بالله تعالى وصفاته؛
لأنه مرجع سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة؛ وبه النصر والتمكين في الأرض؛ وهو غاية استخلاف الإنسان في الأرض؛
ألا وهو التوحيد الخالص المنزه عن كل شائبة؛
وعبادة الله تعالى وحده؛
كما قال سبحانه:
﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾ [النور: ٥٥]؛
والعلماء الربانيون ورثة الأنبياء؛
فهم يهتمون بتنظيف الأرض من الشرك بجميع أشكالها؛
ليهيئوا حقلاً صالحاً لزرع التوحيد فيه؛
وإن استدعى ذلك تحمل الشاقات...)[١].
وقال أيضاً:
(إن أهم علم أخذ عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هو علم توحيد الله تعالى وصفاته، وهو علم فوق قياس البشر والآلات والتجربة؛
وهو أجل إلى هذا الحد.
تتوقف عليه سعادة البشر؛
ولذلك عظم الاعتناء به في كل جيل وعصر وطبقة؛

---

(١) تاريخ الدعوة والعزيمة ٥/١٣٢-١٣٥.

لأن جهلهم يؤدي إلى الشقاء الذي ليس بعده شقاء وتجاهله وقوع في الهاوية التي ليس لها قرار)[1].

قلت: هٰذه كانت أمثلة من نصوص علماء الحنفية ـ

في أهمية شأن العقيدة عامة وأمر التوحيد خاصة وهي واضحة في مبانيها، ومعانيها، لا تحتاج إلى تعليق.

وبعد أن عرفنا أهمية شأن العقيدة ـ

ننتقل إلى الفصل الثاني ؛ لنعرف التوحيد وأنواعه، وبالله التوفيق.

* * * * *

(١) مقدمة للعقيدة السنية لمحمد أويس الندوي ١ـ٢.

الفصل الثاني

في تعريف التوحيد، وبيان أنواعه عند علماء الحنفية، وردهم على تعريف التوحيد عند القبورية في ذلك كله

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: في تعريف التوحيد لغة واصطلاحا.
- المبحث الثاني: في بيان أنواعه.



كلمة بين يدي هذا الفصل

لقد جهلت القبورية مفهوم التوحيد الذي هو غاية عظمى لخلق الجن والإنس ومقصد أسنى لإرسال الرسل، وهدف أسمى لإنزال الكتب،

ألا وهو توحيد العبادة المتضمن لبقية أنواع التوحيد[١].

فحرفت القبورية مفهوم هٰذا النوع من التوحيد، وفسروه بتوحيد الربوبية، فجعلوا الغاية العظمى والتوحيد المطلوب هو توحيد الربوبية[٢].

وبسبب هٰذا الجهل المركب المطبق المحيط، صاروا أعداء ألداء للتوحيد الصحيح وأهله[٣] بحكم «أن الناس أعداء لما جهلوا».

ولأجل هٰذه الطامة الكبرى حرفوا معنى «العبادة» تحريفاً واضحاً[٤].

كما غيروا معنى «الشرك» أيضاً تغييراً فاضحاً[٥].

وأوقعتهم هٰذه الطامات الثلاث الكبرى في هاوية الإشراك بالله

---

(١) راجع ص ١٢١ـ١٤٨.

(٢) انظر ص ١٩٠، ٩٦، ٢٢٩ـ٢٣٤، ١٧٧ـ١٧٨.

(٣) راجع ص ٥٢٣.

(٤) انظر ص ٢٨٩ـ٢٩٦.

(٥) راجع ص ٣٥٩ـ٣٦٠.

تعالى.

وعبادة غير الله سبحانه تحت ستار تعظيم الأنبياء، ومحبة الأولياء، والتوسل والكرامة[1].

وقد وصل بهم الجهل والغلو والإسراف إلى حد اتهموا أئمة التوحيد والسنة وأعلام هٰذه الأمة أمثال شيخ الإسلام ومجدد الدعوة وغيرهما ظلماً وعدواناً وبغياً وبهتاناً بأنهم لا يعرفون التوحيد والإشراك والعبادة[2] فمست الحاجة إلى تعريف التوحيد تعريفاً صحيحاً.

ليعرف المسلمون حقيقة ما يضاد التوحيد من الشرك بالله تعالى،

لأن الأشياء تعرف بأضدادها، وبضدها تتبين الأشياء.

فأقول: والله المستعان * وبه الثقة وعليه التكلان *

* * * * *

(١) راجع ص ٥٤١، ٥٤٧، ٩٧٨، ١٤٤٩، ١٤٥٣.

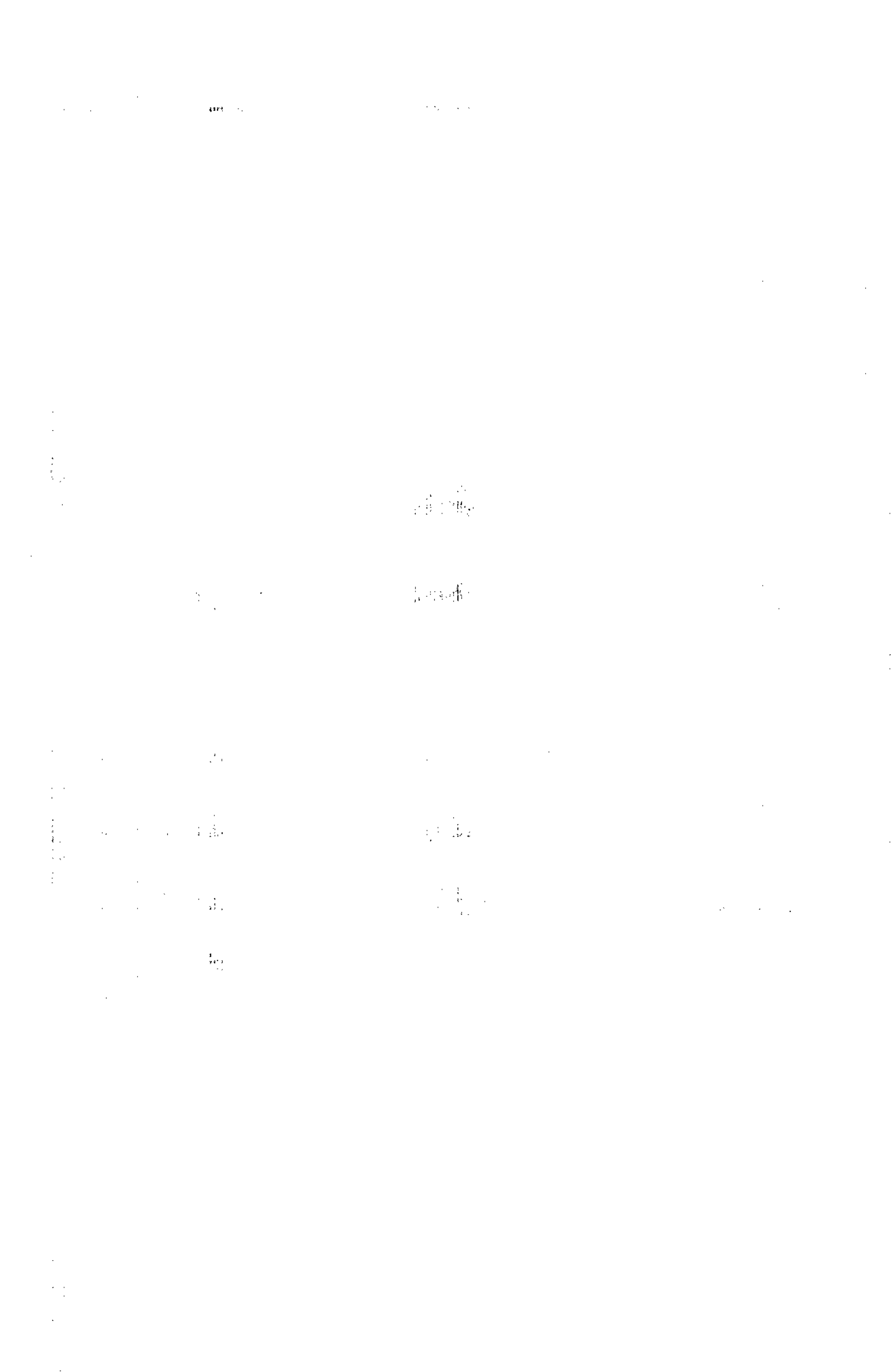
(٢) راجع ص ٢٩٤-٢٩٦.

المبحث الأول

في تعريف التوحيد عند علماء الحنيفة

وفيه مطالب ثلاثة:

- المطلب الأول: في تعريف التوحيد لغة.
- المطلب الثاني: في تعريف التوحيد اصطلاحا.
- المطلب الثالث: في إبطال علماء الحنفية تعريف القبورية للتوحيد.



المطلب الأول
في تعريف التوحيد لغة عند علماء الحنفية

لقد اهتم علماء الحنفية بتعريف التوحيد لغة،

فهو عندهم - لغة -

١ - مصدر من باب التفعيل من مادة «و ح د»

مثال واوي[١]؛

بمعنى الانفراد[٢].

٢ - قال الرازي الحنفي (٦٦٦هـ)[٣]:

(ويقال: وحّده وأحّده بتشديد الحاء فيهما؛ كما يقال: ثنّاه وثلّثه)[٤].

٣ - وقال الجرجاني: (٨١٦هـ)[٥]:

---

(١) هو ما كان فاؤه حرف علة كوعد ويسر. تعريفات الجرجاني ٢٥٧.

(٢) انظر مختار الصحاح للرازي ٢٩٦ وراجع أساس البلاغة للزمخشري ٤٩٣.

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي اللغوي صاحب مختار الصحاح، والمسائل. انظر الأعلام للزركلي ٦/٥٥، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ٩/١١٢.

(٤) مختار الصحاح ٢٩٦، وانظر صحاح الجوهري ٢/٥٤٨.

(٥) هو أبو الحسن علي بن محمد الملقب بالسيد سند؛

من كبار علماء الحنفية الماتريدية، منطقي فلسفي صوفي قبوري اتحادي خرافي، =

(التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد)[1].

ونحوه قاله آخرون من الحنفية[2].

٤ ـ وقال الزبيدي (١٢٠٥هـ)[3]:

(وحّده توحيداً: جعله واحداً، وكذا أحّده؛ كما يقال: ثنّاه وثلّثه)[4].

قلت: بناء على ما ذكره هؤلاء العلماء من الحنفية من معنى التوحيد لغة، فالتوحيد يطلق على ثلاثة معان:

الأول: جعل الشيء واحداً.

الثاني: الحكم على الشيء بأنه واحد.

الثالث: العلم والاعتقاد بأن هذا الشيء واحد.

أي: نسبة الشيء إلى الانفراد، ونفي الشركاء عنه،

= انظر شقائق النعمانية ٩٢ ومفتاح السعادة ١/١٩٣ كلاهما لطاش والفوائد البهية ١٢٥، ١٣١.

وراجع الضوء اللامع للسخاوي ٥/٣٢٨ وبغية الوعاة ٢/١٩٦ والبدر الطالع ١/٤٨٨، وانظر كتابي الماتريدية ١/٢٩٧-٢٩٨، ٢/٦٠.

(١) التعريفات ٩٦.

(٢) انظر شرح الفقه الأكبر للمغنيساوي ٢ والتعريفات الفقهية للبركتي ٢٤٠.

(٣) هو محمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى اليماني من كبار علماء الحنفية واسع الاطلاع باللغة فهو مؤلف تاج العروس، صوفي صنف شرح الإحياء فساير الغزالي، قال العلامة شكري الألوسي: (كان من غلاة القبوريين والدعاة لمبتدعاتهم).

غاية الأماني ٢/٣٧١؛

ترجمته في عجائب الآثار للجبرتي ٢/١٠٣-١١٤ وفهرس الفهارس ١/٥٢٦-٥٤٩٩، والأعلام للزركلي ٧/٧٠ ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ١١/٢٨٢.

(٤) تاج العروس ٢/٥٢٥ وانظر القاموس للفيروزآبادي ٤١٤.

فخاصة[1] باب التفعيل هٰهنا: التعدية مع النسبة إلى أصل الفعل[2].

هٰذا كان معنى «التوحيد» لغة؛

وأما معناه اصطلاحاً عند علماء الحنفية ـ

فبيانه في المطلب الآتي.

* * * * *

---

(١) الخاصة: ما يوجد في الشيء ولا يوجد في غيره، انظر كليات أبي البقاء ٤٢٢ وراجع تعريفات الجرجاني ١٢٩.

(٢) راجع شرح الرضى على الشافية لابن الحاجب ١/ ٩٤.



المطلب الثاني
في معنى التوحيد اصطلاحاً

إن علماء الحنفية قد عرفوا «التوحيد» بعدة تعريفات ولٰكنها متقاربة المعاني، وإن كانت عبارتها شتى، أذكر منها ما يلي:

١ ـ قال الإمام أبو جعفر الطحاوي إمام الحنفية في عصره (٣٢١ هـ ـ

مبيناً عقيدة الأئمة الثلاثة للحنفية على الإطلاق:

أبو حنيفة (١٥٠هـ)، وأبو يوسف (١٨٢هـ)[1]، ومحمد بن الحسن

---

(١) هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي صاحب أبي حنيفة، الإمام الثاني للحنفية على الإطلاق، كان من أئمة أهل الرأي ولٰكن يميل إلى أصحاب الحديث،

كما في تاريخ ابن معين ٢/ ٦٨٠ و ٤/ ٤٧٤، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٢٠١-٢٠٢، ورجحه شيخ الإسلام على محمد بن الحسن الإمام الثاني للحنفية وذكر له مناظرة لمالك ورجوعه إلى قول مالك واعتذاره عن أبي حنيفة بقوله:

(لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع إلى قولك كما رجعت)، انظر مجموع الفتاوى ٤/ ٤٧ و ٢٠/ ٢١١ و ٣٠٤ و ٣٠٧، وكان سبباً في رجوع أبي حنيفة عن القول بخلق القرآن، انظر كتاب الماتريدية ١/ ١٧١، ٣/ ١١٢-١١٣.

وثقه جمع من النحارير وضعفه كثير من الجهابذة. راجع التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٩٧ وضعفاء العقيلي ٤/ ٤٣٨-٤٤٤ والكامل في الضعفاء ٧/ ٢٦٠٢ والميزان ٤/ ٤٤٧ واللسان ٦/ ٣٠٠.

الشيباني (١٨٩هـ)[1]، رحمهم الله تعالى، معرفاً للتوحيد:

(نقول في توحيد الله ـ معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره)[2].

٢ ـ وقال الإمام البدر العيني (٨٥٥هـ) والعلامة أبو الطيب السندهي (١١٤٠هـ)[3]، واللفظ للأول:

(توحيد الله تعالى ـ هو الشهادة بأن الله إله واحد،

والتوحيد في الأصل مصدر «وحّد، يوحّد»،

ومعنى: «وحّدت الله»: اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته، لا نظير له * ولا شبيه له،

وقيل: التوحيد: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات * ولا معطلة من الصفات *)[4].

---

(١) أبو عبد الله الكوفي فقيه العراق، الإمام الثالث لأهل الرأي الحنفية، قرأ على مالك موطأه ورواه عنه، وتأثر به بعض الشيء فخالف إمامه أبا حنيفة في كثير من المسائل القياسية ووافق مذهب أهل الحديث من الحجازيين مالك وغيره، وله كلام شديد في الرد على الجهمية، راجع كتابي الماتريدية ٢/٧٦، ٢٢١، ٥٠٣،

أثنى عليه جم غفير من الأئمة وضعفه النقاد والجهابذة النحارير؛ وقال ابن معين: ليس بشيء، ترجمته في تاريخ ابن معين ٢/٥١١، وضعفاء العقيلي ٤/٥٢-٥٥ والجرح لابن أبي حاتم ٧/٢٢٧ والمجروحين لابن حبان ٢/٢٧٥-٢٧٦ والكامل لابن عدي ٦/٢١٨٣-٢١٨٤ والميزان للذهبي ٣/٥١٣ واللسان للعسقلاني ٥/١٢١-١٢٢.

(٢) العقيدة الطحاوية ١٧-١٨ ومع شرح الناصري النور اللامع ١٨/ب-٢٧/ب وشرح البابرتي ٢٨ وبشرح الغنيمي ٤٧-٤٨ وبشرح محمد طيب ٣٠-٣٢ وبشرح خالص ٣.

(٣) هو محمد عبد القادر من كبار المحدثين ومشاهير الحنفية ومحشي الكتب الستة. انظر نزهة الخواطر ٦/١٤-١٥.

(٤) عمدة القاري ٢٥/٨١ ط دار الفكر وحاشية السندي على صحيح البخاري ٤/٢٧٣.

٣ ـ وقال الشيخ برخور دار علي[1]:

(التوحيد: أن نقول: لا إله إلا الله، مع اعتقاد القلب، والتصديق به، وإفراد الله بالعبادة، فلا يعبد غيره)[2].

٤ ـ وقال التفتازاني الملقب عند الحنفية بالعلامة الثاني (٧٩٢هـ):

(حقيقة التوحيد: اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها)[3].

٥ ـ ٦ ـ وقال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) وتبعه الفتني (١٣٢٧هـ)[4]:

(التوحيد: اعتقاد حصر وجوب الوجود، وقصر خلق السماوات والأرض وسائر الجواهر لله سبحانه وتعالى،

واعتقاد حصر تدبير السماوات والأرض وما بينهما له تعالى؛ فلا يكون غيره سبحانه واجباً ولا خالقاً ولا مدبراً، وأنه لا يستحق العبادة غيره جلَّ وعلا)[5].

٧ ـ وقال الإمام ولي الله أيضاً:

---

(١) لم أجد له ترجمة غير أنه من حنفية الهند.

(٢) حاشيته على النبراس للفريهاري شرح شرح التفتازاني للعقائد للنسفي ١٤.

(٣) شرح المقاصد ٤/٣٩، وانظر التنشيط للرستمي ٢١ وزاد: (ولا في حقوقه المختصة به).

(٤) هو عبد الملك بن عبد الوهاب بن صالح الهندي أصلاً، الطائفي مولداً، المكي المدني منشأ، المصري وفاة، الحنفي مذهباً، الماتريدي عقيدة، وكان مقرباً عند الشريف عبد الله أمير مكة، انظر الإيضاح ٢/٣٨٢، ٦٢٢ والهدية ١/٦٢٩ كلاهما للبغدادي والأعلام للزركلي ٤/١٦١، ومعجم رضا كحالة ٦/١٨٦.

(٥) حجة الله البالغة ١/٥٩ ط السلفية و ١/١٧٦ ط دار إحياء العلوم وفيض الرحمن ١٥.

(توحيد الله تعالى: الإقرار بوحدانيته، واتصافه بالمحامد، وتنزيهه عن النقائص، وطرد الإشراك به عبادة واستعانة وذبحاً ونذراً وحلفاً)[1].

٨ ـ ١٠ ـ وذكر الناصري (٦٥٢هـ) وابن أبي العز (٧٩٢هـ) والقاري (١٠١٤هـ):

أن التوحيد يتضمن ثلاثة أمور:

ربوبية الله، وصفاته، وعبوديته[2].

١١ ـ ١٢ ـ وقال الجرجاني (٨١٦هـ) في بيان أركان التوحيد التي هي تعريف له وتبعه الشيخ البركتي[3]:

(وهو ثلاثة أشياء:

معرفة الله بالربوبية،

والإفراد بالوحدانية،

ونفي الأنداد عنه جملة)[4].

١٣ ـ وقال الشيخ عبد الحميد الآلوسي (١٣٢٤هـ)[5].

---

(١) البدور البازغة ٢٠١ ط القديمة و ٢٦٩ ط الجديدة.

(٢) انظر النور اللامع ١٨/ب ـ١٩/ب و ٢٣/ب و ٢٤/ب و ٢٧/أ وشرح الطحاوية ٧٤ـ٨٩ ط المكتب الإسلامي و ١٥ـ٣١ ط دار البيان ومنح الأزهر ١٤ـ١٧ وراجع ضوء المعاني ١٠ـ١١.

(٣) هو المفتي السيد محمد عميم الإحسان المجددي الديوبندي من مدينة داكا ببنغلاديش من علماء الحنفية المعاصرين.

(٤) التعريفات ٩٦ والتعريفات الفقهية ٢٤٠.

(٥) هو ابن عبد الله بن محمود العراقي، أخو العلامة محمود بن عبد الله الآلوسي المفسر (١١٧٠هـ) من كبار علماء الحنفية، نقشبندي ماتريدي، ترجمته في المسك الأذفر لشكري الآلوسي ٩١ـ٩٨، وهدية العارفين ١/٥٠٧ـ٥٠٨ والأعلام للزركلي ٣/٣٨٨ ومعجم رضا كحالة ٥/١٠٢.

(التوحيد نفي العبد الآلهة الباطلة، والتصديق بأن الله تعالى وحده لا شريك له واحد في ذاته، واحد في صفاته)[1].

١٤ ـ وقال الأستاذ أبو الأعلى المودودي (١٩٧٧م)[2].

(معنى لا إلٰـه إلا الله: أنه ليس. . . أحد جدير بأن يعبده الناس ويسجدوا له بالطاعة والعبادة إلا الله.

فما لهٰذا الكون من مالك ولا حاكم إلا هو وحده، وكل شيء مفتقر إليه، مضطر إلى استعانته)[3].

الحاصل: أنه تبين لنا من هٰذه التعريفات:

---

(١) نثر اللآلي ٩ وانظر شرح البابرتي للطحاوية ٢٩ وشرحها للغنيمي ٤٧.

(٢) ابن السيد أحمد حسن الهندي مؤسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، ناضل عن الإسلام وقمع شبهات أصناف الكفرة ولا سيما الشيوعية اكتسب شهرة عالية شرقاً وغرباً.

اعظم الساسة المسلمين على الإطلاق في عصره، مؤرخ، أديب بارع، خطيب مصقع، مكثر للتأليف، شجاع لا يبالي اللوم في إظهار آرائه، أقرب رجال السياسة ومن سمي بالمفكرين إلى السنة. وكان مولعاً بشيخ الإسلام، وكان حنفياً عملاً ولٰكنه كان عدواً لدوداً للحنفية؛ لتعصبهم وتقليدهم المذموم، شن الغارة الشعواء على المتعصبة الحنفية المقلدة العميان، وكان سيفاً صارماً على الصوفية فكشف الأستار عن أسرارهم وكان هيناً ليناً مع الشيعة كعادة أهل السياسة ولا سيما الإخوانية.

رماه الديوبندية عن قوس واحد واتهموه بأشياء غالبها كذب لأجل طعنه في الصوفية والتقليد المذموم والقبورية، كان يميل بحكم البيئة في المسائل الكلامية إلى الماتريدية، وقاسى أنواعاً من الشدائد وصبر عليها رحمه الله وسامحه وإيانا، انظر ترجمته في الإمام أبو الأعلى المودودي لخليل أحمد الحامدي، وأبو الأعلى المودودي حياته وفكره لمحمد بن صادق الجمال.

(٣) انظر مبادي الإسلام ٨٠ وما بعدها وراجع أبـو الأعلى المودودي لمحمد بن صادق الجمال ٢٢٤، والإمام أبو الأعلى المودودي لخليل أحمد الحامدي ٣٣-٣٤.

أن التوحيد: اعتقاد العبد: أن الله واحد في ذاته وملكه؛ لا ند له، وواحد في صفاته وأفعاله لا مثل له، وواحد في إلهيته وعبادته؛ لا شريك له.

وهذا التعريف للتوحيد هو الحق الجامع المانع طرداً وعكساً[1] بخلاف تعريف القبورية للتوحيد كما سيأتي.

وبعد هذا ننتقل إلى المطلب الآتي لنعرف كلام علماء الحنفية في إبطال تعريف القبورية للتوحيد.

* * * * *

---

(١) انظر ص ٢١٠-٢١٢.

المطلب الثالث

في إبطال تعريف القبورية للتوحيد

لقد ذكرت في المطلب السابق بعض نصوص علماء الحنفية ـ
في تعريف التوحيد اصطلاحاً؛
وحاصل هٰذه التعريفات:
أن «التوحيد» هو «الاعتقاد والشهادة بأن الله سبحانه وتعالى منفرد بذاته وصفاته وربوبيته وإلٰهيته، وعبادته، لا شريك له في ذٰلك كله.
وأقول: إن هٰذا التعريف هو الصحيح الجامع المانع،
الموافق لما عرفه به كثير من أئمة السنة غير الحنفية؛
وإليك بعض التعريفات للتوحيد التي ذكرها علماء أهل السنة غير الحنفية:

١ ـ هو اعتقاد (أن الله واحد في ملكه، وأفعاله لا شريك له وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له،
وواحد في إلٰهيته وعبادته لا ند له)[١].

٢ ـ اعتقاد أنه إله واحد لا شريك له،

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٣ ط و ٣٢ ط الدار البيضاء، للعلامة سليمان بن عبد الله ابن إمام الدعوة (١٢٣٣هـ).

ونفي المثل والنظير عنه،
والتوجه إليه وحده بالعبادة،
وأنه منفرد في ذاته وصفاته،
فلا رب غيره، ولا مشارك له في صفاته،
ولا إله غيره[1].
٣ ـ علم العبد واعترافه واعتقاده بتفرد الرب بكل صفة كمال،
وأنه لا شريك في كماله،
وفي أنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين[2].
قلت: هٰذه كلها تعريفات صحيحة[3]؛
جامعة لأفراد التوحيد وأنواعها؛
مانعة عن دخول غيره فيه؛
فهٰذه الأقوال لهٰؤلاء الحنفية في تعريف التوحيد،
تبطل تعريف القبورية للتوحيد،
كما تزهق تعريف الكلامية له.
وفيما يلي تعريفات القبورية والكلامية للتوحيد ليظهر جيداً جلياً للقراء المتدبرين في هٰذه التعريفات صحة تعريف علماء الحنفية الذي ذكرته عنهم للتوحيد وبطلان تعريف القبورية الكلامية له.
فأقول: وبالله التوفيق:
أولاً: تعريف القبورية للتوحيد:

---

(١) دعوة التوحيد للعلامة الدكتور محمد خليل هراس ٧ـ٨.
(٢) الكواشف الجلية للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان ٤١٧.
(٣) راجع كتابي الماتريدية ٢/٣٩٢.

١ ـ اعتقاد انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وأنه لا فاعل إلا الله تعالى[١].

٢ ـ (نفي التشبيه والتعطيل).

٣ ـ (إفراد القديم من المحدث)[٢].

ثانياً: تعريف الكلامية للتوحيد:

١ ـ إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا نظير له وواحد في أفعاله لا شريك له[٣].

٢ ـ إن الله واحد في ذاته، واحد في صفاته، وخالق لمصنوعاته[٤].

٣ ـ التوحيد: (هو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان،

وأنه مرجع كل كون، ومنتهى كل قصد،

وهٰذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ . . .)[٥].

أقول: انتبه أيها المسلم الذي ضالته الحق وفكّر في تعريفات هٰؤلاء القـوم من القبورية والكلامية الذين تحالفوا وتآخوا في تعريفاتهم للتوحيد الذي هو أعظم مطلب في الإسلام؛

كيف ضلوا عن الجادة المستقيمة وانحرفوا عن الصراط السوي في معرفة المقصد الأسمى في الإسلام، فقد عرّفوا التوحيد بتعريفات ناقصة

---

(١) إحياء المقبور لأحمد الغماري ٢٩.

(٢) براءة الأشعريين لابن مرزوق ١٦٤ والتوسل له ٩٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني الأشعري ١/٤٢.

(٤) ضوء المعالي للقاري الماتريدي ١٣، وانظر أيضاً شرحي البابرتي ٢٩ والنعيمي ٤٧ـ٤٨ للطحاوية.

(٥) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده الماتريدي ٤٣.

غير جامعة لأنواعه.

فتعريفاتهم هٰذه فيها بعض الحق لا كله؛

لأنها في الحقيقة تعريفات لتوحيد الربوبية وتوحيد الصفات،

أما توحيد الألوهية والعبادة ـ

فلا شائبة له في هٰذه التعريفات ألبتة.

وهٰـذا الانحـراف السافر عن الجادة الصحيحة في معرفة التوحيد والجهـل الـواضـح بحقيقة التوحيد الكامل الخالص ـ هو السبب الوحيد لانخراطهم في مهاوي أنواع من الشركيات بسبب عبادة القبور وأهلها وتأليه المشايخ وجعلهم أرباباً يعبدونهم من دون الله[1]؛

حيث غفلوا عن حقيقة الألوهية،

وفسروا توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية وجعلوه هو الغاية العظمى[2]،

مع أن توحيد الربوبية لم ينازع فيه أمثال أبي جهل من صناديد الكفرة والمشركين[3].

ولما كانت الأشياء تعرف بأضدادها،

وتبين أن تعـريف القبـورية والكـلامية للتـوحيد باطـل مزيف وأن الصحيح ـ هو تعريف علماء الحنفية الموافق لكلام بقية علماء السنة ـ

وأن هٰذا التعريف يشمل عدة من الأنواع ـ

ننتقل إلى المبحث الثاني لنعرف أنواع التوحيد.

* * * * *

---

(١) انظر ص ١٧٨.

(٢) راجع ص ١٩٠، ٩٥، ٢٢٩-٢٣٤، ١٧٧-١٧٨.

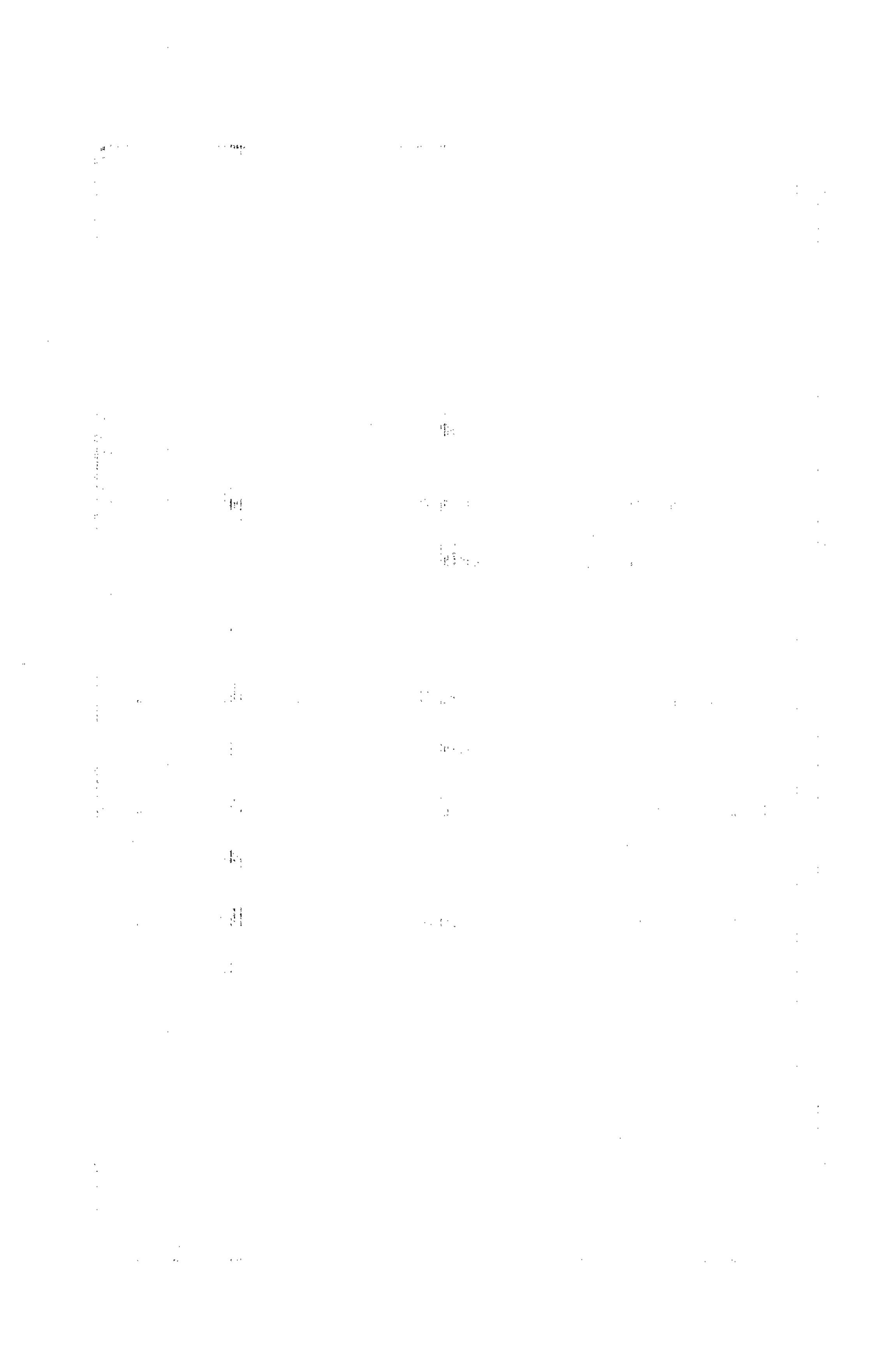
(٣) راجع ص ٢٠٣-٢١٨.

المبحث الثاني

في أنواع التوحيد عند علماء الحنفية وردهم على القبورية في ذلك

وفيه مطالب ثلاثة:

- المطلب الأول: في أن القبورية لا يرون تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية ورد علماء الحنفية عليهم.
- المطلب الثاني: في التقسيم الثنائي للتوحيد عند علماء الحنفية.
- المطلب الثالث: في التقسيم الثلاثي للتوحيد عند علماء الحنفية.



المطلب الأول

في بيان أن القبورية لا يرون تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية ورد علماء الحنفية عليهم

لقد سبق أن علماء الحنفية قد عرفوا التوحيد بحيث يدل على أنواعه من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية.

فتعريفهم للتوحيد يدل دلالة قاطعة واضحة على أن توحيد الألوهية من أهم أنواع التوحيد وأنه غير توحيد الربوبية؛

بخلاف القبورية؛

فإنهم عرفوا التوحيد بحيث لا يفهم من تعريفهم له أن هناك توحيداً يسمّى توحيد الألوهية، وأنه نوع من أنواع التوحيد العام المطلق.

فالذي يفهم من تعريفات القبورية للتوحيد ـ

هو عين ما يفهم من تعريفات الكلامية له:

وهو أن التوحيد ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الذات.

والثاني: توحيد الصفات.

والثالث: توحيد الأفعال.

وهٰذا الأخير هو توحيد الربوبية؛

وزعموا أنه هو الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ[1].

ولذاك نرى القبورية ينكرون تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية أشد الإنكار[2].

بل قال بعضهم مسفسطاً:

إن التوحيد مصدر والمصدر معنى من المعاني لا يمكن تقسيمه لذاته[3].

بل جازف بعضهم إلى حد قال:

إن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع: الربوبية، الصفات، الألوهية، ليس من دين السلف؛ بل هو من دين النصارى وأقانيمهم الثلاثة[4]؛

---

(١) راجع ما سبق في ص ٩٥ وما سيأتي في ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) انظر سعادة الدارين للسمنودي ٢/٢٠-٢٣، وكشف الارتياب للعاملي ١٤٠ ومصباح الأنام للحداد ٧ والدرر السنية لدحلان ٤٠-٤١ والبراهين للقضاعي ٣٧٥-٣٨٣ والمقالات للدجوي ١/٢٤٨-٢٧٢ والتوسل لابن مرزوق ٢٠-٥٤ وبراءة الأشعريين له ٨٧-١٢٣ وردود النوري ٢٣٧-٢٥٦.

(٣) براءة الأشعريين لابن مرزوق ١٦٤ والتوسل له ٩٥.

(٤) جمع أقنوم: بفتح الهمزة وسكون القاف وضم النون:

كلمة رومية معناها «الأصل»

انظر القاموس ١٤٨٧،

والأقانيم من مصطلحات النصارى الكفرية الشركية، وهي ثلاثة، وعليها بنوا عقيدتهم الكفرية الحلولية الاتحادية الإلحادية في التثليث - أي الإله ثلاثة أشياء، والأقانيم عند بعضهم: الوجود، والعلم، الحياة، انظر الملل والنحل ١/٢٢٤، وعند عامتهم: المراد منها: الله الأب، والله الروح، القدس، انظر الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٢/٢٤٥، وهداية الحيارى لابن القيم ١٦٦، وراجع لإبطال التثليث إظهار الحق لرحمة الله الهندي الحنفي ٣١٧-٣٦٢.

فتوحيدهم أشبه بتوحيد النصارى؛

فهم يقولون: التوحيد ثلاثة أنواع،

والنصارى يقولون: الأب والابن وروح القدس إله واحد[1].

وقد طعنوا في هٰذا الصدد في شيخ الإسلام، ومجدد الدعوة الإمام، أنواعاً من الطعون وسبوهما أنواعاً من السباب والشتائم ـ التي لا تصدر إلا من الفسقة الفجرة الرعاع الأوباش[2].

إبطال علماء الحنفية قول القبورية هٰذا:

وقد أجاب علماء الحنفية عن هذيان القبورية هٰذا بأجوبة سيأتي تفصيلها إن شاء الله[3].

ولٰكن أذكر هٰهنا جواباً واحداً ذكره كثير من علماء الحنفية وهو أن هٰذا الذي ذكرتم من التوحيد الذي ليس فيه توحيد العبادة ـ

وجعلتموه غاية عظمى للبعثة ـ

هو توحيد الربوبية الذي اعترف به المشركون السابقون فليس هٰذا هو مفترق الطرق بين المسلمين وبين المشركين فدل هٰذا دلالة قاطعة لا تحتمل النقيض ـ:

أن ما ذكرتم من التوحيد ليس هو كل التوحيد الكامل الخالص المتضمن لتوحيد الألوهية ـ

الذي دعت إليه الرسل وأنزلت لأجله الكتب.

---

(١) الردود للنوري ٢٣٧ـ٢٣٨، ٢٥٤ـ٢٥٥.

(٢) البراهين للقضاعي ٣٧٥ـ٣٨٠ والبراءة لابن مرزوق ٨٩ـ١٢٣ والتوسل له ٢٠ـ٥٤ والرد للنوري ٢٣٧ـ٢٣٨، ٢٤٠.

(٣) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢٠ـ٢١ ط دار البيان و ٧٩ ط المكتب الإسلامي وجلاء العينين ٥٢١ لنعمان الألوسي وعقد اللآلي والدرر ٥١ـ٥٣ للرباطي.

وبناء على ما سبق ـ

صرح علماء الحنفية بأن تقسيم[1] القبورية وكذا المتكلمة للتوحيد إلى أنواع ثلاثة:

١ ـ توحيد الذات.

٢ ـ توحيد الصفات.

٣ ـ توحيد الأفعال؛

وهو أشهر أنواع التوحيد عندهم،

وهو حيد الربوبية الذي اعترف به المشركون ـ باطل[2]؛

لخلو هٰذه الأقسام عن أهم هٰذه الأنواع،

وهو توحيد الألوهية والعبادة ـ

الذي دعت إليه الرسل ونزلت لتحقيقه الكتب[3].

وإنما الحق والصواب ما سيأتي في المطلبين الآتيين:

* * * * *

---

(١) خبره قوله الآتي: «باطل».

(٢) خبر لقوله السابق «أن تقسيم القبورية...».

(٣) عقد اللآلي والدرر للعلامة الرباطي ٥١-٥٣.

المطلب الثاني

في التقسيم الثناني للتوحيد عند علماء الحنفية

لقد تبين مما سبق في المطلب الأول:

أن تقسيم القبورية والكلامية للتوحيد ـ

كان باطلاً مزيفاً؛

لعدم شموله لأهم أنواعه؛

ألا وهو توحيد العبادة،

وإذا عرفنا بطلان تقسيمهم ـ للتوحيد ـ

فما هو التقسيم الصحيح للتوحيد الجامع لأنواعه جميعاً؟

والجواب: أن التقسيم الصحيح للتوحيد ـ

هو ما ذكره علماء الحنفية؛

موافقاً لكلام بقيه أئمة السنة،

من تقسيم التوحيد إلى أنواعه التي يدخل فيها توحيد الألوهية الذي هو أهم أنواع التوحيد.

فأقول: لعلماء الحنفية تقسيمان للتوحيد:

الأول: تقسيم ثنائي.

والثاني: تقسيم ثلاثي.

ولا منافاة بين هٰذين التقسيمين، لأن مرجعهما واحد.

أما التقسيم الثنائي؛ فلعلماء الحنفية فيه طريقان:

الطريق الأول: أن التوحيد قسمان:

١ ـ توحيد المرسل.

٢ ـ توحيد المتابعة.

لقد قسم علماء الحنفية التوحيد إلى قسمين رئيسين:

الأول: توحيد المرسل وهو توحيد الله تعالى ـ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

والثاني: توحيد متابعة الرسول ﷺ ـ بكمال التسليم والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق؛

كأنه سمع رسول الله ﷺ مباشرة يقوله.

وعدم معارضته بالقياس والعقول،

وعدم تقديم أقوال الأئمة على أمره وقوله؛

وعدم عرض قوله وخبره على قول المشائخ والأئمة؛

فلا يفعل ما يفعله كثير ممن أخل بهٰذا التوحيد ـ من المتكلمة والمقلدة ـ؛

حيث يعرضون قول الرسول ﷺ وأمره وخبره على أقوال المشائخ والأئمة.

فإن وافق قولهم ـ قبلوه ونفذوه؛

وإلا فوضوا فيه وأعرضوا عنه؛

أو حرفوه عن مواضعه، وسموا تحريفه تأويلاً وحملاً؛

بل الغرض والواجب المبادرة إلى امتثال قوله ﷺ من غير التفات إلى

سواه)[1].

قلت: **النوع الأول**: وهو توحيد المرسل ـ

يتنوع عند علماء الحنفية:

إلى ثلاثة أنواع ومتضمن لها ومستلزم لها وهي:

١ ـ توحيد الربوبية.

٢ ـ توحيد الصفات.

٣ ـ توحيد العبادة[2].

فلا يتناقض هٰذان التقسيمان الثنائي والثلاثي.

قلت: هٰذا النوع من التوحيد (توحيد المرسل) ـ

هو الأصل،

وقد أشار الإمام ابن القيم رحمه الله إلى هٰذين النوعين في التوحيد بقوله:

هٰذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العباده منك للرحمٰن

إلى أن قال:

والسنة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطاني

فلواحد كن واحداً في واحد أعني سبيل الحق والإيمان[3]

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز ١٧٩ـ١٨٠ ط دار البيان و ٢١٧ـ٢١٨ ط المكتب الإسلامي، ودراسات اللبيب للعلامة الأمين السندي (١١٦١هـ) ١١٢ـ١٢٩.

(٢) انظر شرح الطحاوية ٧٩، ٨١، ٨٤ـ٨٥، ٨٦، ٨٧، ط المكتب الإسلامي و ٢٠، ٢٣، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ط دار البيان، ومنح الأزهر للقاري ١٥.

وراجع أيضاً مجموع الفتاوى ٢/ ٣٧ ومنهاج السنة ٢/ ٦٨ ط القديمة و ٣/ ٣١٣ ط المحققة ودرء التعارض ٧/ ٣٩١ وتجريد التوحيد للمقريزي ٤٥.

(٣) النونية ١٥٦ـ١٥٧ وشرحها توضيح المقاصد لابن عيسى ٢/ ٢٥٧ـ٢٥٨ وشرحها =

وأما النوع الثاني: وهو توحيد المتابعة ـ
فهو أيضاً في غاية من الأهمية عند علماء الحنفية الذين عرفوا مكانة هذا النوع من التوحيد؛
فقد صرحوا بأن من أخل بهذا النوع من التوحيد؛
فقد اتخذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله؛
وعبد المشايخ والأئمة؛
وأشرك بالله تعالى؛
وأنه مشرك كافر يستتاب ـ
وإلا قتل،
كما يفعله الغلاة المقلدة للمشايخ والأئمة[1].
قلت: لقد صدق هؤلاء العلماء الحنفية في أن بعض المقلدين من الغلاة الجامدين ـ
يرفعون الأئمة فوق منزلتهم؛ كأنهم رسل وأنبياء؛

= لهراس ٢/١٢٠ـ١٢٢ وشرحها توضيح الكافية للسعدي ١٣٤.

(١) راجع الاتباع لابن أبي العز ٧٩ـ٨٢ ودراسات اللبيب للمعين السندي ١١١، ١٢٩ وتحفة الأنام لحياة السندي ٤٢ وحكم الله الواحد الصمد ٨٧ وهدية السلطان ٥٤ـ٥٥ كلاهما للخجندي، وانظر حجة الله لولي الله ١/١٥٥ـ١٥٦ ط السلفية و١/٤٤٤ـ٤٤٧ ط دار إحياء العلوم، وتنوير العينين للشاه إسماعيل الدهلوي ٢٧.

وراجع روح المعاني ٩/١٦٧ و ١٠/٨٤ والرسائل للمودودي ١٨٩ـ١٩٠.

وأصل الكلام لشيخ الإسلام انظر مجموع الفتاوى ٢٢/٢٤٩ والفتاوى الكبرى ٢/٣٧٦ ط القديمة و ٢/٣٨٩ ط الجديدة و٢/٤٤٩ حسين مخلوف و٢/١٠٥ ط المرتبة والمصرية ٥٤ ط الفقي و ٣٥ ط حمدي والدر المضيئة ٤٦ ومجموعة الرسائل الكبرى ٣٦٦ـ٣٦٧. وانظر إرشاد النقاد للصنعاني في ١٤٥ وإيقاظ الهمم للفلاني ٥٣.

بل يجعلهم أرباباً يعبدونهم من دون الله ـ
بالطاعة المطلقة ؛
فيعرضون نصوص الكتاب والسنة على أقوالهم ؛
فما وافق قولهم قبلوه وما خالفه أولوه أو ردوه ؛
بل وصل ببعضهم الحال إلى حد اعتراف بأن الحق كذا ؛
ولٰكن اتباع المذهب واجب[1].
فرد الحق بعد ما عرفه لأجل المذهب،
وهٰذا نوع من دأب اليهود نسأل العافية.
وقد وصل الغلو بالشيخ محمود الحسن الملقب عند الديوبندية بشيخ الهند وصدر المدرسين بجامعة ديوبند وأحد كبار أئمتهم (**١٣٣٩هـ**)،[2] ـ
إلى هاوية قال بلسانه وشهد على نفسه ببنانه:
(إن مسألة الخيار: «خيار المجلس للمتعاقدين» من مهمات المسائل؛
وخـالف أبـو حنيفـة فيه[3] الجمهـور، وكثير من الناس المتقدمين

---

(١) انظر البحر الرائق لابن نجيم الملقب بأبي حنيفة الثاني ١١٥/٥.
(٢) هو ابن ذي الفقار الهندي النقشبندي الماتريدي؛
كان له أعمال جليلة ضد الانجليز؛
وصاحب صلة وثيقة بدولة العثمانية، تتلمذ على إمام الديوبندية ومؤسس جامعتهم: الشيخ محمد قاسم النانوتي (١٢٩٧هـ).
وأخـذ التصـوف النقشبنـدي عن إمـام الـديوبندية الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي (١٣٢٣هـ) ترجمتــه في نزهــة الخــواطــر ٤٦٥/٨-٤٦٩، وانــظر كتـابي المـاتـريدية ١١١/١-١١٢، ٣٣٦-٣٣٧، ٥٣٢/٢.
(٣) الأولى «فيها».

والمتأخرين وصنفوا رسائل في ترديد[1] مذهبه في هٰذه المسألة؛

ورجع مولانا الشاه ولي الله المحدث الدهلوي قدس سره[2] في رسائل مذهب الشافعي؛

من جهة الأحاديث والنصوص؛

وكذلك قال شيخنا من ظله بترجيح مذهبه،

وقال: الحق والإنصاف: أن الترجيح للشافعي في هٰذه المسألة، ونحن مقلدون يجب علينا تقليد إمامنا أبي حنيفة)[3]!؟

وقد وصل في الغلو والتعصب للحنفية إلى حد حرّف في القرآن؛

وزاد فيه ما لم يقله ربنا الرحمٰن[4].

وجازف بعض غلاة الديوبندية في التعصب للحنفية إلى أن قال:

(وقالوا: المنتقل من مذهب إلى مذهب آخر باجتهاد وبرهان ـ آثم يستوجب التعزير؛

فبلا اجتهاد وبرهان أولى)[5].

قلت: لقد ارتكب هٰذا القائل طامتين:

الأولى: أنه وصل في الغلو في المذهب وللمذهب إلى حد ـ هو شرك وإخلال بتوحيد المتابعة عند محققي الحنفية كما سبق آنفاً.

---

(١) الصواب في رد مذهبه.

(٢) هٰذه من طامات الصوفية.

(٣) تقرير الترمذي ٤٠.

(٤) انظر إيضاح الأدلة ٩٧. وراجع كتابي الماتريدية ١/١١١-١١٢، ٣٣٦-٣٣٧، ٢/٥٣٢، وانظر ما سيأتي في ص ١٧٧٥.

(٥) الحقيقة للفنجفيري ٦٣.

والثانية: أنه أحال على فتح القدير للإمام ابن الهمام (٨٦١هـ)[١].

مع أن الإمام ابن الهمام قد رد على هٰذه الخرافة[٢].

هٰذه كانت الطريقة الأولى في التقسيم الثاني:

وأما الطريقة الثانية فيأتي بيانها الآن بإذن الله وتوفيقه:

الطريق الثاني للحنفية في تقسيم الثنائي للتوحيد:

لعلماء الحنفية طريق ثان في تقسيم التوحيد إلى نوعين؛

فقد قالوا:

التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه ـ نوعان:

الأول: توحيد في الإثبات والمعرفة.

والثاني: توحيد في الطلب والقصد[٣].

وبعبارة أخرى:

توحيد المعرفة والإثبات.

وتوحيد القصد والعمل[٤].

ويسمون الأول أيضاً: التوحيد العلمي الخبري،

والثاني التوحيد الإرادي الطلبي[٥].

---

(١) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد فقيه طبعاً محدث تكلفاً، منصف من منصفي الحنفية وأحد كبار أئمتهم؛ ومن مشاهير أعلام الماتريدية، وكان صوفياً يأتيه وارد الصوفية الخرافية، وعنده بعض بدع القبورية، وتعطيلات الجهمية الكلامية الماتريدية. ر ص ٦٤٧.

(٢) انظر فتح القدير ٦/ ٣٦٠ـ٣٦١ بولاق و ط دار إحياء التراث العربي و ٧/ ٢٥٧ـ٢٥٨ ط دار الفكر.

(٣) شرح الطحاوية ٨٨ ط المكتب و ٣١ ط دار البيان.

(٤) العقيدة أولاً ١١.

(٥) شرح الطحاوية ٨٨ ط المكتب و ٣١ ط دار البيان ومنح الأزهر للقاري ١٥.

كما يسمون الأول: التوحيد في العلم والتوحيد العلمي.
والثاني: التوحيد في الإرادة والقصد، والتوحيد القصدي الإرادي[1].

تعريف هذين النوعين للتوحيد.

لقد عرف علماء الحنفية هذين النوعين للتوحيد؛

فقالوا:

الأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله؛

كما أخبر سبحانه وتعالى عن نفسه وأخبر رسوله ﷺ؛ وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح؛

كما في أوائل سورتي الحديد، وطه؛ وآخر سورة الحشر، وأوائل سورتي السجدة وآل عمران؛

وسورة الإخلاص وغيرها.

وأما النوع الثاني:

فهو قصد الله تعالى وطلبه سبحانه بعبادته وحده لا شريك له في ذلك؛

وذلك مثل ما تضمنته سورة: ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾،

وقوله تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله**﴾ [آل عمران: ٦٤]،

---

(١) التفسير القيم للندوي ٢٤.

وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها[1].

وأول سورة يونس وأوسطها وآخرها؛

وأول سورة الأعراف وآخرها؛

وجملة سورة الأنعام[2].

وجه الحصر في هٰذين النوعين:

لقد ذكر علماء الحنفية وجه الحصر لهٰذين النوعين للتوحيد؛

فقالوا: القرآن كله: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله -

فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه -

فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته -

فهو من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد في الدنيا والآخرة -

فهو ثواب التوحيد.

وإما خبر عن أهل الشرك وما حل بهم من النكال في الدنيا وما يحل بهم من العذاب في العقبى -

فهو جزاء من خرج عن التوحيد[3].

تنبيه: لقد صرح علماء الحنفية -

---

(١) يقصد أول سورة الزمر الآيات ٢-٣، ١١-١٧، ويقصد بآخرها الآيات ٦٤-٦٧.

(٢) شرح الطحاوية ٨٨ ط المكتب و ٣١ ط دار البيان.

(٣) شرح الطحاوية ٨٨ ط المكتب و٣١ ط دار البيان ومنح الأزهر ١٥-١٦وأصل الكلام لابن القيم في مدارج السالكين ٣/٤٦٨-٤٦٩.

بأن التوحيد في المعرفة والإثبات -
يشمل النوعين من التوحيد وهما:
توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.
وأما توحيد القصد والعمل -
فهو النوع الثالث وهو:
توحيد الألوهية[1].
فلا منافاة لهٰذا التقسيم الثنائي للتوحيد،
وبين التقسيم الثلاثي الآتي.

* * * * *

(١) العقيدة أولاً ١١.

المطلب الثالث

في التقسيم الثلاثي للتوحيد عند الحنفية

لقد سبق أن علماء الحنفية يقسمون التوحيد إلى نوعين،

ولٰكنهم تارة يقسمونه إلى ثلاثة أنواع؛

فيقولون: التوحيد أنواع ثلاثة:

الأول: توحيد الأسماء والصفات.

الثاني: توحيد الربوبية.

الثالث: توحيد الألوهية «توحيد الإلٰهية»[1].

قلت: هٰذه الأقسام الثلاثة للتوحيد التي ذكرها علماء الحنفية لا تختلف في المعنى عن النوعين اللذين ذكرهما هٰؤلاء العلماء الحنفية في التقسيم الثنائي السابق.

وإنما الفرق في المباني لا في المعاني؛

فإن النوعين السابقين في المعنى لا يختلفان عن هٰذه الثلاثة كما

---

(١) شرح الطحاوية ٧٦ ط المكتب و ١٧ ط دار البيان والمنح الأزهر للقاري ١٤-١٦ وجلاء العينين ٥٢١ للنعمان الآلوسي والجواب الفسيح ٢٨ له كما في العقيدة السنية للندوي ٢١-٢٢ وفتح المنان لشكري الآلوسي ٤٥١ والتفسير القيم للندوي ٢٤ والعقيدة أولاً للدكتور القاري ١١.

سبق، غير أن الفرق في الإجمال والتفصيل؛

فمن أجمل ذكر النوعين ومن فصل ذكر الثلاثة.

وهٰذا التقسيم الثلاثي الذي ذكره علماء الحنفية ـ

أيضاً موافق لما قاله سائر أئمة السنة؛

فقد ذكر هٰذه الأنواع الثلاثة كثير منهم غير الحنفية أيضاً[1].

وبعدما ذكرت تقسيم الحنفية التوحيد إلى الأنواع الثلاثة يحسن أن أذكر عنهم تعريف كل نوع على حدة؛

لتتضح المحجة وتقام الحجة:

الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات:

هو اعتقاد إثبات ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ـ

له تعالى من غير تشبيه[2] ولا تكييف[3] ولا تأويل[4].

---

(١) انظر على سبيل المثال مدارج السالكين ١/٣٣، ومؤلفات الشيخ ٤/٢/٤٢، وتيسير العزيز الحميد ٣٣-٣٦، والقول السديد للسعدي ١١-١٤ ودعوة التوحيد للدكتور هراس ١١، ٢٥، ٣٢، وحاشيته كتاب التوحيد لابن قاسم ١١ والكواشف الجلية لمحمد السلمان ٤١٧.

(٢) **التشبيه لغة**: الدلالة على مشاركة أمر بآخر في معنى.

واصطلاحاً: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس. تعريفات الجرجاني ٨١.

(٣) **التكييف**: أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا؛ أو يسأل عنها بكيف؟

وليس المراد من نفي التكييف أنهم ينفون الكيف مطلقاً؛

فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما:

ولٰكن المراد: أنهم ينفون علمهم بالكيف؛

إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.

شرح الواسطية للدكتور محمد خليل هراس ٢٢.

(٤) **التأويل لغة**: الترجيع واصطلاحاً: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى =

الثاني: تعريف توحيد الربوبية:

هو الاعتقاد بأن الله هو وحده الخالق الرازق والمدبر والنافع والضار والمجير والمحيي والمميت:

فلا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره سبحانه.

الثالث: تعريف توحيد الألوهية:

هو الاعتقاد بإفراد العبادة لله الواحد الصمد؛

لأن «الإله» من يقصد للعبادة[1].

قلت: هٰذه الأنواع للتوحيد التي ذكرها علماء الحنفية كما ذكرها غيرهم من أئمة السنة ـ

هي الحق الصواب الذي لا يحتمل النقيض؛

لأن توحيد العبادة ـ الذي هو أهم هٰذه الأنواع ـ

هو في الحقيقة مفترق الطرق بين المسلمين وبين المشركين،

ولأجل تحقيقه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب،

وهو المتضمن المستلزم لتوحيد الربوبية وتوحيد الصفات،

أما ما ذكره القبورية والكلامية ـ

فناقص؛ لأنه بعض الحق لا كله؛

= يحتمله. انظر تعريفات الجرجاني ٧٢.

قلت: هٰذا في اصطلاح أهل البدع؛ وهو المنفي هٰهنا؛ لأنه عين التحريف وأما في اصطلاح أهل السنة فالتأويل بمعنى التفسير وإيضاح المعنى راجع كتابي الماتريدية ٤٣١ـ٤٤٠.

(١) انظر فتح المنان لشكري الآلوسي ٤٥١ وجلاء العينين ٥٢١ لنعمان الآلوسي والجواب الفسيح ٢٨ له كما في العقيدة السنية للندوي ٢١ـ٢٢ وشرح الطحاوية ١٧ـ١٨ ط دار البيان و ٧٦ـ٧٧ ط المكتب.

لعدم شموله توحيد العبادة الذي هو المقصود الأعلى الأسمى والغاية العظمى،

فإن توحيد الربوبية لا خلاف فيه للمشركين؛

قال العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ)[1]، والإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ)، واللفظ للأول:

(توحيد الربوبية هو الذي أقرت به الكفار جميعهم؛

ولم يخالف أحد منهم في هذا الأصل إلا الثنوية[2] والمجوس[3].

وأما غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك ـ

فقد اتفقوا على أن خالق العالم ورازقهم، ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم، ومجيرهم واحد،

لا رب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره؛

كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان: ٢٥]،

---

(١) هو محمود شكري بن عبد الله بن محمود بن عبد الله حفيد الآلوسي (١٣١٧هـ) وكلهم من فضلاء الحنفية وهذا أفضلهم، كان عالماً مشاركاً، قاطعاً لدابر القبورية قامعاً للصوفية، من آثاره العظيمة غاية الأماني في الرد على النبهاني (١٣٥٠هـ) فتح المنان تتمة منهاج التأسيس في الرد على صلح الإخوان لابن جرجيس (١٢٩٩هـ) ترجمته في إيضاح المكنون ١/١٩٤ والأعلام للزركلي ٧/١٧٢ والمعاصرون لمحمد كرد علي ٤٢٧-٤٣٣ ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ٢/١٦٩ و ١٣/٤٢٠.

(٢) قلت: إن الثنوية والمجوس لم يخالفوا توحيد الربوبية بالكلية راجع شرح الطحاوية ١٩ ط دار البيان و ٧٦-٧٧، ط المكتب الإسلامي.

(٣) سيأتي تعريف الثنوية والمجوس في ص ١٣٠١.

﴿قـل لمن الأرض ومن فيهـا إن كنتم تعلمون * سيقولون الله﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥]،

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخـرج الحي من الميت ويخـرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾ [يونس: ٣١]. . .،

وإذا علمت هٰذا -

تبين لك أن المعركة بين أهل التوحيد والمشركين -

في الألوهية فقط. . .،

وجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم دعوا إلى توحيد الله وعبادته)(١).

قلت: إذا كان الأمـر على ما ذكـره علمـاء الحنفية من اعتـراف المشركين كافة بتوحيد الربوبية؛

وأن المعترك كان توحيد الألوهية؛

وأن الله قد أنزل لتحقيقه الكتب وأرسل للدعوة إليه الرسل -

كيف يصح للقبورية إنكارهم لتقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية؟

وكيف يتم لهم أن توحيد الربوبية هو الغاية؟

وبهٰذه التحقيقات النفيسة تبين إبطال جميع ما هذوا به في الطعن في تقسيم التوحيد إلى هٰذه الأنواع الثلاثة،

كيف لا وقد اعترف بهٰذا كله أحد كبار من له صلة بالقبورية ألا وهو الشيخ أبو غدة الكوثري الحنفي(٢):

---

(١) فتح المنان ٤٥١-٤٥٢ وبلوغ الأرب ٢/١٩٧، وشرح الطحاوية ٧٦-٧٩ ط المكتب و ١٨-٢١ ط دار البيان.

(٢) هو عبد الفتاح بن محمد بشير الحلبي الشهير بأبي غدة أبو الزاهد الكوثري. =

وفيما يلي نصه بحرفه وفصه ليكون فيه عبرة للمعتبرين ونكال للمعاندين وإتمام الحجة على القبورية وإلقام الحجر في أفواه الخرافية عامة، والكوثرية خاصة؛

قال بعد ذكر توحيد الأسماء والصفات:

(وأما تقسيم التوحيد إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة:

شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ـ

فهذا تقسيم اصطلاحي استقاه العلماء مما جاء في الكتاب والسنة في مواضع لا تحصى؛

مما رد الله تعالى به على المشركين الذين كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية؛

وفي سورة الفاتحة التي يقرأها المسلم في صلاته مرات كل يوم ـ دليل على ذلك؛

﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين *

= كنى نفسه بأبي الزاهد حبّاً لشيخه الكوثري انظر الإمام الكوثري لأحمد خيري ٧٢، كان عدواً لدوداً لأهل التوحيد مجاهراً وهو الآن مستوطن في البلاد السعودية من سنين أطرق رأسه إطراق الكرى ولكن يبث سموم الكوثري في غضون تعليقاته، للشيخ الألباني رد عليه في أول شرح الطحاوية وللشيخ الأديب بكر بن عبد الله رسالة «براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة» كشف الأستار عن بعض أسراره مطبوعة وعليها توقيع وتقريظ لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي الديار السعودية.

ولي رسالة سميتها: «عمدة العدة لكشف الأستار عن أسرار أبي غدة».

أقمت البرهان فيها على أنه أبو غدد لا أبو غدة فقط،

وقد ذكرت بعض أمثلة مسايرته للكوثري في كتابي الماتريدية ١/٣٥٨، ٣٧٠.

إياك نعبد وإياك نستعين ﴾[1]) .

قلت : لقد أنطق الله هٰذا الكوثري ببعض الحق ؛

فقد حقق وأثبت أن تقسيم التوحيد إلى هٰذه الأنواع الثلاثة من صميم الإسلام ومستقى من القرآن ولا سيما أم القرآن ؛

فقوله سبحانه وتعالى : ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ : توحيد الربوبية .

وقوله جل وعلا : ﴿**الرحمٰن الرحيم * مالك يوم الدين**﴾ : توحيد الأسماء والصفات .

وقوله عز وجل : ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ : توحيد الألوهية .

فهل يبقى عذر للقبورية بعد شهادة هٰذا الكوثري بلسانه واعترافه ببيانه ؟!!؟ .

وبعدما عرفنا التوحيد وأنواعه ـ ننتقل إلى الفصل الآتي لنعرف أهمية توحيد الألوهية ، وكونه هو الغاية العظمى عند علماء الحنفية ، وردهم على القبورية ؛ لأنه من موضوع هٰذه الرسالة .

* * * * *

---

(١) كلمات في كشف أباطيل وافتراءات ٣٧ ط مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب المستقلة وكذا المطبوعة في آخر جواب الحافظ المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل ط المذكورة باعتناء أبي غدة .

الفصل الثالث

في أهمية توحيد الألوهية
وكونه هو الغاية عند علماء الحنفية

لقد تبين مما سبق أهمية شأن العقيدة في الإسلام بصفة عامة كما سبق تعريف التوحيد وأنواعه وأهميته بين العقائد بصفة خاصة.

وفي هذا الفصل أتحدث عن جهود علماء الحنفية في بيان أهمية توحيد العبادة بين سائر أنواع التوحيد بصفة أخص؛ لأن غالب انحراف القبورية إنما كان عن توحيد العبادة حيث أشركوا بالله سبحانه وتعالى؛ وعبدوا القبور وأصحابها بأنواع العبادات؛ فأخلوا بهذا النوع من التوحيد إخلالاً واضحاً سافراً، وناقضوه فناسب ذلك أن أذكر جهود علماء الحنفية في بيان أهمية توحيد الألوهية؛ وكونه هو الغاية العظمى والمقصد الأسمى من الخلق وإرسال الرسل وإنزال الكتب ليعرف المسلمون مدى ضلال القبورية عن أهم نوع من أنواع التوحيد وإخلالهم بالمقصد الأسنى، ومناقضتهم للهدف الأسمى وانحرافهم عن الغاية العظمى التي هي توحيد العبادة المتضمن لبقية أنواع التوحيد.

وبيان ذلك في عدة وجوه:

الوجه الأول: وجه إجمالي يجمع ميزات توحيد العبادة على وجه الإجمال، والوجوه التي بعده تفصيل وشرح له، فهو أم الوجوه:

قال الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) والعلامة القاري (١٠١٤هـ) واللفظ للأول:

(اعلم أن التوحيد [توحيد العبادة]:

١ ـ أول دعوة الرسل.

٢ ـ وأول منازل الطريق.

٣ ـ وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل.

قال تعالى: **﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾** [الأعراف: ٥٩].

وقال هود عليه السلام لقومه: **﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾** [الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠].

وقال صالح عليه السلام لقومه: **﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾** [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١].

وقال شعيب عليه السلام لقومه: **﴿اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره﴾** [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤].

وقال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** [الأنبياء: ٢٥].

وقال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»(١).

٤ ـ ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف «شهادة

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله في ص ١٣٩.

أن لا إله إلا الله».

لا النظر[1]، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك[2].

كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم[3].

بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان.

ومتفقـون على أن من فعل ذٰلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذٰلك عقيب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذٰلك ولم يوجب أحد منهم على وليه:

أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين؛ وإن كان الإقرار بالشهادتين واجباً باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجود الصلاة؛ لٰكن هو أدى هٰذا الواجب قبل ذٰلك...

٥ ـ فالتوحيد أول ما يدخل [المرء] به في الإسلام.

٦ ـ وآخر ما يخرج به من الدنيا؛ كما قال النبي ﷺ:

«من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة»[4].

٧ ـ وهو أول واجب وآخر واجب.

---

(١) النظر لغة: تقليب الحدقة نحو المرئي، واصطلاحاً: ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم. انظر كليات أبي البقاء ٩٠٤، والمراد الاستدلال الكلامي على وجود الله.

(٢) هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح، أو: ما استوفى طرفاه، فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخـر فهـو ظن، فإذا طرحـه فهو غالب الظن، بمنزلة اليقين، راجع تعريفات الجرجاني ١٦٨.

(٣) كالماتريدية والأشعرية. راجع كتابي الماتريدية ١٩٤-١٩٦.

(٤) سيأتي تخريجه في ص ١٤٢.

٨ ـ فالتوحيد أول الأمر وآخره؛ أعني: توحيد الإلهية؛ فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية.

وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية؛ وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له)[1].

الوجه الثاني:

أن توحيد العبادة هو المطلب الأعلى والهدف الأسمى والمقصد الأسنى المطلوب من الناس والمأمور به؛

قال الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) ـ

بعدما أبطل مزاعم المتكلمين في كون توحيد الربوبية هو الغاية، محققاً أن توحيد الربوبية أمر فطري مركوز مستقر في فطر الناس وأن المشركين كانوا معترفين به.

وأن مفترق الطرق والمعترك إنما هو توحيد الألوهية:

(فعلم أن المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية...)[2].

---

(١) شرح الطحاوية ١٥ـ١٧ ط دار البيان و ٧٤ـ٧٦ ط المكتب الإسلامي ومنح الأزهر للقاري ١٥ـ١٧ وانظر أيضاً سمط الدر لشيخ القرآن الفنجفيري ٢١ـ٢٩ وراجع أيضاً مفتاح الجنة للخجندي ٤٣ والتبيان للعلامة الرستمي ٨٤ـ٨٥، وسيأتي نص كلامه في ص ١٣٦.

(٢) شرح الطحاوية ٧٦ـ٨١ ط المكتب الإسلامي و ١٨ـ٢٣ ط دار البيان، وراجع أيضاً منح الأزهر ١٧.

وقد استدل علماء الحنفية لتحقيق هٰذا المطلوب بعدة آيات أذكر منها آيتين على سبيل المثال مع أقوالهم في تغييرها:

الآية الأولى: قوله تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله إلٰهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾** [التوبة: ٣١].

قال الإمـام أبـو الثنـاء محمود بن عبد الله الآلوسي مفتي الحنفية ببغداد[١] (١٢٧٠هـ):

(والحال أن أولٰئك الكفرة ﴿ما أمروا﴾ في الكتب الإلٰهية على ألسنة الأنبياء عليهم السلام: ﴿إلا ليعبدوا إلٰهاً واحداً﴾: جليل الشأن وهو الله سبحانه، ويطيعوا أمره ولا يطيعوا أمر غيره؛ فإن ذٰلك مناف لعبادته جل شأنه. . . .)[٢].

وقال الإمام أبو السعود العمادي (٩٨٢هـ)[٣]:

---

(١) هو شهاب الدين والد العلامة نعمان الآلوسي (٣١٧هـ) وجد الفهامة محمود شكـري الآلوسي (١٣٤٢هـ) من كبار علماء الحنفية من الأسرة الآلوسية المعروفة بالعلم والفهم ببغداد، له ولولده ولحفيده جهود عظيمة في قمع القبورية، وحفيده أقوى، ثم ولده أما هو فمع فضائله شحن تفسيره بإشارات الصوفية مع طامات أخرى غفر الله له ولنا. ترجمته في حلية البشر ٣/١٤٥٠ و ١٤٥٥ وجلاء العينين ٤٣-٤٥ والمسك الأذفر ٦٤-٨٥هـ أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم بك ٤٧-٥٢ والأعلام للزركلي ٧/١٧٦-١٧٧ ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ١٢/١٧٥ وللشيخ عبد الفتاح الشواف (١٢٦٢هـ) كتاب في ترجمته سماه: (حديقة الورود في مدائح شهاب الدين محمود).

(٢) روح المعاني ١٠/٨٤.

(٣) هو محمد بن محمد من كبار علماء الأتراك والروم ومن عظماء الحنفية في الدولة العثمانية صاحب مناصب ووجاهة عند الدولة؛ منطقي فلسفي، ماتريدي تفسيره نسخة ثانية كمدارك النسفي لكشاف الزمخشري في غير الاعتزال ترجمته في الكواكب السائرة ٣/٣٥ للغزي والعقد المنظوم للالي بالي ٤٣٩-٤٥٤ وانظر شذرات الذهب ٨/٣٩٨ والبدر الطالع =

(﴿وما أمروا﴾ أي والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في كتابيهم، ﴿إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ عظيم الشأن وهو الله سبحانه وتعالى، ويطيعوا أمره، ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه؛ فإن ذلك مخل بعبادته تعالى؛ فإن جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة. . . .)[1].

وهكذا قاله كثير من الحنفية[2].

وقال العلامة الوالي[3] (١٣٦٢هـ) وتبعه تلميذه الشيخ الغلام[4] (١٩٨٠م)، واللفظ الثاني:

(إن اليهود والنصارى قد اتخذوا مشائخهم وأئمتهم أرباباً؛ فعبدوهم من دون الله تعالى؛ مع أنهم قد أمروا في التوراة والإنجيل بأن لا يعبدوا إلا

= ٢٦١/١ وهو غير أبي السعود محمد بن الغزي (١٠٦١هـ) فإنه مؤلف الكواكب السائرة انظر ريحانة الألبا للخفاجي ١٣٨/١ ونفحة الريحانه ٥٤٠/١-٥٤٦ وخلاصة الأثر ١٨٩/٤-٢٠٠ كلاهما للمحبي.

(١) إرشاد العقل السليم ٦٠/٤.

(٢) انظر تنوير الأذهان للبروسوي ٦٠/٢ وصفوة التفاسير للصابوني ٥٣١/١، وراجع كشاف الزمخشري ١٨٦/٢.

(٣) هو الشيخ حسين علي بن ميان محمد بن عبد الله الحنفي النقشبندي من كبار أئمة الديوبندية؛ كان صاعقة فتاكة على القبورية له جهود عظيمة في قمعهم؛ ولكنه لم يخل من أفكار الصوفية الخرافية بدون أن يشعر تقليداً لمشائخه وحكماً لبيئته؛ فقد كان نقشبندياً كبيراً يلقن تلامذته الوظائف والأوراد النقشبندية، من أعظم تلامذته شيخ القرآن محمد طاهر ابن أصف الفنجفيري (١٤٠٧هـ) وشيخ القرآن غلام الله (١٩٨٠م) وغيرهما وكلهم من النقشبندية. انظر ترجمته في نزهة الخواطر ١٢١/٨-١٢٢ ونيل السائرين لشيخ القرآن الفنجفيري ٣٦٥-٣٦٦.

(٤) هو شيخ القرآن غلام الله خان روالبندوي من كبار مشاهير الديوبندية وعظمائهم؛ كان حرباً شعواء على القبورية ولكن فيه بقايا خرافات مشائخه الصوفية النقشبندية ترجمته في كاروان آخره (ركب الآخرة) لسميع الحق ١٨٤-١٨٥.

الله سبحانه؛ لأنه لا متصرف في العالم ولا قاضي للحاجات، ولا مستحق للاستغاثة والنداء لدفع الكربات وطلب المنافع غيره عز وجل)[1].

الآية الثانية: قوله تعالى:

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة: ٥].

قال الإمام محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ) مفتي الحنفية ببغداد:

(﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾: جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا...، أي والحال: أنهم ما كلفوا في كتابهم بما كلفوا به لشيء من الأشياء إلا لأجل عبادة الله تعالى؛

وقال الفراء[2]:

«العرب تجعل اللام موضع «أن» في الأمر: «أمرنا لنسلم» وكذا في الإرادة: «يريد الله ليبين لكم»؛ فهي هٰهنا بمعن «أن» أي بأن «يعبدوا الله»؛ وأيد بقراءة عبد الله: «إلا أن يعبدوا»[3].

فيكون عبادة الله تعالى هي المأمور بها، والأمر على ظاهره، والأول هو الأظهر؛ وعليه قال علم الهدى أبو منصور الماتريدي[4].

---

(١) جواهر القرآن ١/٤٣٥-٤٣٦.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الكوفي أحد أئمة العربية (٢٠٧هـ). له معاني القرآن مطبوع. تاريخ بغداد للخطيب ١٤/١٤٩-١٥٥ ومعجم الأدباء لياقوت ٢٠/٩-١٤ وتاريخ العلماء النحويين للمعري ١٨٧-١٨٩ وإنباه الرواة للقفطي ٤/٧-٢٣ والبلغة للفيروزآبادي ٢٣٨-٢٣٩ وطبقات النحويين للأندلسي ١٣١-١٣٣ وإشارة التعيين لعبد الباقي اليماني ٣٧٩ وبغية الوعاة للسيوطي ٢/٣٣٣.

(٣) انظر كلام الفراء في معاني القرآن ٣/٢٨٢.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمود السمرقندي إمام الحنفية الماتريدية الجهمية =

«هٰذه الآية علم منها معنى قوله تعالى:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي: إلا لأمرهم بالعبادة، فيعلم المطيع من العاصي».

وهو - كما قال الشهاب[١] - «كلام حسن دقيق»...)[٢].

الوجه الثالث: أن توحيد العبادة غاية خلق الجن والإنس:

لقد استدل كثير من علماء الحنفية بقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] على أن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له هي غاية خلق الجن والإنس وسر خلقهم، والحكمة منه وغاية العباد التي خلقوا لها، ولهم في ذلك نصوص مهمة متنوعة طويلة وهٰذا الذي ذكرته هو لب ما قالوه في تفسير هٰذه الآية[٣].

الوجه الرابع: أن توحيد العبادة غاية إرسال الرسل عليهم السلام.

لقد صرح علماء الحنفية أن المشركين كانوا معترفين بتوحيد الربوبية

= المعطلة (٣٣٣هـ)، فليس هو علم الهدى ولا إمام الهدى ولا إمام أهل السنة، استوفيت ترجمته في كتابي الكبير الماتريدية ١/٢٠٧-٢٥٥.

(١) انظر حاشية الشهاب الخفاجي على أنوار التنزيل للبيضاوي.

(٢) روح المعاني ٣٠/٢٠٤، وراجع المدارك للنسفي ٣/٧١٤ وإرشاد العقل للعمادي ٩/١٨٥.

(٣) انظر كشاف الزمخشري ٤/٢١ والأنموذج الجليل لأبي بكر الرازي ٤٨١، ومدارك النسفي ٣/٤٢٢ وإرشاد العقل لأبي السعود ٨/١٤٤ والدر اللقيط لابن مكتوم ٨/١٤٢ وتبصير الرحمٰن للمهايمي ٢/٢٩٩ وتاج التفاسير للميرغني ١٧٨ وتنوير الأذهان للبروسنوي ٤/١٥٤ والمظهري للباني بتي ٩/٩٠-٩١وفتح المنان لشكري الألوسي ٤٥١؛ تفهيم القرآن ٥/١٥٥-١٥٦ للمودودي، وجواهر القرآن لغلام الله ٣/١١٨٠ وسمط الدر لشيخ القرآن الفنجفيري ١٨١، ٢١، والتبيان للرستمي ٨٤ ومسألة الوسيلة للشيخ الجوهر ١١٤.

فلم يكونوا يعارضون فيه، فلم يكن هو الغاية لإرسال الرسل وإنما المعترك، والمختلف فيه ومفترق الطرق هو توحيد العبادة الذي ناقضه المشركون، فأرسل الله تعالى الرسل عليهم السلام ـ ليدعوا الناس إلى تحقيقه؛ فعلم أن الرسل لم ترسل لتحقيق توحيد الربوبية؛ وإنما أرسلت لتحقيق توحيد الألوهية والدعوة إليه.

وفيما يلي أذكر بعض نصوص علماء الحنفية:

١ ـ قال الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ):

(اعلم أن التوحيد [أي توحيد العبادة] أول دعوة الرسل. . . .) ثم ذكر عدة آيات كريمات للبرهنة على أن الرسل عليهم السلام إنما أرسلت للدعوة إلى توحيد العبادة وتحقيقه، ثم ذكر عدة ميزات لتوحيد العبادة تدل على أهميته بين سائر أنواع التوحيد، وحقق أن الغاية إنما هو توحيد العبادة لا توحيد الربوبية ثم أشبع الرد على المتكلمين والصوفية في جعلهم توحيد الربوبية هو الغاية وبين أن أهل الملل والنحل من جميع أصناف المشركين كانوا معترفين بتوحيد الربوبية؛ فلا يمكن أن يكون هو الغاية كما لا يمكن إرسال الرسل لأجله).

٢ ـ ثم قال رحمه الله وتبعه العلامة نعمان الآلوسي (٣١٧هـ) واللفظ للأول:

(وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع[1] هو معنى قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ لاعتقادهم

(١) التمانع هو دفع كل إله إرادة إله آخر وعدم تنفيذها بحيث إذا أراد أحد الإلهين حركة زيد فيعارضه آخر ويريد سكونه. انظر شرح العقائد السلفية للتنفتازاني ٣١ و٣٢ و٤٣ والنبراس ١٥٥ وتحفة المريد للبيجوري ٦٠ وتبصرة الأدلة للنسفي ٣٦/أ ـ ٣٧/ب، وانظر مزيد التفصيل في كتابي الماتريدية ٨٥٩ـ٨٦٠ و ٨٧٩ـ٨٨٠ـ٨٨٥.

أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلٰهية الذي بينه القرآن، ودعت إليه الـرسل عليهم السلام وليس الأمر كذٰلك؛ بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلٰهية، المتضمن توحيد الربوبية؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد؛ كما أخبر تعالى عنهم بقوله:

﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان: ٢٥].

﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون الله قل افلا تذكرون﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٥].

ومثل هٰذا كثير في القرآن.

ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام: أنها مشاركة لله في خلق العالم؛ بل كان حالهم كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر[١] وغيرهم؛ تارة يعتقدون: أن هٰذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله؛ وهٰذا كان أصل شرك العرب؛ قال تعالى حكاية عن قوم نوح:

﴿... لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ [نوح: ٢٣]؛ وقد ثبت في صحيح البخاري[٢]، وكتب

---

(١) البربر: جيل من الناس متعدد القبائل يوجدون في الشام ويكثرون في الغرب وأقوام بين الحبوش والزنج على ساحل بحري الزنج واليمن.

راجع القاموس ٤٤٥ وتاج العروس ٣/٣٨-٣٩ وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر لابن خلدون ٢/٩.

(٢) رواها في ٤/١٨٧٣، وانظر عمدة القاري ١٩/٢٦١-٢٦٢ ط دار الفكر و ١٦/١١٩ ط البـاني وفيض البـاري للكشميري ٤/٢٥١-٢٥٢، والكـواكب الـدراري =

التفسير[1]، وقصص الأنبياء[2]، وغيرها[3].

عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف:

أن هٰذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح؛ فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، وأن هٰذه الأصنام بعينها صارت إلى قبائل العرب، ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما: قبيلة قبيلة).

٣ ـ ثم قال رحمه الله بعد كلام طويل:

(فعلم أن التوحيد المطلوب ـ هو توحيد الإلٰهية الذي يتضمن توحيد الربوبية)[4].

٤ ـ ولأحمد السرهندي الملقب عند الحنفية بالإمام الرباني مجدد الألف الثاني (١٠٣٤هـ) ـ كلام في أن توحيد العبادة غاية إرسال الرسل؛ لأن المشركين كانوا معترفين بتوحيد الربوبية ووجود الله تعالى وتوحيد العبادة أهم من توحيد الربوبية، فمن لم يحقق ما قاله الأنبياء من توحيد العبادة ـ لا يتخلص من الشرك[5].

٥ ـ وقال العلامة القاري (١٠١٤هـ):

= ١٨/١٦٦ للكرماني وفتح الباري ٨/٦٦٧ للعسقلاني، وإرشاد الساري للقسطلاني ٧/٤٠١.

(١) ورواها عبر الرزاق في تفسيره ٣/ ٣٢٠ وابن أبي طلحة انظر صحيفته ٥٠١-٥٠٢ وابن جرير في جامعه ٢٩/٩٨-١٠٠ والبغوي في معالمه ٨/٢٣٢-٢٣٣.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ٦٧.

(٣) البداية والنهاية ١/٩٨، وانظر تاريخ الطبري ١/ ١٧٩.

(٤) شرح الطحاوية ١٥-٢٣ ط دار البيان و ٧٤-٨١ ط المكتب الإسلامي وجلاء العينين ٥٢١-٥٢٢.

(٥) انظر الدرر المكنونات لمحمد المنزاوي ترجمة المكتوبات للسرهندي ٣/٦-٨، ونقله العلامة الخجندي في مفتاح الجنة ٧٨-٧٩.

(وفي فطر الخلق إثبات وجود الباري . . . ، يشير إليه قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان: ٢٥]؛ ولهذا لم يبعث الأنبياء إلا للتوحيد [أي توحيد العبادة]؛ لا لإثبات وجود الصانع . . .)[1].

٦ ـ وقال أيضاً في بيان سبب عدم تعرض الإمام أبي حنيفة لمباحث توحيد الربوبية:

(وقد أعرض الإمام عن بحث الوجود اكتفاءً بما هو ظاهر في مقام الشهود ففي التنزيل: ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان: ٢٥]؛

فوجود الحق ثابت في فطر الخلق، كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [الروم: ٣٠]، ويومىء إليه حديث «كل مولود يولد على فطرة الإسلام»[2]،

وإنما جاء الأنبياء عليهم السلام لبيان التوحيد [توحيد العبادة]، وتبيان التفريد؛ ولذا أطبقت كلمتهم، وأجمعت حجتهم على كلمة «لا إله إلا الله»، ولم يؤمروا بأن يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا: «الله موجود»؛ بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود؛ ردّاً لما توهموا وتخيلوا؛ حيث قالوا: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس: ١٨]، و﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى

---

(١) ضوء المعالي ٩٤.

(٢) رواه أبو داود ٥/٨٦ والترمذي ٤/٤٤٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ؛ ورواه البخاري ١/٤٥٦ ومسلم ٤/٢٠٤٧ عنه بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة. . .» الحديث.

الله زلفى﴾ [الزمر: ٣]؛ على أن التوحيد [توحيد العبادة] يفيد الوجود مع مزيد التأييد)[1].

٧ - وقال الشاه أنور الكشميري أحد كبار أئمة الحنفية (١٣٥٢هـ)[2]:

(واعلم أن كلمة الإخلاص لاستئصال الإشراك في العبادة دون الإشراك في الذات[3]،

وعليه [أي على توحيد العبادة] تنبني دعوة الأنبياء عليهم السلام؛ لأن منكري الربوبية، أو المشركين في الذات كانوا أقل قليل[4]، فلم يريدوا بتلك الكلمة [يعني لا إله إلا الله] إلا الرد على الذين كانوا يشركون في العبادة، [دون الربوبية]؛ كما حكى الله عنهم:

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣]، يعني[5]: أن

---

(١) منح الأزهر ١٦-١٧.

(٢) هو العلامة المحدث الفقيه محمد أنور شاه بن معظم شاه الملقب عند الديوبندية بإمام العصر، حنفي متعصب هالك ماتريدي متهالك نقشبندي حالك؛ وقد بالغ الديوبندية في الثناء عليه غلواً فيه فقالوا: بحر البحور عديم النظير بقية السلف حجة الخلف أمة وحده، جمع ميزات الذهبي وابن حجر وابن دقيق العيد والبحتري وسحبان وإعجاز الدين، مثل سفيان والبخاري وأحمد والترمذي والزهري بلا خلاف وله كلمة ماكرة سافرة شنيعة فظيعة في مجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب ولتلميذه البنوري الكوثري ترجمة له بعنوان نفحة العنبر وانظر مقدمة التصريح لأبي غدة الكوثري ومقدمة فيض الباري وراجع كتابي الماتريدية ٩٨-٩٩، فإنه مهم جداً.

(٣) قلت لكن نفي الإشراك في العبادة مستلزم لنفي الإشراك في الذات كما أن توحيد الألوهية متضمن ومستلزم لتوحيد الربوبية. انظر ص ١٤٧.

(٤) قلت: لا توجد طائفة تنكر ربوبية الله أو تشرك بالله في ذاته انظر ص ١٤٥.

(٥) هكذا في الأصل، والصواب: «يعنون».

الله واحد، وهٰؤلاء مقربون إليه؛ والعياذ بالله؛ وقال تعالى: ﴿فإذا[1] ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إنهم[2] كانوا إذا قيل لهم لا إلٰه إلا الله يستكبرون﴾ [الصافات: ٣٥]، ولم يقل: «يجحدون»،

فعلم أنهم لم يكونوا منكرين لتلك الكلمة رأساً؛ لأن الاستكبار بعد العلم؛ وقد مر أن أول من بعث لدحض الكفر هو نوح عليه الصلاة والسلام، وقبله لم يكن إلا الإيمان فقط، ثم جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقابل قوم نمروذ، وكانوا مشركين في العبادة، فرد عليهم بأبلغ وجه وأتم تفصيل، وعلى هٰذا فالملة الإبراهيمية هي استئصال الإشراك في العبادة[3].

٨ ـ وقد احتج كثير من علماء الحنفية بكثير من الآيات؛

على أن توحيد العبادة هو غاية إرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأنهم لم يدعوا الناس إلى توحيد الربوبية؛ لأنهم كانوا معترفين به؛ وإنما دعوا الأمم إلى توحيد العبادة؛ لأن إشراكهم إنما كان في العبادة؛ دون الربوبية والخالقية والرازقية،

أذكر على سبيل المثال آيتين فقط:

٩ ـ الآية الأولى: قوله تعالى:

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦][4].

---

(١) في الأصل: «وإذا...» وهو خطأ.

(٢) في الأصل: «وإذا قيل لهم...» وهو غلط.

(٣) فيض الباري ١/١٠٤.

(٤) انظر كلام علماء الحنفية في تفسير هٰذه الآية في كشاف الزمخشري ٢/٤٠٩ =

١٠ ـ الآية الثانية: قوله تعالى:

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛

فهٰذه الآية ـ كما نرى ـ نص صريح على إجماع الأنبياء والمرسلين على أنهم أرسلوا للدعوة إلى توحيد العبادة، وأن توحيد العبادة ـ هو غاية إرسالهم وبعثتهم، وهٰذه الآية كالأولى دليل إجماعي على كون توحيد العبادة هو الهدف الأسمى وهو الغاية العظمى[1].

الوجه الخامس: أن توحيد العبادة غاية إنزال الكتب السماوية:

لقد صرح علماء الحنفية أن توحيد العبادة كما هو غاية إرسال الرسل، كذٰلك غاية إنزال الكتب السماوية؛ فلم تنزل الكتب الإلٰهية إلا

= ومدارك النسفي ٢/٢٠٤ وإرشاد العقل للعمادي ٥/١١٢-١١٣، وتنوير الأذهان للبروسوي ٢/٣٠٦، وروح المعاني للآلوسي ١٤/١٣٧، ١٣٩ وفتح المنان ٤٥١، والمظهري ٥/٣٣٩ وتفهيم القرآن للمودودي ٥٣٩-٥٤٠ وجواهر القرآن لحسين علي وغلام الله ٥٩٢-٥٩٧ وسمط الدرر لشيخ القرآن ٩٦-١٢٢ والتبيان للعلامة الرستمي ٨٤ والتنشيط له وقد سبق أن الإمام ابن أبي العز استدل بهٰذه الآية انظر ص ١٢٢.

(١) لقد سبق استدلال الإمام ابن أبي العز على هٰذه الآية انظر ص١٢٢ وراجع لبقية كلام علماء الحنفية في تفسيره هٰذه الآية.

الكشاف للزمخشري ٢/٥٦٩ والمدارك للنسفي ٢/٣٩٧ والدر اللقيط لابن مكتوم ٦/٣٠٣ وتبصير الرحمٰن للمهائمي ٢/٣٠ وتاج التفاسير للميرغني ٢/١٧ وروح المعاني للآلوسي ١٧/٣٢ وفتح المنان ٤٥١، والمظهري للباني بتي ٦/١٩١ وجواهر القرآن لحسين علي وغلام الله ٢/٧٠٩-٧١٤، وتنوير الأذهان للبروسوي ٢/٤٥٨ وصفوة التفاسير ٢/٢٥٩-٢٦٠ ومختصر تفسير ابن كثير كلاهما للصابوني ٢/٥٠٥ وتفسير العثماني ٤٢٠ وسمط الدرر لشيخ القرآن الفنجفيري ٢١-٢٢ و ١٠٩ والتبيان للعلامة الرستمي ٨٤ وتنشيط الأذهان له ٢٦١.

لتحقيق توحيد العبادة والدعوة إليه، وإليك بعض نصوص علماء الحنفية لتحقيق هٰذا المطلوب:

١ ـ قول الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ)، وقد سبق ضمن كلامه الطويل في الوجه السابق.

٢ ـ وقال شيخ القرآن الفنجفيري (١٤٠٧هـ) والعلامة الرستمي[١]، واللفظ للثاني:

(وسر جميع القرآن؛ بل جميع الكتب المنزلة اختصاص العبادة له تعالى كما قال ابن كثير رحمه الله: والدين كله يرجع إلى هٰذين المعنيين أي:

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[٢].

وكذا قيل: أنزل الله تعالى مئة كتب وأربعة[٣]؛ جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن[٤]، وجميع هٰذه الكتب الثلاثة في القرآن؛ وجميع معاني القرآن في المفصل[٥]، وجميع معاني المفصل في: ﴿إياك نعبد

---

(١) هو الشيخ عبد السلام الملقب بشيخ القرآن من كبار علماء الحنفية المعاصرة له جهود عظيمة في قمع القبورية وقلع شبهاتهم بياناً وبناناً تدريساً وتأليفاً تأثر بكتب الأئمة الثلاثة: شيخ الإسلام، وابن القيم الإمام ومجدد الدعوة، غير أن في كتبه بعض بدع الحنفية الماتريدية النقشبندية الديوبندية، وسمعت أنه قد تحصن كثيراً وكاد أن يكون من أهل الحديث حفظه الله ووفقه، وإيانا لما يحبه ويرضى آمين.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٥، ولفظه: قال بعض السلف: (الفاتحة سر القرآن وسرها هٰذه الكلمة: «إياك نعبد وإياك نستعين»).

(٣) لم أجده مسنداً عن السلف.

(٤) هٰكذا في الأصل ولعله خطأ، وكأن الصواب: «والزبور» لأن الشيء لا يكون ظرفاً لنفسه.

(٥) المفصلات عند الحنفية من سورة الحجرات إلى آخر القرآن ثم طوال المفصل =

وإياك نستعين﴾،

وقد مرّ معنا: أنه روي عن ابن عباس رضي الله عنه[1]: «**لكل شيء لبـاب ولباب القرآن حواميم**»[2]؛ وخلاصة الحواميم السبعة[3] في **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**[4].

بل العبادة سر خلق الإنس والجن؛ قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـدون﴾** [الـذاريات: ٥٦]، وهي سر بعثـة جميع الرسل والأنبياء قال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسـولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** [النحل: ٣٦]، ثم ذكر عدة آيات أخرى للبرهنة على ذلك، ورمز إليها بالأرقام، وأنه أول ما دعا إليه الرسل عليهم السلام أممهم:

انظر الأعراف **٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥** وهود **٢٦، ٥٠، ٦١، ٨٤** ومريم **٤١، ٤٤**، والشعراء **٧٠-٧٢** والعنكبوت **١٦، ١٧، ٣٦** والصافات **٨٥** -

---

= إلى البروج وأوساطه إلى البينة وقصاره إلى الناس. انظر البحر الرائق ١/ ٣٤٠، وراجع عمدة الرعاية للكنوي ١/ ١٥٠ والإتقان للسيوطي ١/ ١٨٠.

(١) هكذا في الأصل والصواب: «عنهما».

(٢) لقد كره بعض السلف كابن سيرين: أن يقال: «حواميم»، بل يقال: «آل حم»؛ رواه عن ابن سيرين أبو عبيد في فضائل القرآن ١٣٨، وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٦٩، ولكن روى ابن ضريس البجلي رواية ورد فيها: «الحواميم» ولكنها منقطعة، انظر فضائل القرآن له ١٢٥ تحقيق غزوة بدر و ٢٠١ تحقيق د. مسفر الغامدي.

(٣) وهي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٣٧ تحقيق الغاوجي بـلفظ: «إن لكل شيء لباباً ولباب القرآن آل حاميم» أو قال «الحواميم».

٨٦، وغيرها؛ ثم قال: (ففي هذه المواضيع تفصيل دعوة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم[1] إلى عبادة الله وحده؛ فثبت أن سر بعثة جميع الأنبياء هو العبادة لله وحده. . . ، فثبت أن مقصود نزول القرآن دعوة العباد إلى عبادة الله وحده والرد على الذين أشركوا مع الله في العبادات: من السجدة لغير الله، والحج، والنذر لغير الله؛ وغير ذلك من العبادات. . .)[2].

٣ ـ وقال العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ)[3]:

(اعلم أن الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم، والرازق لهم، ونحو ذلك؛ فإن هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل)؛

ثم ذكر عدة آيات كريمات لتحقيق أن المشركين كانوا معترفين بتوحيد الربوبية، وأن إشراكهم إنما كان في العبادة، وأن حقيقة إشراكهم هي التوسل والتشفع بالصالحين قربة وتوصلاً إلى الله تعالى، كما هو طريقة القبورية اليوم في التوسل الشركي إلى الله عزَّ وجلّ[4].

---

(١) في الأصل «لقوامهم» وهو خطأ.

(٢) التبيان في تفسير أم القرآن ٨٤ـ٨٦ وسمط الدرر ٢٠ـ٢٩.

(٣) هو محمد بشير بن بدر الدين بن صدر الدين العمري الهندي؛ كان إماماً في المعقول والمنقول، وكان محدثاً وفقيهاً، وكان من كبار علماء الحنفية أخذ الحديث عن الإمام حسين بن محسن الأنصاري اليماني (١٣٢٧) ويجله إلى الغاية، وكان النواب صديق بن حسن ملك بهوبال (١٣٠٧) يكبره إكباراً، وناظر أحمد بن زيني دحلان (١٣٠٤) بمكة إمام القبورية الوثنية في عصره، فأفحمه وألقمه الحجر، وصرعه وكسره فانكسر * وطلب الوصول إلى الحق حتى صار من كبار أئمة أهل الحديث والسنة والأثر رحمه الله. ترجمته في نزهة الخواطر ٨/٤١٥ـ٤١٦ والأعلام ٦/٥٣ والمعجم ٩/١٠٣ وله ترجمة في بداية «صيانة الإنسان» منقولة عن «الياقوت والمرجان في ذكر علماء سهسوان».

(٤) صيانة الإنسان ١٦٤.

٤ ـ قلت: هذا الذي قاله هؤلاء العلماء الثلاثة يدل عليه كلام غيرهم من علماء الحنفية[1].

الوجه السادس: أن توحيد العبادة غاية الجهاد فقد استدل علماء الحنفية على ذلك بقول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» الحديث[2].

وقوله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» الحديث[3].

فقد سبق أن الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) رحمه الله استدل به على كون توحيد العبادة هو الغاية دون توحيد الربوبية[4].

الوجه السابع: أن توحيد العبادة غاية فتح البلاد * فيطبق بعد الجهاد على العباد؛ ليعبدوا رب العباد * ويخلعوا كل ما يعبد من دون الله من الأصنام والأوثان والطواغيت والأنداد * فقد قال سبحانه وتعالى:

---

(١) راجع كشاف الزمخشري (٥٣٨هـ) ٢/٢٥٨، ٤٠٠ و ٤/٢٧٥، والمدارك للنسفي (٧١٠هـ) ٢/٤٢، ١٩٥ و٣/٧١٤، والدر اللقيط لابن مكتوم (٧٤٩هـ) ٥/١٩٩، ٢٧٢، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي (٩٨٢هـ) ٤/٦٠، ١٨٣ و٥/٩٥-٩٦ و٩/١٨٥، وتنوير الأذهان للبروسوي (١٣٧هـ) ٢/١٦٥، ٢٩٨، والمظهري للباني بتي (١٢٢٥هـ) ٥/٣٢٥، وجواهر القرآن لحسين علي ١٣٦٢هـ ٢/٤٩٤-٤٩٥.

(٢) رواه البخاري ١/١٧ ومسلم ١/٥٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ١/٥٢.

(٣) رواه البخاري ٣/١٠٧٧-١٠٧٨ ومسلم ١/٥٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري ٢/٥٠٧ و ٦/٢٥٣٨، ٢٦٥٧ ومسلم ١/٥١-٥٢ عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم.

(٤) انظر ما سبق في ص ١٢٢.

﴿**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود**﴾ [البقرة: ١٢٥].

ولعلماء الحنفية كلام في تفسير هٰذه الآية يدل على أن المراد من التطهير تطهير البلاد * من عبادة العباد وتخليتها من الشرك والأنداد وتحليتها بالتوحيد وعبادة رب العباد(١) *.

الوجه الثامن: أن توحيد العبادة أول دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد سبق ذكر الآيات الدالة على هٰذا المطلوب؛ سياق كلام الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) رحمه الله وغيره من علماء الحنفية(٢).

الوجه التاسع: أن توحيد العبادة ـ كما هو أول دعوة الرسل ـ كذٰلك هو آخر الرسل ووصيتهم صلى الله عليهم وسلم؛ دل عليه قوله تعالى:

﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب...**﴾ الآية [البقرة: ١٣٢] وقوله تعالى: ﴿**أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي...**﴾ الآية [البقرة: ١٣٣].

قلت: لعلماء الحنفية كلام في تفسير هاتين الآيتين يدل على هٰذا المطلوب(٣).

---

(١) انظر تأويلات الماتريدي (٣٣٣هـ) ١/٢٤٧، وبحر العلوم للسمرقندي (٣٧٥هـ) ١/٤٧٧، وكشاف الزمخشري (٥٣٨هـ) ١/٣١٠، ومدارك النسفي (٧١٠هـ) ١/٨٧، والدر اللقيط لابن مكتوم (٧٤٩هـ) ١/٣٨١، وإرشاد العقل لأبي السعود العمادي (٩٨٢هـ) ١/١٥٨ وتنوير الأذهان للبروسوي (١١٣٧هـ) ١/١٠٥، والمظهري للباني بتي (١٢٢٥هـ) ١/١٢٨، وتاج التفاسير للميرغني (١٢٦٨هـ) ١/٢٦ وروح المعاني للآلوسي (١٢٧٠هـ) ١/٣٨٠-٣٨١، وجواهر القرآن لحسين علي (١٣٦٢هـ) ١/٦٤.

(٢) راجع ص ١٢٢.

(٣) انظر تأويلات الماتريدي (٣٣٣هـ) ٢٦٤، وبحر أبي الليث السمرقندي =

الوجه العاشر: أن توحيد العبادة أول واجب في الإسلام فقد صرح له علماء الحنفية الذين عرفوا حقيقة توحيد الرسل.

١ ـ ٢ ـ فقد تقدم قول ابن أبي العز (٧٩٢هـ)، والعلامة القاري (١٠١٤هـ) رحمهما الله تعالى وتصريحهما بهٰذا المطلوب:

من أن السلف كلهم متفقون على أن أول ما يجب على العبد الشهادتان، وأن التوحيد أول الأمر[1].

٣ ـ قلت: وأصرح ما يحتج به على هٰذا المطلوب قول النبي ﷺ في توجيهه معاذاً إلى اليمن وإرشاده ووصيته له:

«... فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...»[2].

٤ ـ وللإمام البدر العينتابي (٨٥٥هـ) في شرح هٰذا الحديث كلام يحقق أن توحيد العبادة أول واجب على العبد[3].

الوجه الحادي عشر: أن توحيد العبادة ـ كما هو أول واجب ـ كذٰلك هو آخر واجب، فهو أول الأمر وآخر الأمر؛ فتوحيد العبادة، كما هو أول ما يدخل به العبد في الإسلام كذٰلك يجب عليه أن يخرج به من الدنيا.

= (٣٧٥هـ) ١/٤٨٦، وكشاف الزمخشري (٥٣٨هـ) ١/١٣١٢، ومدارك النسفي (٧١٠هـ) ١/٩٠، والدر اللقيط لابن مكتوم (٧٤٩هـ) ١/٤٠٢، وتبصير الرحمٰن للمهايمي (٨٣٥هـ) ١/٦٠، وإرشاد العقل للعمادي (٩٨٢هـ) ١/١٦٣، وتنوير الأذهان للبروسوي (١١٣٧هـ) ١/١١٠-١١١، والمظهري للباني بتي (١٢٢٥هـ) ١/١٣٤، وروح المعاني للآلوسي (١٢٧٠هـ) ١/٣٨٨، ٣٩١، وجواهر القرآن لحسين علي (١٣٦٢هـ) ١/٦٦، ٦٧.

(١) انظر ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢) رواه البخاري ٢/٥٢٩، ومسلم ١/٥١ عن معاذ رضي الله عنه، وانظر ما سيأتي.

(٣) انظر عمدة القاري ٨/٢٣٥، ٢٣٦ ط دار الفكر و ٧/١٦٠-١٦٢ ط البابي.

١ ـ صرح بذلك الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) رحمه الله واستدل على هذا المطلوب بقول النبي ﷺ:

«من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة»[١].

٢ ـ وأشار إليه العلامة القاري (١٠١٤هـ)[٢].

قلت: وأصح منه حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً:

«من مات وهو يعلم أنه (لا إله إلا الله) دخل الجنة»[٣].

وهذا الحديث يقيد الحديث الأول وأمثاله؛ فإنه لا يكفي مجرد القول بل لا بد من العلم والاعتقاد الجازم المنافي للشك؛ كما صرح به علماء الحنفية في شرح الحديث الأول وفي شرح هذا الحديث[٤].

٣ ـ قلت: لأجل أن توحيد العبادة آخر واجب على المرء ـ اهتم علماء الحنفية بتلقين المحتضر كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»[٥].

واستدلوا بحديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً:

«لقنوا موتاكم: (لا إله إلا الله)»[٦].

---

(١) رواه أبو داود ٣/٤٨٦ وأحمد ٥/٢٣٣ و ٢٤٧ والحاكم ١/٣٥١ عن معاذ رضي الله عنه وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص عليه، وذكره البخاري معلقاً في صحيحه ٤١٧/١، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير ٥٤٠ وأقره المناوي في فيض القدير ٢٠٦/١، وصححه الألباني في عدة من كتبه انظر صحيح الجامع الصغير ٣٤٢/٣.

(٢) انظر المرقاة ٤/٨٤.

(٣) رواه مسلم ١/٥٥ وأحمد ١١/٦٥ وابن حبان ١/٤٣١ والنسائي في عمل اليوم والليلة ٥٦٧ وأبو عوانة ١/٧ والحاكم ١/٧٢، وقال: متفق عليه، ووافقه الذهبي، لكني لم أجده في صحيح البخاري.

(٤) انظر المرقاة ١/٢٠٠ و ٤/٨٨.

(٥) انظر المرقاة ٤/٨٣-٨٤ وفتح الملهم للعثماني ٢/٤٦٥-٤٦٦.

(٦) رواه مسلم ٢/٦٣١ وأبو داود ٣/٤٨٧ والترمذي ٣/٢٩٧ والنسائي ٤/٥ وابن =

٤ ـ قال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) في شرح هٰذا الحديث:

(هٰذا غاية الإحسان بالمحتضر بحسب صلاح معاده، وإنما خص «لا إلٰه إلا الله»؛ لأنه أفضل الذكر مشتمل على التوحيد ونفي الإشراك وأنوه أذكار الإسلام)[1].

٥ ـ وللعلامة القاري كلام مهم فليراجع[2].

الوجه الثاني عشر: أنه لا يدخل العبد في الإسلام بأية كلمة إلا بكلمة توحيد العبادة، التي هي كلمة الإسلام:

وهي كلمة: «لا إلٰه إلا الله» دون غيرها من الكلمات:

١ ـ قال العلامة الخجندي (١٣٧٩هـ) رحمه الله[3]:

(اعلم أن «لا إلٰه إلا الله» ـ هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام؛ فمن قالها ـ عالماً بمعناها، ومعتقداً إياها ـ فقد دخل في الإسلام وصار من أهل دار السلام «الجنة»؛ وأما من قال:

= ماجه ١/٤٦٤.

(١) حجة الله البالغة ٢/٣٥ ط السلفية و ٢/٨٩ ط دار إحياء العلوم.

(٢) المرقاة ٤/٨٣ـ٨٤.

(٣) لقد ترجم رحمه الله لنفسه، فهو أبو عبد الكريم محمد سلطان بن محمد أورون، المعصومي ـ نسبة إلى جده الأعلى: محمد معصوم ـ الخجندي نسبة إلى بلده «خُجَندة» من بلاد ما وراء النهر على شاطىء سيحون؛ كان من كبار علماء الحنفية علامة في الفنون النقلية والعقلية، ثم صار من أهل الأثر وكان صارماً مسلولاً على القبورية والمقلدة المتعصبة بياناً وبناناً تدريساً وتصنيفاً، قاسى أنواع من البلايا في سبيل الله وأوذي فصبر، كدأب الربانيين؛ حتى هاجر من بلاده مختلفاً من سلطات السوفييت فاراً بدينه إلى الحرمين، رحمه الله. ترجمته مطبوعة مع كتابه حكم الله الواحد الصمد ٤٥ـ٩٩.

«لا خالق إلا الله»،

أو «لا رازق إلا الله»،

أو «لا رب إلا الله»،

أو «لا موجود إلا الله»،

أو «الله موجود»،

أو نحو ذلك.

فلا يكون مسلماً، ولا يكون من أهل دار السلام، وهذه الكلمات ـ وإن كانت حقّاً[1]؛ لكن يشرك في القول بها سائر الناس: من المشركين، والمجوس، والنصارى، واليهود، وغيرهم، سوى الدهرية المادية[2]؛ كما يشهد القرآن بذلك؛ فقد ثبت بهذا التحقيق: أن الذكر النافع المنجي من عذاب الله ـ إنما هو: «لا إله إلا الله»؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ:

«أفضل الذكر «لا إله إلا الله»»[3].

---

(١) غير قولهم: «لا موجود إلا الله» فإنه من كفريات الاتحادية ٦٤٩ـ٦٥١.

(٢) يقال: الدهرية: من يسندون الحوادث إلى الزمان، ولا يقولون بوجود الله تعالى، راجع روح المعاني ٢٥/١٥٣، قلت: لا توجد فرقة تنكر وجود الله تعالى وربوبيته وخالقيته مطلقاً من حيث التدين والاعتقاد ولكن قد يكون الشخص منكراً لوجود الله قولاً استكباراً وعناداً لا تديناً ولا اعتقاداً، فإن أكبر ملحد على وجه الأرض كان فرعون، وهو مع ذلك لم ينكر وجود الله تعالى، فإنه كان مستكبراً معانداً جاحداً ولم يكن منكراً في قلبه تديناً واعتقاداً، راجع شرح الطحاوية ١٨ـ١٩ ط دار البيان، و ٧٧ـ٧٨ ط المكتب الإسلامي.

(٣) رواه الترمذي ٥/٤٦٢ وابن ماجه ٢/١٢٤٩ والنسائي في الكبرى ٦/٢٠٨ وفي عمل اليوم والليلة ٤٨١ وابن حبان (الإحسان) ٣/١٢٦ والحاكم ١/٤٩٨ و ٥٠٣ وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي. وحسن إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الإحسان لابن بلبان ٣/١٢٦.

فما يتداوله العوام * ومن يدعي العلم والدين من الطغام *
من قولهم: «الله موجود»، أو «لا رب إلا الله» أو «لا خالق إلا الله»، أو نحو ذلك، فليس من خصائص دين الإسلام، ولا من خصائص المسلمين؛ بل يشترك فيه المشركون، واليهود، والنصارى، والمجوس؛ فتنبه وتدبر، ولا تكن أعمى، وأصم، تقلد كل ناعق وناهق)[1].

٢ ـ وقال رحمه الله: (و «لا إله إلا الله» ـ هي كلمة الإخلاص المنافية للشرك، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله. . .)[2].

٣ ـ وقال رحمه الله تعالى: (. . ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الإسلام * ومفتاح دار السلام * والفارق[3] بين المؤمنين والكافرين من الأنام *)[4].

٤ ـ قلت: من الكلمات التي ظنها كثير من الأعلام * فضلاً عن العوام الطغام * مفيدةً للتوحيد، وتتردد على ألسنتهم وتستطر في كتبهم: كلمة: «لا مقصود إلا الله»[5]؛

مع أنها من خرافات الصوفية * ومصطلحاتهم الخرافية؛ فإنهم يزعمون: أنهم يعبدون الله تعالى لله؛ لا طمعاً في الجنة ولا نجاة من النار

---

(١) مفتاح الجنة ٤٠، ٤١.

(٢) المرجع نفسه ٦٢.

(٣) هكذا في الأصل، والصواب: «والفارقة»، إلا أن يكون: «الفارق» صفة لكلمة: «الحد».

(٤) مفتاح الجنة ٦٧.

(٥) انظر الدرر المكنونات لمحمد مراد المنزاوي، ترجمة المكتوبات للإمام الرباني ٨/٣ وتنشيط الأذهان للعلامة الرستمي ٧ وضياء القلوب لإمداد الله ٣٩ وإرشاد المرشد له ٨٥.

والذين يعبدون الله طمعاً في الجنة وخوفاً من النار ـ فهم في الحقيقة ليسوا من الموحدين الكاملين، بل هم من الأجراء العمال العاملين؛ لأن كل ما هو مقصود فهو معبود[1].

٥ ـ وهذا في غاية من الفساد والإفساد * والضلال والإضلال *

ومناقض لمنهج الأنبياء والمرسلين، فهو في نهاية من الإبطال *؛ فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿أُولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أَيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [الإسراء: ٥٧] وقال جلَّ وعلا: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال سبحانه: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً. . .﴾ [السجدة: ١٦]، وللإمام الآلوسي (١٢٧٠هـ) كلام في تفسير هاتين الآيتين لتحقيق أن العبادة لرجاء الجنة وخوف النار لا ينافي الإخلاص المقصود في التوحيد والكمال[2] وللإمام ابن أبي العز(٧٩٢هـ) كلام مهم في الرد على هؤلاء الصوفية[3] وقد صرح الحنفية أن الإيمان بين الخوف والرجاء[4].

---

(١) انظر قوت القلوب لأبي طالب المكي الصوفي (٣٨٦هـ) ٢/٥٦، وإحياء الغزالي الصوفي (٥٠٥هـ) ٤/٣٣٤، ٣٣٥، ٣٧٥، والأنوار القدسية للشعراني الوثني (٩٧٣هـ) ٢/٣٤، وإتحاف الزبيدي القبوري (١٢٠٥هـ) ١٣/٦١-٦٢ ط الجديدة والحدائق الوردية للخاني ١٣٤هـ الأنوار القدسية للسنهوتي ١٣٥ والمواهب السرمدية للأربلي ٣١٦.

(٢) روح المعاني ١٥/١٠٠ و ١٧/٨٧ وراجع الأمد الأقصى للدبوسي ٣٥٠.

(٣) انظر شرح الطحاوية ٥٨٨ ط دار البيان.

(٤) انظر فتح الملهم للعثماني ١/٢٠٥.

٦ ـ وقال العلامة القاري (١٠١٤هـ) محققاً أن كلمة الإسلام هي: «لا إله إلا الله» دون غيرها:

(وإنما جاء الأنبياء عليهم السلام لبيان التوحيد، وتبيان التفريد؛ ولذا أطبقت كلمتهم، وأجمعت حجتهم على كلمة «لا إله إلا الله»، ولم يؤمروا بأن يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا: «الله موجود»؛ بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود؛ رداً لما توهموا وتخيلوا؛ حيث قالوا:

﴿**هٰؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ [يونس: ١٨].

و ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [الزمر: ٣]...)[١].

الوجه الثالث عشر:

أن توحيد العبادة مستلزم ومتضمن لتوحيد الربوبية دون العكس.

فمن لم يحقق توحيد العبادة، واكتفى بتوحيد الربوبية ـ كان كافراً من الكافرين * ومشركاً من المشركين * وقد صرح بذلك علماء الحنفية:

١ ـ قال الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ):

(فلو أقر رجل بتوحيد الربوبية الذي يقر به هٰؤلاء النظار؛ ويفنى فيه كثير من أهل التصوف؛ ويجعلونه غاية السائلين، وهو مع ذلك لم يعبد الله وحده، و [لم] يتبرأ من عبادة ما سواه كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين)[٢].

---

(١) منح الأزهر ٧، وراجع كليات أبي البقاء ٩٧١.

وانظر أيضاً كلام غير الحنفية في تجريد التوحيد للمقريزي ٥ ومجموع الفتاوى ٢/١٤ ودرء التعارض ٨/١١ و ٩/٣٧٨.

(٢) شرح الطحاوية ٨٣ ط المكتب و ٢٦ ط دار البيان، وانظر أيضاً مفتاح الجنة للخجندي ٤١-٤٢ و ٦٨، ٧١، ورد الإشراك للشاه إسماعيل الدهلوي ١٥ ولغير الحنفية من أهل السنة أيضاً كلام مهم في هٰذا الصدد؛ انظر بيان تلبيس الجهمية ١/٤٧٨-٤٧٩ =

٢ ـ وقد سبق كلام الإمام ابن أبي العز والعلامة نعمان الآلوسي في أن توحيد العبادة متضمن ومستلزم وقوعاً لتوحيد الربوبية دون العكس[1].

٣ ـ وقال العلامة القاري (١٠١٤هـ):

الحاصل: أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية، دون العكس في القضية؛ لقوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**﴾ [لقمان: ٢٥].

وقوله سبحانه حكاية عنهم:

﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [الزمر: ٣]. . .)[2].

قلت: هذه كانت أحد عشر كوكباً؛ والشمس والقمر:

ميزات وخصائص كبرى لتوحيد العبادة وهي تدل على أهميته إلى الغاية؛ وأنه هو الغاية العظمى والمقصد الأسنى، والهدف الأسمى والمطلب الأعلى، الجامع المتضمن لتوحيد الربوبية، المستلزم لتوحيد الأسماء والصفات.

وهذا يدل على أن القبورية الذين عبدوا القبور وأهلها بأنواع من العبادات من الاستغاثة بهم والنذر لهم، والغلو فيهم ونحوها قد أخلوا بأعظم الغاية على الإطلاق، وأشركوا بالله في أهم المطالب بالاتفاق.

وبعد أن عرفنا أهمية توحيد العبادة ـ ننتقل إلى الفصل الآتي لنعرف أركان توحيد العبادة وشروط صحته وبالله التوفيق.

= والتدمرية ١٧٩ـ١٨٠، ومجموع الفتاوى ٣/٩٨ـ١٠٢ وكتاب التوحيد ١٧١ـ١٧٢، كلها لشيخ الإسلام.

(١) انظر ص ١٣٠ وانظر شرح الطحاوية ٣٠ ط دار البيان و ٨٧ المكتب وجلاء العينين ٥٢١.

(٢) منح الأزهر ١٥، ١٧.

الفصل الرابع

في أركان[1] توحيد الألوهية وشروط صحته[2]

وفيه مبحثان:

- الأول: في بيان أركان توحيد الألوهية.

- الثاني: في بيان شروط صحة توحيد الألوهية.

---

(١) الركن لغة: جانب الشيء القوي، واصطلاحاً: ما يقوم به الشيء، أي ما يتركب منه الشيء، أو ما يتم به الشيء ويكون داخلاً فيه. التعريفات للجرجاني ١٤٩ وكليات أبي البقاء ٣٠٤ و ٤٨١.

(٢) الشرط: لغة العلامة، والجمع أشراط، واصطلاحاً ـ والجمع شروط ـ ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عنه، أي لا يكون ركناً وجزءاً داخلاً في الشيء. تعريفات الجرجاني ١٦٦، وكليات أبي البقاء ٣٠٤، ٥٠٤.



المبحث الأول
في بيان أركان توحيد العبادة

بعد أن عرفنا أهمية توحيد العبادة وميزاتها لا بد أن نعرف أركانه لنعلم أن توحيد العبادة مركب من جزئين هما ركنان له؟ وليكون هٰذا كله أبلغ رد على القبورية فإنهم قد أخلوا بأركان توحيد العبادة وأشركوا بالله تعالى؛ فأقول: إن علماء الحنفية قد صرحوا أن توحيد العبادة متركب من ركنين أساسيين وجزئين مهمين، لا يمكن وجوده إلا بهما ولا قوام له إلا بوجودهما معاً؛ وهما كما يلي:

الركن الأول: النفي؛ أي نفي جميع ما يعبد من دون الله، باعتقاد أن كل إله غير الله، فهو باطل؛ فلا يستحق العبادة أحد غير الله تعالى؛ وإذا لم يتحقق هٰذا الركن الأول لم يتحقق توحيد العبادة البتة.

الركن الثاني: الإثبات؛ أي إثبات أن الله تعالى هو وحده إله حق، مستحق للعبادة وحده لا شريك له فكلمة الإسلام مركبة من جزئين هما ركنان لها.

الأول: «لا إله» وهو النفي، والثاني: «إلا الله»، وهو الإثبات.

ووجه تقديم النفي على الإثبات ما قاله العلامة الخجندي (**١٣٧٩هـ**) بعد ذكر أن الأغذية لا تنفع ما دام المرض موجوداً:

(فكذلك الإنسان ما دام مبتلى بمرض القلب بالشرك ونحوه لا تنفعه عبادة وطاعة أصلاً.

ولهذا أجمعوا على أن التخلية مقدمة على التحلية، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله».

تنفي أولاً الآلهة الأنفسية والآفاقية، ثم تثبت الإله الواحد الأحد الحق الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)[1].

وفيما يلي بعض نصوص علماء الحنفية لتحقيق هذا المطلوب:

١ - قال الإمام ابن أبي العز (٧٩١هـ)، في شرح قول الإمام الطحاوي (٣٢١هـ).

٢ - والعلامة القاري (١٠١٤هـ)، واللفظ للأول: «ولا إله غيره» بعد قوله: «إن الله واحد»:

(هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم؛ كما تقدم ذكره؛ وإثبات التوحيد لهذه الكلمة، باعتبار النفي والإثبات - المقتضي للحصر[2] فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال؛ ولهذا - والله أعلم -.

لما قال الله: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [البقرة: ١٦٣]؛ قال بعده: ﴿لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [البقرة: ١٦٣]؛ فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني:

هب أن إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره؛ فقال تعالى: ﴿لا إله إلا هو

---

(١) مفتاح الجنة ٦٤.

(٢) الحصر: إثبات الحكم للشيء ونفيه عما عداه. كليات أبي البقاء ٣٨٣ وانظر تعريفات الجرجاني ١١٨ ويسمى «القصر» وهو لغة: الحبس واصطلاحاً: تخصيص شيء بشيء، انظر مختصر المعاني للتفتازاني ١٣١.

الرحمٰن الرحيم . . . ﴾[1].

٣ ـ ١٥ ـ وقريب منه كلام لكثير من علماء الحنفية في تفسير هٰذه الآية وتحقيق أن توحيد العبادة قائم على الركنين مؤسس على دعامتين ومركب من جزئين، وهما النفي والإثبات[2].

١٦ ـ وقال القاري (١٠١٤هـ) في بيان أهمية الركن الثاني :

(والمقصود الأعظم ـ هو إثبات الإلٰهية لله تعالى ـ بعد نفيها عن غيره)[3].

١٧ ـ ثم قال في بيان أهمية الركن الأول: (لا نزاع في ثبوت إلٰهية مولانا ـ جلَّ وعزَّ ـ لجميع العقلاء وإنما كفر من كفر بزيادة إلٰه آخر؛ فنفى ما عداه ـ تعالى ؛ على هٰذا هو المحتاج إليه، وبه يحصل التوحيد)[4].

١٨ ـ وقال الشيخ أحمد السرهندي الملقب عند الحنفية بالإمام الرباني، ومجدد الألف الثاني (١٠٣٤هـ)، في بيان أهمية الركن الأول وهو النفي :

---

(١) شرح الطحاوية ٥٥ـ٥٦ ط دار البيان و ١١١ ط المكتب والتجريد للقاري ٣٣ـ٣٤.

(٢) انظر تأويلات الماتريدي (٣٣٣هـ) ١/٣٠٦. وبحر العلوم للسمرقندي (٣٧٥هـ) ١/٥٢٤، وكشاف الزمخشري (٥٣٨هـ) ١/٣٢٥، والأنموذج للرازي (٦٦٦هـ) ٣٢، ومدارك النسفي (٧١٠هـ) ١/١٠٥، والدر اللقيط لابن مكتوم (٧٤٩هـ) ١/٤٦٢، وتبصير الرحمٰن للمهايمي (٨٣٥هـ) ١/٦٦، وإرشاد العقل للمعمادي (٩٨٣هـ) ١/١٨٣، والمظهري للباني بتي (١٢٢٥هـ) ١/١٥٩، والتفسير العزيزي لعبد العزيز الدهلوي (١٢٣٩هـ) ٢/٩٠٤ـ٩٠٥، وروح المعاني للآلوسي (١٢٧٠هـ) ٢/٣٠، وجواهر القرآن لحسين علي (١٣٦٢هـ) ١/٧٩.

(٣) التجريد ٢٩.

(٤) المرجع نفسه ٣٢.

(والمتشبث بمجموع أحكام الإسلام والكفر ـ مشرك؛ والتبرؤ من الكفر شرط الإسلام؛ والاجتناب عن شائبة الشرك ـ توحيد؛ والاستمداد من الأصنام، والطواغيت ـ في دفع الأمراض والأسقام ـ كما هو الشائع فيما بين جهلة أهل الإسلام ـ عين الشرك، والضلالة؛ فيكفرون من حيث لا يشعرون؛ ونذر الحيوان للمشايخ، وذبحه عند قبورهم ـ داخل في الشرك؛ ولا يجوز إشراك أحد به تعالى في عبادة من العبادات، وطلب الحاجات من غير الله ـ عين الضلالة وتسويل الشيطان الرجيم)(١).

١٩ ـ وللعلامة نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ) كلام قيم في تحقيق الركن الأول، وهو النفي أي البراءة من أفعال الكفر والشرك وعدم ارتكاب ما ينافي كلمة التوحيد، وأن من ارتكب ما يوجب الكفر ولو أقر بكلمة التوحيد؛ فقد كفر وحبط عمله وتبين زوجته، وخرج من دين الإسلام(٢).

٢٠ ـ وللعلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) كلام مهم في تحقيق أن القبورية لا تنفعهم كلمة التوحيد ما داموا مرتكبين للشرك وعبادة غير الله، وإن هم زعموا أنهم لا يعبدون غير الله(٣).

٢١ ـ وقال العلامة الخجندي ـ في تحقيق هٰذين الركنين ـ بعد ما ذكر عدة قبور جعلت أوثاناً تعبد من دون الله ـ في بلاد ما وراء(٤) النهر:

---

(١) المكتوب السابع عشر من المجلد الثالث من مكتوبات الشيخ أحمد السرهندي على ما قاله ونقله عنه بهٰذا الحرف والنص والفص، العلامة الخجندي في مفتاح الجنة ٨٠، ولٰكن لم أجده في الدرر المكنونات لمحمد مراد المنزاوي ترجمة المكتوبات لأحمد السرهندي في المكتوب السابع عشر من المجلد الثالث ص ١٧-٢٦؟!.

(٢) انظر غالية المواعظ ١/٣٤-٣٥، قلت: هٰذا بعد إتمام الحجة عليه.

(٣) فتح المنان ٤٥٢-٤٥٣.

(٤) ما وراء نهر جيحون بخراسان من الجانب الشرقي وهي من أنزه الأقاليم معجم =

بلخ[1]، وبخارى[2]، وسمرقند[3] وتركستان[4] وخجندة[5]، وكاشغر[6]، وقونية[7]، والعراق، وكربلاء، ودمشق، ومصر، والقاهرة، وطنطا:

(أو غيرها من القبور التي يعظمونها ويعبدونها وينذرون لها ويتوجهون إليها. . .، فصارت كل هٰذه القبور كالتي ذكرها الله تعالى في كتابه؛ فلا يكون إيمان العبد صحيحاً حتى يكفر بهٰذه كلها؛ ويؤمن بالله وحده؛ وهٰذا معنى قوله تعالى:

﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**﴾ [البقرة: ٢٥٦]؛ وهٰذا معنى: «لا إله إلا الله»؛ فتنفي الآلهة كلها من كل الوجوه، وتثبت الإلٰه الحق الواحد الأحد الصمد الذي: ﴿**لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾؛ فهٰذا التوحيد الخالص إنما هو مفتاح الجنة بلا ريب ولا شبهة. . .؛ فقائل: «لا إلٰه إلا الله» يجب عليه أن يستمر عليه، وعلى موجبه؛ وأن لا يبطله بما ينافيه من الشرك، واتخاذ الأنداد، واعتقاد التصرف الغيبي لغير الله؛ وإلا بطل ولا تبقى له منفعة. . .؛ فلا بد من الاستمرار على التوحيد، وعلى كل ما يقتضيه التوحيد؛ ولا بد من الكفر

= البلدان ٥/٥٤.

(١) مدينة مشهورة بخراسان: معجم البلدان ١/٥٦٨، وهي الآن في أفغانستان.

(٢) من أعظم مدن ما رواء النهر ولها محاسن كثيرة، راجع معجم البلدان ١/٤١٩.

(٣) راجع كتابي الماتريدية ٥-٦ وهي في بلاد ما وراء النهر.

(٤) اسم جامع لبلاد الترك ولها مزايا كثيرة راجع معجم البلدان ٢/٢٧.

(٥) وهي مدينة العلامة الخجندي مشهورة ببلاد ما وراء النهر وقيل في وصفها: (ولم أر بلدة بإزاء شرق * ولا غرب بأنزه من خجندة *) معجم البلدان ٢/٣٩٧.

(٦) مدينة وقرى في وسط بلاد الترك. معجم البلدان ٤/٤٨٨.

(٧) من أعظم مدن بلاد الروم. معجم البلدان ٤/٤٧١.

بالطاغوت، وكل آلهة دون الله كما لا يخفى؛ فمن يقول: «لا إله إلا الله»، ثم يقول: إن الأرواح تنصر، وتمد، أو يدعو غير الله، أو يرجو غير الله، فقد أبطل قوله: «لا إله إلا الله»؛ بل أشرك بالله شركاً جلياً لا يغفره الله عزَّ وجلَّ فتنبه)[1].

٢٢ ـ وقال رحمه الله، في بيان أهمية هٰذين الركنين:

(وهٰذه الكلمة نفي، وإثبات: نفي الآلهة عما سوى الله تعالى من المخلوقات؛ حتى جبريل ومحمد عليهما السلام، فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين؛ وهٰذه الألوهية ـ هي التي تسميها العامة في زماننا: «السر والولاية»! و«الإلٰه» معنا: «الولي الذي فيه السر»؛ وذٰلك أنهم يظنون: أن الله تعالى جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن يلتجىء الإنسان إليهم، ويرجوهم، وليستغيث بهم، ويجعلهم «واسطة» بينه وبين الله تعالى؛ فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا: أنهم «وسائط» هم الذين يسميهم الأولون: «الآلهة»!!

و«الواسطة» هي «الإلٰه»؛ فقول المؤمن: «لا إله إلا الله» إبطال للوسائل؛ وغالب الذين غلوا في تعظيم الأولياء، وشيوخ الطرق، وأئمة آل البيت من السادة قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد، والطواف بقبورهم، وذبح القرابين لهم؛ وكانوا يجهلون: أنهم بهٰذا قد اتخذوهم «آلهة»...)[2].

٢٣ ـ وقال في بيان أهمية هٰذين الركنين: النفي والإثبات:

(فالله فالله يا إخواني!.

---

(١) مفتاح الجنة ٣٣-٣٦.

(٢) مفتاح الجنة ٣٩-٤٠.

تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه: ألا وهو شهادة أن «لا إله إلا الله»، واعرفوا معناها؛ واكفروا بالطواغيت وعادوهم. . . ، ولا شك: أن أول ما فرض الله تعالى على عباده الإيمان بالله، والكفر بالطاغوت؛ **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** [النحل: ٣٦]. . . ؛ فصفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها وتعاديهم؛ ومعنى الإيمان بالله:

أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده، دون من سواه، وتخلص كل أنواع العبادة لله وحده، وتنفيها عن كل معبود سواه، و «الطاغوت» عام في كل أنواع العبادة؛ فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة: من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله ﷺ.

فهو طاغوت. . . ؛

فالإنسان لا يكون مؤمناً بالله إلا بعد الكفر بالطاغوت؛ لقوله تعالى:

﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ [البقرة: ٢٥٦]. . .)[١].

٢٤ ـ وقال رحمه الله في بيان تحقيق هٰذين الركنين، ولا سيما الركن الأول: وهو «النفي»:

(فقد ثبت ثبوتاً بيناً: أن «لا إلٰه إلا الله»:

مفتاح دار السلام؛ ولٰكن بشرط كونها خالصة مخلصة؛ فلا بد: أولاً من الكفر [بالطاغوت]، والتبرؤ من كل الآلهة الآفاقية والأنفسية؛ ثم إثبات الواحد الأحد المعبود حقّاً؛ وأهم ما نفته هٰذه الكلمة ـ استحقاق العبادة

---

(١) مفتاح الجنة ٤٣-٤٤.

لغير الله نفياً كليّاً؛ ولأجل هذا أرسلت الرسل، وجردت السيوف؛ ومن لوازمها - العمل بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ من مقتضى هذه الكلمة؛ بلا تغيير، ولا تزييد: فمن المنفي: الربوبية والخالقية؛ فلا رب إلا الله، ولا خالق إلا الله؛ فمن اعتقد أن الملائكة، أو الأرواح تربي تربية بسلطة غيبية فقد أشرك بالله في الربوبية والخالقية؛ كما هو حال كثير من جهلة القبوريين والطرقيين[1].

ومن المنفي: القدرة؛ فلا قدرة لأحد إلا بالله؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله؛ فمن اعتقد أن الملائكة، أو الأرواح تقدر على شيء بنفسها فقد أشرك بالله في صفة القدرة والقادرية.

ومن المنفي: التصرف في الكون، والإحياء والإماتة؛ فلا متصرف في الكون إلا الله، ولا محيي إلا الله، ولا مميت إلا الله؛ فمن اعتقد: أن الملائكة والأرواح تتصرف في الكون، أو تحيي أو تميت. فقد أشرك بالله.

ومن المنفي: الحكم والتحليل والتحريم؛ فالحاكم الحق حقيقة هو الله وحده، وهو المشرع وحده، وهو المحلل وحده، وهو المحرِّم وحده؛ فلا حاكم إلا الله، ولا مشرع إلا الله، ولا محلل إلا الله، ولا محرم إلا الله.

فمن حكم بحل شيء لم يحله الله، أو حكم بحرمة شيء لم يحرمه الله، أو شرع ما لم يأذن به الله فقد أشرك بالله.

ومن المنفي: العبادة، والمعبودية؛ وهذا هو الأصل الذي أنزلت

---

(١) يعني طرق الصوفية: من القادرية والنقشبندية، والجستينية والسهروردية والشاذلية والرفاعية وغيرها. انظر الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود القاسم **٣٥٣-٣٧٥** فذكر مئتي طريق من طرق الصوفية القبورية.

هٰذه الكلمة لأجله، وأرسلت الرسل لأجله؛ فلا معبود حقاً إلا الله، ولا يعبد حقاً إلا الله: بأي نوع من أنواع العبادة.

وبالجملة. . . ؛ هٰذا هو معنى: «لا إله إلا الله»؛ فمن قالها لفظاً، ولٰكنه غير معناها، وأفسد تفسيرها، وعبد غير الله. فقد أتى ببهتان * فلا شك أن يصير من أهل الخسران *)[1].

٢٥ ـ وقال رحمه الله مبيناً أهمية هٰذين الركنين:

(واعلم أن مدلول: «لا إلٰه إلا الله»: التزام بعبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دون الله؛ وهٰذا أصل دين الإسلام وقاعدته؛ ولهٰذا كانت هٰذه الكلمة الإسلام * ومفتاح دار السلام * والفارق[2] بين المؤمنين والكافرين من الأنام *)[3].

قلت: هٰذه كانت أمثلة من نصوص علماء الحنفية في تحقيق الركنين لتوحيد العبادة: النفي، والإثبات، وهي أبلغ رد وأقمع للقبورية الذين أخلوا بهٰذين الركنين، وناقضوا التوحيد بعبادتهم القبور وأهلها أنواعاً من العبادات؛ فهٰذه النصوص تدل على أن التوحيد لا يمكن أن يوجد ويقوم إلا بهٰذين الركنين وهاتين الدعامتين، كما تصرح بأن القبورية ناقضوا التوحيد، فهم ليسوا من أهل التوحيد بل هم من أهل الشرك.

وإذا عرفنا ذلك ننتقل إلى المبحث الآتي لنعرف شروط صحة توحيد العبادة والله المستعان.

* * * * *

---

(١) مفتاح الجنة ٨١ـ٨٣.

(٢) هٰكذا في الأصل، والصواب: «والفارقة» انظر ما سبق في ١٤٤.

(٣) مفتاح الجنة ٦٧.

المبحث الثاني
في بيان شروط صحة توحيد العبادة

إن علماء الحنفية ـ كما اهتموا ببيان ركني التوحيد ـ كذلك اهتموا ببيان شروط صحة التوحيد، فذكروا لتوحيد العبادة عدة شروط، وصرحوا بأنه لا صحة للتوحيد إلا بعد توفر تلك الشروط، وكل ما أذكره عن الحنفية فهو رد على القبورية فإنهم قد أخلوا بتلك الشروط، بارتكابهم الشرك بسبب عبادتهم القبور وأصحابها فلم يصح توحيدهم. وفيما يلي بيانها:

الشرط الأول:

فهم معنى توحيد العبادة، والعلم به المنافي للجهل؛ فمن قال: «لا إله إلا الله» ولم يفهم معناها ـ لا يدخل في الإسلام، ولا يصح توحيده، ففهم معنى كلمة التوحيد من أعظم شروط صحة توحيد العبادة وأهمها ولما لم يعرف القبورية معناها، وما هو الإله، وما هي العبادة؟ لم يعرفوا ما يضاد التوحيد من الشرك بالله تعالى، فعبدوا القبور وأهلها بأنواع من العبادات.

فناقضوا كلمة التوحيد، وأشركوا بالله بأنواع من الإشراك[1].

وفيما يلي بعض نصوص علماء الحنفية في أهمية العلم بمعنى كلمة التوحيد:

---

(١) انظر تميز المحظوظين ٤١-٤٢ للعلامة الخجندي.

١ ـ قال الإمـام البـدر العينتـابي (٨٥٥هـ) في شرح قول الإمـام البخاري (٢٥٦هـ):

(باب العلم قبل القول والعمل؛ لقوله تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم)[١].

(أي هٰذا باب في بيان أن العلم قبل القول والعمل: أراد أن الشيء يعلم أولاً، ثم يقال، ويعمل به؛ فالعلم مقدم عليهما بالذات، وكذا مقدم عليها بالشرف؛ لأنه عمل بالقلب، وهو أشرف أعضاء البدن...؛ وقال ابن المنير[٢]: أراد: أن العلم شرط في صحة القول والعمل؛ فلا يعتبران إلا به؛ فهـو متقـدم عليهما؛ لأنه مصحح النية المصححة للعمل؛ فنبه البخاري على ذلك[٣])[٤].

٢ ـ وقال الملا علي القاري (١٠١٤هـ):

(يتعين على كل موقن أن يعتني بشأنها [كلمة التوحيد] مبنىً معنىً، لينقل من إفادة مبناها * إلى إعادة معناها *؛ فإنها مفتاح الجنة * وعن النار بمنزلة الجُنة * للناس والجِنة * وقد نص الأئمة * من سادات الأمة *:

---

(١) صحيح البخاري ١/٣٧.

(٢) هو ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد الإسكندراني المالكي (٦٨٣هـ) ترجمته في العبر ٣/٣٥٢ والدول ٢/١٨٥ـ١٨٦ للذهبي (٧٤٨هـ) والوافي للصفدي (٧٦٤هـ) ٨/١٢٨ـ١٣٠ وفوات الكتبي (٧٦٤هـ) ١/١٤٩ـ١٥٠ وديباج ابن فرحون (٧٩٩هـ) ١/٢٤٣ـ٢٤٦ وعقد الجمان للعيني (٨٥٥هـ) ٢/٣٣٥ـ٣٣٦ ونجوم ابن تغري (٨٧٤هـ) ٧/٣٦١ـ٣٦٢ ودليله ١/٨٦ ودرة الحجال لابن القاضي (١٠٢٥هـ) ١/٩ـ١٠.

(٣) لم أجد كلام ابن المنير في المتواري / كتاب العلم ٦٠ـ٦٨، تحقيق علي بن حسن الأثري، و٥٧ـ٦٦، تحقيق صلاح الدين، بل لم يذكر هٰذا الباب كله؟!؟

(٤) عمدة القاري ٢/٣٩ ط دار الفكر و ١/٤١٨ ط البابي.

أنه لا بد من فهم معناها * المترتب على علم مبناها *؛ ليخرج عن ربقة التقليد[1]، ويدخل في رفعة التحقيق[2] والتأييد؛ وقد قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩][3].

٣ ـ وقال العلامة اللكنوي (١٣٠٤هـ)[4]، رحمه الله.

٤ ـ (وفي النوازل الفقهية[5]، لأبي الليث السمرقندي [٣٧٥ هـ]:

٥ ـ سئل أبو القاسم[6]:

في رجل لا يحسن العربية، وقد تعلم في صغره.

آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره

---

(١) التقليد لغة تعليق القلادة في العنق، واصطلاحاً: قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل. تعريفات الجرجاني ٩٠.

(٢) هو إثبات المسألة بدليلها. تعريفات الجرجاني ٧٥.

(٣) التجريد ١٤.

(٤) هو أبو الحسنات عبد الحي بن عبد الحليم الأنصاري الهندي؛ من كبار علماء الحنفية وأئمتهم، كان منصفاً غير متعصب للمذهب، حارب التعصب والمقلدين العميان، انظر الفوائد البهية ١١٦ ونزهة الخواطر ٨/ ٢٣٥-٢٣٦، كان جامعاً بين الحديث والفقه، كثير التصانيف، وكان ماتريدياً ليّناً، وكان عنده بعض بدع القبورية، جرت بسببها مناظرة بينه وبين العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ)؛ ولكن لاطمت ساقيته بحراً، وكان بينه وبين النواب صديق ابن حسن ملك بهوبال (١٣٠٧هـ) منافسات، اهتم الكوثري والكوثرية به وبكتبه طبعاً ونشراً وتعليقاً ويجلونه غاية الإجلال ترجم لنفسه في النافع الكبير ٦٠-٦٦ والتعليقات النسبة ٢٤٨-٢٤٩ ومقدمة التعليق الممجد ٢٧-٢٩ ومقدمة السعاية ٤١-٤٢ ومقدمة عمدة الرعاية ٢٩-٣٠، وانظر ترجمته في نزهة الخواطر ٨/ ٢٣٤-٢٣٨، وترجمته متوفرة في مقدمات كتبه المطبوعة.

(٥) أي النوازل في الفروع، من أهم كتب الحنفية. انظر كشف الظنون ٢/ ١٩٨١.

(٦) لم أميزه لكثرة آباء القاسم، راجع الجواهر المضية ٤/ ٧٨-٨٠.

وشره؛ ويعلم أن هٰذا هو الإيمان.

إلا أنه إذا سئل عن تفسيره لا يحسن تفسيره!

أهو مؤمن؟

قال: هٰذا حافظ كلاماً لا يدري ما هو؟)[1].

٦ ـ ٧ ـ ولقد صرح كثير من علماء الحنفية أن مجرد التلفظ بكلمة التوحيد، ومجرد قولها باللسان بدون فهم معناها والاعتقاد بها من عمق القلب لا يفيد شيئاً[2].

واستدل كثير من الحنفية على اشتراط العلم بمعنى كلمة التوحيد بحديث: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[3].

فهٰذا الحديث صريح في أنه لا يكفي مجرد التلفظ بكلمة التوحيد دون فهم معناها والاعتقاد بها من عمق القلب[4].

٨ ـ وقال العلامة الخجندي (١٣٧٩هـ) محققاً أن التلفظ بكلمة التوحيد بدون فهم معناها وبدون العلم بالمراد منها ـ لا يفيد شيئاً:

(واعلم: أن «لا إله إلا الله» ـ هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام . . .، وليس المراد قولها باللسان فقط، مع الجهل بمعناها . . .، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب والإذعان لها . . .).

ثم ذكر بعض الأدلة على ذلك ثم قال:

---

(١) آكام النفائس ٧٢.

(٢) انظر الدرر المكنونات لمحمد مراد المنزاوي ترجمة المكتوبات لأحمد السرهندي المعروف بالرباني ٣/٢٥، ومجموعة الفتاوى للكنوي ٢/٤٥، وصيانة الإنسان ١٥٦، وفتح المنان ٤٥٢ـ٤٥٣.

(٣) رواه مسلم ١/٥٥ عن عثمان رضي الله عنه.

(٤) راجع المرقاة ١/٢٠١ للقاري وفتح الملهم ١/١٩٩ـ٢٠٠ للعثماني.

(إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهٰذه الشهادة . . .) .

ثم قال :

(واعلم : أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام ؛ فمن قالها ـ عالماً بمعناها ، ومعتقداً إياها ـ فقد دخل في الإسلام * وصار من أهل دار السلام *)[1].

٩ ـ وقال رحمه الله تعالى أيضاً ؛ محققاً أن التلفظ بكلمة التوحيد بدون فهم معناها لا يجدي ولا ينفع :

(و «لا إلـه إلا الله» هي كلمـة الإخلاص المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله ؛ ولٰكن لا تنفع قائلها عند الله ، وفي دار الآخرة إلا بشروط :

الأول : العلم بمعناها : نفياً وإثباتاً .

والثاني : اليقين ، وهو كمال العلم بها ، المنافي للشك .

والثالث : الإخلاص المنافي للشرك ؛ فمن يقول : «لا إله إلا الله» ، ولٰكن لا يفهم معناها ، ولا يعمل به فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً . . . ؛ لأن الله عزَّ وجلّ قال : ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾ [محمد : ١٩] ؛ فالعلم مقدم على القول والعمل . . .)[2].

١٠ ـ وقال رحمه الله تعالى أيضاً ـ مبيناً أن المشركين السابقين كانوا يعرفون معنى كلمة التوحيد بخلاف القبورية :

(فإذا عرفت ما ذكرنا ، فاعلم أن المشركين الذين دعاهم النبي ﷺ

---

(١) مفتاح الجنة ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) مفتاح الجنة ٦٢-٦٣ .

إلى الإيمان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية؛ كما بين الله تعالى في كتابه؛ ولم يدخلهم ذٰلك التوحيد في الإسلام؛ بل قاتلهم رسول الله ﷺ إلى أن يقروا بتوحيد الألوهية، وهو معنى: «لا إلٰه إلا الله»؛ والمراد من هٰذه الكلمة: معناها، لا مجرد لفظها؛ والكفار الجهال كانوا يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهٰذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والتبرؤ مما يعبد من دون الله، والكفر به؛ فإنه لما قال لهم: «[يا أيها الناس!] قولوا: لا إلٰه إلا الله [تفلحوا]»[1] ـ قالوا: ﴿أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إن هٰذا لشيء عجاب﴾ [صٓ ٥]؛ وقد عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذٰلك؛ فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هٰذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار! ؛ بل يظن أن ذٰلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن: أن معناها: «لا يخلق، ولا يرزق إلا الله»، و«لا يدبر الأمر إلا الله».

فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى «لا إلٰه إلا الله»؛ وقد ذكر الله تعالى في كتابه: أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ [يونس: ١٨]. . .، فمن قال «لا إلٰه إلا الله»، ومع ذٰلك يفعل الشرك الأكبر:

كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات،

---

(١) رواه ابن إسحاق في المغازي ٢٣٢ وابن المبارك في الزهد ٤١٠ والبخاري في خلق الأفعال ٦٣ وابن خزيمة ١/٨٢ وابن حبان (الإحسان) ١٤/٥١٨ والدارقطني ٣/٤٥ والطبراني في الكبير ٨/٣٧٦ والحاكم ٢/٦١٢ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في التلخيص عليه، وعنه البيهقي ١/٧٦ و ٦/٢١ وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الإحسان ١٤/٥١٩.

والتقرب إليهم بالنذر والذبائح فهٰذا مشرك شاء أم أبى . . .)[1].

١١ ـ قلت: يدل هٰذا النص أن المشركين السابقين وهٰؤلاء القبوريين كلهم في الحقيقة غير مؤمنين بكلمة التوحيد؛ غير أن المشركين السابقين كانوا يعرفون معناها، ويعلمون أن هٰذه الكلمة تمنعنا من عبادة آلهتنا من الاستغاثة والنذور ونحوها.

فلذا كانوا يأبون التلفظ بها ولم يكونوا يقولونها قطعاً.

وأما هٰؤلاء القبوريون فهم لأجل أنهم لا يعرفون معناها، ولا يعلمون أنها تضاد ما هم عليه من عبادة القبورية وأهلها من الاستغاثة والنذور ونحوها يتلفظون بها ويقولونها مئات المرات بل الآلاف، ولكن إذا فسر لهم معناها، وأنها تنهاهم عن عبادة الصالحين فهم حينئذ يأبون معناها؛ ولو كان هٰؤلاء القروية عارفين بمعنى هٰذه الكلمة ـ كالمشركين السابقين ـ لكانوا أشد الناس إباءً عن التلفظ بها وامتناعاً عن قولها باللسان؛ كإخوانهم المشركين السابقين. والله المستعان على ما يصفون.

١٢ ـ وقال رحمه الله مبيناً أنه لا عبرة بالتلفظ بالكلمة بدون فهم المعنى:

(وغالب من يقول: «لا إلٰه إلا الله» وإنما يقولها تقليداً؛ ولم تخالط بشاشة الإيمان قلبه، فلا يعرف ما تنفيه، وما تثبته؛ ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت؛ وفي القبور أمثال هٰؤلاء يقولون ـ كما في الحديث الصحيح: «سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته[2]

---

(١) مفتاح الجنة ٧١ـ٧٣، ومثله كلامه في تمييز المحظوظين ٢٤٢.
وأصل الكلام لمجدد الدعوة في كشف الشبهات ١٠.

(٢) لم أجده بهٰذا اللفظ!؟.

الحديث)[1].

قلت: لا يخشى عليهم عند الموت فقط؛ بل يخشى عليهم قبل الاحتضار في حياتهم اليومية، بل ليس الأمر إلى حد الخشية فحسب؛ بل الحقيقة أن هٰؤلاء قد صرفوا عن كلمة التوحيد فعلاً، وناقضوها بأنواع من الإشراك بالله سبحانه، وأبطلوها بأنواع من العبادات للقبور وأهلها.

الشرط الثاني: اليقين[2] المنافي للظن[3] والشك[4].

= ولٰكن روى ابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «سمعت الناس يقولون قولاً فقلته» ١٤٢٧/٢ وقال البوصيري في مصباحه ٣٥٠/٢: «هٰذا إسناد صحيح»، وصحح سنده شيخنا الألباني في تخريج المشكاة ٥٠/١، وصححه في صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٢/٢، ورواه الترمذي ٣٧٤/٣ بلفظ: «سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري» وبهٰذا اللفظ في متن تحفة الأحوذي ١٥٦/٤ وكذا في صحيح سنن الترمذي ٣١١/١، ولٰكن وقع في المصابيح ١٤٧/١ والمشكاة ٤٧/١ وفي نسخة لسنن الترمذي على ما أشار إليه المحدث المباركفوري في تحفته ١٥٦/٤ بلفظ: «سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله (لا أدري) وذكر محققو المصابيح ١٤٧/١: أنه وقع في نسخة برلين «شيئاً» بدل «قولاً» ورواه ابن حبان (الإحسان) ٣٨٦/٧ والآجري ٣٦٥ بلفظ: «لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فكنت أقوله»، ورواه الطيالسي ١٠٢-١٠٣ بلفظ: «لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك، قال فيقال: لا دريت»، وأصل هٰذا الحديث في الصحيحين عن أنس وهو حديث قرع النعال بلفظ: «لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت». انظر صحيح البخاري ٤٤٩/١ و٤٦٣، ولم يذكر مسلم هٰذه اللفظة انظر صحيحه ٢٢٠١/٤».

(١) مفتاح الجنة ٧٤-٧٥.

(٢) اليقين: اصطلاحاً: الاعتقاد بالشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقاً للواقع، وهٰذا التعريف يخرج الجهل والظن والشك راجع تعريفات الجرجاني ٣٣٢.

أو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع. كليات أبي البقاء ٩٧٩.

(٣) الظن: وهو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، أو هو أحد طرفي الشك بصفة الرجحان، تعريفات الجرجاني ١٨٧.

(٤) الشك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر. =

١ ـ قلت: اشتراط اليقين قد تقدم في نفس كلام العلامة الخجندي.

٢ ـ ومن الأدلة القاطعة التي استدل بها الحنفية على اشتراط اليقين القلبي المنافي للظن والشك حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

«من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة»[١].

فهٰذا الحديث صريح في اشتراط اليقين وهو يقيد تلك الأحاديث المطلقة الواردة في فضل كلمة التوحيد.

٣ ـ ٥ ـ قال العلامة القاري (١٠١٤هـ) في شرح هٰذا الحديث وتبعه العثماني (١٣٦٩هـ) واللفظ للأول: («مستيقناً بها» أي بمضمون هٰذه الكلمة «قلبه» أي منشرحاً بها صدره غير شاك ومتردد في التوحيد. . . ؛ وفي هٰذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق:

أن اعتقاد التوحيد لا ينفع دون النطق عند الضرورة، أو عند الطلب، ولا النطق دون الاعتقاد بالإجماع؛ بل لا بد منهما. . .)[٢].

٦ ـ قلت: ويؤكد ذٰلك حديث: «. . . لا يلقى الله بهما عبد غير شاك. . .»[٣]؛ فهو نص صريح في أنه لا يكفي مجرد قولها باللسان؛ بل لا

= أو: هو ما استوى طرفاه. تعريفات الجرجاني ١٦٨.

أو: هو اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، والشك ضرب من الجهل، وأخص منه، لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأساً، فكل شك جهل ولا عكس. كليات أبي البقاء ٥٢٨.

(١) رواه مسلم ١/ ٦٠.

(٢) المرقاة ١/١١٢ ط المحققة. وفتح الملهم ١/ ٢٠٤.

(٣) رواه مسلم ١/٥٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بد من اليقين المنافي للظن والشك والتردد[1].

وأن هٰذا الحديث مقيد لتلك الأحاديث المطلقة الواردة في قول لا إله إلا الله، فلا حجة لأهل البدع في تلك الأحاديث المطلقة؛ لأن هٰذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي ورد فيها قيود مع قول لا إله إلا الله تقيد تلك الأحاديث المطلقة[2].

الشرط الثالث: التصديق المنافي للتكذيب:

فلقد صرح علماء الحنفية باشتراط التصديق بمعنى كلمة التوحيد وأن المرء لا يكون مسلماً عند الله بدون التصديق؛ وأنه لا يكفي مجرد قولها باللسان والإقرار بها بدون التصديق من عمق القلب.

١ ـ وهٰذا مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه من أهل السنة، فإن حقيقة الإيمان عندهم الإقرار باللسان والتصديق بالجنان[3] بل يؤيده مذهب الحنفية الماتريدية المرجئة الجهمية المعطلة أيضاً[4].

٢ ـ فإن حقيقة الإيمان عندهم التصديق بالجنان فقط[5].

وأما الإقرار باللسان فهو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية وليس شرطاً

---

(١) راجع مبارق الأزهار لابن الملك شرح مشارق الأنوار للصاغاني ٢/١٧٥، وفتح الملهم ١/١٩٩.

(٢) انظر فتح الملهم للعثماني ١/١٩٩.

(٣) انظر الطحاوية بشرح ابن أبي العز ٣٧٣ ط المكتب وبشرح البابرتي ١٠٧ وبشرح الغنيمي ٩٨.

(٤) انظر لمعرفة حقيقة هؤلاء كتابي الماتريدية ٨ المقدمة، ١٤٦-١٥٢.

(٥) انظر كتاب التوحيد للماتريدي ٣٧٣-٣٧٧ والتمهيد للنسفي ٢٦/ب والبداية للصابوني ١٥٢ والعمدة للنسفي ١١٧/أ ونشر الطوالع للمرعشي ٣٧٣-٣٧٤ وشرح العقائد ١١٩-١٢٣ والمقاصد وشرحها كلها للتفتازاني ٥/١٧٦.

لحقيقة الإيمان ولا ركناً له.

فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن ناج عندهم[1].

مع أن الحق في هٰذا هو مذهب أهل الحديث وأهل السنة المحضة من أن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان[2].

٣ ـ ومن أصرح الحجج، وأقوى البراهين التي استدل بها علماء الحنفية على اشتراط التصديق بالجنان مع الإقرار باللسان حديث أنس رضي الله عنه:

«ما من أحد يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه على النار»[3].

٤ ـ ولعلماء الحنفية كلام في شرح هٰذا الحديث يؤكد ما سبق[4].

الشرط الرابع: الإخلاص المنافي للشرك والنفاق والرياء والسمعة:

فلا يصح توحيد الشخص وإقراره به والتظاهر بأنه موحد إلا إذا صدق

---

(١) انظر التمهيد للنسفي ٢٦/ب والعمدة للحافظ النسفي ١٧/أ والبداية للصابوني ١٥٢، ١٥٥، وشرح العقائد ١٢١ والمقاصد وشرحها ٥/١٧٨-١٧٩ كلها للتفتازاني والمسائرة لابن الهمام مع شرح ابن قطلوبغا ومع المسامرة لابن أبي شريف ٣٣٤ والبحر الرائق لابن نجيم المصري ٥/١١٩، ونشر الطوالع للمرعشي ٣٧٤-٣٧٥، والجواهر المنيفة شرح وصية أبي حنيفة ٣ وشرح الطحاوية ليونس الخالص الأفغاني ٩.

(٢) راجع شرح الطحاوية ٣٧٣ ط المكتب و ٣٦٠ ط دار البيان. ولأئمة الإسلام والحديث والسنة المحضة أمثال ابن أبي شيبة (٢٣٥هـ) والمعدني (٢٤٣هـ) والبخاري (٢٥٦هـ) ومسلم (٢٦١هـ) وابن منده (٣٩٥هـ) وشيخ الإسلام (٧٢٨هـ) كتب في الإيمان مفيدة وكلها مطبوعة.

(٣) رواه البخاري ١/٦٠ ورواه مسلم بدون لفظة «صدقاً من قلبه» ١/٦١.

(٤) راجع عمدة القاري ٢/٢٠٧ ط دار الفكر والمرقاة ١/٩٩ ط ملتان و ١/١٨٥ المحققة وانظر فتح الملهم ١/٢٠٥.

به بقلبه مخلصاً لله عزَّ وجلَّ خائفاً من عقابه راغباً في ثوابه راجياً من الله الجنة وما أعده للموحدين من النعيم المقيم، وإلا يكون منافقاً مرائياً مغرضاً من المغرضين ممرضاً من الممرضين.

١ ـ ولقد استدل علماء الحنفية على اشتراط الإخلاص بأدلة كثيرة منها قوله ﷺ في حديث محمود عن عتبان في قصة مالك بن دخشن رضي الله عنهم:

«فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله»[1].

وفي لفظ: «لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله، يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار»[2].

وفي لفظ: «ألا تقولونه: يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»؛ قال: بلى، قال: «فإنه لا يوافي عبد يوم القيامة به إلا حرم الله عليه النار»[3].

٢ ـ ولعلماء الحنفية كلام مهم في شرح هذا الحديث يفيد أن من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه فقد بريء من النفاق؛ وأن هذا الحديث وأمثاله يفيد تلك الأحاديث الواردة في إطلاق القول «لا إله إلا الله».

وأن هذه الأحاديث المقيدة مفسرة لتلك الأحاديث المطلقة[4].

٣ ـ وقد تقدم كلام العلامة الخجندي في أن من شروط كلمة التوحيد

---

(١) رواه البخاري ١/١٦٤ و ٣٩٧ و ٥/٢٠٦٣ ومسلم ١/٤٥٦.

(٢) رواه البخاري ٥/٢٣٦٠.

(٣) رواه البخاري ٦/٢٥٤٢.

(٤) راجع عمدة القاري ٤/١٦٩ ط دار الفكر، وغالية المواعظ لنعمان الألوسي ١/٣٤ـ٣٥ وفتح الملهم ١/١٩٩ و٢/٢٢٥.

ـ الإخلاص المنافي للشرك[1].

وسيأتي مزيد تحقيق وتفصيل لهٰذا الشرط إن شاء الله تعالى[2].

وبعد أن عرفنا أهمية أركان توحيد العبادة وشروط صحته ننتقل إلى الباب الآتي لنعرف جهود علماء الحنفية في تحقيق أن توحيد العبادة غير توحيد الـربـوبية، وإبطال قول القبورية باتحاد الربوبية والألوهية. وبالله التوفيق * وبيده أزمة التحقيق *.

* * * * *

---

(١) راجع ص ١٦٥ وانظر مفتاح الجنة ٦٣.

(٢) انظر ص ٥٢٥ـ٥٢٧.



الباب الثاني

في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية من قولهم باتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وإبطال جعلهم توحيد الربوبية هو الغاية، وبيان التعريف الصحيح للعبادة، وأركانها، وأنواعها، وشروط صحتها، وإبطال عقيدة القبورية في ذلك كله

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: في عرض عقيدة القبورية في القول باتحاد توحيد الربوبية والألوهية وجعلهم توحيد الربوبية الغاية.
- الفصل الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية في القول باتحاد هذين التوحيدين وإبطال جعلهم توحيد الربوبية هو الغاية.
- الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها للقول باتحاد هذين التوحيدين، وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية، وزعمهم أن المشركين كانوا مشركين الهتهم بالله في الخالقية والمالكية والربوبية والرازقية ونحوها.
- الفصل الرابع: في جهود علماء الحنفية في تعريف العبادة، وأركانها، وأنواعها، وشروط صحتها، وإبطال عقيدة القبورية في ذلك كله.

الفصل الأول

في عرض عقيدة القبورية في قولهم باتحاد توحيد لربوبية والألوهية وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية

لقد أصيبت القبورية بطامة كبرى، هي أم الطامات ـ فتولدت منها طامات أخرى، هي أكبر من أمها،

في الضلال والفساد * والإضلال والإفساد *

وهي: جهلهم بحقيقة توحيد العبادة، وجعلهم إياه مترادفاً لتوحيد الربوبية، وعينه، وأنهما شيء واحد بلا تمييز ولا فرق كما أصيب بهٰذا الداء العضال خلطاؤهم المتكلمون من الماتريدية والأشعرية[1]،

---

(١) فقد زعم هٰؤلاء المتكلمة أن الألوهية بعينها هي الربوبية؛

انـظر على سبيل المثـال حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية ٦٣ وحاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية مع حاشية البهشتي عليها ٥١ وحاشية الجندي على شرح العقائد النسفية ٨٧،

وبناء على جهلهم بتوحيد العبادة ـ جعلوا التوحيد ثلاثة أقسام ليس فيها توحيد العبادة كما سبق في ص ٩٩-١٠٢، وجعلوا توحيد الربوبية هو الغاية العظمى دون توحيد العبادة كما تقدم أيضاً في ص ٩٥.

ولـذٰلك رد عليهم الدكتور محمد خليل هراس ونقل عن الشيخ محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ) أنـه استدرك على شيخه محمد عبده ماتريدي الأزهر (١٣٢٣هـ): وأثبت أنه أخطأ في جعله توحيد الربوبية هو الغاية؛ =

وهٰذه الطامة الكبرى التي هي أم الطامات المتولدة منها ـ:
أعني جهل القبورية بحقيقة توحيد الألوهية وجعلهم إياه عيناً لتوحيد الربوبية ـ
هو السبب الوحيد لوقوعهم في أنواع من الشرك الأكبر من عبادة القبور وأهلها[١].
كما أوقع هٰذا الجهل خلطاءهم من الماتريدية والأشعرية أيضاً ـ
في أنواع من الإشراك بالله من عبادة القبور وأصحابها[٢].
وفيما يلي أذكر أم الطامات وأذكر الطامات المتولدة منها فأقول وبالله التوفيق:

١ ـ الطامة الأولى أم الطامات: تعتقد القبورية أن الألوهية بعينها هي الربوبية بدون فرق وتمييز بينها فهما متحدان لا مفهومان متغايران[٣].

= وأن الصحيح: أن الغاية هو توحيد العبادة. انظر دعوة التوحيد ٩ـ١٠،

وراجع أيضاً التدمرية ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥ـ١٨٦، ومجموع الفتاوى ٣/٩٨، ١٠٩، وشرح الطحاوية لابن أبي العز كما سبق نصه في ص ١٣٠، وعقد اللآلي للرباطي ٥١ـ٥٤؛

وقد صرح الدكتور محمد خليل هراس أيضاً بأن جهل هٰؤلاء المتكلمين بحقيقة التوحيد ـ هو السبب الوحيد لانخراط كثير منهم في الشرك الأكبر من عبادة القبور وأهلها، انظر دعوة التوحيد ٢٣١،

وانظر أيضاً الرد المفصل عليه في كتابي الماتريدية ٣/١٦١ـ٢٢٩، وهٰذا الفصل أيضاً رد عليهم وعلى القبورية على السواء.

(١) انظر تمييز المحظوظين للخجندي ٤١ـ٤٢،
وراجع ما سبق.

(٢) انظر دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ٢٣١.

(٣) راجع صلح الإخوان لابن جرجيس ١٢٤، ١٢٧ وسعادة الدارين للسمنودي =

ويحسن أن أسوق بعض نصوص أئمة القبورية لتوضيح مقالتهم الفاسدة هٰذه:

١ - قال ابن جرجيس (١٢٩٩هـ)[1] وتبعه السمنودي (بعد

= ٢/٢٠، ٢١، ٢٣ ومصباح الأنام للحداد ١٧ والدرر السنية لدحلان ٤٠-٤١ والبراهين للقضاعي ٣٧٨-٣٨١ والتذكرة الغوثية لشاجل ١٣٤ ومقالات الدجوي ١/٢٤٩، ٢٦١ والتوسل بالنبي لابن مرزوق ٢٩-٣٠ و٩٧ وبراءة الأشعريين له ٩٨-٩٩ وردود النوري ٢٤٢ وكشف الارتياب للعاملي ١٤٠-١٤١.

تنبيه: لقد أصيب بهٰذا الداء كثير من الفضلاء لتأثرهم بأفكار الماتريدية والصوفية، حتى بعض من له جهود طيبة في الرد على القبورية كالشيخ عبد السلام فقد قال بعد كلام طويل: (فمعنى الألوهية بعينه معنى المالكية) التبيان ٥٨-٥٩، فصار كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

(١) هو داود بن سليمان الحنفي أحد أئمة القبورية العراقية، تجرد للدعوة إلى القبورية الوثنية والإشراك بالله وعبادة القبور وأهلها بكتاب «صلح الإخوان»

رد عليه العالم الرباني عبد الرحمٰن بن حسن ابن مجدد الدعوة الإمام (١٢٨٥هـ) بكتاب نفيس: «القول الفصل النفيس»؛

كما رد عليه العالم الرباني عبد اللطيف ابنه (١٢٩٢هـ) بكتابه الأنيس: «منهاج التأسيس والتقديس» فلقي الله سبحانه وتعالى قبل إتمامه؛

فأتمه العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) وسمى تكملته: «فتح المنان».

وهي كلها مطبوعة،

وصفه شكري بأنه وثني الاعتقاد وأنه من الملحدين وأنه بغاث مستنسر وحمار متصاهل وأعرج متسابق، وأنه معدوم الحياء، وغير ذٰلك من كلمات الجرح، انظر فتح المنان ٣٧٨، ٣٨٩، ٤٧٦، وأنه مماحل مغرور، إليه المنهى في جهله وبلادته، خبط خبط عشواء إنه من الإباحية الطغام انظر ص ٣٠٢، ٣٠٤، راجع لترجمته حلية البشر ١/٦١٠-٦١١ للبيطار (١٣٣٥هـ) الحنفي، وإيضاح المكنون ١/٢٦٣ و٢/٧٠، ٢٠٥، ٦٢٨ وهدية العارفين ١/٣٦٣ للبغدادي الحنفي (١٣٣٩هـ) والأعلام للزركلي (١٣٩٦هـ) ٢/٣٣٢ ومعجم المطبوعات لسركيس ١/٨١٤-٨١٥ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة =

١٣٢٦هـ)[1]، واللفظ للأول:

(. . . الرب والإله معناهما ومفادهما واحد. . .).

٢ ـ ٣ ـ وقال: (إن الإله والرب واحد) و (إن الإله هو الرب)[2].

٤ ـ ٥ ـ وقال دحلان (١٣٠٤هـ)[3] وتبعه السمنودي (المتوفى بعد

= ٤/١٣٦-١٣٧.

وحاشية الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق على القول الفصل النفيس ٩، ومعجم المؤلفين العراقيين لكوركيس ١/٤٣٨،

وذكر البيطار وتبعه الزركلي: أنه شافعي ولكن الصواب أنه حنفي صرح به البغدادي وعمر رضا كحالة والشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق في حاشيته المذكورة ٩، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) تأتي ترجمته بعد قليل في ص ١٨١.

(٢) صلح الإخوان ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، وسعادة الدارين ٢/٢٣، ٢٤.

(٣) هو أحمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة من أعظم الأعداء الألداء للعقيدة السلفية ونهضة التوحيد التي قام بها مجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ).

تجرد للدعوة إلى الوثنية القبورية. من كتبه الوثنية: «الدرر السنية في الرد على الوهابية» مطبوع مراراً ناظره العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) بمكة فصرعه؛

ثم ألف في الرد عليه كتابه المشهور القيم «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» فقمعه وقلع شبهاته وكشف الستار عن أكاذيبه وهو مطبوع مراراً،

وقد تحقق عندي أنه لم يكن متديناً في الرد على أهل التوحيد شأن كثير من القبورية فكان كذاباً دجالاً مفترياً على أهل التوحيد فاجراً فاسقاً ساقط العدالة، لأجل الفسق والفجور والخيانة؛

مع أنني أعرف أن كثيراً من القبورية والماتريدية والأشعرية ـ مع بدعهم ـ هم أهل الصدق والأمانة والتأله، فلا يتعمدون الكذب البتة؛

بخلاف أمثال هؤلاء الوثنية كدحلان والكوثري، والقضاعي، وابن مرزوق ونحوهم؛ فإنهم مع بدعهم ووثنيتهم وجهميتهم فسقة فجرة ساقطون عن العدالة والأمانة * إلى =

١٣٢٦هـ)[1]، واللفظ للأول:

(وأما جعلهم التوحيد نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ـ فباطل أيضاً ـ؛

فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية . . .)[2].

٦ ـ ٧ ـ وقالا واللفظ أيضاً للأول:

(وقالوا: إن التوحيد نوعان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوصلوا بذلك إلى تكفير المسلمين . . . ، هؤلاء الملحدة المكفرة للمسلمين . . .)[3].

= حيز الفسق والفجور والخيانة *

ترجمته في فهرس الفهارس للكتاني ١/٣٩٠-٣٩٢ وإيضاح المكنون ١/٨٢، ٢١٤ وهدية العارفين للبغدادي ١/١٩١ ومعجم المطبوعات لسركيس ١/٩٩٠-٩٩٢ والأعلام للزركلي ١/١٢٩ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١/٢٢٩-٢٣٠.

(١) هو إبراهيم بن عثمان بن محمد بن داود الأزهري المنصوري (ولم أعرف مذهبه الفقهي) هو من أعظم المناوئين لدعوة التوحيد والسنة ومن أكبر الأعداء الألداء لأئمة الإسلام *

شيخ الإسلام * ومجدد الدعوة الإمام * كذاب فيما يقول على أئمة الدعوة مفتر عليهم؛

غير متدين ساقط العدالة والأمانة متعدد الخيانة؛

ألف كتاباً ضخماً في مجلدين للدعوة السافرة إلى الوثنية، سماه «سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية» مطبوع.

ترجمته في إيضاح المكنون ٢/١٥ والأعلام ١/٥٠ ومعجم المؤلفين ١/٥٧ والسمنودي قد نقل عن اللكنوي وعظمه وبجله انظر سعادة الدارين ١/٨٥ و ٨٧ و ١٣٦ و ١٤٠ و ١٤٧ ونقل عن السمنودي أبو غدة الكوثري في مقدمته للرفع والتكميل ٣٩ ط الثالثة.

(٢) الدرر السنية ٤٠ ط البابي و ٣٧ ط التركية وسعادة الدارين ٢/٢٠.

(٣) الدرر السنية ٤١ ط البابي و ٣٨ ط التركية وسعادة الدارين ٢/٢٢.

٨ ـ ١٠ ـ وقالا، وتبعهما الحداد (١٢٣٢هـ)[١]، واللفظ للأول:

(ومن المعلوم: أن من أقر بالربوبية، فقد أقر بالألوهية؛

إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه)،

١١ ـ ١٣ ـ وقالوا جميعاً واللفظ أيضاً للأول:

(فهل سمعتم أيها المسلمون في الأحاديث والسير:

أن رسول الله ﷺ إذا قدمت عليه أجلاف العرب؛

ليسلموا على يده ـ

يفصل لهم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛

ويخبرهم: أن توحيد الألوهية هو الذي يدخلهم في الإسلام)[٢].

١٤ ـ ١٥ ـ وقال الدجوي (١٣٦٥هـ)[٤] وتبعه ابن مرزوق[٣]، واللفظ

---

(١) هو علوي بن أحمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالحداد، الكذاب والأفاك، صاحب «الحكايات الباهرات والكرامات البينات»؛

خرافي كبير بل أحد كبار دعاة الوثنية القبورية وألد الأعداء المناوئين للتوحيد،

يدل عليه كتابه «مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام»،

ترجمته في الأعلام للزركلي ٤/٢٤٩ ولم أجده في الإيضاح ولا في الهدية ولا في المعجم مع أنه على شرطها.

(٢) الدرر السنية ٤٠-٤١ ط البابي و ٣٧-٣٨ ط التركية وسعادة الدارين ٢/٢٠-٢١ ومصباح الأنام ١٧.

(٣) يأتي الكلام عليه بعد قليل في ص ١٨٦.

(٤) هو يوسف بن أحمد بن نصر المصري المالكي من أعضاء كبار العلماء بالأزهر؛

تجرد للدعوة إلى الوثنية وناصب العداوة لنهضة التوحيد والسلفية، وكان كذاباً جلداً

انظر ترجمته في مقالات الكوثري ٥٠٠-٥٠٣، عظمه وأكبر شأنه، والطير على أشكالها تقع،

وفي أول مقالات الدجوي أيضاً نشرت تلك الترجمة الكوثرية له، =

للأول:

(توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية: . . .، من ذا الذي فرق بينهما؟ . . .؛

إن صاحب هٰذا الرأي هو ابن تيمية الذي شاد بذكره؛

قال: إن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية؛

وهو إفراد الله بالعبادة؛

وأما توحيد الربوبية؛

وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف في أمورهم؛

فلم يخالف فيه أحد من المشركين. . .؛

ثم قالوا[1]:

إن الذين يتوسلون بالأنبياء ويتشفعون بهم؛

وينادونهم عند الشدائد ـ

هم عابدون لهم، فقد كفروا بما كفر به عباد الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء؛

فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها؛

بل بترك توحيد الألوهية ـ بعبادتها؛

وهٰذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء؛

المنادين بهم، المستغيثين بهم؛

= والأعلام للزركلي ٨/٢١٦ والمعجم لعمر رضا كحالة ١٣/٢٧٢ـ٢٧٣؛
وكان أعمى البصر والبصيرة، فكان حقاً هو الأعمى بين ناس عور، ولٰكن كان شاطراً من الشطار.

(١) هٰكذا في الأصل، والصواب: «قال»؛ لأنه يرد على صاحب المقال في الجريدة.

الطالبين منهم ما لا يقدر عليه غير الله ؛

بل قال محمد بن عبد الوهاب :

إن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان . . .[1] ؛

فنقول : قولهم : إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد اللألوهية - تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية ،

وغير معقول أيضاً . . . ، وما كان رسول الله ﷺ يقول لأحد دخل في الإسلام : إن هناك توحيدين ؛

. . . ، ولا سمع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبجحون باتباعهم في كل شيء ؛

ولا معنى لهذا التقسيم ، فإن الإله الحق هو الرب الحق)[2] .

وقال : (وإني أعجب من تفريقهم بين توحيد الألوهية والربوبية ؛

وجعل المشركين موحدين توحيد الربوبية)[3] .

١٦ - ١٧ - وقال القضاعي (١٧٣٦هـ)[5] وابن مرزوق[4] (؟) واللفظ

---

(١) قلت : لقد صدق - ورب الكعبة - فقد قال ذلك كثير من الحنفية انظر ص ١١٧١-١١٩٧ .

(٢) مقالات الدجوي ١/٢٤٨-٢٤٩ ، والتوسل لابن مرزوق ٩٧ ، والبراءة له ١٦٦-١٦٧ .

(٣) مقالات الدجوي ١/٢٦٠ .

(٤) ترجمته بعد الحاشية الآتية .

(٥) هو سلامة العزامي الهندي المصري أحد كبار أئمة القبورية الوثنية الصوفية وغلاتهم في إقذاع الشتائم والسباب لأئمة الإسلام «ولا سيما شيخ الإسلام» وهو عصري الكوثري وصديقه وخليطه ومشربيه ؛

متجرد للدعوة السافرة إلى الوثنية وكتابه «البراهين الساطعة» المكتظ بالوثنيات والشتائم لأئمة الإسلام شاهد على ذلك ، وهو مطبوع بمقدمة الكوثري ، فكلاهما مجرم من =

للأول:

(إن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود وفي الاعتقاد)،

١٨ ـ ١٩ ـ وقالا: («إن لا رب سواه» هو معنى «لا إله إلا الله» في قلوب جميع المسلمين).

٢٠ ـ ٢١ ـ وقالا: (فالناطق بـ «لا إله إلا الله» معترف بالتوحيد لله في ألوهيته وربوبيته جميعاً، والقائل: «ربي الله» معترف بكلا التوحيدين جميعاً)،

٢٢ ـ ٢٣ ـ كما أنهما صرحا بأن توحيد الربوبية كاف للمرء في دخوله في الإسلام، وكاف له في النجاة[1].

٢٤ ـ وقال هٰذا القضاعي الداعي إلى الشرك طاعناً في شيخ الإسلام * ببذاءة الكلام:

(لم يقتصر هٰذا الحراني على رمي زوار سيد المرسلين بالشرك؛

بل جرت به أوهامه إلى أن يرمي بالشرك جميع المسلمين...[2]؛

= المجرمين ورافع لواء الوثنية والتعطيل في آن واحد لعنة الله على الكذابين،

ترجمته في آخر كتابه «البراهين» ٥٣٦-٥٦٣ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣/ ٣٩٠.

(١) البراهين الساطعة ٣٧٥-٣٨٣ للقضاعي،

وله شتائم وسباب لشيخ الإسلام في هٰذه الصفحات وما قبلها وما بعدها، والتوسل بالنبي لابن مرزوق ٢٠-٢٤ وبراءة الأشعريين ٨٨-٩٣.

(٢) **أقول**: أيها الدجال الأفاك: أين رمي شيخ الإسلام جميع المسلمين بالشرك؟ بل لم نر مثل شيخ الإسلام أحداً محتاطاً في التكفير حتى باعتراف أبي غدة الكوثري.

انظر التتمة الخامسة من تتمات أبي غدة الكوثري للموقظة للذهبي ١٤٧-١٦٣.

وقسم التوحيد إلى قسمين:

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛

وقال: إن المقصود ببعثة الأنبياء إنما هو الثاني . . .)[1].

٢٥ ـ وقال هٰذا القضاعي الوثني أيضاً هاذياً في أئمة الإسلام * ولا سيما شيخ الإسلام، ورميهم بدائه، محرفاً تلك الآيات الصريحة الناصعة على اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية:

(وقول هٰؤلاء المغرورين إن الكافرين الذين بعث لهم الرسل ـ

كانوا قائلين بتوحيد الربوبية،

وأن آلهتهم لا تستقل بنفع ولا ضر؛

وإنما كان شركهم بتعظيم غير الله بالسجود والاستغاثة به والنداء له، والنذر، والذبح له ـ

إنما هو قول من لم يعرف «التوحيد» ولا «الشرك» ولا «المعقول» ولا «المنقول». . . ، ولا ألم بتاريخ الأمم قبل البعثة)[2].

٢٦ ـ وعنون ابن مرزوق[3] بقوله: (الإلٰه هو الرب والرب هو

---

(١) البراهين الساطعة ٣٧٥.

(٢) البراهين الساطعة ٣٨١.

(٣) هو أبو حامد بن مرزوق (؟) هٰكذا على طرتي كتابيه «براءة الأشعريين» و «التوسل بالنبي»؛ وهما في الحقيقة كتاب واحد مع تغيير وزيادة ونقصان، ولم يعرف من هو غير أنه يظهر من هٰذين الكتابين أنه كوثري جهمي جلد، متجرد للدعوة إلى الوثنية القبورية، سبَّاب، شتَّام كذاب فاسق فاجر لما صدر منه في هٰذين الكتابين ما لا يصدر إلا من الفسقة الفجرة الساقطين من مكانة الصدق والأمانة والديانة * إلى دركات الكذب والفسق والخيانة؛

من الشتائم والسباب لأئمة الإسلام * ولا سيما شيخ الإسلام (٧٢٨هـ) ومجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ) وهٰذا الكتاب «براءة الأشعريين» قد نسبه أبو سليمان محمود =

الإله)[1]؛

٢٧ ـ وله كلام فضح به نفسه ونال به من شيخ الإسلام (٧٢٨هـ) * ومجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ) حاول فيه اتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية[2].

٢٨ ـ وقال هٰذا المجهول المخذول:

(توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ـ

الذي اخترعه ابن تيمية . . . ؛ وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء،

وزعم: أن هٰذا اعترف به المشركون؛

فكفر به جميع المسلمين[3]،

= سعيد، تلميذ أبي غدة، ومحمد عوامة إلى محمد العربي ابن التباني شيخ العلوي المالكي ومحمد أمين الكتبي (١٣٩٠هـ) في ترجمته،

انظر تشنيف الأسماع ٣٧٥، وتبعه أبو غدة في كلماته ٢٠،

وأنا أستبعد ذٰلك لأن مثله لا يصدر إلا من فاسق وفاجر وأن يكون على طريقة الكوثري في النيل من أئمة الإسلام، وابن التباني هٰذا قد رد على الكوثري وكشف الأستار عن أسراره بكتابه «تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعاليق الكوثري» مطبوع،

ونسبه الدكتور سفر الحوالي في منهج الأشاعرة ١٤ـ٥٨ والدكتور محمد بن سالم القحطاني في مقدمته لكتاب السنة للإمام ابن الإمام عبد الله بن أحمد ٨٦ إلى أبي غدة الكوثري؛

ولٰكن أبا غدة قد أنكر هٰذه التهمة ونسبه إلى ابن التباني المذكور في كلمات في كشف أباطيل وافتراءات ١٩ـ٢٠، والله أعلم بحقيقة الحال، لعن الله الكذابين * وقاتل الدجالين المضلين * الغاوين الوالغين في أئمة هٰذا الدين * والمحرفين لتوحيد رب العالمين * وهدي الجاهلين الطالبين للحق المبين *! آمين!.

(١) التوسل بالنبي ٢٩ وبراءة الأشعريين ٩٨.

(٢) التوسل بالنبي ٢٠ـ١٠٠ وبراءة الأشعريين ٨٨ـ١٧٠.

(٣) أيها الكذاب المرتاب: أين كفر شيخ الإسلام * ومجدد الدعوة الإمام جميع =

وقلده فيه محمد بن عبد الوهاب، كما قلده في غيره)[1].

٢٩ ـ وقال محمد نوري رشيد النقشبندي الديرشوي (؟)[2]:

(إن شر بدعة أحدثها السلفية ـ

هي: بدعة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية. . .، وتوحيد الأسماء والصفات.

وليت شعري من ذلك السلف؟

بل أي دين سوى دين النصرانية ذلك الدين الذي يثبت لله تعالى أقانيم ثلاثة[3]؛

فاقتدى به هؤلاء السلفية، واتخذوه الدين الخالص والتوحيد المحض. . .؛

وفسر رئيس نحلتهم وإمام بدعتهم محمد بن عبد الوهاب الأنواع الثلاثة)[4].

٣٠ ـ وقال: (إن توحيدهم أشبه شيء بتثليث النصارى،

إنهم يقولون: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات ـ إله واحد[5]).

= المسلمين؟ * فلعنة الله على الكذابين * وقاتل الدجالين * وانظر ما سبق قريباً من اعتراف شيخكم أبي غدة.

(١) التوسل بالنبي ٢٠ وبراءة الأشعريين ٨٩.

(٢) لم أعرفه ولعله من الأحياء المعاصرين ولكنه وثني جلد / كوثري صلب، داعية سافر إلى الشرك قبيح اللسان كثير الكذب والبهتان على أئمة الإسلام ساقط عن الديانة بفسقه إلى الخيانة.

(٣) انظر تفسيرها في ١٠٠.

(٤) ردود على شبهات السلفية ٢٣٧ـ٢٣٨.

(٥) أيها الدجال! أين قال أئمة التوحيد والسنة: إن هذه الثلاثة إله واحد؟

والنصارى يقولون: الأب، والابن، وروح القدس إله واحد)[1].

٣١ ـ وقال هٰذا النوري الوثني القبوري هاذياً في شيخ الإسلام (٧٢٨هـ):

(توحيد الربوبية وهٰذا لا ينفي الكفر ولا يكفي؛

هٰذا قول ابن تيمية،

وسنكتفي بالرد على قول ابن تيمية باعتباره الرئيس الأول للسلفية ومبدع بدعتهم)[2].

٣٢ ـ وهٰكذا طول لسانه في أئمة الإسلام ولا سيما شيخ الإسلام ومجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ) وحاول إثبات اتحاد الربوبية والألوهية[3].

٢ ـ الطامة الثانية: ـ بناء على الطامة الأولى ـ

إنكارهم لتقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية:

لقد أنكر القبورية تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية إنكاراً باتاً قاطعاً،

وشنوا الغارات على أهل التوحيد في هٰذا الصدد،

وشنعوا عليهم ورموهم بكلمات نابية وشتائم وسباب لا تصدر إلا عن الرعاع الأوباش؛

ووقعوا في أعراض أئمة الإسلام * أمثال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ) ومجدد الدعوة الإمام الهمام (١٢٠٦هـ).

---

(١) ردود على شبهات السلفية ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) ردود على شبهات السلفية ٢٤٠.

(٣) المرجع نفسه ٢٣٧-٢٥٦، قلت: قد شحن هٰذه الصفحات بنخالة القضاعي وابن مرزوق.

وقد ذكرنا بعض نماذج من ذلك[1].

٣ ـ الطامة الثالثة : جعلهم توحيد الربوبية هو الغاية العظمى لما سبق ولما يلي :

٤ ـ والطامة الرابعة : أن القبورية بسبب جهلهم بتوحيد العبادة ـ وجعلهم توحيد الألوهية عين توحيد الربوبية ـ

قالوا صراحة جهاراً نصاً : إن توحيد الربوبية كاف لدخول المرء في الإسلام والنجاة[2].

وإن من اعترف بتوحيد الربوبية فقد اعترف بتوحيد الألوهية[3].

٥ ـ والطامة الخامسة : أنهم غيروا مفهوم الشرك وزعموا أنه لا يتحقق الشرك إلا إذا اعتقد في غير الله أنه رب مستقل بالتصرف والتأثير بنفسه[4].

٦ ـ والطامة السادسة : تحريفهم لمعنى العبادة حسب تبديلهم لمعنى الشرك[5].

---

(١) انظر صلح الإخوان لابن جرجيس ١٢٤ـ١٢٨ والدرر السنية لدحلان ٤٠ـ٤١ ط البابي و ٣٧ـ٣٨ ط التركية وسعادة الدارين ٢ / ٢٠ـ٢٣ للسمنودي ومصباح الأنام للحداد ١٧ ومقالات الدجوي ١/٢٤٨ـ٢٦١ وكشف الارتياب للعاملي ١٤٠ والبراهين للقضاعي ٣٧٥ـ٣٨٣ وتوسل ابن مرزوق ٢٠ـ٥٤ وبراءة الأشعريين له ٨٧ـ١٢٣ وردود النوري ٢٣٧ـ٢٥٦.

(٢) درر دحلان ٤١ وبراهين القضاعي ٣٧٧، ٣٨٠ والتوسل لابن مرزوق ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٩٣، والبراءة له ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٦٣، وردود النوري ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢.

(٣) راجع المراجع السابقة جميعاً.

(٤) سيأتي تفصيله إن شاء الله في ص ٣٥٩ـ٣٦٠.

(٥) سيأتي تحقيقه في ص ٢٨٩ـ٢٩٦.

٧ ـ **والطامة السابعة** : جعلهم المشركين السابقين مشركين في توحيد الخالقية والرازقية والربوبية والتدبير للكون،

وأنهم اعتقدوا في آلهتهم التصرف بالاستقلال وأنها مستقلة بالتأثير.

وأن لها شرفاً ذاتياً واختياراً وتدبيراً(١).

٨ ـ **الطامة الثامنة** : تحريفهم لتلك الآيات الصريحة الناصة على أن المشركين كانوا يعترفون بتوحيد الربوبية ـ تحريفاً معنوياً قرمطيّاً ـ،

ولهم في هٰذا التحريف القرمطي طرق عجيبة غريبة، كل هٰذه التحريفات لمحاولة إثبات أن المشركين لم يكونوا معترفين بربوبية الله تعالى(٢).

وهٰكذا يفضح الله المحرفين المبطلين.

أقول: إن تحريفات هٰؤلاء القبورية لهٰذه الآيات لا شك أنها تحريفات قرمطية؛

ولكن المدعو بعلوي المالكي ارتكب تحريفاً لا إخاله أوحاه إليه مشائخه، وخلطاؤه الإنسية،

---

(١) انظر السيف الصقيل للسبكي مع تبديد الظلام للكوثري ٢٧ـ٢٨ والبراهين الجلية للطباطبائي ٣٣٣ـ٣٣٤ والكشف للعاملي ١٠٦، ٢٩٣ـ٢٩٦ والسعادة للسمنودي ١/٣٠٤ـ٣٠٧ وبراهين القضاعي ٣٧٨ـ٣٩٠، ٤٣٩ والفرقان له ١١٣ـ١١٤ والتوسل لابن مرزوق ٣٠، ٣١، ٣٧ والبراءة له ٩٩، ١٠٠ وردود النوري ٢٤٣ وحقيقة التوسل لموسى محمد علي ١٤٤ والمفاهيم للمالكي ٢٦ـ٢٧.

(٢) راجع براهين القضاعي ٣٨١، ٣٨٩ والتوسل والزيارة لمحمد الفقي الوثني تلميذ عبد الحليم محمود الصوفي شيخ الأزهر ١٧، [وهو غير محمد بن حامد الفقي السلفي رئيس أنصار السنة بمصر (١٣٠٩هـ)] وتوسل ابن مرزوق ٣٠، ٤٥، ٤٧، ٤٨، والبراءة له ٩٩ـ١١٦ـ١١٧ـ١٢٣ وردود النوري ٢٤٣ ومفاهيم المالكي ٢٦ـ٢٧.

ولعله أخذ هذا التلبيس مباشرة من إبليس:

فقد صرح بأن المشركين لم يكونوا جادين في جميع تلك الاعترافات التي حكى الله عنهم في القرآن بربوبيته وخالقيته ومالكيته وتدبيره وجعلهم الآلهة شفعاء عند الله[1].

٩ - الطامة التاسعة: إنكارهم وجود الشرك في المنتسبين إلى الإسلام إنكاراً قاطعاً باتاً؛

وأن الشرك لم يقع في المستغيثين بأهل القبور،

ويبررون كل ما يرتكبه القبورية من الإشراك الصريح من استغاثتهم بالأموات عند الكربات * وعبادتهم للقبور وأهلها بأنواع العبادات * بأن هذا ليس من قبيل الإشراك بالله سبحانه، *

ولا من باب عبادة غير الله؛ *

لأن الشرك والعبادة لا يتحققان إلا باعتقاد الربوبية لغيره تعالى والاستقلال بالنفع والضر والإيجاد والخلق ونفوذ المشيئة لا محالة والتأثيرات بالذات دون الحاجة إلى الغير فليس في المسلمين الموحدين المستغيثين بالصالحين شرك،

وهم برآء من الشرك[2].

---

(١) انظروا المفاهيم ٢٦-٢٧؛ لتعجبوا يا قوم! فإن القوم لا ينفعهم اللوم!

(٢) راجع شفاء السقام للسبكي (٧٥٦هـ) ١٧٥ ط جديدة و ١٤٦ ط القديمة ونفحات القرب للحموي (١٠٩٨هـ) ٢١٧-٢١٨ ط القديمة و ٨-٩ ط الجديدة.

وكشف النقاب للنقوي (١٢٨٩هـ) ٤٤-٥١ وكشف الارتياب للعاملي (١٣٧١هـ) ٢٧٤ وبراهين القضاعي (١٣٧٦هـ) ٣٨٢-٣٨٤، ٣٩٠ والفرقان له ٢١ والإفهام والإفحام لمحمد زكي ١٧، ٣٣ وحقيقة التوسل لموسى محمد علي ١٤١-١٤٥ ومفاهيم المالكي ٢٥، ١٠٣-١٠٥ والرد المحكم للرفاعي ٩٠-٩١.

۱۰ ـ **الطامة العاشرة**: وهي أكبر من أمها، فكيف بأخواتها فهي أشنع الطامات * وأبشع البليات *:

وهي ارتكاب القبورية أنواعاً من الإشراك برب البريات *

من دعاء الأموات والاستغاثة بهم عند الكربات والملمات *

وعبادتهم للقبور وأهلها أنواعاً من العبادات *

فقد وصلوا في الشرك إلى حد لم يصله أهل الجاهلية في الأيام الخاليات *

كما سيأتي تحقيقه بنصوص علماء الحنفية وأقوالهم القاطعات *

فقد حقق علماء الحنفية أن القبورية أعظم شركاً من أهل الوثنيات[١] * وأنهم أعظم عبادة وخشوعاً وهيبة للأموات عند الكربات * منهم لخالق الكائنات في المساجد وفي الأسحار وغيرها من الأوقات[٢] * ـ

۱۱ ـ **الطامة الحادية عشرة**: تسمية القبورية أنفسهم موحدين مع إشراكهم.

من[٣] تلك الطامات التي تشعبت من الطامة الأولى الأم، والطامات التي بعدها:

من جهلهم بتوحيد الألوهية وجعله عين توحيد الربوبية،

ثم تحريفهم مفهوم الشرك وتبديلهم معنى العبادة،

ثم وقوعهم في الشرك الأكبر الذي يفوق إشراك الوثنية الأولى ـ

---

(١) انظر ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ص ١١١٨-١١٩٧.

(٢) راجع ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ص ١١٩٩-١٢٢٩.

(٣) خبر مقدم، والمبتدأ قولي الآتي: «طامة أخرى».

طامة أخرى[1]:

وهي أن القبورية مع ارتكابهم الشرك الأكبر ـ

يسمون أنفسهم موحدين مؤمنين[2].

۱۲ ـ **الطامة الثانية عشرة**: أنهم يسمون ـ بعكس ذلك ـ أئمة التوحيد والسنة دعاة العقيدة السلفية ـ خوارج كلاب النار؛

ويتهمونهم بأنهم مكفرون جميع الأمة الإسلامية برمتها،

وأنهم يكفرون المؤمنين الموحدين[3] المستغيثين بالصالحين.

بل تصل القبورية إلى أبعد الحدود في الكذب والبهتان والبغي والظلم والافتراء والعدوان على أئمة التوحيد والسنة والإيمان؛

فيتهمونهم بأنهم كفّروا الصحابة والتابعين وأتباعهم من الفقهاء والمحدثين؛

على طريقة أسلافهم الخوارج كلاب النار[4].

۱۳ ـ **الطامة الثالثة عشرة**: تبرير إشراكهم بأنهم لا يعبدون الأصنام والأحجار والأشجار التي لا منزلة لها عند الله تعالى بخلاف المشركين؛

ويقولون ـ في أئمة التوحيد والسنة الرادين عليهم ـ:

إنهم يعمدون إلى تلك الآيات التي نزلت في المشركين؛

فيحرفونها، ويحملونها على المؤمنين الموحدين المتوسلين المستغيثين بالأنبياء والأولياء؛

---

(۱) مبتدأ مؤخر، خبره قولي السابق: «ومن تلك الطامات».

(۲) راجع المراجع الآتي ذكرها في ص ۱۹۵-۱۹٦.

(۳) حسب زعم القبورية!؟!.

(٤) انظر المصادر الآتية في الحاشية التالية.

كما يحرفون الآيات التي نزلت في الأصنام؛
فيحملونها على الأنبياء والأولياء؛
فقاس هٰؤلاء الخوارج المكفرون للمؤمنين الموحدين المستغيثين بالصالحين -
الاستغاثة بالأنبياء والأولياء عند الكربات *
والنذر لهم والذبح لهم وطلب الدعاء منهم عند الملمات *
على عبادة الأصنام والأحجار والأشجار التي لا مكانة لها عند الله؛
فظنوا أن كليهما إشراك بالله وعبادة لغير الله سبحانه.
مع أن هٰذا القياس قياس فاسد؛
لأنه لا يصح قياس مؤمن موحد يستغيث بالأنبياء والأولياء ويناديهم وينذر لهم -
على مشرك يعبد الأصنام والأحجار والتماثيل والأشجار التي لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا مكانة لها عند الله؛
كما لا يصح قياس الاستغاثة بالأنبياء والأولياء ودعائهم والنذر لهم -
على عبادة الأصنام والأحجار * والأوثان والأشجار *؛
فأين هٰذا من ذاك؟[1].

---

(١) راجع لتوثيق هٰذه الطامات الثلاث المراجع القبورية الآتية:
البراهين للقضاعي ٣٨٧-٣٩٠ والتوسل لابن مرزوق ٣٧، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٦١، ٦٥، ٦٦، ٩٢، والبراءة له ١٠٦، ١٢٣، ١٢٤، ٢٥٦، والحقيقة لموسى ١٣٧-١٤٥، والتبديد للكوثري ٢٨ وصلح الإخوان لابن جرجيس ١٣٦ و ١٤٠-١٤١، ١٤٤، وسعادة الدارين، للسمنودي ١/٣٠٤-٣٠٧ وكشف الارتياب للعاملي ٢٩٣-٢٩٦ وكشف النقاب للنقوي ٤٥-٥٠ وفصل الخطاب للقباني ١٢ و ١٨ و ٧٢، ٩١-٩٨ / مخطوط وفصل الخطاب لعبد الرؤوف ٢٧ / مخطوط وشواهد الحق للنبهاني ١٥١-١٥٢ والدرر السنية =

قلت: هٰذه ثلاث عشرة طامة ـ

هي خلاصة عقيدة القبورية في جعل توحيد الألوهية عين توحيد الربوبية بدون تفريق وتغائر، وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية،

وبعد عرض عقيدة القبورية في قولهم باتحاد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ننتقل إلى الفصل الآتي؛

لنعرف بعض جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية ـ

في القول بعينية هٰذين التوحيدين، وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية؛ فأقول مستعيناً بالله العظيم:

* * * * *

= لدحلان ٣٨ ط التركية و ٤١ ط البابي وخلاصة الكلام له ٢٣٠-٢٣١ وشفاء السقام ١٤٦ ط القديمة و ١٧٥ ط الجديدة وقوة الدفاع للتجاني ٥٣-٥٤ والبصائر للدجوي ١٦٧-١٦٩، والرد المحكم ٩٠-٩١ للرفاعي والإفهام والإفحام لمحمد زكي ١٠٨،

وراجع فيض الباري للكشميري ١/ ١٧٠-١٧١ والمهند على المفند للسهارنفوري ٤٥-٤٧ ونفحات القرب للحموي ٢١٧-٢١٨، ط بولاق و ٨-٩ ط التركية.

الفصل الثاني
في جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة
القبورية باتحاد وتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية

لعلماء الحنفية جهود في الرد على عقيدة القبورية، وإبطال جعلهم توحيد الألـوهية عين توحيد الـربـوبية، وجعل توحيد الربوبية هو الغاية؛ ويحسن أن أعـرض بعض جهـود علمـاء الحنفية في الجواب عن جعل القبـورية توحيد الـربوبية هو الغاية، وإبطال عقيدتهم في جعلهم توحيد الألـوهية عين توحيد الربوبية في وجوه؛ ليكون كل وجه جواباً عن قولهم وإبطالاً لعقيدتهم؛ فأقول وبالله التوفيق.

الوجوه: الأول إلى الثالث عشر:

لقـد سبق أن ذكـرت جهـود علمـاء الحنفية في بيان أهمية توحيد الألوهية وعرضت كلامهم في ثلاثة عشر وجهاً؛ كلها تدل على الفروق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية وهٰذه الوجوه كل واحد منها برهان قاطع وسلطان باهر على أن توحيد الألوهية غير توحيد الربوبية وكل هٰذه الوجوه حجج ساطعة على أن المقصود الأعظم والغاية العظمى والهدف الأسمى والمـطلب الأسنى الأعلى من خلق الجن والإنس، ومن إنـزال الكتب وإرسال الرسل ـ

هو توحيد العبادة المتضمن لتوحيد الربوبية.

فلا حاجة إلى إعادة تلك الوجوه هنا[1].

الوجه الرابع عشر:

أن الـرب والإله مفهومان متغايران لغة؛ وليسا مترادفين حتى يكونا بمعنى واحد ويتحدا مفهوماً:

وفيما يلي كلام علماء اللغة من الحنفية:

أ ـ أما لفظ: «الرب»:

فهـو ينبىء عن القيام بالشيء وإصلاحه، وحفظه، وتنميته، وكون الشيء مالكاً لآخر ومتصرفاً له وسيداً له وسائساً له، ومصلحاً، حافظاً وقائماً بأموره[2].

ب ـ وأما لفظ: «الإله»:

فهـو فعـال بمعنى مفعول؛ أي «مألوه» بمعنى: «معبود»؛ كإمام: بمعنى: مؤتم به:

من أله يأله إلهة وتألهاً:

أي: عبد يعبد عبادة وتعبداً.

ومنه قول رؤبة بن العجاج (١٤٥هـ):

لله در الـغـانـيات الـمـده سبحـن واسـترجـعن من تألهي

---

(١) انظر تلك الوجوه المذكورة بالترتيب في ص ١٢١ـ٢٤٦.

(٢) انـظر بحـر العلوم للسمرقندي (٣٧٥هـ) ١/٢٢٨، وإصلاح الوجوه والنظائر للدامغـاني (٤٧٨هـ) ١٨٩، وأساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ) ١٥٠ ووضح البرهان لبيان الحق (٥٥٥هـ) ١/٩٢، والمغـرب للمـطرزي (٦١٠هـ) ١/٣١٤ـ٣١٥، ومختـار الـصحـاح لأبي بكـر الـرازي (٦٦٦هـ) ٩٦، وتـاج العـروس للزبيدي (١٢٠٥هـ) ١/٢٦٠ـ٢٦١، وكليات أبي البقاء (١٠٩٤هـ) ٤٦٦.

أي: من تعبدي[1].

و«المده» جمع «ماده» كركع جمع راكع، من «المده» وهو المدح[2].

ومنه قراءة بن عباس رضي الله عنهما: «ويذرك وإلهتك» [الأعراف: ١٢٧]: أي: عبادتك[3].

قلت: لقد تبين من نصوص هؤلاء الحنفية من أهل اللغة:

أن «الرب» و«الإله» مفهومان متغايران لغة.

إذن لا يصح أن يكون «الرب» و«الإله» من المترادفات.

وأما تغايرهما اصطلاحاً فبيانه في الوجه الآتي.

الوجه الخامس عشر:

أن: «الإله» و «الرب» مفهومان متغايران اصطلاحاً كما أنهما متغايران لغة:

لقد تبين في الوجه السابق أن «الرب» و «الإله» مفهومان متغايران لغة؛ وأريد أن أذكر كلام الحنفية لتحقيق أنهما متغايران اصطلاحاً أيضا ليتبين أن جعل القبورية توحيد الألوهية عين توحيد الربوبية باطل لغة واصطلاحاً:

أ ـ فأما «الإله» اصطلاحاً فهو لا يختلف معناه عما كان معناه لغة؛

---

(١) أساس البلاغة ٩ والمغرب ١/٧٣ ومختار الصحاح ٩، وتاج العروس ٩/٣٧٤ـ٣٧٥ وبهجة الأريب للتركماني ٨٦، وانظر بيت ابن العجاج في ديوانه ١٦٥.

(٢) راجع تاج العروس ٩/٤١١، وذكر بيت العجاج هذا للاستشهاد.

(٣) راجع المراجع السابقة، وانظر الكشاف للزمخشري ٢/١٠٤ـ١٠٥ وبهجة الأريب للتركماني ٨٦ والمظهري للباني ٣/٣٩٤ وروح المعاني للآلوسي ٩/٢٩.

فالإله اصطلاحاً ـ كما صرح به الحنفية ـ:

«كل معبود سواء كان حقّاً أم باطلاً»، بخلاف «الله»؛ فإنه لا يطلق إلا على «الإله الحق»، وهو الله سبحانه وتعالى[1].

وقد اعترف بهذه الحقيقة بعض أئمة القبورية أيضاً[2]:

ب ـ وأما «الرب» معرفاً باللام مطلقاً عن الإضافة؛ فلا يطلق إلا على الله سبحانه وتعالى، وهو الاصطلاح المعروف المشهور؛ بخلاف «الإله».

فإنه يطلق على «المعبود» بالحق وعلى «المعبود» بالباطل، وأما إذا أضيف «الرب» وصار مقيداً فيطلق على غير الله نحو «رب الدار»، نعم أطلق «الرب» بدون الإضافة على غير الله تعالى في الشعر لا في النثر، ولكنه نادر شاذ فلا اعتبار له؛ لأنه لم يصدر إلا مرة واحدة من شاعر واحد[3].

الوجه السادس عشر:

أنه قد تبين من الوجهين السابقين اللذين ذكرت فيهما كلام علماء الحنفية من أهل اللغة في بيان معنى «الرب» و «الإله» لغة واصطلاحاً؛ ومن النصوص التي ذكرت عن علماء الحنفية في فصل أهمية توحيد الألوهية:

أن كلمة الإسلام هي: «لا إله إلا الله»؛ وأنه لا يمكن لأحد أن

---

(١) انظر مختار الصحاح ٩ وتاج العروس ٩/٣٧٥، ومئة مسائل للشاه محمد إسحاق ١٥، وراجع أيضاً تعريفات الجرجاني ٥١.

(٢) انظر صلح الإخوان لابن جرجيس ١٣١.

(٣) انظر صلح الإخوان «ابن جرجيس» ١٣١.

راجع الكشاف ١/٥٣ ومختار الصحاح ٩٦ والمدارك ١/٤ وإرشاد الفعل السليم ١/١٣ وكليات أبي البقاء ٤٦٦ وتاج العروس ١/٢٦٠ وكشاف الاصطلاحات ٣/٤ وروح المعاني ١/٧٨ والتبيان للرستمي ٤٤ وحاشية الجرجاني على كشاف الزمخشري ١/٥٣.

يدخل في دين الإسلام إلا بكلمة:

«لا إلٰه إلا الله».

وأما غيرها من الكلمات مثل:

١ ـ «لا رب إلا الله».

٢ ـ «لا خالق إلا الله».

٣ ـ «لا رازق إلا الله».

٤ ـ «لا موجود إلا الله».

٥ ـ «لا مقصود إلا الله».

٦ ـ «الله موجود».

٧ ـ «الله إلٰه».

ونحو ذٰلك من الكلمات.

فلا يدخل بها المرء في الإسلام البتة؛ لأن هٰذه الكلمات لا تفرق بين الإسلام والكفر؛ وليست هي مفترق الطرق بين المسلمين والكافرين؛ لأن جميع الكفار يعترفون بهٰذه الكلمات[١].

بل بعضها من كلمات الملاحدة الصوفية الاتحادية الوجودية والحلولية[٢،٣].

قلت: هٰذا كله حجة قاطعة على أن توحيد الألوهية غير توحيد الربوبية، إذن لا يصح جعل توحيد الألوهية عين توحيد الربوبية.

يوضحه الوجه الآتي.

---

(١) راجع ما سبق في ١٤٣-١٤٦.

(٢) انظر ٧٨٩-٧٩٣.

(٣) سيأتي تعريف الصوفية الملاحدة الاتحادية والحلولية في ص ١٣٢٣.

الوجه السابع عشر:

أنه كما تبين من الوجوه السابقة ولا سيما كلام الحنفية في الوجهين: الرابع عشر والخامس عشر:

أن «الإلٰه» غير «الرب» لغة واصطلاحاً، وأنهما مفهومان متغايران، وليسا اسمين مترادفين؛ كذلك تبين أنه لا يصح أن يكون معنى كلمة التوحيد: «لا إلٰه إلا الله»: «لا رب إلا الله»؛ فلو كان معنى «توحيد الربوبية» بعينه معنى «توحيد الألوهية» لصح أن يكون معنى «لا إلٰه إلا الله» هو: «لا رب إلا الله»؛ لٰكن التالي باطل فالمقدم مثله وإذا لم يجز أن يكون معنى «لا إلٰه إلا الله» هو «لا رب إلا الله» لزم أن لا يصح كون «توحيد الألوهية» عيناً لتوحيد الربوبية؛ لٰكن المقدم حق فالتالي[1] مثله.

بل قد صرح علماء الحنفية أن المعنى الصحيح لكلمة «لا إلٰه إلا الله» هو: «لا معبود بحق إلا الله»، ولا يصح معنى آخر لهٰذه الكلمة العظيمة[2].

كما لا يصح أن يقال في معناها:

«لا إلٰه موجود إلا الله»، أو «لا إلٰه في الوجود إلا الله»؛ لأنه يكذبه الواقع؛ لأن الله تعالى قد أخبر عن وجود آلهة كثيرة متعددة غير الله تعالى ولا يمكن التخلص عن هٰذا الإشكال إلا إذا قلنا: إن معناها: «لا إلٰه بحق

---

(١) المقدم: هو المقدمة الأولى من القياس الاستثنائي، والتالي هو المقدمة الثانية منه انظر التهذيب للتفتازاني على شرحه للجلال مع الجمال على الجلال ١٧٧-١٧٨.

(٢) راجع ضوء المعالي ١٠-١١ وفر العون ٣٨ والتجريد ١٩، ٣٢، ٣٨ كلها للقاري، وروح المعاني ٢٦/٥٧-٥٨ لمحمود الآلوسي، وصيانة الإنسان ١٥٧ وغالية المواعظ لنعمان الآلوسي ١/٣٤، وغاية الأماني لشكري الآلوسي ٢/٧٢، وانظر الدرر المكنونات للمنزاوي ترجمة المكتوبات للرباني ٣/٦.

إلا الله»؛ لأن تلك الآلهة كلها باطلة وإنما الإلٰه الحق هو الله وحده»[1].

الحاصل: أنه قد تبين من كلام الحنفية في الوجهين البالغين، وغيرها من الوجوه السابقة أن الفرق بين «الرب» وبين «الإلٰه» واقع واضحاً لغة واصطلاحاً فهما مفهومان متغايران لا أنهما اسمان مترادفان بمعنى واحد؛ وهٰذه كلها حجج باهرة وبراهين قاهرة على أن جعل القبورية توحيد الألوهية عيناً لتوحيد الربوبية باطل أيما بطلان.

الوجه الثامن عشر:

أن علماء الحنفية الرادين عقائد القبورية قد صرحوا وحققوا بنصوص الكتاب والسنة واستناداً إلى تاريخ الوثنية وسبر عقائد المشركين:

أن المشركين كافة بألوانهم وأصنافهم، ولا سيما مشركي العرب لم ينكروا توحيد الربوبية والخالقية والرازقية لله سبحانه؛ بل كانوا يعترفون ويقرون:

بأن الله تعالى هو وحده: الرب الخالق الرازق المالك المدبر للأمور المتصرف في العالم نافذ المشية في الكون، وهو يحيي ويميت ويجيب المضطر، وحده لا شريك له، فلا راد لقضائه ولا دافع لأمره[2].

وقد ذكر كثير من علماء الحنفية كثيراً من الآيات القرآنية التي تنص على اعتراف المشركين وإقرارهم:

بأن الله تعالى هو وحده الخالق الرازق المالك المحيي المميت المدبر للأمور المتصرف في الكون، ونحوها من المعارف التي تتعلق

---

(١) انظر تعليق بشير محمد عيون على شرح الطحاوية لابن أبي العز ٥٦ عن سماحة الشيخ: عبد العزيز آل باز حفظه الله تعالى.

(٢) انظر المصادر الآتي ذكرها في ص ٢٠٩.

بتوحيد الربوبية(1).

قال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) مورداً عدة للبرهنة على اعتراف المشركين؛ محققاً الفرق بين التوحيدين، قاطعاً دابر القبورية الجهلاء في ذلك:

(ومن بلغت به الجهالة والعماية * إلى هذه الغاية * فقد استحكم على قلبه الضلال والعناد * ولم يعرف ما دعت إليه الرسل سائر الأمم والعباد *؛ ومن له أدنى نهمة في العلم والتفات إلى ما جاءت به الرسل يعرف: أن المشركين من كل أمة في كل قرن ما قصدوا من معبوداتهم التي عبدوها مع الله تعالى إلا التسبب والتوسل والتشفع؛ ليس إلا؛ ولم يدعوا الاستقلال والتصرف لأحد من دون الله).

ثم ذكر عدة آيات على ذلك ثم قال:

(ولم يريدوا منهم تدبيراً ولا تأثيراً ولا شركة ولا استقلالاً؛ يوضحه قوله تعالى:

---

(١) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢٠-٢١ ط البيان و ٧٩ ط المكتب الإسلامي وشرحها للبابرتي ٣٧، ومنح الأزهر للقاري ١٥، وحجة الله البالغة ١/١٢٥ ط السلفية و ١/٣٦٣ ط دار إحياء العلوم وبدور البازغة ١٢٦ ط القديمة و ١٦٨ ط الجديدة كلها لولي الله الدهلوي وجلاء العينين ٥٢١ لنعمان الآلوسي وفتح المناه ٤٤٧ و ٤٥١-٤٥٢ و ٤٦٣ وبلوغ الأرب ٢/١٩٧ كلاهما لشكري الآلوسي وصيانة الإنسان للسهسواني ١٥٧، والتفسير القيم للندوي ٦٥-٦٦، ومفتاح الجنة ٤١-٤٢ للخجندي، ومقدمة جواهر القرآن لشيخ القرآن علام الله ٢٣-٢٤ والبصائر لشيخ القرآن الفنجفيري ١٠٩، ١٢١-١٢٢ ط باكستان و ٢٦٧ ط قطر والعرفان له ٩، والتبيان ١٠٤ والتنشيط ١١٩ كلاهما للعلامة الرستمي ومسألة الوسيلة للشيخ الجوهري وعقد اللآلي للعلامة الرباطي ٤١-٤٢ والكواكب الدرية له ٣٧-٣٨، وراجع المراجع الآتية في ص ٢٠٩.

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢]؛ وقوله: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون *﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩] وقوله: ﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون * أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون *﴾ [النمل ٦١-٦٣]، فتأمل هذه الآيات * وما فيها من الحجج والبينات * تطلعك على جهل هذا العرافي وأمثاله، وأنهم ما عرفوا شرك المشركين * وما كانوا عليه من القصد والدين *؛ ولم يعرفوا ما كان عليه أنبياء الله وأتباعهم من توحيد رب العالمين *)[1]

وقال رحمه الله تعالى أيضاً مبيناً جهل القبورية بحقيقة التوحيد والشرك، محققاً الفرق بين التوحيدين: (إنه [ابن جرجيس] لم يفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ فلذا خبط خبط عشواء؛ وإذا بسطنا ذلك يتبين فساد قوله وبطلانه حتى لصغار المتعلمين؛ - فنقول - وبالله التوفيق *

---

(١) فتح المنان ٤٤٦-٤٤٧.

وبيده أزمة التحقيق *: توحيد الربوبية: هو الذي أقرت به الكفار جميعهم؛ ولم يخالف أحد منهم في هٰذا الأصل إلا الثنوية وبعض المجوس؛ وأما غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك ـ

فقد اتفقوا على أن خالق العالم، ورازقهم، ومدبر أمرهم، ونافعهم، وضارهم، ومجيرهم واحد، لا رب، ولا خالق، ولا رازق ولا مدبر، ولا نافع ولا ضار، ولا مجيد غيره كما قال سبحانه وتعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾** [لقمان: ٢٥]. . .، ولا يستقيم التوحيد للربوبية فضلاً عن توحيد الألوهية إلا بتوحيد الصفات المترتب على الذات؛ لأن صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين، تعالى الله عن ذٰلك علواً كبيراً، وأهل الكلام يسمون هٰذا النوع من التوحيد توحيد الأفعال؛ لما ذكره بعض المحققين: أن صفة الربوبية تستلزم جميع صفات الفعل؛ وصفة الألوهية تستلزم جميع أوصاف الكمال والجلال؛ إلى آخر ما قال.

وأما توحيد الألوهية فهو إفراد العبادة لله الواحد الصمد؛ لأن «الإلٰه» من يقصد للعبادة ويعامل بما يجب على المكلفين. . .؛ وإذا علمت هٰذا تبين لك: أن المعركة بين أهل التوحيد والمشركين في الألوهية فقط. . .؛ فقد تبين لك أن أكثر المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية؛ وإنما أشركوا في الألوهية؛ وعلى ذٰلك كتب العقائد السلفية والحديث والتفسير؛ والحكم باتحاد التوحيد نشأ من جهل هٰذا العراقي لكتاب الله وسنة رسوله [ﷺ]؛ وتقليده الأعمى للذين زعموا أنفسهم علماء ومؤلفين من المقلدين أمثاله الذين كل مؤلفاتهم أو أكثر ما فيها ضلال وبعد عن الهدى؛ أو نشأ من حبه لضلاله واتباعه لهواه. . .)[1].

---

(١) فتح المنان ٤٥١-٤٥٢.

الوجه التاسع عشر:

أن علماء الحنفية قد صرحوا استناداً إلى نصوص الكتاب والسنة وحقيقة الشرك والتوحيد ومعرفة تاريخ الوثنية: أن المشركين لم يعتقدوا في آلهتهم التي كانوا يعبدونها: أنها خالقة، رازقة مالكة لهم، مدبرة لأمورهم متصرفة في شؤونهم ولم يعتقدوا فيها القدرة الذاتية والاستقلال بالنفع والضر، بدون إذن من الله وبدون عطاء من الله سبحانه؛ فلم يجعلوا آلهتهم شريكة مع الله سبحانه في الخلق والرزق والتدبير والتصرف في الكون والربوبية للعالم، والإحياء والإماتة ونحوها من المعارف[1].

قال الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) والعلامة نعمان الآلوسي (٣١٧هـ) واللفظ للأول بعد ذكرهما عدة نصوص قرآنية على اعتراف المشركين:

(ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم؛ بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم؛ تارة يعتقدون: أن هٰذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله؛ وهٰذا كان أصل شرك العرب. . .)[2].

الوجه العشرون:

أن المشركين لم يعبدوا آلهتهم ـ

لأجل اعتقادهم فيهم:

---

(١) عليك بالمراجع التي ذكرتها في ص ٢٠٤، وراجع ما سيأتي في ص ٢٠٩.

(٢) شرح الطحاوية ٢١ ط دار البيان و ٧٩ ط المكتب الإسلامي وجلاء العينين ٥٢١، وراجع المراجع التي ذكرتها في ص ٢٠٤، وما سيأتي في ص ٢٠٩.

أنهم قادرون على النفع والضر والتدبير بذاتهم استقلالاً دون الحاجة إلى الله تعالى ودون إذن الله سبحانه، ودون عطاء الله تعالى لهم(1).

الوجه الحادي والعشرون:

أن المشركين لم يعبدوا الأحجار والأشجار لذاتها ولا اعتقدوا فيها الألوهية فضلاً عن الربوبية؛ فإن هٰذا لم يصدر عن عاقل قط؛ إذ لا يتصور أن ينحت الشخص حجراً ونحوه ويجعله صنماً ثم يعتقد فيه أنه إلٰهه فضلاً عن أن يعتقد فيه أنه خالقه ورازقه وربه(2).

الوجه الثاني والعشرون:

أن المشركين إنما أشركوا بالله تعالى شرك الشفاعة والتوسل إلى الله تعالى بعباده الصالحين؛ فظنوا أنهم لا يمكن لهم الوصول إلى الله تعالى مباشرة إلا بواسطة الصالحين الذين لهم مكانة عند الله، وأن الله تعالى لا يرد شفاعتهم لمنزلتهم عنده؛ وكانوا يقيسون الله تعالى بملوك الدنيا؛ فزعموا أنه كما لم يكن يمكن الوصول لعامة الناس إلى الملوك إلا بواسطة الأمراء والوزراء؛ فكذٰلك عامة العباد لا يمكن لهم الوصول إلى الله تعالى مباشرة إلا بواسطة عباد الله المقربين عنده وعلى هٰذا الأساس صوروا لهم الصور ونحتوا لهم التماثيل تذكاراً لهم وجعلوها قبلة للتوجه إلى هٰؤلاء الصالحين المقربين، فكانوا على هٰذا الأساس يدعونهم ويستغيثون بهم في المهمات وينذرون لهم ويعبدونهم بأنواع العبادات؛ وهٰذه العقيدة الفاسدة في التوسل والواسطة والاستشفاع بعينها هي عقيدة القبورية اليوم

---

(1) راجع المراجع الآتي ذكرها ٢٠٩.

(2) انظر المصادر الآتية في ٢٠٩.

حذو القذة بالقذة[1].

وقد ذكرت كثيراً من نصوص علماء الحنفية بنصها وفصها متفرقة في عدة مواضع من هٰذه الرسالة؛ فلا حاجة لسردها ها هنا[2].

وسأذكر كثيراً منها في هٰذه الرسالة لمس الحاجة إلى ذكرها عند المناسبة[3] كما سأذكر نصوص علماء الحنفية على أن القبورية في توسلهم الشركي ووساطتهم الشركية على طريقة أسلافهم المشركين السابقين حذو

---

(١) راجع لتوثيق هٰذه الوجوه الخمسة إلى كتب الحنفية الآتية:

شرح المواقف للجرجاني مع حاشية حسن الحلبي عليه ٨/٨٣ وحاشية العصام على شرح التفتازاني على العقائد للنسفي مع حاشية الكفوي عليها ١٧٣ ونشر الطوالع للمرعشي ٢٣٩، والنور اللامع للناصري ٢٤/أ مخطوط وشرح الطحاوية للبابرتي ٣٧ وحجة الله البالغة ١/٥٩، ٦٠، ١٢٥ ط السلفية و ١/١٧٧-١٧٨ و ١٨٢-١٨٤ و ٣٦٣ ط دار إحياء العلوم والبدور البازغة ١٢٣-١٢٦ ط القديمة و ١٦٥-١٦٩ ط الجديدة والخير الكثير ١١٨ والفوز الكبير ١٦-٢٠ كلها للشاه ولي الله وترجمة الفوز الكبير لمنير الدمشقي ١٩-٢٠ وترجمته للندوي ٢٣-٢٦ وكشاف الاصطلاحات للتهانوي ٤/١٤٦ وشرح الطحاوية لابن أبي العز ١٨-٢٨ ط دار البيان و ٧٦-٨٦ ط المكتب الإسلامي ومنح الأزهر ١٥-١٧ للقاري وروح المعاني ١١/٩٧-٩٨ و ١٣/١٦٦-١٦٧ وجلاء العينين ٤٤٥، ٤٥٥ لنعمان الآلوسي وغاية الأماني ٢/٩-١٢ و ٣٥٢-٣٥٣ وفتح المنان ٤٤٧-٤٤٨ و ٤٥١-٤٥٢ و ٤٦٣ و ٤٦٥ وبلوغ الأرب ٢/١٩٧-١٩٨ و ٢٠٠-٢٠١ و ٢٢٥-٢٢٦ للشكري الألوسي ومفتاح الجنة للخجندي ٧٦ وصيانة الإنسان للسهسواني ١٦٥، ١٧٨-١٨٠ والدرر المكنونات للمنزاوي ترجمة مكتوبات الرباني ٣/٦-٨، وانظر أيضاً زيارة القبور للبركوي ٢٨-٣٠ وجلاء العينين ٥٢٠ وضياء النور للفنجفيري ٢٦٢ ط القديمة و ٢٨٠ ط الجديدة والعرفان له ٢٢ وراجع فيض الباري للكشميري ١، ١٠٤، ومقدمة القرآن لشيخ القرآن غلام الله ٣٥-٣٦.

(٢) راجع ما سبق في ص ١١٥-١١٧، ١٢٩-١٣٤.

(٣) انظر ما سيأتي في ص ٢١٤-٢١٨، ٢٣٢-٢٣٤، ٣٠٢-٣٠٦.

النعل بالنعل[1].

وأقول: الحاصل: أن المشركين لما كانوا معترفين بتوحيد الربوبية وإنما كان خلافهم في توحيد الألوهية؛ ثبت أن توحيد الربوبية غير توحيد الألوهية.

إذاً بطل قول القبورية؛

في جعلهم توحيد الألوهية عيناً لتوحيد الربوبية وثبت أيضاً أن الرسل ما أرسلت والكتب ما أنزلت وأن الجن والإنس ما خلقوا إلا لتحقيق توحيد الألوهية، فتبين أن الغاية إنما هي توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية، ولله الحمد.

الوجه الثالث والعشرون:

أن المشركين ـ كما صرح الحنفية ـ كانوا يدعون الله تعالى عند الشدائد ولا يدعون آلهتهم الباطلة عند إلمام الملمات والكربات.

وقد استدل كثير من الحنفية بكثير من تلك الآيات التي تدل على أن المشركين كانوا يستغيثون بالله وحده عند الكربات[2].

وقد ذكر الحنفية بهذه المناسبة عدة قصص للمشركين.

الأولى: قصة إسلام عكرمة:

فقد فر عند فتح مكة وركب البحر وأخذتهم الريح فجعل أهل

---

(١) وما في ص ١٢٨٩، ١٢٩٠-١٣٠٢.

(٢) انظر المدارك ١٦/٢ و ٢٨٠ و ٦٩٥ و ٣٣/٣ و ٣٢٤ وإرشاد العقل السليم ٣٠٩/٤ وروح المعاني ١١/١١٠-١١١، ١٣/٦٦-٦٧، ١٨/٥٧-٥٨ و ٢١/١٢، ٩٦ و ١٠٨/٢٥ وجلاء العينين ٤٤٢-٤٤٣، وفتح المنان ٤٥١، ٤٦٣-٤٦٤، التبيان للرسمي ١٠٤ والبصائر للفنجفيري ١٠٩، ١٢١-١٢٢ ط باكستان، ٢٦٧ ط قطر وعقد اللآلي للرباطي ٤٠-٦٨ وانظر ما سيأتي في ص ١١٧٢-١١٩٤.

السفينة يدعون الله تعالى ويوحدونه وقالوا: إن هٰذا مكان لا ينفع فيه إلا الله تعالى فقال عكرمة: فهٰذا إلٰه محمد ﷺ الذي يدعونا إليه فارجعوا بنا؛ فرجع فأسلم[1].

القصة الثانية: قصة التجاء قريش وعلى رأسهم عبد المطلب حينما غزا أبرهة الأشرم مكة لهدم الكعبة[2]:

فلقريش عامة ولعبد المطلب خاصة عجائب في التضرع والاستغاثة بالله تعالى وقد ذكر الحنفية شطراً من تضرع قريش والتجائهم إلى الله وحده[3].

ولهم في ذٰلك أشعار يستغيثون فيها بالله تعالى؛ منها أبيات لعبد المطلب:

لاهُمَّ إن المرء يمـ ـنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك
عمدوا حماك بكيدهم جهلاً وما رقبوا جلالك
يا ربِّ لا أرجو لهم سواكا يا ربِّ فامنع عنهم حماك

---

(١) انظر روح المعاني ١١/٩٧-٩٨ و٢١/١٠٦ قلت قد روى هٰذه القصة النسائي ٧/١٠٥-١٠٦ والبزار ٣/٣٥٠-٣٥١ وأبو يعلى ١/١٠٠-١٠١ والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/٣٣٠ وابن الأثير في أسد الغابة ٣/٥٦٧-٥٦٨ والحاكم ٣/٢٤١ وقال الهيثمي رجالها ثقات مجمع الزوائد ٦/١٦٩.

(٢) هٰذه القصة رواها ابن إسحاق في السير والمغازي ٥٩-٦٥، وراجع أيضاً سيرة ابن هشام مع شرح الخشني ١/٨٢-١٠٣.

(٣) انظر السيرة النبوية للندوي ٧٩-٨٢، فله كلام مهم في تضرعهم إلى الله تعالى؛ وراجع الأخبار الطوال للدينوري ٦٢-٦٣، وبلوغ الأرب لشكري الآلوسي ١/٢٥١-٢٦٢.

إنَّ عدو البيت من عاداك · امنعهم أن يخربوا فناك[1]

القصة الثالثة:

أن أهل مكة لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: «اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى القبيلتين وأكرم الحزبين بأفضل الدين»[2].

الحاصل:

أن هذه النصوص التي ذكرها علماء الحنفية عن المشركين تدل دلالة قاطعة أنهم لم يكونوا مشركين في ربوبية الله تعالى وخالقيته ومالكيته وتدبيره للكون؛ وإنما كان إشراكهم في توحيد الألوهية؛ فتبين الفرق بين التوحيدين وبطل جعل أحدهما عين الآخر كما هو زعم القبورية الباطل.

الوجه الرابع والعشرون:

أن الحنفية ذكروا أن المشركين كانوا على بقية من بقايا الملة الإبراهيمية وكانوا يسمون أنفسهم الحنفاء؛ وكانوا يعبدون الله تعالى ببعض العبادات.

كالصلاة والحج والصوم ويعظمون الله تعالى بأفعال تعظيمية ولا سيما السجود وأقوال من الذكر والدعاء؛ والطهارة والغسل من الجنابة، وكان فيهم الزكاة، وقرى الضيف والاهتمام بابن السبيل وحمل الكل والصدقة على المساكين وصلة الأرحام والإعانة على نوائب الحق والذبح في الحلق واللبة وكانوا يحرمون المحارم كالأم والبنت والأخت وكان فيهم القصاص

---

(١) روح المعاني ٣٠/٢٣٥ وتنوير الأذهان ٤/٥٩٩ ومختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٣/٦٧٧، وانظر الكشاف ٤/٢٨٦ وبلوغ الأرب ١/٢٥٤-٢٥٥.

(٢) التبيان للرستمي ١٠٤ قلت: لم أجد من رواها.

والدية والقسامة، وعقوبات الزنا والسرقة ونحوها من بقايا الملة الإبراهيمية؛ بل كانوا يسلمون جواز بعثة الأنبياء ويقولون بالمجازاة ويعتقدون أصول أنواع البر وكثيراً في الشعائر كالختان ونحوه[1].

الحاصل:

أن كل هٰذا يدل دلالة لا تحتمل النقيض:

أن المشركين كانوا يعبدون الله تعالى أيضاً بكثير من العبادات الظاهرة والباطنة؛ وأنهم لم يكونوا مشركين بالله آلهتهم في الخالقية والرازقية والمالكية والربوبية؛ وهٰذا كله برهان أيما برهان على الفرق بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبية؛ وحجة قاهرة على بطلان جعل هٰذين التوحيدين شيئاً واحداً.

الوجه الخامس والعشرون:

أن علماء الحنفية قد ذكروا[2]:

أن المشركين كانوا إذا حجوا يلبون لله عزَّ وجلَّ بهٰذه التلبية:

«لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، وكانوا إذا قالو: «لبيك لا شريك لك»؛ قال لهم رسول الله ﷺ: «ويلكم قدٍ قدٍ»؛

---

(١) انظر حجة الله البالغة ١/١٢٤ـ١٢٧ ط السلفية ١/٣٦٠ـ٣٦٩ ط دار إحياء العلوم والفوز الكبير ١٤ـ١٥ وترجمته المنيرية ١٧ـ١٨ وترجمته الندوية ٢٢ـ٢٣ وبلوغ الأرب ٢/٢٨٦ـ٣٠٠ وفتح المنان ٦٤٣.

(٢) الأنموذج الجليل لأبي بكر الرازي ٢٣٢ وإرشاد العقل للعمادي ٦/١٠٥ حجة الله البالغة ١/٦١ ط السلفية و ١/١٨٤ ط دار إحياء العلوم وروح المعاني ١٣/٦٦ و ١٧/١٤٩، وإعداد الفتاوى ٦/٨٦ ونهاية الإدراك ٨٦ للتهانوي ومقدمة جواهر القرآن للشيخ علام الله خان ٣٥ـ٣٦ والتبيان للرستمي ٦١.

فيقولون: «إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك *»[1] وقد ذكر بعض الحنفية تلبيتهم هٰذه في صورة الرجز:

*لبيك لا شريك لك * إلا شريكاً هو لك * تملكه وما ملك[2].

قال علماء الحنفية في شرح قول المشركين: «تملكه وما ملك».

إن كلمة: «ما» تحتمل وجهين:

الأول: أن تكون نافية؛ فالمعنى: أنهم يعترفون بأن الله تعالى هو المالك وأن آلهتهم لا تملك شيئاً.

والثاني: أن تكون موصولة عطف على الضمير المنصوب المتصل؛ فيكون المعنى: أن الله تعالى هو مالك آلهتهم ومالك ما تملك آلهتهم أيضاً[3].

وقال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) في شرح هٰذه التلبية رداً على مزاعم القبورية ولا سيما ابن جرجيس العراقي:

(وهٰذا الأحمق زاد في غير موضع في كتابه قيداً؛ فقال: «لا يشرك إلا من قصد واعتقد الاستقلال من دون الله».

مع أن في تلبية المشركين في الجاهلية:

«لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»؛ فهٰؤلاء لم يدعوا الاستقلال، وعلى زعم هٰذا [العراقي] فليسوا بمشركين)[4].

---

(١) رواه مسلم ٢/٨٤٣.

(٢) الأنموذج الجليل للرازي ٢٣٢ قلت: رواه الكلبي في الأصنام ٧.

(٣) انظر المرقاة ٥/٢٨٩ ط ملتان و ٥/٤٢٢ ط المحققة وفتح الملهم ٣/٢١٨ والتعليق الصبيح ٣/١٩١.

(٤) فتح المنان ٤٤٨.

ولذلك قال الإمام ابن أبي العز في بيان عقائد المشركين وحقيقة شركهم:

(ولم يكونوا يعتقدون في أصنامهم أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم في مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم؛ تارة يعتقدون أن هٰذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين ويتخذونهم شفعاء ويتوسلون بهم إلى الله؛ وهٰذا كان أصل شرك العرب...)[1].

قلت: الحاصل: أن القبورية في دعواهم: أن المشركين إنما كان إشراكهم لأجل اعتقادهم في آلهتهم الاستقلال بالنفع والضرر غير صادقين كما أنهم في قولهم باتحاد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية على باطل محض.

الوجه السادس والعشرون:

أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، ولا عكس؛ كما سبق تقريره في كلام الحنفية[2].

ولا شك أن المتضمن بصيغة اسم الفاعل غير المتضمن بصيغة اسم المفعول لأن الأول كل[3]، والثاني جزء له[4].

ولا شك أن الكل غير الجزء، والجزء غير الكل؛ ومن لم يفرق بين

---

(١) الطحاوية ٢١ ط دار البيان و ٧٩ ط المكتب الإسلامي وانظر مزيد التفصيل والتحقيق في ص ١٢٨٩-١٣٠٢.

(٢) راجع ص ١٤٧، وانظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ٣٠ ط دار البيان و ٨٧ ط المكتب وجلاء العينين ٥٢١.

(٣) الكل اسم لجملة مركبة من أجزاء تعريفات الجرجاني ٢٣٨.

(٤) الجزء ما يتركب الشيء منه ومن غيره. تعريفات الجرجاني ١٠٢.

الكل والجزء وقال باتحادهما فقد هذى هذيان المحمومين * وانحط من عقلاء المجانين * وقد تبين من هذا أن توحيد الألوهية إذا وجد وجد توحيد الربوبية ؛ لأن وجود الكل يستلزم وجود الجزء ولا عكس ؛

فإن توحيد الربوبية قد وجد عند المشركين ومع ذلك هم مشركون في توحيد العبادة كما سبق تقريره غير مرة[1].

الوجه السابع والعشرون :

أن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية مدلول لتوحيد الربوبية ؛ كما صرح بذلك علماء الحنفية ؛ وهذا حجة وبرهان ودليل وسلطان على أن توحيد الألوهية غير توحيد الربوبية ؛ أنه لا شك أن الدليل غير المدلول والمدلول غير الدليل ؛ ومن زعم أن الدليل والمدلول شيء واحد فقد حكم على نفسه بالجنون * ولكن الجنون أنواع وفنون * .

فقد صرح علماء الحنفية أن الله تعالى احتج على المشركين لأجل اعترافهم بربوبيته وخالقيته ومالكيته في مواضع لا تحصى من كتابه ليوحدوه في ألوهيته ، لأنهم يسلمون في الأول دون الثاني ؛ فاحتج الله تعالى بالأول على الثاني ليسكتهم ويفحمهم ويلجئهم إلى الاعتراف بالثاني ، وهذه طريقة محكمة غاية الإحكام في باب المناظرة[2].

وإليك نصين مهمين للعلامة الآلوسي (١٣٤٢) في ذلك .

---

(١) انظر ص ١٤٦ـ١٤٨ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ٢٦ـ٢٧ ط دار البيان ٨٣ـ٨٤ ط المكتب وحجة الله البالغة ١٠/١٨٥ ط المحققة و ١/٦٢ ط السلفية وفتح المنان للآلوسي ٤٤٧ـ٤٤٨ و ٤٥٢ وعقد اللآلي والدرر للرباطي ٧٤ـ٧٥ ، وانظر كلام أبي غدة الكوثري واعترافه بذلك في ص ١١٧ـ١١٩ .

١ ـ قال رحمه الله في تحقيق أن الله تعالى احتج على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية؛ ليعترفوا بتوحيد العبادة؛ وذٰلك بعد ذكره لعدة آيات فيها استدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلٰهية:

(تأمل! كيف استدل سبحانه وتعالى على توحيد إلٰهيته ووجوب عبادته وحده لا شريك له بما أقر به الخصم واعترف به من توحيد ربوبيته واستقلاله بالملك والخلق والتأثير والتدبير؛ وهٰذه عادة القرآن دائماً: يعرج على هٰذه الحجة؛ لأنها من أكبر الحجج، وأوضحها، وأدلها على المقصود؛

فسبحان من جعل كلامه في أعلى طبقات البلاغة، والفصاحة، والجلالة، والفخامة، والدلالة والظهور؛ فأي شبهة بعد هٰذا تبقى للمماحل المغرور)[1].

٢ ـ وقال رحمه الله تعالى: محققاً أن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية وأن الله تعالى قد احتج على المشركين بهٰذه الحجة القاهرة الباهرة:

(إنه [ابن جرجيس] لم يفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فلذا خبط خبط عشواء...؛ توحيد الربوبية هو الذي أقرت به الكفار جميعهم...؛ فقد اتفقوا على أن خالق العالم ورازقهم ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم ومجيرهم واحد؛ لا رب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره...؛ وأما توحيد الألوهية فهو إفراد العبادة لله الواحد الصمد...؛ إذا علمت هٰذا تبين لك أن المعركة بين أهل التوحيد والمشركين في الألوهية فقط...؛ وجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم

---

(١) فتح المنان ٤٤٧ـ٤٤٨ و ٤٥٢.

دعـوا إلى توحيد الله وعبـادته، وقد رد الله سبحانه على من خالف هٰذا الأصل، وحكم على الوصل بحكم الفصل، وهـم المشركون الذين وحدوه بالربوبية، وأشركوا به في الألوهية توحيدهم؛ فأقامه حجة بالغة وسلطاناً مبيناً قامعاً للشرك في الألوهية، موجباً لإفراده فيها أيضاً، وأنه ينبغي أن لا يعبد غيره، كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه؛ فقد تبين لك أن أكثر المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وإنما أشركوا في الألوهية، وعلى ذٰلك كتب العقائد السلفية والحديث والتفسير.

والحكم باتحـاد التوحيدين نشأ من جهل هٰذا العراقي لكتاب الله وسنة رسوله [ﷺ[1]].

الوجه الثامن والعشرون:

أن الفرق بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبية، جوهري؛ لأن توحيد الـربـوبية توحيد بأفعـال الله تعالى، مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الكون والتصرف في الخلق وإنزال المطر وإنبات النبات، وغيرها من أفعال الله تعالى الخاصة به سبحانه وتعالى.

أمـا توحيد الألـوهية فهو توحيد بأفعال العبد؛ مثل الدعاء والخوف والـرجاء والتوكل والإنابة والصوم والصلاة والحج والزكاة وغيرها من أنواع العبادات الظاهرة والباطنة وهٰذا التوحيد هو الذي وقع فيه النزاع في قديم العصر وحديثه، وأنكر المشركون قديماً وحديثاً، وهٰذا التوحيد هو معنى: «لا إلٰه إلا الله»[2].

---

(١) فتح المنان ٤٥١-٤٥٢.

(٢) نشر المرجان للشافوري مع تعليق الجارباغي ٤٢-٤٣، قلت: لقد صرح بذلك أئمة السنة، انظر مؤلفات مجدد الدعوة الإمام ١ / ٣٧١ وراجع أيضاً الكواشف الجلية ٤٢٠.

الوجه التاسع والعشرون:

أن الفرق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية؛ وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات - موجودان - قبل شيخ الإسلام - عند أئمة الحنفية الكبار الأعلام؛ فكيف يصح زعم القبورية أن هٰذا التقسيم من بدع ابن تيمية، ومخترعاته؟

وإليك بعض نصوص هٰؤلاء الأئمة للحنفية في صحة هٰذا التقسيم وفي صحة الفرق بين هٰذين التوحيدين؛ إتماماً للحجة وإيضاحاً للمحجة:

١ - ٤ - قال الإمام الطحاوي (**٣٢١هـ**) في بيان عقيدة الأئمة الثلاثة للحنفية على الإطلاق:

أبي حنيفة (**١٥٠هـ**) وأبي يوسف (**١٨٢هـ**) ومحمد (**١٨٩هـ**) رحمهم الله تعالى:

(نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره)[1].

قلت: تدبر رحمك الله كلام هٰؤلاء الأئمة؛ فإن قولهم: «إن الله واحد لا شريك له» توحيد إجمالي ونفي الشرك، وقولهم: «ولا شيء مثله» هو توحيد الأسماء والصفات، وقولهم: «ولا شيء يعجزه» هو توحيد

---

(١) الطحاوية على تعليقات الألباني ١٧-١٨ ومع تعليقات ابن مانع ٦ ومع شرح الناصري (٦٥٢هـ) النور اللامع ١٨-٢٧ مخطوط ومع شرح البارتي (٧٨٦هـ) ٢٨ ومع شرح ابن أبي العز (٧٩٢هـ) ١٥، ٤٢، ٥٢، ٥٥ ط دار البيان و ٧٤، ٩٩، ١٠٨، ١١١ ط المكتب الإسلامي وبشرح الغنيمي ٢٥، ٤٧-٤٨ وبشرح الديوبندي ٣٠-٣٢ وبشرح الأفغاني ٤-٥ ط القديمة و ٣-٥ الجديدة.

الربوبية، وقولهم: «ولا إله غيره» هو توحيد الألوهية.

أو يقال: إن الجملة الأولى: توحيد الربوبية؛ والجملتين بعدها: توحيد الأسماء والصفات، والجملة الأخيرة: توحيد العبادة.

قال الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) رحمه الله في شرح الجملة الأخيرة محققاً أن هٰذه توحيد العبادة:

(قوله: «ولا إله غيره» هٰذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم كما تقدم ذكره. . .)[1].

٥ ـ وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله (١٥٠هـ) أيضاً:

(من قال: «لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض» فقد كفر؛ وكذا من قال: «إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض؟»؛ والله يدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء)[2].

ثم ذكر رحمه الله حديث الجارية[3] في البرهنة على صفة[4] العلو

---

(١) شرح الطحاوية ٥٥ ط دار البيان و ١١١ ط المكتب الإسلامي.

(٢) الفقه الأبسط ٤٩-٥٢ بتعليقات الكوثري وشرح الفقه الأبسط للسمرقندي المطبوع خطأً باسم الماتريدي ١٧-٢٠ والأصول المنيفة وشرحها إرشادات المرام كلاهما للبياضي ١٩٧-١٩٩.

(٣) لي كتاب في تحقيق هٰذا الحديث وتخريجه والدفاع عنه رواية ودراية سميته «الجارية إلى تحقيق حديث الجارية» وقد ذكرت خلاصته في كتابي الكبير الماتريدية ٧٢٠-٧٢٩، وللأخ سليم الهلالي رسالة مطبوعة، وهٰذا الحديث مشتمل على دليل الفطرة وقد استدل به أبو حنيفة على صفة العلو؛ وانظر تفصيل دليل الفطرة في الماتريدية ٧٠٣-٧١٩، وقد صرح أئمة الإسلام منهم أبو حنيفة بأن الله تعالى في السماء على عرشه فوق عباده، انظر تحقيقه في الماتريدية ٧٣٠-٧٣٧.

(٤) انظر تحقيق صفة العلو في الماتريدية ٦٤٦-٧٤٨.

والاستواء[1].

قلت: الشاهد أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى قد صرح بالتوحيدين في هٰذا النص: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ حيث عطف الثاني على الأول، وهٰذا دليل قاطع على تغايرهما وأنهما ليسا شيئاً واحداً.

٦ ـ وقال أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿**ما لكم من إلٰه غيره**﴾ [الأعراف: ٥٩]:

(أي ما لكم من إلٰه تثبت ألوهيته وربوبيته بالدلائل والحجج، والبراهين غيره تعالى)[2].

٧ ـ ونقله الناصري (٦٥٢هـ) وأقره[3].

قلت: الشاهد أن الماتريدي ثم الناصري ـ وهما من كبار الحنفية قد صرحا بذكر الألوهية والربوبية، وقد عطفا الثانية على الأولى؛ فدل ذٰلك على أن الربوبية غير الألوهية؛ فثبت: أن توحيد الألوهية غير توحيد الربوبية، وأنهما ليسا شيئاً واحداً، وهٰؤلاء الأئمة للحنفية كلهم كانوا قبل شيخ الإسلام بقرون متطاولة؛ فهل يصح هذيان القبورية أن الفرق بين هٰذين التوحيدين من بدع ابن تيمية ومخترعاته؟

بل نص الإمام ابن بطة على هٰذا التقسيم[4] وهو توفي قبل شيخ الإسلام بقرون (٣٨٧هـ)[5].

---

(١) انظر تحقيق صفة الاستواء في الماتريدية ٧٥٠-٧٦٤.

(٢) تأويلات الماتريدي تفسير سورة الأعراف الآية رقم ٥٩/خ الأزهرية.

(٣) النور اللامع ١٩/أ المخطوط.

(٤) الإبانة ٦٩٢-٦٩٤ / المخطوطة / المصورة بالجامعة الإسلامية برقم ١٧٧٦/ج ١٣.

(٥) هو الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث شيخ العراق: عبيد الله بن محمد =

الوجه الثلاثون:

أن الشيخ أبا غدة الكوثري الذي له ولاء وثقة بأئمة القبورية وهو من كبار علماء الحنفية قد صرح بأن تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأن الفرق بينهما، وتحقيق أن المشركين كانوا يؤمنون بالأول دون الثاني كل ذلك ثابت بالكتاب والسنة؛ وهذا نص كلامه بحرفه ونصه * ولفظه وفصه *:

(وأما تقسيم التوحيد إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة:

شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية فهذا تقسيم اصطلاحي استقاه العلماء مما جاء في الكتاب والسنة في مواضع لا تحصى:

مما رد الله تعالى به على المشركين الذين كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية، دون توحيد الألوهية؛ وفي سورة الفاتحة التي يقرأها المسلم في صلاته مرات كل يوم دليل على ذلك؛ **﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين *﴾**)[1].

قلت: بعد أن شهد شاهد من أهلها ـ وقد كذبهم شاهدهم في طاماتهم ـ هل يمكن للقبورية أن يقولوا: إن تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية والفرق بينهما لا يدل عليهما الكتاب والسنة؟

ستعلم ليلى أي دين تدينت وأي غريم في التقاضي غريمها

= العكبري، ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/٧١ والمنتظم ١٤/٣٩٠ والسير ١٦/٥٢٩.

(١) كلمات في كشف الأباطيل ٣٧ المطبوعة مستقلة، والمطبوعة في آخر جواب المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل باعتناء أبي غدة المذكور.

وبعد أن ثبت صحة هٰذا التقسيم والفرق بين التوحيدين وأن الغاية هي توحيد العبادة ننتقل إلى الفصل الآتي للرد على شبهات القبورية بحول الله.





الفصل الثالث

في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها للقول باتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية، وزعمهم أن المشركين كانوا مشركين آلهتهم بالله في الخالقية والمالكية والربوبية والرازقية ونحوها

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها للقول باتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية.
- المبحث الثاني: في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها لإثبات زعمهم: أن المشركين كانوا مشركين آلهتهم بالله في الخالقية والمالكية والربوبية والرازقية ونحوها.

كلمة بين يدي هذا الفصل

للقبورية شبهات تشبثوا بها لإثبات زعمهم: أن توحيد الألوهية بعينه هو توحيد الربوبية؛ وزعمهم: أن المشركين كانوا مشركين آلهتهم بالله في الخلق والرزق والملك والربوبية والتصرف في العالم استقلالاً، وزعمهم: أن الشرك لا يتحقق إلا إذا اعتقد الإنسان في غير الله: أنه خالق رازق رب مستقل بالنفع والضر بدون الحاجة إلى الله تعالى، وزعمهم: أن العبادة لغير الله لا تتحقق إلا إذا عبد غير الله بذلك الاعتقاد.

وأنا بحول الله وقوته وحسن توفيقه سأذكر جل هذه الشبهات وأهمها؛

ثم أذكر جهود علماء الحنفية في قلعها وقمعها؛

لإقامة الحجة وإيضاح المحجة؛

فأقول والله المستعان على ما يصفون:

إن الكلام ها هنا في مبحثين:

* * * * *

المبحث الأول

في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها للقول باتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وجعلهم توحيد الربوبية هو الغاية

للقبورية شبهات تشبثوا بها للاستدلال على أن توحيد الربوبية هو عين توحيد الألـوهية لغـة واصـطلاحـاً، وأنهمـا شيء واحـد، لا شيئـان متغايران، وأن الإيمان بأحدهما إيمان بالآخر، والاعتراف بأحدهما اعتراف بالآخر، وأن توحيد الربوبية كاف للمرء في الدخول في الإسلام، إلى غير ذلك من الطامات.

وفيما يلي عرض أهم تلك الشبهات مع بيان جهود علماء الحنفية لإبطالها وقمعها وقلعها، فأقول وبالله التوفيق.

الشبهة الأولى: شبهة «برهان التمانع»:

وإنما سمي به: لأنه مبني على فرض التمانع؛ لأنه يتبين فيه تمانع كل واحد من الصانعين الأخر عن الصنع، أي أن هٰذا يمنع ذاك وذاك يمنع هٰذا عن تنفيذ إرادته[1].

وتقرير برهان التمانع الدال على وحدانية الصانع الخالق هو: (أنه لو

---

(١) انظر حاشية العصام الحنفي على شرح التفتازاني الحنفي على شرح العقائد للنسفي الحنفي ١٤٣. وحاشية برخوردار على الحنفي على الـنبراس للفريهاري الحنفي ١٥٥. وانظر تحفة المريد للبيجوري الأشعري ٦٠.

أمكن إلٰهـان لأمكن بينهمـا تمـانع، بأن يريد أحدهما حركة زيد والآخر سكـونه. . . ؛ وحينئذ إما أن يحصل الأمران؛ فيجتمع الضدان؛ أو لا ؛ فيلزم عجز أحدهما)[1].

أي: يبطل أحد الإلٰهين ويبقى الآخر حقاً، فثبت توحيد الصانع.

وهٰذا البرهان أشهر براهين المتكلمين في إثبات وحدانية الصانع؛ ومـع ذٰلك قد طعن فيه بعض المتكلمين والمتفلسفين: كأبي هاشم عبد السلام بن محمد الحنفي إمام الهاشمية من المعتزلة (٣٢١هـ)[2]، وأبي نصـر الفـارابي الضال الكافر (٣٣٩هـ)[3]، والتفتازاني الحنفي فيلسوف الماتريدية (٧٩٢هـ)[4]، وغيرهم.

ولٰكن لقـوة هٰذا الـدليل عنـد المتكلمين وشهـرته عندهم قد كفّر بعضهم التفتازاني وأبا هاشم لطعنهما فيه[5].

والحق أن هٰذا الدليل حجة عقلية قاطعة صحيحة لا مطعن فيها؛

---

(١) شرح العقائد للتفتازاني الحنفي على العقائد للنسفي الحنفي ٣١-٣٣. وانظر أيضاً المراجع الآتي ذكرها في ص ٢٣٠ في الحاشية رقم ٥.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١/٥٥. والميزان ٢/٦١٦. واللسان ٤/١٦. والرفع والتكميل للكنوي ٣٨٥.

(٣) ترجمته في ص ١٢٩٥.

(٤) ترجمته في ص ٦٨.

(٥) انـظر تبصـرة الأدلـة ٣٦/أـ٣٨/ب مخـطوط. وشرح التفتازاني على العقائد للنسفي ٣٣/٣٤. وشرح المسايرة لقاسم بن قطلوبغا ٤٩-٥٠. والمسامرة لابن أبي شريف ٤٩-٥٠. وحاشية العصام على شرح العقائد النسفية مع حاشية الكفوي عليها ١٤٨. وحاشية الكستلي على شرح العقائد ٣٦. وحاشية البهشتي على حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية ٥٤. والنبراس للفريهاري ١٥٥، ١٦١.

كما صرح بذلك شيخ الإسلام[1].

ولكن القبورية كدأب إخوانهم المعطلة المتكلمين من الماتريدية والأشعرية؛ جعلوا برهان التمانع دليلاً على اتحاد الرب والإله؛ فكلهم قد حملوا قوله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ على برهان التمانع بين الصانعين.

أما المتكلمون: من الماتريدية والأشعرية فأمرهم أوضح في استخدام برهان التمانع وجعله دليلاً على وحدانية الصانع؛ وزعمهم أن هذه الآية الكريمة تفيد وحدانية الصانع على طريقة برهان التمانع، وجعلهم «الإله» في هذه الآية بمعنى الخالق الصانع[2].

وأما القبورية: فيقول ابن جرجيس (١٢٩٩هـ)، والقضاعي (١٣٧٦هـ)، واللفظ للأول:

(ويدل أيضاً على أن «الإله» هو «الرب» الآيات الدالة على التمانع، وهو نفي الشريك؛ فإن الله تعالى علم المؤمنين ورد على الكافرين المشركين؛ كقوله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾؛ أي لو كان في السماوات والأرض أرباب غير الله لفسدتا؛ لأن كل رب يريد ما لا يريد

---

(١) انظر التدمرية ١٧٩-١٨٠ و ١٨٥-١٨٦. ومجموع الفتاوى ٣/١٠١. وتلبيس الجهمية ١/٤٨٠. ومنهاج السنة ٢/٦٥-٦٦، ٦٨ و ٧١ ط القديمة، و ٣/٣٠٤-٣٠٥ و ٣١٢-٣١٣ و ٣٢٣ ط المحققة. وانظر اقتضاء الصراط ٢/٨٤٥ ط المحققة. ودرء التعارض ٩/٣٥٤-٣٥٥.

(٢) راجع المراجع السابقة. وانظر أيضاً كتاب التوحيد للماتريدي ٢٠-٢١ والبداية للصابوني ٤٠. والمسايرة لابن الهمام مع شرحيها ٤٤-٥٤. ونشر الطوالع للمرعشي ٢٣٧-٢٣٨. ومرام الكلام للفريهاري ١٣.

الآخر؛ فيلزم فساد هٰذا النظام الموجود؛ فلما لم تفسد[1]؛ دلّ[2] أن الرب لهٰذا الوجود واحد في ربوبيته)[3].

قلت: هٰذا النص مشتمل على أمور:

الأول: أن المراد من «الإلٰه» هو الرب الخالق الصانع، وأن «الإلٰه» هو بعينه الرب والخالق والصانع.

والثاني: أن هٰذه الآية فيها حجة تسمى ببرهان التمانع.

والثالث: أن المراد من الفساد في هٰذه الآية هو الفساد بمعنى التدمير والهدم الظاهري.

الجواب:

لقد صرح علماء الحنفية الرادين على أهل الكلام وعلى القبورية بأن هٰذه المقدمات كلها فاسدة؛ فإن «الإلٰه» في هٰذه الآية ليس المراد منه هو الرب الخالق الصانع؛ لأن هٰذه الآية سيقت للرد على المشركين الذين لم يعتقدوا صانعين أو أكثر للعالم؛ بل اتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله؛ ولم يعتقدوا فيها أنها خالقة أرباب صانعة؛ بل اعتقدوا فيها أنها عباد مقربون عند الله ويشفعون لهم عند الله. إذن حمل الآية على برهان التمانع صار باطلاً أيضاً، كما أن المراد من «الفساد» التخريب والهدم الظاهر أيضاً باطل ها هنا؛ لأنه لو كان الأمر على برهان التمانع لقال الله تعالى: «لم تخلقا»، ولم يقل: «لفسدتا»؛ لأن برهان التمانع يقتضي أن لا توجد السماوات والأرض إن فرض وجود صانعين فأكثر؛ لا أن تفسدا بعد خلقهما.

---

(١) هٰكذا في الأصل، والصواب «لم يفسد».

(٢) هٰكذا في الأصل، والأولى: «دل على أن الرب».

(٣) صلح الإخوان ١٢٨. والبراهين الساطعة ٣٧٨.

بل المراد من «الفساد» في الآية: الفساد بمعنى الظلم والعدوان؛ لأن التوحيد أعدل العدل، والشرك أظلم الظلم.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي أحد أئمة الحنفية رحمه الله (٧٩٢هـ)، وتبعه العلامة نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ)، واللفظ للأول؛ مبطلاً جميع هٰذه المقدمات، ومزيفاً استدلالهم بهٰذه الآية على جعل توحيد الألوهية عيناً لتوحيد الربوبية؛ وجعل هٰذه الآية مشتملة على برهان التمانع:

(وكثير من أهل النظر يزعمون: أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** [الأنبياء: ٢٢]؛ لاعتقادهم: أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلٰهية الذي بينه القرآن؛ ودعت إليه الرسل عليهم السلام؛ وليس الأمر كذٰلك؛ بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب هو توحيد الإلٰهية المتضمن توحيد الربوبية؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد؛ كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾** [لقمان: ٢٥]، **﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾** [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥]؛ ومثل هٰذا كثير في القرآن؛ ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام: أنها مشاركة لله في خلق العالم؛ بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر، وغيرهم؛ تارة يعتقدون أن هٰذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله؛ وهٰذا أصل شرك العرب. . .)[1].

(١) شرح الطحاوية ٧٩ ط المكتب الإسلامي و ٢٠-٢١ ط دار البيان. وجلاء العينين ٥٢١-٥٢٢.

وقال رحمه الله تعالى أيضاً بعد ذكر قوله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ [الأنبياء: ٢٢]:

(وقد ظن طوائف: أن هٰذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره: وهو أنه لو كان للعالم صانعان إلخ. وغفلوا عن مضمون الآية؛ فإنه سبحانه أخبر: أنه لو كان فيهما آلهة غيره؛ ولم يقل: «أرباب»؛ وأيضاً؛ فإن هٰذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا؛ وأيضاً؛ فإنه قال: «لفسدتا»، وهٰذا فساد بعد الوجود؛ ولم يقل لم يوجدا[1]؛ ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة؛ بل لا يكون الإلٰه إلا واحداً؛ وعلى أنه لا يجوز أن يكون هٰذا الإلٰه الواحد إلا الله سبحانه وتعالى؛ وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة؛ ومن كون الإلٰه الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإلٰه فيهما هو الله وحده لا غيره؛ فلو كان للعالم إلٰهان معبودان لفسد نظامه كله؛ فإن قيامه إنما هو بالعدل؛ وبه قامت السماوات والأرض؛ وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك؛ وأعدل العدل التوحيد؛ وتوحيد الإلٰهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ دون العكس. . .)[2].

قلت: الحاصل: أن استدلال القبورية وكذا إخوانهم المعطلة المتكلمة بهٰذه الآية على جعل توحيد العبادة عيناً لتوحيد الربوبية باطل أي بطلان، ولله الحمد.

الشبهة الثانية: تشبثهم بقوله تعالى: ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾

---

(١) هٰكذا في الأصلين، ولعل الأولى: «لم توجدا».

(٢) شرح الطحاوية ٢٩-٣٠ ط دار البيان ط البيان. و٨٦-٨٧. ط المكتب الإسلامي. وانظر أيضاً غاية الأماني لشكري الآلوسي ١/٢٦٧.

[الأعراف: ١٧٢].

قالوا: «لم يقل ألست بإلٰهكم فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية. ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية إذ ليس الرب غير الإلٰه، بل هو بعينه»[١].

الشبهة الثالثة: تشبثهم بقوله تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا. . .﴾** [فصلت: ٣٠، الأحقاف: ١٣].

قالوا: لم يقل «إلٰهنا»؛ فهٰذا يدل على أن توحيد الربوبية كاف في النجاة والفوز لاستلزامه توحيد الألوهية، فهٰذا دليل على أن القول بأحد التوحيدين قول بالآخر[٢].

الشبهة الرابعة: استدلالهم بحديث سؤال الملكين في القبر: «من ربك»[٣].

قالوا: لم يقولا له: «من إلٰهك»، فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية[٤].

وقال الدجوي: (وأما السنة فسؤال الملكين للميت عن ربه لا عن إلٰهه لأنهم [لا[٥]] يفرقون بين الرب والإلٰه؛ فإنهم ليسوا تيميين ولا

(١) الدرر السنية لدحلان ٤. مصباح الأنام للحداد ١٧. البراهين للقضاعي ٣٧٩. التوسل لابن مرزوق ٢٢. والبراءة له ٩١. المقالات للدجوي ١/٢٥١. صلح الإخوان ١٢٥.

(٢) البراهين للقضاعي ٣٨٠. والتوسل لابن مرزوق ٢٣. والبراءة له ٩٢.

(٣) رواه مسلم ٤/٢٢٠١، عن البراء رضي الله عنه.

(٤) الدرر السنية ٤٠. والبراهين للقضاعي ٣٧٩. والتوسل لابن مرزوق ٢٣. والبراءة له ٩٢. وصلح الإخوان ١٣٠.

(٥) في مقالات الدجوي (لأنهم يفرقون بين الرب والإلٰه). وهٰذا مخالف لقصد الدجوي، فزدت كلمة «لا» ليوافق الكلام قصده، ولعلها سقطت عند الطباعة.

متخبطين، وكان الواجب على مذهب هؤلاء أن يقولوا للميت «من إلٰهك» لا «من ربك»، أو يسألوه عن هٰذا وذٰلك)[1].

وقال القضاعي أحد أئمة القبورية: (ولا يقولان له: إنما اعترفت بتوحيد الربوبية، وليس توحيد الربوبية كافياً في الإيمان)[2].

الشبهة الخامسة: استدلالهم بحديث: «قل ربي الله ثم استقم»[3].

استدل به عدة من القبورية[4].

وتقرير استدلالهم مر في الشبهة الثالثة.

الجواب عن هٰذه الشبه الأربع:

لقد تصدى العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) لجواب هٰذه الشبه بذكر تمهيد طويل وجواب مختصر فقال:

(أقول: لا مرية أننا مأمورون باعتقاد أن الله وحده ربنا ليس لنا رب غيره، وباعتقاد أن الله وحده هو معبودنا، ليس لنا معبود غيره، ولا نعبد إلا إياه.

والأمر الأول: هو الذي يقال: «توحيد الربوبية».

والأمر الثاني: هو الذي يقال: «توحيد الألوهية».

والإشراك في الأول: يسمى «الإشراك في الربوبية».

والإشراك في الثاني: يسمى «الإشراك في الألوهية».

---

(١) مقالات الدجوي ١/٢٥٢.

(٢) البراهين للقضاعي ٣٧٩.

(٣) رواه الترمذي ٤/٦٠٧، وقال: (هٰذا حديث حسن صحيح...)، وابن ماجه ٢/١٣١، وأحمد ٣/٤١٣، وابن حبان (الإحسان) ١٣/٥، ٦، ٧، عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

(٤) البراهين للقضاعي ٣٨٠. والتوسل لابن مرزوق ٢٣. والبراءة له ٩٢.

والآيات الدالة على الأمر الأول كثير) .

ثم ذكر كثيراً منها، ثم قال:

(وأما الآيات الدالة على الأمر الثاني «يعني توحيد الألوهية» فأكثر من أن تحصى) .

ثم ذكر كثيراً منها، ثم قال:

(ولا أظنك شاكاً في أن مفهوم «الرب» ومفهوم «الإلٰه» متغايران، وإن كان مصداقهما في نفس الأمر وفي اعتقاد المسلمين المخلصين واحد. وذٰلك يقتضي تغاير مفهومي التوحيدين، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين «توحيد الرب» ولا يعتقد «توحيد الإلٰه»، وأن يشرك واحد من المبطلين في «الألوهية»، ولا يشرك في «الربوبية» وإن كان هٰذا باطل في نفس الأمر. ألا ترى أن مصداق «الرازق» ومالك السمع والأبصار، والمحيي، والمميت، ومدبر الأمر، ورب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ومن بيده ملكوت كل شيء، والخالق، ومسخر الشمس والقمر، منزل الماء من السماء، ومصداق «الإلٰه» واحد. ومع ذٰلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار وغيرهما، ويشركون في «الألوهية» و«العبادة») .

ثم ذكر عدة آيات دالة على هٰذا المطلب، ثم قال:

(فكذٰلك عباد القبور الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا اسمه، يقرون بتوحيد الرازق والمحيي والمميت والخالق والمؤثر والمدبر والرب. ومع ذٰلك يدعون غير الله من الأموات خوفاً وطمعاً، ويذبحون لهم ويطوفون بهم ويحلقون لهم ويخرجون من أموالهم جزءاً لهم. وكون مصداق «الرب» عين مصداق «الإلٰه» في نفس الأمر وعند المسلمين المخلصين لا يقتضي اتحاد مفهوم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، واتحاد مصداق الرب والإلٰه عند

المشركين من الأمم الماضية وهٰذه الأمة)[1].

ثم قال:

(الاحتمال الثالث: أن المراد بـ «الرب» «المعبود». . قال القرطبي: «والرب المعبود». . .).

ثم ذكر عدة من النصوص أفادت أن المراد بالرب في هٰذه الآيات هو المعبود[2].

وقال في الجواب عن شبهات أخرى:

(«الوجه الثاني» أنه يحتمل أن يكون المراد بالرب في الآيات المذكورة «المعبود»، وقد عرفت بما تقدم أن «الرب» ربما يجيء بمعنى «المعبود»)[3].

قلت:

حاصل الجواب: أنه لا شك في تغاير مفهومي «الرب» و «الإلٰه» ولا ريب أيضاً أن «توحيد الربوبية» غير توحيد الألوهية، وأن الشرك في الأول غيره في الثاني. كما لا يرتاب ذو عقل سليم خبير بأحوال المشركين أنهم كانوا معترفين بالأول دون الثاني، ولٰكن لا يمنع ذٰلك أن تأتي كلمة «الرب» في بعض النصوص ويراد بها «الإلٰه»، فكلمة «الرب» في هٰذه النصوص التي تشبثت بها القبورية هي بمعنى «الإلٰه». فالمعنى: «ألست بمعبودكم»، و«إن الذين قالوا معبودنا»، و«من معبودك»؛ لأن كثيراً من الكلمات مع اختلاف معانيها قد تأتي إحداهما بمعنى «الأخرى» في بعض

---

(١) صيانة الإنسان ٤٤٤-٤٤٨.

(٢) صيانة الإنسان ٤٥٤. وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

(٣) صيانة الإنسان ٤٦٠.

السياق، ومع ذلك لا يدل على أنهما شيء واحد؛ لأن الاتحاد في الصدق لا يستلزم الاتحاد في المفهوم فضلاً عن التساوي، كما صرح به العلامة محمود شكري الآلوسي[1].

وقد أوضح هذا المطلوب المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ)، وأرى أن أذكر كلامه توضيحاً لكلام العلامتين السهسواني والآلوسي؛

قال رحمه الله:

(اعلم أن «الربوبية» و«الألوهية» يجتمعان ويفترقان. كما في قوله تعالى: ﴿**قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس**﴾ [الناس: ١ - ٣]، وكما يقال «رب العالمين»، و«إله المرسلين». وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل: «من ربك». مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله تعالى: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ [التوبة: ٦٠]. ونوع واحد في قوله ﷺ: «افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[2]. إذا ثبت هذا؛ فقول الملكين للرجل في القبر: «من ربك»، معناه: من إلهك؛ لأن توحيد الربوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله: ﴿**الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿**قل أغير الله أبغي رباً**﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ [فصلت: ٣٠]. فالربوبية في هذا هي «الألوهية» ليست قسيمة لها كما

---

(١) راجع فتح المنان ٤٥٣.

(٢) رواه البخاري ٢/٥٠٥، ٥٢٩، ٥٤٤، ٤/١٥٨٠، ٦/٢٦٨٦، ومسلم ١/٥١، عن معاذ رضي الله عنه.

تكون قسيمة لها عند الافتراق، فينبغي التفطن لهذه المسألة»[1].

قلت:

نظير هذه المسألة: مسألة اتحاد الإيمان والإسلام وافتراقهما؛ فهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي إذا ذكر الإيمان والاسلام في سياق واحد يكون المراد من الإيمان عقد القلب، ويكون المراد من الإسلام الإقرار باللسان، والعمل بالأركان، كما في قوله تعالى: ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿**مسلمات مؤمنات**﴾ [التحريم: ٥]، وكما في حديث جبريل الذي فيه بيان أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة[2].

وإذا ذكر الإيمان دون الإسلام، يكون الإيمان شاملاً للإسلام ، كما في قوله تعالى: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿**المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض..**﴾ [التوبة: ٧١].

وإذا ذكر الإسلام دون الإيمان يكون الإسلام شاملاً للإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿**وأنا أول المسلمين**﴾ [الأنعام ١٦٣].

ولقد حقق هذه القاعدة؛ قاعدة الافتراق والاجتماع وبسط القول فيها، وذكر لها نظائر كثيرة الإمام ابن ابي العز الحنفي[3]، وقبله شيخ

---

(١) مؤلفات الشيخ: ٧/١٧، ١٢١-١٢٢.

(٢) رواه البخاري ١/٢٧ و٤/١٧٩٣، ومسلم ١/٣٩، ٤٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم ١/٣٦-٣٨، عن عمر رضي الله عنه.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٠-٣٩٤.

الإسلام؛ فراجعها[1].

الحاصل: أن مفهوم «الربوبية» غير مفهوم «الألوهية» بلا ريب؛ فهما مفهومان متغايران، أمران مستقلان اثنان، لكن قد يذكر أحدهما ويراد به الآخر في بعض السياق أحياناً، فهذا لا يدل على اتحادهما[2].

فكلمة «الرب» الواردة في النصوص التي تشبث بها هؤلاء القبورية لإثبات الاتحاد بين «الربوبية» و«الألوهية» معناها «المعبود»، فلا يصح استدلالهم بها على اتحاد مفهومها.

ولذا نرى العلامة محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ) بعد بحث طويل في معنى الربوبية والألوهية، وأن الأول اعترف به المشركون، وأن المعركة كانت في الألوهية فقط، وأن الأول دليل على الثاني ـ، أجاب عن شبهة إمام القبورية ابن جرجيس «من أن الرب والإله متحدان في المفهوم» قائلاً:

(ثم إن العراقي ـ عامله الله بعدله ـ كأنه لم يشم رائحة العلم ولا قرأ مقدماته حتى حكم باتحاد الرب والإله في المفهوم توهماً منه: أن الاتحاد في [الصدق][3] يستلزم الاتحاد في المفهوم، وأن الترادف [يعني إطلاق «الرب» على «الإله» في بعض المواضع] يستلزم التساوي. وهذا جهل بالنسب بين الألفاظ. وما كفاه هذا الخبط العظيم حتى أخذ يتكلم على أهل الحق بكلام لا يصدق إلا عليه ولا يثبت صفته المذمومة لغيره. فتبّاً

---

(١) كتاب الإيمان ١ـ١٠، ١٥٢ـ١٦١ـ٢٤٦. ومجموعة الفتاوى ٧/١٣ـ١٤ـ٤٢ـ١٦٠ـ٦٩.

(٢) انظر فتح المنان ٤٥١ـ٤٥٣.

(٣) في الأصل: «الماصدق»، والظاهر أنه خطأ مطبعي.

لشيبته الضالة، وسحقاً له من رجل لم تحنكه التجارب)[1].

الشبهة السادسة: استدلالهم بقوله تعالى: **﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾** [آل عمران: ٨٠].

قال الدجوي أحد أئمة القبورية مستدلاً بهٰذه الآية الكريمة على اتحاد الرب والإلٰه:

(فصرح بتعدد الأرباب عندهم، وعلى الرغم[2] من تصريح القرآن بأنهم جعلوا الملائكة أرباباً يقول ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب: إنهم موحدون توحيد الربوبية، وليس عندهم إلا رب واحد، وإنما أشركوا في توحيد الألوهية)[3].

الجواب:

لقد ذكر هٰذه الشبهة العلامة السهسواني مع شبهات أخرى، ثم قال:

(قلت جوابه لوجوه:

الأول: أنه ليس في شيء من الآيات المذكورة أن مشركاً قال في حق غير الله إنه رب [أي إنه خالق ومدبر الكون ونحوه]. . .، وإنما في بعضها اتخاذ الأرباب، وهٰذا ليس نصّاً على أنهم مقرون بربوبيتهم [وخالقيتهم ونحوها]؛ بل يحتمل أن يكون اتخاذهم الأرباب بمعنى صرف شيء من العبادة إليهم أو بمعنى اتباع ما شرعوا لهم من تحريم الحلال و تحليل الحرام . .)[4].

---

(١) فتح المنان ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) استعمال كلمة «الرغم» موضع «مع» دأب كثير من كتَّاب عصرنا، مع أنه خطأ فاحش، والصواب أن يقال «ومع تصريح القرآن».

(٣) مقالات الدجوي ١/ ٢٥٠. صلح الإخوان لابن جرجيس ١٢٥.

(٤) صيانة الإنسان ١/٤٥٦-٤٥٧، ٤٥٩.

قلت: حاصل هٰذا الجواب: أنه ليس المراد من لفظة «الرب» في مثل هٰذا السياق «الخالق الرازق مدبر الكون» حتى يلزم ما زعمته القبورية، بل المراد من «الرب» في مثل هٰذا السياق هو «المعبود».

وقد يرد في بعض السياق «الرب» ويراد منه «المعبود»، كما تقدم ذٰلك على لسان علماء الحنفية[1].

فلفظة «الرب» في هٰذه الآية بمعنى «المعبود».

وأقول: يدل عليه أيضاً ما ذكره المفسرون من علماء الحنفية سببين لنزول هٰذه الآية:

الأول: أن بعض اليهود والنصارى قال للنبي ﷺ: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟. فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن نعبد غيره، أو أن نأمر بعبادة غيره، ما بذٰلك - بعثني ولا بذٰلك أمرني -»، فأنزل الله تعالى هٰذه الآية.

والثاني: أن رجلاً قال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض؟ أفلا نسجد لك؟ قال: «لا، ولٰكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله تعالى»، فنزلت[2].

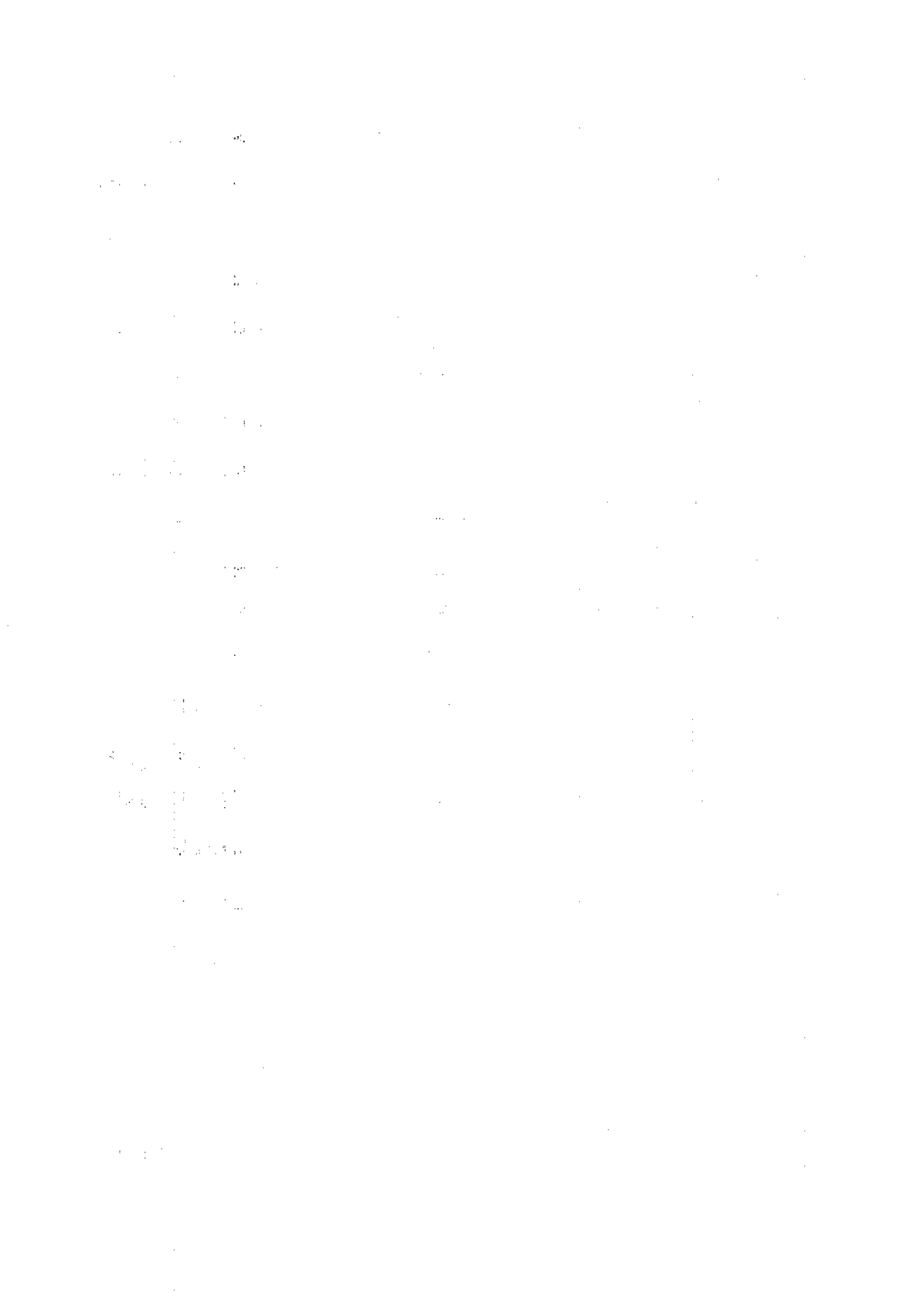
فالحاصل:

أنه ليس في الآية إشارة ولا صراحة أن المشركين كانوا يشركون بالله في الخالقية والرازقية وتدبير الكون، فانهار استدلال القبورية.

---

(١) روح المعاني ٣/٢٠٧. والكشاف ١/٤٤٠. وصيانة الإنسان ٤٥٧. وراجع أيضاً: بحر العلوم ٢/٩٥. والمدارك ١/٢٢٨. وإرشاد العقل ٢/٥٢.

(٢) والسبب الأول رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٣٧٠، وابن جرير في جامعه ٣/٣٢٥، ولم أجد السبب الثاني.



المبحث الثاني

في جهود علماء الحنفية في إبطال شبهات القبورية التي تشبثوا بها لتحقيق زعمهم الباطل: أن المشركين كانوا مشركين آلهتهم بالله في الخالقية والمالكية والربوبية والرازقية ونحوها

للقبورية شبهات كثيرة استندوا إليها لتحقيق أن المشركين السابقين ولا سيما مشركي العرب في الجاهلية إنما كانوا مشركين آلهتهم بالله تعالى في الخالقية والمالكية والربوبية والرازقية.

بل سووا آلهتهم بالله سبحانه وعدلوهم به تعالى، بل كانوا يرجحون آلهتهم على الله تعالى. بل كانوا يسبون الله تعالى إعظاماً لآلهتهم.

وفيما يلي بعض أهم شبهاتهم أعرضها للقراء الكرام، مع بعض جهود علماء الحنفية في إبطالها وقمعها، إتماماً للحجة وإيضاحاً للمحجة، فأقول مستعيناً بالله تعالى:

الشبهة الأولى: تشبث القبورية بقوله تعالى: ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ [الجاثية: ٢٤].

قالت القبورية مستدلين بهذه الآية: إن المشركين كانوا دهرية منكرين للخالق[١].

---

(١) انظر التوسل لابن مرزوق ٣٠. والبراءة له ٩٩. والمقدمة للجاجروي الحنفي ٧٦، ٧٩.

قلت:

لقد أجاب علماء الحنفية عن هٰذا الاستدلال بجوابين:

الأول: أن هٰذه الآية ليس فيها إنكار مشركي العرب للخالق، بل الآية سيقت لبيان اعتقادهم وغلوهم في إنكار البعث، وإنكار قبض ملك الموت أرواحهم بإذن الله، فأنكروا البعث وقالوا: إن الدهر يهلكنا لا ملك الموت.

فالحصر ها هنا في الآية حصر بالنسبة لملك الموت، لا أنهم ينكرون وجود الله تعالى.

ومع ذلك كان فيهم من يثبت نوعاً من التصرف للدهر.

قال الزمخشري (٥٣٨هـ) والنسفي (٧١٠هـ) والعمادي (٩٨٣هـ) والآلوسي (١٢٧٠هـ) واللفظ له:

(وإسنادهم الإهلاك إلى الدهر إنكار منهم لملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله عزَّ وجلّ، وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً إليه لجهلهم أنها مقدرة من عند الله، وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر، وهٰؤلاء معترفون بوجود الله فهم غير الدهرية؛ فإنهم - أي الدهرية - مع إسنادهم الحوادث إلى الدهر لا يقولون بوجود الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير)[١].

الجواب الثاني: أن هٰذا اعتقاد بعض الجاهلية الذين كانوا زنادقة[٢].

---

(١) روح المعاني ٢٥/١٥٣. وانظر: الكشاف ٣/٥١٢. والمدارك ٣/٣٤٣. وإرشاد العقل ٨/٧٣.

(٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣/٤٧٨. وحاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/٣٢٦.

قلت: لا شك أن الـزنادقة لا دين لهم فهم إن أنكروا خالقية الله تعالى وربوبيته ونسبوا الحوادث إلى الدهر، فهٰذا منهم مكابرة وعناد.

فهٰــذه الآية لا تنـاقض ما حكى الله عنهم من اعتـرافهم بتـوحيد الربوبية، فهم يقولون ذٰلك بالألسنة مع أن قلوبهم تشهد بخلاف ذٰلك.

الشبهة الثانية: تشبثهم بقول الشاعر:

أشـــاب الـصـغـير وأفـنـى الكبيـ ـرَ كرُّ الـغــداة ومــرُّ الـعـشـي[1]

قالوا: هل يعقل أن يقول عاقل: إن أصحاب هٰذا الكفر كانوا يقرون بتوحيد الربوبية[2]؟.

والجواب: أن هٰذه الشبهة في غاية من الحماقة والبلادة؛ لأن هٰذا الشاعر كان مسلماً؛ فكيف يتصور أنه كان ملحداً دهرياً زنديقاً منكراً لخالق الكائنات ورب البريات؟.

والظاهر أنه عنى: أن البلايا في الدهر أشابت الصغير وأفنت الكبير.

ولا يبعد أن يكون قوله هٰذا في شدة تلك المصائب، مثل ما في قوله تعالى: ﴿**يوماً يجعل الولدان شيباً**﴾ [المزمل: ١٧]، ولو سلم أنه كان كافراً فجوابه ما سبق في الجواب عن الشبهة السابقة وبالله التوفيق.

الشبهة الثالثة: تشبثهم بقوله تعالى: ﴿**كيف تكفرون بالله...**﴾ [البقرة: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿**وهم يكفرون بالرحمٰن**﴾ [الرعد: ٣٠]،

---

(١) هٰذا البيت لقُثَم بن ضبيئة: شاعر إسلامي خبيث اللسان، المعروف بالصلَتان العبدي، الذي حاكم بين جرير والفرزدق. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٥٣. وراجع ديوان الحماسة لأبي تمام ٣/١٢٠٩. وشرح التبريزي لديوانه ٢/٥٦. ومعاهد التنصيص ١/٧٣. وعيون الأخبار ٣/١٣٢. والعقد الفريد ٢/١٢٣. والكامل للمبرد ٥٤٠. والخزانة للبغدادي ١/٣٠٨. والشعر والشعراء ٥٣. ولم أجده في الأغاني.

(٢) انظر التوسل لابن مرزوق ٣٠. والبراءة له ٩٩.

وقوله تعالى: ﴿إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ [فصلت: ٩].

قالوا: هٰذه الآيات صريحة في إنكار المشركين للخالق سبحانه وتعالى، فدل أنهم كانوا مشركين في خالقية الله تعالى[1].

وأجاب الحنفية بأجوبة ثلاثة:

الأول: أن المراد من الكفر في هٰذه الآيات كفر النعمة، والمعنى: كيف تكفرون نعم الله[2]؟.

والثاني: أن المراد من كفرهم بالله هو كفرهم بكتاب الله؛ فعبر عن ذٰلك بكفرهم بالله[3].

والجواب الثالث: أن المراد من الكفر بالله كفرهم بتوحيد الله[4]، فمعنى «كيف تكفرون بالله»: كيف تعبدون معه غيره[5]. فكفرهم بالله اتخاذ الأنداد والشركاء له سبحانه. ولذا قال الآلوسي - في بيان الربط بين الجملتين في قوله تعالى: ﴿**إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين**﴾، ﴿**وتجعلون له أنداداً**﴾ -: (لأن الأولى متحدة بقوله تعالى ﴿**تكفرون**﴾ بمنزلة إعادتها)[6].

الشبهة الرابعة: تشبثهم بقوله تعالى: ﴿**وهم يكفرون بالرحمٰن**﴾ [الرعد: ٣٠].

---

(١) المقدمة للجاجروي ٨٣.

(٢) انظر حاشية شيخ زاده على أنوار التنزيل للبيضاوي ١/٢٣٣.

(٣) التفسير العزيزي للعلامة عبد العزيز ١/١٤٤.

(٤) تنوير الأذهان للبروسوي ١/١٤٤. مجد العلوم للسمرقندي ١/٣٠٦.

(٥) جواهر القرآن للشيخ حسين علي ١/٢٩.

(٦) روح المعاني ٢٤/١٠٠.

قالوا: فلم يجعلوه رباً[1].

بل هو صريح في أنهم كانوا منكرين للخالق سبحانه وتعالى[2].

أقول: إن الحنفية قد أجابوا عن هٰذه الشبهة بأجوبة ثلاثة:

الجواب الأول: ما مرّ في الجواب عن الشبهة الثانية:

أن المراد بالكفر بالرحمٰن هٰهنا هو الكفر بتوحيده.

قال العلامة الجاجروي:

(قال ابن جرير: يقول: وهم يجحدون وحدانية الله ويكذبون بها)[3].

والجواب الثاني: ما مرّ أيضاً في الأجوبة عن الشبهة الثالثة من أن المراد كفر النعمة، وهي إرسال الرسول وإنزال القرآن لهدايتهم[4].

قال الآلوسي:

(فلم يشكروا نعمة الله سبحانه لا سيما ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم، بل قابلوا رحمته ونعمه بالكفر)[5].

الجواب الثالث: أن المراد أنهم أنكروا هٰذا الاسم لله تعالى كما ورد ذٰلك في سبب نزول هٰذه الآية، فأنكروا تسمية الله بالرحمٰن، لا أنهم أنكروا الله تعالى؛

وهٰذا نوع من الإلحاد في توحيد الأسماء والصفات. وكثير من

---

(١) مقالات الدجوي ١/٢٥٠. وصلح الإخوان ١٢٤.

(٢) مقدمة الجاجروي ٨٣.

(٣) مقدمة الجاجروي ٨٩. وانظر جامع البيان لابن جرير ١٣/١٥٠.

(٤) راجع روح المعاني ١٣/١٥٢. والجواهر ٢/٥٥٤.

(٥) روح المعاني ١٣/١٥٢.

المشركين لا يعرفون الله تعالى باسمه «الرحمٰن»؛

كما روي أن سهيل ابن عمرو[1] قال يوم صلح الحديبية: لا نعرف الرحمٰن إلا مسيلمة.

وروي أن أبا جهل سمع رسول الله ﷺ يقول: يا الله يا رحمٰن. فقال: إن محمداً ينهانا عن عبادة الآلهة، وهو يدعو إلٰهين، فنزلت هٰذه الآية[2].

قلت: الجواب الصحيح هو الأول: ولذا ضعّف الآلوسي الجواب الثاني[3].

والحاصل: أن الآية ليس فيها ما يدل على أن المشركين كانوا منكرين لوجود الله تعالى وخالقيته، فبطلت شبهة القبورية.

الشبهة الخامسة: تشبثهم بقوله تعالى: **﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمٰن قالوا وما الرحمٰن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾** [الفرقان: ١٠].

قالوا: (فلم يكن مشركو العرب مؤمنين بالأحدية والربوبية)[4].

وقالوا: «فهل نرى صاحب هٰذا الكلام موحداً أو معترفاً»[5].

---

(١) كان خطيب قريش، أسر يوم بدر فافتدى، وأسلم يوم الفتح، وسكن المدينة. قيل قتل باليرموك، أو مات مطعوناً بالشام رضي الله عنه (١٨هـ). التمهيد لابن عبد البر ٦٦٩/٢-٦٧٢ والأعلام للزركلي ١٤٤/٣.

(٢) روح المعاني ١٥٣/١٣. والمظهري ٢٣٩/٥. وإرشاد العقل ٢١/٥. والجوهري ٥٥٤/٢. وتنوير الأذهان ٢٥٩/٢. وانظر جامع البيان لابن جرير ١٥٠/١٣.

(٣) روح المعاني ١٥٣/١٣..

(٤) لفحات الوجد ق ٢٣-٢٤. كما في دعاوى المناوئين ٣٢٩.

(٥) مقالات الدجوي ٢٥١/١. وصلح الإخوان ١٢٤.

الجواب:

لقد أجاب المفسرون من الحنفية بأن قصد المشركين إنكار تسمية الله تعالى «الرحمٰن» ولم يكن قصدهم إنكار مسمّاه، وهو الخالق الرازق الرب؛ لأنهم لا يعرفون الله باسمه «الرحمٰن»[1].

وذكر الآلوسي:

(وقيل سألوا عن ذٰلك لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله كما يطلقون الرحيم والرحوم والراحم عليه، أو لأنهم ظنوا أن المراد غيره عزَّ وجلّ، فقد شاع فيما بينهم تسمية مسيلمة برحمٰن اليمامة)[2].

وكانوا ينكرون أن يسمى الله تعالى باسمه «الرحمٰن» كما أنكروا ذٰلك يوم الحديبية[3].

الشبهة السادسة: تشبث القبورية بقوله تعالى: **﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾** [الشعراء: ٩٨].

قال الدجوي (١٣٦٥هـ): انظر إلى قولهم، فهم سووا آلهتهم بالله في جعلهم أرباباً كما هو ظاهر لغير المتعسف[4].

الجواب: أنه قد صرح علماء الحنفية في تفسير هٰذه الآية: أن المراد من التسوية هٰهنا عند الكفار التسوية في العبادة واستحقاقها[5].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٣/٩٨. وراجع المدارك للنسفي ٢/٥٥٠-٥٥١. وإرشاد العقل للعمادي ٦/٢٢٧.

(٢) روح المعاني ١٩/٣٩.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٢/٦٣٧. وقصة الحديبية رواها ابن جرير في جامعه ١٣/١٥٠، وأصل القصة في صحيح البخاري ٤/١٥٣٢.

(٤) انظر: مقالاته ١/١٥٠-١٥١، ١٥٤.

(٥) انظر مدارك النسفي ٢/٥٧٥. وإرشاد العقل للعمادي ٦/٢٥٢. وتبصير =

ولا شك أن من عبد غيره تعالى فقد جعله نداً لله سبحانه، وسواه به تعالى في العبادة، وليس المراد من التسوية هٰهنا تسويتهم لآلهتهم بالله تعالى في الخلق والإيجاد والربوبية والخالقية والرازقية والتصرف في الكون والمالكية، لما سبق تحقيقه مراراً وتكراراً على لسان الحنفية: من أن المشركين كافة لم يكونوا يعتقدون في آلهتهم ذٰلك بل كانوا يعتقدون: أن آلهتهم عباد معظمون عند الله مملوكون له محترمون عنده وهم شفعاؤهم عند الله تعالى.

ولا تنس ما ذكره الحنفية من تلبيتهم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك». وقد سبق تخريجها وتفسير علماء الحنفية لها.

وأقول: إن هٰذه الآية بمثابة آية أخرى: ﴿**بربهم يعدلون**﴾ [الأنعام: ١، ١٥٠]، مع قوله تعالى: ﴿**أنداداً يحبونهم كحب الله**﴾ [البقرة: ١٦٥].

فهٰذه الآية الأخيرة مفسرة لهاتين الآيتين، وتبين المراد بأنهم كانوا مشبهة يشبهون المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم والخضوع والمحبة، وأن المراد التسوية والعدل في المحبة والطاعة والتعظيم والعبادة، لا في الخالقية والمالكية والرازقية والتصرف في الكون ونحوها[1].

= الرحمٰن للمهاتيمي ٢/٩٢. وتنوير الأذهان للبروسوي ٣/١٠٧. والمظهري للباني بتي ٧/٧٤. وروح المعاني للآلوسي ١٩/١٠٣.

(١) راجع بحر العلوم للسمرقندي ٣/١٩٤. ووضح البرهان لبيان الحق ١/٣٢٥. وإصلاح الوجوه للدامغاني ٣١٨. وإرشاد العقل للعمادي ٢/١٠٥. وتنوير الأذهان للبروسوي ١/١٢٧. وروح المعاني ٢/٣٤ لمحمود الآلوسي الجد. وبلوغ الأرب =

الشبهة السابعة: استدلال القبورية بقوله تعالى: **﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾** [البقرة: ٢٢].

قال الطباطبائي[١] أحد أئمة القبورية مستدلاً بهذه الآية:

(ثم إنه سبحانه حكم بشركهم لاتخاذهم تلك الأصنام شريكاً لله في الخلق وتدبير العالم وجوزوا عبادتها خلافاً لله تعالى . . .).

ثم تشبث بهذه الآية ثم قال:

(وأين هذا ممن لا يعتقد في الأنبياء والصلحاء الخلق والتدبير ولا يعتقد عبادتهم)[٢].

قلت: منشأ الشبهة في هذه الآية هو أن الله تعالى نهاهم عن جعل الأنداد لله، والأنداد جمع ند، وند الشيء مشارك له في جوهره، فهو أخص من المثل، فإن المثل يقال في أي مشاركة كانت؛ فكل ند مثل، وليس كل مثل نداً[٣].

وفرق آخر بينهما: هو أن الند هو المثل المخالف[٤].

فدلت الآية على أن المشركين كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها مساوية

= ٢/١٩٧، ٢١٨-٢٢٠. وفتح المنان ٤٥١-٤٥٢، ٤٥٩-٤٦٢، ٤٧٨ لشكري الألوسي الحفيد. وتفهيم القرآن للمودودي ١/٥٢٣. وعقد اللآلىء للرباطي ٥٦-٥٧.

(١) لم أجد له ترجمة؛ غير أنه محمد حسن الموسوي الرافضي العراقي (١٣٨٠هـ)، وفي هامش كتابه البراهين الجلية ٩: أن ترجمته في مقدمة كتابه: الإمامة الكبرى.

(٢) البراهين الجلية ٣٢-٣٣.

(٣) المفردات للراغب ٤٨٦. وروح المعاني ١/١٩١.

(٤) المدارك للنسفي ١/٢٨. والكشاف للزمخشري ١/٢٣٦. وروح المعاني ١/١٩١. وإرشاد العقل للعمادي ١/٦٢. وانظر: بهجة الأديب لابن التركماني ٢٤.

لله في الربوبية، كما قالوا ذلك في الشبهة التي قبلها.

ولكن أجاب المفسرون من علماء الحنفية بأن المشركين لم يعتقدوا في آلهتهم أنها مساوية لله أو مشاركة له في الربوبية والخالقية؛ لأن الآية خرجت مخرج التهكم والسخرية منهم، يدل عليه قوله تعالى في آخر الآية: ﴿وأنتم تعلمون﴾.

قال الزمخشري (٥٣٨هـ) والعمادي (٩٨٣هـ) والآلوسي (١٢٧٠هـ) ما حاصل كلامهم:

فإن قلت: كيف سموا آلهتهم التي كانوا يعبدونها أنداداً؟ مع أنهم لم يكونوا يزعمون أنها تخالف الله أو تساويه أو تماثله في ذاته تعالى وفي صفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله، وإنما عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى.

قلت: لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات مثله قادرة على مخالفته ومضادته، قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله عزَّ وجلّ، وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى لهم من خير. فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم؛ فتهكم بهم وتشنع عليهم بأن جعلوا أنداداً لمن يستحيل أن يكون له ند واحد فضلاً عن أنداد كثير على سبيل الاستعارة التهكمية؛ حيث استعير النظير للمناسب المقرب؛ كما استعير التبشير للإنذار، والأسد للجبان، فإن المشركين جعلوا آلهتهم بحسب أفعالهم وأحوالهم مماثلة له تعالى في العبادة، وهي صفة شنعاء وصفة حمقاء، في ذكرها ما يستلزم تحميقهم والتهكم بهم.

ولله در موحد الفترة؛ زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه حيث يقول في ذلك:

أربّاً واحداً أم ألف رب   أدين إذا تقسّمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعاً   كذلك يفعل الرجل البصير[1]

وقوله تعالى في آخر هذه الآية: ﴿وأنتم تعلمون﴾ حال عن ضمير ﴿لا تجعلوا﴾؛

أي والحال أنكم تعلمون أن آلهتكم لا تماثل الله تعالى، وأنها لا تفعل مثل أفعاله تعالى، ولا تقدر على مثل ما يفعل سبحانه، كما قال تعالى: **﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾** [الروم: ٤٠][2].

وقال العلامة محمود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٢):

(فالمشركون كانوا مشبهة يشبهون آلهتهم بالله تعالى في الإلهية؛ حيث غلوا في تعظيمهم وحبهم، وإن لم يشبهوهم بالله تعالى في كل وجه؛ فكل مشرك مشبه. وهذا التشبيه هو أصل عبادة الأصنام المشركين المشبهين العادلين بالله غيره. قال تعالى: **﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾**، وقال تعالى **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾**، فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلاً للخالق. والند: الشبه؛ يقال: فلان ند فلان، وندّ وندّه أي شبهه ومثله. ومنه قول حسان:

أتهجوه ولست له بند[3]   فشركما لخيركما الفداء

وقال جرير:

---

(١) انظر تخريج هذين البيتين في ص ٢٧٣.

(٢) الكشاف ١/٢٣٧-٢٣٨. وإرشاد العقل ١/٦٢-٦٣. وروح المعاني ١/١٩١.

(٣) هكذا في الأصل، وفي ديوان حسان ٢٠ ط دار الكتب العلمية، و ١٩ ط دار بيروت، و ٦١ ت البرقوقي: «بكفؤ».

أين ما[1] تجعلون إليَّ ندّاً ... وما يُتمٌ[2] لذي حسب نديد

فتبين أن المشبهة هم الذين يشبهون المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم والخضوع والحلف به والنذر له والسجود له والعكوف عند بيته وحلق الرأس له والاستعانة به والتشريك بينه وبين الله تعالى في قولهم: ليس إلا الله وأنت، وأنا متكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما شاء الله وشئت، . وهٰذا لله ولك، وأمثال ذٰلك، فهٰؤلاء هم المشبهة. فمن تدبر هٰذا الفصل حق التدبر تبين له كيف وقعت الفتنة في الأرض بعبادة الأصنام، وتبين له سر القرآن في الإنكار على هٰؤلاء المشبهة الممثلة)[3].

الشبهة الثامنة: تشبثهم بقوله تعالى: ﴿**فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساءَ ما يحكمون**﴾ [الأنعام: ١٣٦].

استدل الدجوي (١٣٦٥هـ) بهٰذه الآية على بطلان الفرق بين توحيدي الربوبية والألوهية، وعلى أن المشركين لم يكونوا مقرين بتوحيد الربوبية[4].

وقال المالكي مستدلاً بهٰذه الآية على أن المشركين لم يعترفوا بربوبية الله تعالى، بل جعلوا الله أقل منزلة من أصنامهم:

(فلولا أن الله تعالى أقل في نفوسهم من تلك الحجارة ما رجحوها

---

(١) هٰكذا في الأصل، وهو خطأ، والصواب ما في ديوان جرير ١٢٩ «أتيم».

(٢) في ديوانه: «وهل تيم»، وهو الصواب.

(٣) بلوغ الأرب ٢/٢١٨-٢٢٠.

(٤) مقالات الدجوي ١/٢٥٣.

عليه هٰذا الترجيح الذي تحكيه هٰذه الآية . . .)[1].

الجواب:

أقـول: تسمية هٰذا المالكي القبوري آلهة المشركين بـ «الأحجار» غفلة فاحشــة وكـذب مكشـوف؛ لأن المشـركين كانـوا يعبـدون الأنبياء والصالحين، ولم يكونوا يعبدون الأحجار، غير أنهم جعلوا صور الأنبياء والصالحين قبلة لعبادتهم كما تقدم.

وأما صنيعهم الذي ذمهم الله به في الآية، فلا شك أنهم في ذٰلك على ضلال، إذ لا شك أنهم رجحوا ما نذروه لآلهتهم على ما نذروه لله تعالى، ولٰكن هٰذا ليس لأجل أنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم أرفع مكانة من الله، وليس فيه أنهم جعلوا آلهتهم شركاء لله في الخلق وتدبير العالم، غاية ما في الأمر أن المشركين كانوا ينذرون لله تعالى، وينذرون لآلهتهم الباطلة أيضاً، فما نذروه لآلهتهم لا ينفقونه على المساكين وأبناء السبيل والضيوف وغيرهم من الوجوه، وما نذروه لله ينفقونه على آلهتهم، وسدنتها وعاكفيها، ويعللون صنيعهم هٰذا بأن الله تعالى غني غير محتاج، وإنما ذٰلك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها.

صرح بذٰلك جمع من المفسرين الحنفيين[2].

وقال الإمام أبو الليث السمرقندي (٣٧٥هـ) أحد أئمة الحنفية:

(روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كانوا يسمون لله جزءاً من

---

(١) المفاهيم ٢٧.

(٢) انـظر الكشاف للزمخشري ٢/٥٢-٥٣. والمدارك للنسفي ١/٧-٥. وإرشاد العقل ٣/١٨٨. وروح المعاني ٨/٣١-٣٢. وتنوير الأذهان ١/٥٠٩. وجواهر القرآن ١/٣٤٢.

الحرث، ولآلهتهم جزءاً، فما ذهبت به الريح من جزء أوثانهم إلى جزء الله أخذوه، وما ذهبت به الريح من الجزء الذي سموه لله إلى جزء أوثانهم تركوه، وقالوا إن الله غني عن هٰذا)[1].

وقال السدي:

(ما خرج عن نصيب الأصنام أنفقوه عليها، وما خرج عن نصيب الله تصدقوا به، فإذا هلك الذي لشركائهم وكثر الذي لله قالوا لا بد من النفقة، فأخذوا الذي لله وأنفقوه على الأصنام، وإذا هلك الذي لله وكثر الذي للأصنام قالوا: لو شاء الله لأزكى له. فلا يزيدون عليه شيء[2]. فذٰلك قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ . . .﴾ . . .)[3].

وقال القاضي الباني بتي أحد كبار الحنفية (١٢٢٥هـ) في تفسير هٰذه الآية:

(حيث كانوا يتمون ما جعلوه للأوثان مما جعلوه له دون العكس. قال قتادة: كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ولم يأكلوا ما جعلوه للأوثان)[4].

وقال الإمام ولي الله إمام الحنفية (١١٧٦هـ):

(كانوا ينفقون ما نذروه لله على المساكين والضعفاء، وينفقون ما نذروه لآهتهم على سدنتها وعاكفيها، ولٰكن إذا اختلط بنذر آلهتهم شيء من نذر الله ضموه إلى نذر آلهتهم دون العكس، وقالوا: إن الله غني لا

---

(١) رواه ابن جرير في جامع البيان ٨/٤١.

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان ٨/٤١-٤٢.

(٣) بحر العلوم ٣/٣٣٢-٣٣٣.

(٤) المظهري ٣/٢٩٢. بيان القرآن للتهانوي ١٣٠.

يحتاج إليه وآلهتنا في حاجة إلى ذلك)[1].

وكانوا يرجحون جانب نذر آلهتهم على جانب نذور الله تعالى خوفاً من آلهتهم لئلا تصيبهم بلية لو قصروا في حقهم[2].

قلت: ونظير صنيع هؤلاء المشركين صنيع كثير من فسقة القبورية، فترى أحدهم لا يؤتي الزكاة المكتوبة، ولكن يهتم اهتماماً بالغاً بإخراج ما ينذره لأهل القبور خوفاً من أن تصيبه بلية في ماله أو نفسه أو أهله أو ولده[3].

الحاصل:

أنه ليست أية إشارة في هذه الآية إلى أن المشركين كانوا بصنيعهم الفاحش هذا منكرين لخالقية الله ومشركين به آلهتهم في الخالقية والرازقية والربوبية، بل كانوا يعبدون الله وغيره من آلهتهم؛ فلا يصح التمسك بها.

وهكذا ترى القبورية إذا أحاطت بهم بلية في البر أو البحر يدعون أهل القبور ولا يكادون يدعون الله حتى في تلك الحالة بخلاف مشركي العرب، فإنهم كانوا يخلصون في دعاء الله تعالى وينسون ما كانوا يعبدونهم من دون الله كما سيأتي تفصيله على لسان علماء الحنفية[4].

بل تجاوز بعض القبورية إلى حد صار شركهم أشنع من شرك مشركي العرب، حيث يزعمون أن الولي أسرع إجابة من الله تعالى[5]. . .

انظر إلى هذا النتن والغلو والإسراف.

فإن كان صنيع مشركي العرب يقتضي الإشراك بالله في الخالقية

---

(١) فتح الرحمن ١/٣٤٢.

(٢) موضح القرآن ١/٣٤٣. وتفهيم القرآن ١/٥٨٥.

(٣) انظر التفصيل في ص ١٢٠٦، ١٢٢٥، ١٢٢٧-١٢٢٩، ١٥٥٣-١٥٥٦.

(٤) انظر ص ١١٧١-١١٩٧.

(٥) راجع ما سيأتي في ص ١٠٥٥-١٠٦٦.

والرازقية والربوبية، فالقبورية أيضاً أشركوا بالله في الربوبية بالطريق الأولى.

ولهٰذا قال الآلوسي ردّاً على القبورية وكشفاً لعوراتهم في تفسير قوله تعالى: **﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾** [الزمر: ٤٥]:

(وقد رأينا كثيراً من الناس على نحو هٰذه الصفة التي وصف الله تعالى بها المشركين، يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم ويطلبون منهم ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيهم، ويعظمون من يحكي لهم ذٰلك وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده، ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عزَّ وجلّ، وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله، وينفرون ممن يفعل ذٰلك كل النفرة، وينسبونه إلى ما يكره، وقد قلت يوماً لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات، وينادي يا فلان أغثني. فقلت له: ـ قل يا الله، فقد قال سبحانه: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾** [البقرة: ١٨٦]، فغضب وبلغني أنه قال: فلان منكر على الأولياء. وسمعت عن بعضهم أنه قال: الولي أسرع إجابة من الله عزَّ وجلّ. وهٰذا من الكفر بمكان نسأل الله أن يعصمنا من الزيغ والطغيان)[1].

الشبهة التاسعة: تشبثهم بقوله تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾** [الأنعام: ١٠٨].

فقد استدل بعض أئمة القبورية بهٰذه الآية على بطلان تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية، وعلى بطلان أن المشركين كانوا يعترفون بربوبية الله

---

(١) روح المعاني ٢٤/١١.

تعالى.

فقد قال الدجوي (أحد أئمة القبورية) (١٣٦٥هـ):

(هٰذه الآية أدل الأدلة على هٰذا، فهل ترى للمشركين توحيداً بعد ذٰلك. أما التيميّون فيقولون بعد هٰذا كله: إنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية)[١].

وقال المالكي أحد رؤساء القبورية في صدد أن المشركين لم يعترفوا بأن الله هو الخالق وحده، وإثبات أن المشركين أشركوا آلهتهم في خالقية الله تعالى مستدلاً بهٰذه الآية:

(وإذا غضبوا قابلوا المسلمين بالمثل فيسبون الله تعالى غيرة على تلك الأحجار التي كانوا يعبدونها يعتقدون أنها تنفع وتضر، فيرمون الله بالنقائص. وهٰذا واضح جدّاً في أن الله تعالى أقل منزلة في نفوسهم من تلك الأحجار التي كانوا يعبدونها. ولو كانوا يعتقدون حقّاً أن الله تعالى هو الخالق وحده، وأن أصنامهم لا تخلق لكان على الأقل احترامهم له تعالى فوق احترامهم لتلك الأحجار)[٢].

أقول: هٰذه الآية لا تدل بحال على أن المشركين كانوا ينكرون خالقية الله وربوبيته أو أنهم كانوا يشركون آلهتهم بالله في الخالقية والرازقية والربوبية، بل لا تدل أيضاً على أنهم كانوا يسبون الله تعالى تديّناً غيرةً على آلهتهم.

فقد أجاب عن هٰذه الشبهة علماء الحنفية جوابين:

حاصل الأول: أن المراد من سبهم الله سبهم رسول الله ﷺ بحيث

---

(١) راجع مقالات الدجوي ١/٢٥٤. وانظر صلح الإخوان لابن جرجيس ١٢٧.

(٢) المفاهيم ٢٦-٢٧.

يفضي سبهم إلى الله من دون قصد وعلم، يدل عليه قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿بغير علم﴾؛ لأنهم كانوا يقرون بعظمة الله، وإنما عبدوا آلهتهم لتكون شفعاء لهم عنده.

وحاصل الجواب الثاني: أنهم كانوا يسبون الله صريحاً وقت الغضب فالحمية الجاهلية تحملهم على ذلك لا لأجل التدين والاعتقاد، ومثل هٰذا قد يحدث عن المسلم أيضاً، فتحمله شدة الغيظ على التكلم بالكفر. فمثل هٰذا إن صدر عن شخص لا يصدر منه تديّناً واعتقاداً، بل فسقاً وحميةً وغضباً.

قال الإمام الآلوسي مفتي الحنفية ببغداد (١٢٧٠هـ) والعلامة حسين علي (١٣٦٢هـ)، واللفظ للأول:

(ومعنى سبهم لله عزَّ وجلَّ إفضاء كلامهم إليه كشتمهم له ﷺ ولمن يأمره. وقد فسر ﴿بغير علم﴾ بذلك أي فيسبوا الله تعالى بغير علم أنهم يسبونه، وإلا فالقوم كانوا يقرون بالله وعظمته وأن آلهتهم إنما عبدوها لتكون شفعاء لهم عنده سبحانه فكيف يسبونه؟. ويحتمل أن يراد سبهم له عزَّ اسمه صريحاً ولا إشكال بناءاً على أن الغضب والغيظ قد يحملهم على ذلك. ألا ترى أن المسلم قد تحمله شدة غيظه على التكلم بالكفر. ومما شاهدناه أن بعض جهلة العوام، أكثر الرافضة سب الشيخين ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عنده فغاظه ذلك جدّاً، فسب عليّاً ـ كرم الله تعالى وجهه ـ، فسئل عن ذلك فقال: ما أردت إلا إغاظتهم، ولم أر شيئاً يغيظهم مثل ذلك. فاستتيب عن هٰذا الجهل العظيم.

وقال الراغب: إن سبهم لله تعالى ليس أنهم يسبونه جلّ شأنه صريحاً، ولكن يخوضون في ذكره تعالى ويتمادون في ذلك بالمجادلة

ويزدادون في وصفه سبحانه بما ينزه تقدس اسمه عنه. وقد يجعل الإصرار على الكفر والعناد سبّاً، وهو سب فعلي. قال الشاعر:

وما كان ذنب بني مالك بأن سب منهم غلام فسب
بأبيض ذي شطب قاطع يقد العظام ويبري العصب[1]

ونبّه به على ما قاله الآخر: «ونشتم بالأفعال لا بالتكلم»[2،3].

وقيل: المراد بسب الله سب الرسول ﷺ، ونظير ذٰلك من وجه قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ [الفتح: ١٠][4].

قلت: احتمال سبهم الله لأجل الغضب والانتقام والحمية دون التديّن والاعتقاد واضح يدل عليه قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿**عدواً بغير علم**﴾.

قال الإمام بيان الحق أحد كبار علماء الحنفية (ت ٥٥٥هـ):

(العدو والعدوء والعدوان والعداء والاعتداء واحد)[5].

أقول: وعلى هٰذا مشى الأستاذ المودودي رحمه الله (١٩٧٩م)[6].

قلت: لقد شاهدنا كثيراً من فسقة المسلمين إذا غضبوا يسبون الله ورسوله والإسلام والقرآن، نعوذ بالله من كيد الشيطان، فليس معنى ذٰلك أنهم ينكرون وجود الله أو يسوون غيره به تعالى في الخالقية والمالكية

---

(١) هما للطهوي. انظر جمهرة ابن دريد ١/ ٣٠، وعنه القالي في ذيل أماليه ٥٤.

(٢) صدره: (وتجهل أيدينا وتحلم رأينا). الصناعتين للعسكري ٦٠. وهو لإياس، أدب الدنيا للماوردي ٣٦٣.

(٣) إلى هٰهنا كلام الراغب. انظر المفردات ٣٩١-٣٩٢.

(٤) روح المعاني ٧/ ٢٥١. جواهر القرآن ١/ ٣٣٥.

(٥) وضح البرهان ١/ ٣٤٢. وانظر بحر العلوم للسمرقندي ٣/ ٣٠٤.

(٦) تفهيم القرآن ١/ ٥٧١.

والرازقية والربوبية.

الحاصل: أن هٰذه الآية لا تدل على أن المشركين كانوا منكرين لخالقية الله وربوبيته، أو أنهم كانوا مشركين آلهتهم بالله في الخلق وتدبير الكون.

فسقط استدلال القبورية بهٰذه الآية على عدم الفرق بين توحيدي الربوبية والألوهية. والله المستعان، وعليه التكلان.

الشبهة العاشرة: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾ [التوبة: ٣١].

قلت: لقد استدل القضاعي أحد أئمة القبورية (١٣٧٦هـ) بهٰذه الآية على بطلان تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية، وعلى أن المشركين كانوا مشركين آلهتهم بالله في الربوبية[1].

وقال الدجوي أحد أعناقهم (١٣٦٥هـ):

(وإني لأعجب لتفريقهم بين توحيد الألوهية والربوبية مع قوله تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾. فكيف يقولون إن عندهم توحيد الربوبية)[2].

الجواب:

لقد فسر علماء الحنفية هٰذه الآية بأن المراد من «الرب» في هٰذه الآية ليس «الرب» بمعنى مالك الكون وما فيه وخالقه والمتصرف فيه كيف شاء، بل إطلاق «الرب» في هٰذا السياق ونحوه يراد به «المعبود»، وليس المراد به «المعبود مطلقاً» أيضاً، بل المراد «المعبود المقيد» الذي يعبد بطاعته في

---

(١) انظر البراهين للقضاعي ٣٨٢-٣٨٣. صلح الإخوان ١٢٥-١٢٦.

(٢) مقالات الدجوي ١/ ٢٦٠-٢٦١.

التحليل والتحريم في الأحكام الشرعية.

وقد يعبد الشخص إمامه وشيخه ورئيسه بطاعته في التحريم والتحليل وهو لا يشعر أنه يعبده بهٰذه الطاعة.

فالآية لا دليل فيها على أن اليهود والنصارى اعتقدوا في أحبارهم ورهبانهم أنهم شركاء لله في خلق هٰذا الكون وتدبيره وترتيبه.

وإليكم بعض نصوص المفسرين من الحنفية في تفسير هٰذه الآية:

١ ـ قال الزمخشري (٥٣٨هـ):

(اتخاذهم أرباباً: أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي، وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم)[١].

٢ ـ وقال العمادي (٩٨٣هـ):

(اتخذ كل واحد من الفريقين علماء لهم لا الكل الكل «أرباباً من دون الله»، بأن أطاعوهم في تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرمه الله أو بالسجود لهم[٢] ونحوه...). ثم ذكر حديث عدي بن حاتم)[٣].

٣ ـ وقال البروسوي (١١٣٧هـ):

(والمعنى أطاعوا علماءهم وعبادهم فيما أمروهم به طاعة العبيد للأرباب فحرموا ما أحل الله وحللوا ما حرم الله. ومثاله: من اعتقد أن اللبس حرام يكون كمن اعتقد أن الخمر حلال. ومن اعتقد أن لحم الغنم حرام يكون كمن اعتقد أن لحم الخنزير حلال)[٤].

---

(١) المدارك ١/٦٤٦.

(٢) هٰذا رده الآلوسي كما سيأتي قريباً.

(٣) إرشاد العقل ٤/٦٠.

(٤) تنوير الأذهان ٢/٦٠.

٤ ـ وقال الآلوسي (١٢٧٠هـ):

(والمراد في الآية: اتخذوا كل من الفريقين علماءهم لا الكل الكل «أرباباً من دون الله» بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله تعالى، وتحليل ما حرم سبحانه، وهو التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ؛ فقد روى الشعبي وغيره عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾، فقلت له: يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «أليسوا يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله فيستحلون». فقلت: بلى. قال: «ذلك عبادتهم»[1].

ونظير ذلك قولهم: «فلان يعبد فلان» إذا أفرط في طاعته فهو استعارة[2] بتشبيه الإطاعة بالعبادة. أو مجاز[3] مرسل بإطلاق العبادة وهي

---

(١) رواه الترمذي ٥/٢٧٨، والبخاري في الكبير ٧/١٠٦، وابن جرير في الجامع ١٤/٢٠٩-٢١١ ط أحمد شاكر، والبيهقي في الكبرى ١٠/١١٦، وحسنه الترمذي كما في بعض نسخ سننه، وصححه العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد ١٠٧ تحقيق شعيب الأرناؤوط. وصححه الآلوسي في الروح ١٠/٨٤. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/٥٦. وغاية المرام ٢٠، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وقواه في تعليقاته على فتح المجيد ١٠٧، ٤٦٤.

ونحوه حديث حذيفة مرفوعاً رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٧٢، والبيهقي في الكبرى ١٠/١١٦، وابن جرير في الجامع ١٤/٢١١-٢١٣.

ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما: رواه ابن جرير في جامع البيان ١٤/٢١٢.

(٢) الاستعارة: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه، مع طرح ذكر المشبه من البين. (كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ص ٣٥).

(٣) المجاز ـ عند المجازيين ـ: اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما، =

طاعة مخصوصة على مطلقها. والأول أبلغ. وقيل: اتخاذهم أرباباً بالسجود لهم ونحوه مما لا يصلح إلا للرب عزَّ وجلّ، وحينئذ لا مجاز، إلا أنه لا مقال لأحد بعد صحة الخبر عن رسول الله ﷺ.

والآية ناعية على كثير من الفرق الضالة الذين تركوا كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ لكلام علمائهم ورؤسائهم، والحق أحق بالاتباع، فمتى ظهر وجب على المسلم اتباعه وإن أخطأ اجتهاد مقلده)[1].

٦ ـ ولقد ساق العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) هٰذه الشبهة، ثم أجاب عنها بما حاصله:

أن هٰذه الآية ليس فيها أنهم كانوا يقولون في أحبارهم ورهبانهم أنهم أرباب من دون الله، وإنما فيها أنهم اتخذوهم أرباباً.

ثم قال:

(وإنما في بعضها [أي بعض هٰذه الآيات] اتخاذ الأرباب، وهٰذا ليس نصاً على أنهم مقرون بربوبيتهم؛ بل يحتمل أن يكون اتخاذهم الأرباب من صرف شيء من العبادة إليهم، أو بمعنى اتباع ما شرعوا لهم من تحريم الحلال و تحليل الحرام، لا أنهم كانوا يطلقون لفظ «الرب» عليهم)[2].

الحاصل: أن اليهود والنصارى لم يتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله بمعنى أنهم خالقون لهٰذا الكون مدبرون له متصرفون فيه حيث

= كتسمية الشجاع أسداً. والمجاز المرسل: ما كانت العلاقة بين المجاز والمعنى المراد فيه غير المشابهة. (المرجع نفسه ص ٢٥٧ـ٢٥٨).

(١) روح المعاني ١٠/٨٤. ونقل الصابوني جزءاً كبيراً من هٰذا النص في صفوته ١/٥٣١.

(٢) صيانة الإنسان ٤٥٦ـ٤٥٧، ٤٥٩.

يشاؤون بدون إذن من الله، بل اتخذوهم أرباباً بمعنى أنهم كانوا يعبدونهم في التشريع من التحليل والتحريم.

ومثل هٰذا يوجد بكثرة كاثرة في هٰذه الأمة، ولا سيما في المقلدة المتعصبة للأئمة الغلاة فيهم الذين رفعوا شأن الأئمة إلى منصب الرسالة بل إلى منزلة الألوهية، فيقعون في عبادة الأئمة بسبب هٰذه الطاعة المطلقة في التحليل والتحريم ويشركون بالله تعالى هٰؤلاء الأئمة بسبب تقليدهم الشركي، ويردون نصوص الكتاب الصريحة والسنة الصحيحة؛ كأن الإمام نبي أرسل إليهم، أو إله يعبدونه وهم لا يشعرون.

ولذلك نرى الإمام الشاه ولي الله الدهلوي إمام الحنفية في دهره (١١٧٦هـ) تصدى للرد على مثل هٰؤلاء المقلدة الغلاة، وكشف الستار عن أسرارهم، وجعلهم مصداق هٰذه الآية: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾؛ حيث قال:

(فما ذهب إليه ابن حزم حيث قال: «التقليد حرام...»[1].

إنما يتم فيمن له ضرب من الاجتهاد ولو في مسألة واحدة، وفيمن ظهر عليه ظهوراً بيناً أن النبي ﷺ أمر بكذا ونهى عن كذا وأنه ليس بمنسوخ...

فحينئذ لا سبب لمخالفة حديث النبي ﷺ إلا نفاق خفي أو حمق جلي.

وهٰذا هو الذي أشار إليه الشيخ عز[2] الدين بن عبد السلام حيث

---

(١) النبذة الكافية ٧٠.

(٢) هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام أحد الأئمة الأعلام (٦٦٠هـ)، راجع عقد الجمان ١/٣٣٨ والنجوم الزاهرة ٧/٢٠٨.

قال: «ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، وهو مع ذلك يقلده فيه ويترك من شهد الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبهم جموداً على تقليد إمامه، بل يتحيل لدفع ظاهر الكتاب والسنة ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده»[1].

وقال: «لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقييد لمذهب ولا إنكار على أحد من السائلين، إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين؛ فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلداً له فيما قال كأنه نبي أرسل»[2].

وهذا نأي عن الحق، وبعد عن الصواب، لا يرضى به أحد من أولي الألباب[3]. . .

وفيمن يكون عامياً ويقلد رجلاً من الفقهاء بعينه يرى أنه يمتنع من مثله الخطأ، وأن ما قاله هو الصواب ألبتة، وأضمر في قلبه أن لا يترك تقليده، وإن ظهر الدليل على خلافه، وذلك ما رواه الترمذي عن عدي بن حاتم؛ أنه قال: سمعته ـ يعني رسول الله ﷺ ـ يقرأ: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾، قال: «إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»[4].

---

(١) انظر قواعد الأحكام ٢/١٣٥.

(٢) لم أجده في قواعده.

(٣) لا أدري هل هذا من كلام الإمام العز بن عبد السلام؟ أم من كلام الإمام ولي الله؟ فلم أجده في قواعده.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، ولعله ذكره بالمعنى، والحديث سبق تخريجه قريباً ص ٢٦٦.

وفيمن لا يجوز أن يستفتي الحنفي مثلاً فقيهاً شافعياً وبالعكس، ولا يجـوز أن يقتـدي الحنفي بإمام شافعي مثلاً، فإن هٰذا قد خالف إجماع القرون الأولى وناقض الصحابة والتابعين. . .

فإن بلغنا حديث من الرسول المعصوم الذي فرض الله علينا طاعته بسند صالح يدل على خلاف مذهبه وتركنا حديثه واتبعنا ذٰلك التخمين، فمن أظلم منا وما عذرنا يوم يقوم الناس لرب العالمين)[1].

فإن قيل: ما النكتة في إطلاق كلمة «الرب» على من يتخذ مطاعاً مطلقاً في التحليل والتحريم؟

قلت: كلمـة «الـرب» تدل على السيادة والمـالكية والتصـرف في الملك، فمن أطاع مخلوقاً طاعة مطلقة بدون أمر الله تعالى بطاعته وأذعن لتحليله وتحريمه فقد جعله متصرفاً في التشريع متصفاً بصفات الله معبوداً بطاعته المطلقة، فصح إطلاق «الرب» عليه.

قال الإمام ولي الله مبيناً هٰذه النكتة اللطيفة:

(وسر ذٰلك أن التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ في الملكوت أن الشيء الفلاني يؤاخذ به أو لا يؤاخذ به، فيكون هٰذا التكوين سبب للمؤاخذة وتركها، وهٰذا في صفات الله تعالى)[2].

قلت: لا شك أن من أطاع أحداً دون الله تعالى طاعة مطلقة بدون أمـر من الله تعالى بطاعته المطلقة وأذعن له في التحليل والتحريم وحد

---

(١) حجة الله البالغة ١/١٥٤-١٥٦ ط السلفية، و ١/٤٤٣-٤٤٧ ط المحققة، والإنصاف ٩٧-١٠٢. وراجع أيضاً البدور البازغة ١٢٥-١٢٧ ط القديمة، و ١٦٧-١٧٠ ط الجديدة.

(٢) حجة الله البالغة ١/٦٢ ط القديمة، و ١/١٨٦ ط المحققة.

الحدود وفرض الفرائض فقد أشركه بالله تعالى في التشريع وعبده، كما قال تعالى: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم مِنَ الدين ما لم يأذن به الله**﴾ [الشورى: ٢١].

قال الأستاذ المودوي رحمه الله (١٩٧٩م) في تفسير هٰذه الآية:

(ليس المراد من الشركاء في هٰذه الآية الشركاء الذين يدعونهم وينادونهم في الكربات وينذرون لهم في البليات، بل المراد من الشركاء في هٰذه الآية المطاعون الذين جعلوا أفكارهم وعقائدهم وضوابطهم وطرقهم ومذاهبهم شريعة يطاعون فيها بدون إذن من الله تعالى، فهٰذا العمل لا شك أنه شرك كما أن السجود لغير الله ودعاء غير الله شرك)[1].

قلت: مثل قول هٰؤلاء الأجلة من الحنفية صرح كثير من أئمة السنة بأن من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، لأن مثل هٰذه الطاعة المطلقة من أنواع العبادة.

وصرحوا أيضاً أن هٰذا النوع من الشرك موجود في هٰذه الأمة حيث إن كثيراً من المقلدة المتعصبة يعبدون الأئمة باسم الفقه والعلم، لأن من أطاع مخلوقاً غير رسول الله ﷺ في التحليل والتحريم فهو مشرك[2].

وقد سبق فتوى جمع من الحنفية بأن هٰذا النوع من المقلد مشرك كافر يستتاب وإلا قتل[3].

---

(١) تفهيم القرآن ٤/ ٤٩٩.

(٢) راجع كتاب التوحيد لمجدد الدعوة مع شروحه كتيسير العزيز الحميد ٥٤٩-٥٥٩. وفتح المجيد ٤٥٦-٤٦٥. وقرة عيون الموحدين ١٩٠-١٩٢. والقول السديد ١١١-١١٣.

(٣) انظر ص ١٠٦.

الشبهة الحادية عشرة: تشبثهم بقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ [يوسف: ٣٩].

استدل بهذه الآية الدجوي أحد أئمة القبورية (١٣٦٥هـ) على بطلان تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية، وعلى أن المشركين كانوا مشركين بالله في الخالقية والمالكية والتدبير والربوبية، ثم قال:

(فإذاً ليس عند هٰؤلاء الكفار «توحيد الربوبية» كما قال ابن تيمية[١] وما كان يوسف عليه السلام يدعوهم إلا إلى توحيد الربوبية، لأنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر توحيد الألوهية عند يوسف عليه السلام. فهل هم أعرف بالتوحيد منه أو يجعلونه مخطئاً في التعبير بالأرباب دون الآلهة)[٢].

واستدل بها أيضاً القضاعي أحد رؤساء القبورية (١٣٧٦هـ) حيث قال:

(وقول هٰؤلاء المغرورين /يعني السلفيين/: «إن الكافرين الذين بعث لهم الرسول كانوا قائلين بتوحيد الربوبية وأن آلهتهم لا تستقل بنفع ولا ضر، وإنما كان شركهم بتعظيمهم لغير الله بالسجود له والاستغاثة به والنداء له والذبح له»:

إنما قول من لم يعرف التوحيد ولا الإشراك ولا المعقول ولا المنقول في كتاب الله وسنة رسوله، ولا ألمّ بتاريخ الأمم قبل البعثة. ألم يحك الله

---

(١) هٰذا خطأ في التعبير فهو يريد أن يقول: «لا كما يزعم ابن تيمية».

(٢) مقالات الدجوي ٢٥٠-٢٥١. صلح الإخوان ١٢٥-١٢٧ لابن جرجيس، وتبديد الكوثري ٢٧.

في كتابه عن يوسف عليه الصلاة والسلام قوله في إرشاد صاحبي السجن: **﴿أأربـاب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾**، هل يقال ذلك إلا لمن اعتقد أرباباً؟ ألا يكون هذا كفراً بتوحيد الربوبية. . .)[1].

الجواب:

لقد وقف العلامة السهسواني لقمع هذه الشبهة بمرصاد فذكرها ثم جعلها كأن لم تغن بالأمس حيث قال:

(وهذا ليس فيه تصريح أنهما كانا يطلقان لفظ الأرباب على الأصنام حتى يلزم إنكار «توحيد الربوبية»، بل يحتمل أن يكون المقصود بيان بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام بأن القول بالأرباب المتفرقة باطل قطعاً لا يتـأتى إنكـاره من أحد عند أهل العقل، وما لا يصلح للربوبية لا يصلح للعبودية، دل عليه قوله تعالى: **﴿ما تعبدون من دونه. . .﴾** **﴿أمر أن لا تعبدوا إلا إياه. . .﴾** . . .)[2].

قلت: لا يبعد أن يكون قول زيد بن عمرو بن نفيل[3]:

أربّـاً واحـداً أم ألـف ربٍّ ... أدين إذا تقـسـمـت الأمـور

عزلت[4] الـلات والعـزى جميعـاً ... كذلـك يفعـل الجلد الصبـور[5]

---

(١) البراهين ٣٨١-٣٨٢.

(٢) صيانة الإنسان ٤٦٠.

(٣) هو والد سعيد أحد العشرة توفي قبل البعثة بخمس سنين وكان من الموحدين في الفترة. أثنى عليه النبي ﷺ، ولقيه قبل البعثة، ويعد من الصحابة إن لم يكن اللقاء بعد البعثة شرطاً. راجع لترجمته (البداية ٢/٢٢١-٢٢٦) و(الإصابة ٢/٦١٣-٦١٧).

(٤) في حجة الله البالغة ١/١٢٧، وروح المعاني للآلوسي ١/١٩١: (تركت).

(٥) في حجة الله البالغة ١/١٢٧، وروح المعاني للآلوسي ١/١٩١: (الرجل البصير).

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني عمرو[1] أزور[2]
ولا غنماً[3] أدين وكان ربّاً لنا في الدهر إذ حلمي يسير[4]»[5]

من قبيل قول يوسف عليه الصلاة والسلام؛ فيكون هذا وذاك حجة يعترف بها المشركون فيكون حجة عليهم حجة مفحمة مسكتة وملزمة لهم وتضطرهم إلى أن يعترفوا بتوحيد الألوهية.

الشبهة الثانية عشرة: استدلالهم بالبيت الآتي:

أرب يبول الثُّعْلبانُ[6] برأسه لقد هان[7] من بالت عليه الثعالب[8]

---

(١) في نسب قريش للزبيري ٣٦٤: «بني طسم»، وفي الأغاني للأصبهاني ١٢٥/٣: «بني غنم»، وكذا في موضع من بلوغ الأرب ٢/٢٠٤.

(٢) عند ابن إسحاق: «أدير»، وعند الزبيري: «أدين».

(٣) عند ابن هشام، والخشني، والأصبهاني: «ولا هبلاً». وكذا في موضع من بلوغ الأرب ٢/٢٠٤.

(٤) عند الأصبهاني في الأغاني: ١٢٥/٣ «صغير». وكذا في موضع من بلوغ الأرب ٢/٢٠٤.

(٥) راجع البداية ٢/٢٢٥-٢٢٦. السيرة النبوية لابن كثير ١/١٦٣. ورواها ابن إسحاق في قصيدة طويلة له. انظر السير والمغازي ١١٧. وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٩١. والسيرة لابن هشام مع شرح الخشني ١/٢٨٨. وبلوغ الأرب للآلوسي ٢/٢٤٩.

(٦) الثعلبان بضم المثلثة واللام: ذكر الثعالب. كالأفعوان ذكر الأفاعي، والعقربان ذكر العقارب. ومن ظن أنه «ثعلبان» تثنية الثعلب فقد أبعد النجعة. راجع تاج العروس ١/١٦٤.

(٧) وفي جامع القرطبي ١/٩٦: «ذلّ».

(٨) البيت للصحابي «راشد بن عبد ربه السلمي» رضي الله عنه. وسببه ما قاله الحافظ: (روى أبو نعيم... ورواه أبو حاتم بسند له، وفيه أنه كان عند الصنم يوماً إذ أقبل الثعلبان فرفع أحدهما رجله فبال على الصنم، وكان سادنه غاوي بن ظالم، فأنشد: «أرب...»، ثم كسر الصنم، وأتى النبي ﷺ فقال له: أنت راشد بن عبد الله). الإصابة =

على بطلان تقسيم التـوحيد إلى الـربـوبية والألـوهية، وعلى أن المشركين كانوا مشركين بالله في الربوبية.

قال القضاعي أحد أعناق القبورية (١٣٧٦هـ) مستدلاً بهٰذا البيت:

(فانظر إلى قوله: «أرب»، ولم يقل: أإله)[١].

الجواب:

أنه قد تقدم في كلام العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) أن المراد من «الرب» في مثل هٰذا السياق هو «الإله» لا الخالق الرازق المدبر لهٰذا الكون[٢].

فلا يصح تمسك القبورية بهٰذا البيت.

وقال الشيخ الرستمي:

(قـال القـرطبي: الـرب بمعنى المـالك والسيد والمصلح والمدبر والقائم والمعبود، كما قال موحد الجاهلية).

ثم ذكر البيت[٣].

قلت: ولا يبعـد أيضاً أن يكون هٰذا البيت لبيان ذكر الحجة على المشركين، كما سبق في الجواب عن الشبهة السابقة.

الشبهة الثالثة عشرة: استدلالهم بقوله تعالى حكاية عن المشركين العاديين حيث قالوا لرسول الله هود عليه الصلاة والسلام: **﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾** [هود: ٥٤].

= ٢/٤٣٤-٤٣٥.

قلت: القصة رواها أبو نعيم في دلائل النبوة ١/١٢-١٢٢.

(١) البراهين للقضاعي ٣٨٢. وصلح الإخوان لابن جرجيس ١٢٩.

(٢) انظر ص ٢٦٧-٢٦٨، ٢٣٧.

(٣) التبيان ٤٤. وانظر كلام القرطبي في جامعه ١/٩٦، ولم أجده بهٰذا النصّ.

قال القضاعي أحد أئمة القبورية (١٣٧٦هـ) مستدلاً بهٰذه الآية:

(فهٰذا صحيح اعتقادهم باستقلالها بالضر والنفع)[١].

وقال الدجوي أحد أعناق القبورية (١٣٦٥هـ) متشبثاً بهٰذه الآية:

(فكيف يقول ابن تيمية إنهم يعتقدون: «أن الأصنام لا تضر ولا تنفع» إلى آخر ما يقول)[٢].

الجواب:

أن هٰؤلاء القبورية مفترون في تقرير استدلالهم بهٰذه الآية على الله تعالى وعلى كتابه وعلى شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلى المشركين من قوم هود عليه الصلاة والسلام؛ فإن الله لم يشر إلى أنهم كانوا يعتقدون في آلهتهم الاستقلال بالضر والنفع فضلاً عن التصريح.

كما أن شيخ الإسلام لم يقل قط: إن المشركين كانوا يعتقدون أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع.

غاية ما في هٰذه الآية أن المشركين كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها تضر وتنفع.

ولٰكن تقدم عدة نصوص لعلماء الحنفية، ولا سيما الإمام ولي الله دالة على أن المشركين كانوا معترفين بأن الله هو الخالق لهٰذا الكون المدبر للأمور العظام والرازق وحده. ولم يعتقدوا في آلهتهم أنها تنفع وتضر استقلالاً، وإنما كانوا يعتقدون أن الله تعالى فوض إليهم تدبير أمورهم وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة والجزئية في غير الأمور العظام.

---

(١) البراهين ٣٨٢.

(٢) مقالات الدجوي ١/٢٥٣.

فليس في هٰذه الآية أنهم كانوا يعتقدون في آلهتهم الاستقلال بالنفع والضر.

فلم يقل أحد من المفسرين ولا سيما الحنفية أنهم كانوا يعتقدون في آلهتهم الاستقلال بالنفع والضر والانتقام[1].

ومن هٰذا التصرف الجزئي عقيدة المشركين من عاد هٰذه وقولهم هٰذا لرسول الله هود عليه الصلاة والسلام.

ومثله عقيدة مشركي العرب من تخويفهم رسول الله ﷺ من أن تضره آلهتهم، كما قال تعالى: ﴿**ويخوفونك بالذين من دونه**﴾ [الزمر: ٣٦] مع اعترافهم بأن الله هو الخالق المدبر للكون وأن الله إذا أراد بأحد ضرّاً أو نفعاً فآلهتهم لا تكشف الضر ولا تمسك النفع[2].

ونظيره ما سمعنا ونسمع كثيراً من القبورية يقولون في حق الموحدين: إن الولي الفلاني قد أصابهم بكذا وكذا.

وفي كلام العلامة محمود شكري الآلوسي إشارة إلى ذٰلك[3].

بل القبورية قد فاقوا المشركين السابقين وتجاوزوا حدهم في الإشراك بالله تعالى وإثبات التصرف لأهل القبور كما صرح بذٰلك علماء الحنفية[4].

---

(١) راجع لتفسير الآية: الكشاف ٢/٢٧٥-٢٧٦. والمدارك ٢/٦٤. وإرشاد العقل ٤/٢١٧. وروح المعاني ٢/٨٢.

(٢) راجع لكلام المفسرين من الحنفية في تفسير هٰذه الآية والتي بعدها: كالكشاف ٣/٣٩٨-٣٩٩. والمدارك ٣/٢٢١. وإرشاد العقل ٧/٢٢٥-٢٥٦. وروح المعاني ٢٤/٥-٦.

(٣) انظر غاية الأماني ١/٤١.

(٤) انظر ص ٦٨٩-٧٧٠، ١١٧١-١١٩٧.

الحاصل:

أن استدلال القبورية بهٰذه الآية على بطلان تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية منهار * لأنه مبني على شفا جرف هار *.

الشبهة الرابعة عشرة:

تشبث القبورية بقول أبي سفيان يوم أحد: (اعل[1] هبل)[2].

قال الدجوي أحد أئمة القبورية (١٣٦٥هـ) مستدلاً به:

(فانظر إلى هٰذا ثم قل لي ماذا ترى في ذٰلك التوحيد الذي ينسبه إليهم ابن تيمية ويقول: «إنهم فيه مثل المسلمين سواءً بسواء، وإنما افترقوا بتوحيد الألوهية»)[3].

وزعم المالكي: أن المشركين كانوا يعتقدون في تلك الأحجار التي كانوا يعبدونها أنها شريكة لله تعالى في الخلق وأن الله ليس الخالق وحده عندهم، وأنهم لم يكونوا جادين في قولهم: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»، كما لم يكونوا جادين في قولهم: إن الله هو الخالق وحده، بل كان الله أقل منزلة عندهم من حجارتهم...

ثم ذكر قول أبي سفيان هٰذا، ثم قال:

(ينادي صنمهم المسمى بهبل أن يعلو في تلك الشدة رب السماوات والأرض ويقهره ليغلب هو وجيشه جيش المؤمنين الذي يريد أن يغلب آلهتهم. هٰذا مقدار ماكان عليه أولٰئك المشركون مع تلك الأوثان ومع الله

---

(١) قال العيني: (وفي رواية «ارق» مكان «اعل»...) العمدة ١٤/٢٧٤.

(٢) رواه البخاري ٣/١١٠٥-١١٠٦، ٤/١٤٨٦، مع قول النبي ﷺ في جوابه: (الله أعلى وأجل).

(٣) مقالاته ١/٢٥٣.

رب العالمين؛ فليعرف حق المعرفة، فإن كثيراً من الناس لا يفهمونه كذلك ويبنون عليه ما يبنون)[1].

الجواب عن هٰذه الشبهة:

أن هٰؤلاء القبورية كذابون أفاكون بهاتون في مزاعمهم هٰذه لوجوه:

أما الأول:

فهو أن شيخ الإسلام ابن تيمية ولا أحداً غيره من أئمة الإسلام لم يقل: إن المشركين مثل المسلمين سواء بسواء وإنما افترقوا بتوحيد الألوهية. كيف؟ والمشركون كانوا منكرين لرسالة رسول الله ﷺ، كما كانوا كافرين بكتاب الله، وكثير منهم بالبعث أيضاً.

وإنما قال شيخ الإسلام وغيره من أئمة الإسلام: إن المشركين كانوا معترفين بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ومدبر الكون والأمور العظام. وكانوا يقرون بتوحيد الربوبية إلى حد أكبر.

وهٰذا ما حكاه الله تعالى عنهم واحتج عليهم باعترافهم بذٰلك مع إشراكهم في توحيد الألوهية وبعض جزئيات توحيد الربوبية وبعض تفاصيله.

ومما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله:

(لٰكن المتكلمون إنما انتصبوا لإقامة المقاييس العقلية على توحيد الربوبية، وهٰذا مما لم ينازع في أصله أحد من بني آدم؛ وإنما نازعوا في بعض تفاصيله...

وأما توحيد الإلٰهية فهو الشرك العام الغالب الذي دخل من أقر أنه لا خالق إلا الله ولا رب غيره من أصناف المشركين، كما قال تعالى: ﴿وما

---

(١) المفاهيم ٢٦-٢٧.

يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦]، كما بسطنا هٰذا في غير هٰذا الموضع)[١].

أقول: تقدمت نصوص علماء الحنفية وخلاصتها:

من المعلوم بالاضطرار أن المشركين مع اعترافهم بأن الله هو الخالق المالك الرازق وحده المدبر لهٰذا الكون المتصرف فيه كيف يشاء كانوا يعتقدون في آلهتهم أن لهم بعضاً من القدرة على النفع والضر وشيئاً من التصرف والتدبير، ولٰكن هٰذا كله بإذن الله تعالى، فالله هو الذي خلع عليهم هٰذه الخلعة، وأن الله قد فوض إليهم بعض التدبير، وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة الجزئية غير الأمور العظام، ولم يعتقدوا قط في آلهتهم أنهم ينفعون أو يضرون أو يدبرون بالاستقلال من دون إذن من الله وبدون تفويض منه، وليس على سبيل مغالبتهم لله وقهرهم له.

كما أنهم لم يعتقدوا فيهم أيضاً أنهم شركاء مع الله في خلق هٰذا الكون وتدبيره والتصرف فيه حيث يشاؤون.

ومثل هٰذا الشرك موجود في القبورية بل شركهم أشنع وأبشع من شرك مشركي العرب.

وصرح به كثير من علماء الحنفية[٢].

فالقبورية مشركون في توحيد الربوبية فضلاً عن توحيد الألوهية[٣].

وأما الثاني:

فهو أن المشركين كانوا معترفين بأن الله هو الخالق الرازق المدبر

---

(١) مجموعة الفتاوى ٢/٣٧-٣٨.

(٢) راجع ص ١١٧١-١١٩٧.

(٣) راجع ص ٦٨٩-٧٧٠.

المحيي المميت وحده؛ كما حكى الله ذلك عنهم في عدة مواضع من كتابه واحتج عليهم بسبب اعترافهم وإقرارهم هذا حيث أفحمهم وأسكتهم، وقد كانوا يقولون: إن الله تعالى هو المالك لهم وهو المالك لآلهتهم وإن آلهتهم لا تملك شيئاً دون إذن من الله وتفويض منه، دل على ذلك تلبيتهم: «تملكه وما ملك»[1].

وقد سقنا كثيراً من نصوص علماء الحنفية في بيان اعتقاد المشركين في آلهتهم أنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى هو الذي خلع عليهم خلعة وفوض إليهم تدبير بعض الأمور الصغيرة الجزئية وجعلهم متصرفين في غير الأمور العظام. وبسبب ذلك كانوا يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى، ويتوسلون بهم عند الله، إلى آخر ما ذكرنا من نصوص علماء الحنفية التي فيها عبرة للقبورية[2].

فكيف يقول هذا المالكي إن المشركين لم يكونوا جادين في اعترافهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت وحده دون تلك الأحجار، ولم يكونوا جادين في قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله وإنهم يقربونا إلى الله زلفى.

فتأويلات هذا المالكي ليست إلا تحريفات باطنية وتخريفات قرمطية.

وأما الثالث:

فهو أن هذا المالكي غير صادق في قوله: إن أبا سفيان إنما نادى صنمه هبلاً ليعلو رب السماوات ويقهره، بل هو كذاب أفاك في كلامه هذا

(١) سبق تخريجها في ص ٢١٤.

(٢) راجع ص ٢٣٢-٢٣٤.

مفتر متقول على المشركين مقول إياهم ما لم يقصدوا؛ لأن أحداً من المشركين لم يعتقد في صنمه أنه يقتدر أن يغالب الله تعالى أو يمانعه أو يستطيع أن يغلب رب السماوات والأرض ويعلوه ويقهره لا أبا سفيان ولا غيره؛ كما سبق تحقيقه مراراً وتكراراً بنصوص علماء الحنفية الدامغة القامعة الساطعة القاطعة لأعناق القبورية ودابرهم[1].

بل المشركون كانوا يعتقدون أن الله تعالى خالق هذا الكون كله ومالكه ومدبره والمتصرف فيه حيث يشاء.

بل كانوا يعتقدون أن الله هو مالك آلهتهم وأن آلهتهم لا تملك شيئاً بالاستقلال بدون إذن من الله وتفويض منه، وأن آلهتهم مملوكة لله تعالى وأن الله تعالى مالكها، دل على ذلك قولهم في تلبيتهم المشهورة المعروفة: «تملكه وما ملك»، وقد خرجناها وذكرنا تفسير علماء الحنفية في معناها[2].

وقد ذكر كبار علماء الحنفية: أن المشركين كانوا يقولون: إن الله تعالى مالك الآلهة، ورب الأرباب، وإله الآلهة، وأن الله هو الإله الأكبر الأعظم، وأن آلهتهم شفعاء لهم عند الله ويقربونهم إلى الله زلفى. وقالوا: نحن نتقرب إليهم ونتقرب إلى الله بهم[3].

وقد ذكر علماء الحنفية من أشعار المشركين ما يدل على اعتقادهم أن الله عندهم هو أكبر الآلهة. فقد قال أوس بن حجر[4] يحلف باللات:

---

(١) سبق في ص ٢٥١-٢٥٣.

(٢) راجع ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) راجع بلوغ الأرب للآلوسي ٢/٢٢٥-٢٢٦. والعرفان للفنجفيري ٢٢-٢٣.

(٤) شاعر جاهلي من أشهر شعراء بني تميم توفي نحو (٢ ق هـ). راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٤-٨٧، والأعلام للزركلي ٢/٣١.

وبـالـلات والعـزى ومن دان دينها وبـالـلـه إن الـلـه منهن أكبـر[1، 2]

وهٰذه حقيقة اعترف بها كبار القبورية أيضاً:

فقد قال فضل رسول الحنفي القادري البدايوني أحد أئمة القبورية الهندية (١٢٨٩هـ) في بيان عقائد مشركي العرب:

(إن المشركين قالوا: يجب عبادة المحبوب والشفيع لصيرورته إلٰهاً، لاعبادة الله العلي الأكبر، فإنها لا تعبد لكونه في غاية التعالي)[3].

ولذٰلك لما قال رسول الله ﷺ في الجواب عن قول أبي سفيان هٰذا: «قولوا: الله أعلى وأجل»[4] ـ سكت أبو سفيان ومن معه من المشركين، وأفحموا، فبهت الذي كفر * حيث ألقي في فيه الحجر *؛

فهٰذا دليل قاطع قامع ساطع على أن أبا سفيان لم يكن يقصد بقوله «اعل هبل» أن هبلاً يغلب الله تعالى ويقهر رب السماوات والأرض أو يغالبه ويمانعه؛ لأنهم كانوا يعترفون بأن الله هو رب الأرباب وإلٰه الآلهة وأكبرها وأعلاها وأجلها ومالكها وهي مملوكة له سبحانه وتعالى، فلا يتصور التمانع والتغالب عندهم بينها وبين الله.

هٰهنا نكتة لطيفة عقلية أخرى يجب التنبيه لها؛ ـ وتؤخذ من كلام الحنفية ـ:

وهي: أن هٰؤلاء المشركين كانوا يعتقدون أن رسول الله ﷺ وأصحابه على دين جديد باطل لا يرضاه الله تعالى ويرونهم خارجين عن الدين الحق

---

(١) عقد اللآلىء للرباطي ٥٧.

(٢) انظر البيت في ديوان أوس ٣٦.

(٣) سيف الجبار المسلول على أعداء الأبرار ١٠.

(٤) رواه البخاري ٣/١١٠٦، ٤/١٤٨٦.

ولـذا يسمـون النبي ﷺ صابئـاً، والصحابة صباة[1] وأنهم فقط على دين صحيح وأن عبادتهم لآلهتهم مما يرضاها الله تعالى وأن هٰذا من دين الله تعـالى وأن آلهتهم تشفع لهم عند الله وتقربهم إلى الله زلفى وأن آلهتهم من محبوبي الله عزَّ وجلّ والمقربين لديه كما سبق في نصوص علماء الحنفية.

فبـظهـور دينهم وغلبـة جندهم يغلب دين الله ويغلب جند الله، وبـانهزام محمد وذهاب دينه ينتصر دينهم الذي هو دين الله في زعمهم الباطل لأنهم لم يعتقدوا صدق رسالة رسول الله ﷺ ولو صدقوا ذٰلك لما قاتلوه كما قال سهيل بن عمرو يوم الحديبية[2] وإذا كان الأمر كذٰلك كيف يتصور أن أبا سفيان يقصد بقوله: «اعل هبل» أن هبلاَ يغلب رب السماوات والأرض ويقهره ويعلو دينه دين الله عزَّ وجلّ؟

إذاً لا يمكن عقلاً ولا نقلاً أن يقصد أبو سفيان التمانع والتغالب بين هبل وبين الله عزَّ وجلّ، بل كان قصد أبي سفيان أن «هبلاً» رفع الله أمره وأعلى شأنه وأعزَّ دينه وأظهره بهزيمة محمد وأصحابه.

صرح بذٰلك علماء الحنفية وغيرهم.

وإليك بعض نصوص علماء الحنفية في تفسير مقالة أبي سفيان هٰذه:

قال الإمـام بدر الدين العيني إمام الحنفية في عصره (ت ٨٥٥): (قوله: «اعل هبل»...، قال ابن إسحاق: معناه: «ظهر دينك»[3]. قال السهيلي: «معناه: زد علوّاً»[4].

---

(١) بلوغ الأرب ٢/٢٢٥.

(٢) راجع ص ٢٥٠-٢٥١.

(٣) قاله في السير والمغازي ٣٣٣.

(٤) لم أجده في الروض الأنف.

وفي التوضيح[1]: «أي ليرتفع أمرك ويعز دينك فقد غلبت».

قلت: كل هٰذا ليس معناه الحقيقي ولٰكن في الواقع يرجع معناه إلى هٰذه المعاني.

قال الكـرمـاني: ما معنى: «اعـل، ولا علو في هبل». ثم أجاب بقوله: «هو بمعنى: العلي، أو المراد: أعلى من كل شيء» انتهى[2].

قلت: ظن أنه «أعلى هبل» على وزن أفعل التفضيل، فلذٰلك سأل بما سأل وأجاب بما أجاب. وهو واهم في هٰذا، والصواب ما ذكرنا). انتهى كلام العيني وما نقله عن غيره[3].

الحـاصـل: أن أبـا سفيان بل ومن معه من صناديد الكفر والشرك والأعداء الألداء لرسول الله ﷺ والإسلام والمسلمين لم يكونوا يقصدون بهٰذه المقالة «اعل هبل» المغالبة والتمانع بين هبل وبين الله.

ولا قصدوا بها أن معبودهم «هبلاً» يقهر الله ويغلب رب السماوات والأرض بل كل هٰذا من تخـرصات هٰذا المالكي الآفك الباهت الساقط المتهافت الذي يرتكب في تأويلات النصوص تحريفات قبورية وتخريفات باطنية لأجل تبرير شرك حزبه القبوري وعبادتهم للقبور وأهلها من دعائهم ونـدائهم والاستعـانة منهم والاستغاثة بهم والنذر لهم وقت نزول النوازل وحلول القـلاقـل والزلازل واعتقاد التصرف في الكون وعلم الغيب فيهم

---

(١) لعله يقصد بالتوضيح: «التوضيح شرح الجامع الصحيح» للإمام سراج الدين أبي حفص عمـر بن علي الأنصاري الأندلسي القاهري الشافعي المعروف بابن النحوي والمشهور بابن ملقن (٨٠٤هـ). والكتاب لا زال مخطوطاً في عشرين مجلداً راجع إتحاف القاري ٢١٦.

(٢) أي كلام الكرماني، انظر كواكبه ١٥/٢١٩-٢٢٠.

(٣) عمدة القاري ١٧/١٤٣ ط دار الفكر، و ١٤/١٤٠ ط البابي.

وغيرها من الطامات الشركية والخرافات القبورية.

وبالجملة: إن القبورية لا دليل لهم ولا شبه دليل يدل على بطلان تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية، ولا على أن المشركين كانوا مشركين آلهتهم بالله في الخالقية والرازقية والمالكية وتدبير هذا الكون،

فإنهم لم يدعوا فيها أنها قادرة على النفع والضر بالاستقلال، بل كانوا يعترفون ويقدرون بأن الله تعالى هو الخالق لهذا الكون والمدبر له والمتصرف فيه كيف يشاء وأنه المحيي المميت الرازق والمالك وحده.

غير أنهم غلوا في تعظيم بعض الصالحين الذين ظنوا أنهم وسائط بينهم وبين الله يصلون إلى الله بسببهم وشفاعتهم كالوزراء والندماء للملوك، فعبدوهم بأنواع من العبادة كالنذر لهم والاستغاثة بهم وندائهم وقت الكربات والبليات ليشفعوا لهم عند الله ويقربوهم إلى الله زلفى.

واعتقدوا فيهم ان الله تعالى فوض إليهم تدبير بعض الأمور الخاصة وجعلهم متصرفين في بعض الجزئيات وأن الله مالكهم وأنهم لا يملكون شيئاً بدون إذن الله تعالى.

وهذه الوسيلة الشركية هي أصل شركهم، والقبورية شاركوهم في ذلك حذو النعل بالنعل[1].

وأقول: وبهذه الأجوبة راحت شبهات القبورية أدراج الرياح فصارت كأمس الدابر والحمد لله رب العالمين.

وبعد هذا ننتقل إلى الفصل الآتي، لنعرف العبادة وأركانها وأنواعها وشروط صحتها عند الحنفية؛ وردهم على القبورية في ذلك كله.

* * * *

(١) كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله في ص ١٢٨٩-١٣٠٢.

الفصل الرابع

في جهود علماء الحنفية في تعريف العبادة وبيان أركانها، وأنواعها، وشروط صحتها، وإبطال عقيدة القبورية في ذلك كله

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: في عرض عقيدة القبورية في العبادة، وتعريفهم لها.
- المبحث الثاني: في تعريف العبادة عند علماء الحنفية، وردهم على تعريف القبورية للعبادة.
- المبحث الثالث: في أركان العبادة، وأنواعها، وشروط صحتها عند علماء الحنفية، وردهم على القبورية في ذلك كله.

المبحث الأول

في عرض عقيدة القبورية في العبادة وتعريفهم لها

لقد انحرفت القبورية عن الجادة الصحيحة المستقيمة في مفهوم «العبادة» كما انحرفت في مفهوم «التوحيد» كما عرفت[1].

وكذا انحرفت في مفهوم «الشرك» كما عرفت أيضاً[2]. وكما ستعرف إن شاء الله[3].

فحرفوا مصطلحات شرع الله تعالى ومفهومات دينه عزَّ وجلّ فغيروها وبدلوها؛ لتطابق عقائدهم الفاسدة، ويبرروا ما يرتكبونه من الشرك بالله عزَّ وجلّ، بعبادة القبور وأهلها، فقالوا: ـ في كل ما يسمى عبادة شرعاً ـ: إنه لا يكون عبادة إلا باعتقاد الربوبية في المعبود؛ واعتقاد أنه مستقل بالنفع والضر، ونافذ المشيئة بذاته لا محالة بدون حاجة إلى الغير.

وبناء على ذلك يرون: أن نداء الأموات * والاستغاثة بهم عند الكربات، والنذر لهم ونحو ذلك من أنواع العبادات * والأفاعيل الشركيات * ليست من قبيل العبادة لغير الله سبحانه؛ ولا من باب الإشراك

---

(١) راجع ما سبق في ص ١٧٧ـ١٩٦.

(٢) انظر: ما سبق في ص ١٩٠ـ١٩٦.

(٣) انظر: ما سيأتي في ص ٣٥٩ـ٣٦٠.

بالله تعالى[1].

وبذلك قد برروا جميع أنواع إشراكهم بالله عز وجل[2].

كما جوزوا ارتكاب عدة أنواع من العبادات لغير الله جل وعلا[3].

وبناء على ذلك أنكروا وجود الشرك في المنتسبين إلى الإسلام[4].

بل يعتقدون في القبورية الوثنية الصرحاء: أنهم مؤمنون موحدون أبرياء من الشرك[5].

ويحسن أن أسوق بعض نصوص القبورية المتعلقة بتعريفهم للعبادة؛ ليعرف المسلمون مدى انحرافهم عن الحق وتحريفهم لمصطلحات الشرع وجهلهم بأعظم المعارف الدينية المهمة:

١ ـ قالوا: (إن مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء من التوسل والاستغاثة وغيرهما؛ بل لا يشتبه بالعبادة أصلاً؛ فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم؛ أو صفة من صفاتها الخاصة بها)[6].

---

(١) راجع المراجع المذكورة في ص ١٣٨١ـ١٣٨٥، ١٩٣.

(٢) راجع عقيدتهم في باب علم الغيب وباب التصرف لغير الله في ص ٦٨٩ـ٧٧٠.

(٣) انظر: باب الاستغاثة بغير الله عزَّ وجلَّ في ص ١٠٤٥ـ١٠٩٢.

(٤) وما سيأتي في ص ٤٨٥ـ٤٨٨.

(٥) انظر: ص ١٩٣ـ١٩٦.

(٦) البراهين الساطعة للقضاعي ٣٨١. والفرقان له ١١١ـ١١٣. وانظر الرد على بعض المبتدعة من الطائفة الوهابية للفاسي ١٠ بهامش كتاب إظهار العقوق. وبراءة الأشعريين لابن مرزوق ٨٩ـ٩٣. والتوسل له ٢٠ـ٢١. والتوسل للفقي ١٦ـ١٧. وكشف النقاب للنقوي ٤٥ـ٤٦. وجواز التوسل ٥٢ لدحلان. وقوة الدفاع ٥٣ـ٥٤. وخلاصة الكلام لدحلان ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠. والدرر السنية له ٣٤ ط البابي.

٢ ـ وقالوا: (إن الدعاء بمعنى النداء إن كان لمن لا يعتقده رباً فليس من العبادة في شيء. . . ؛ وإن كان لمن يعتقد ربوبيته أو استقلاله بالنفع والضر، أو شفاعته عند الله بغير إذن الله، فهو عبادة لذلك المدعو؛ وقد يطلق الدعاء على العبادة. وقد علمت أن معناها: الخضوع التام لمن يعتقد فيه ربوبية أو خاصة من خواصها)[١].

٣ ـ وقالوا: (أي دليل بل أية شبهة فيها رائحة من دليل تجعل التوسل والاستغاثة بالعباد من جملة العبادات التي يكفر من فعلها؛ مع ما علمت: من أن العبادة شرعاً لا تكون إلا ممن اعتقد الربوبية فيمن عظمه وخضع له؛ والمسلمون بحمد الله بريئون من اعتقاد الربوبية بغير مولاهم عزَّ وجلّ)[٢].

٤ ـ ٥ ـ وقال القضاعي أحد مشاهير أئمة القبورية (١٣٧٦هـ)؛ وتبعه ابن مرزوق، واللفظ للأول والغين في أغراض شيخ الإسلام وأئمة السنة الأعلام:

(وإنما جر هذا المبتدع [ابن تيمية!] ومن انخدع بأباطيله: أنه لم يحقق معنى «العبادة» شرعاً. . . ؛ فظن أن التوسل برسول الله ﷺ وسائر الصالحين، والاستغاثة بهم. . . ظن أن ذلك وما إليه من الشرك المخرج عن الملة. ومن رافقه التوفيق، وفارقه الخذلان، ونظر في المسألة نظر الباحث المنصف، علم يقيناً لا تخالطه ريبة: أن مسمى «العبادة» شرعاً لا يدخل فيه شيء مما عده [ابن تيمية] من توسل واستغاثة وغيرهما؛ بل لا يشتبه بالعبادة أصلاً؛ فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من «العبادة»

---

(١) البراهين للقضاعي ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) المرجع نفسه ٣٩٠.

إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم، أو صفة من صفاتها الخاصة بها. . .)[1].

٦ ـ وقالا: (ولا يكون به [أي بالسجود لغير الله] كافراً إلا إذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له)[2].

٧ ـ وقال القضاعي:

(والمشركون إنما كفروا بسجودهم لأصنامهم ونحوه لاعتقادهم فيها الاستقلال بالنفع والضر ونفوذ المشيئة لا محالة مع الله)[3].

٨ ـ ثم القبورية قد صرحوا بحصر العبادة في بعض أمور الإسلام، حسب ما جاء في حديث جبريل الذي فيه تعليم لأركان الإسلام والإيمان، كل ذلك لإخراج عبادة القبور وأهلها كالاستغاثة والنذور ونحوها من تعريف العبادة، ليبرروا أعمالهم الوثنية[4].

٩ ـ وقالوا في معنى العبادة:

(لا يخفى أن العبادة كما هو الظاهر من لفظها: هي الطرق المخصوصة لخضوع العبد لمن يعتقده إلهاً؛ وكذلك خضوع المملوك لمالكه والولد لوالده والتلميذ لأستاذه والجاهل للعالم لا يسمى عبادة. ولكن خضوع المجوسية للنار والوثنية للأصنام والثنوية للشمس عبادة عند

---

(١) البراهين ٣٨٠-٣٨١. والفرقان ١١١-١١٣. وبراءة الأشعريين ٩٣. والتوسل بالنبي ٢٤.

(٢) البراهين للقضاعي ٣٧٧. والتوسل ٢١. والبراءة ٩٠، كلاهما لابن مرزوق. وانظر الفرقان ١١١-١١٢ للقضاعي.

(٣) الفرقان للقضاعي ١١٣.

(٤) راجع ما سيأتي في ص ١١٧٠، ١٣٢٩. وانظر صلح الإخوان لابن جرجيس ١٣٨١-١٣٨٢، ١٥٥٩.

سائر أهل العرف. . . ، وإذا علم أن كل خضوع وتعظيم ليس بعبادة بل العبادة هو الخضوع مع اعتقاد الألوهية [يعني الربوبية]؛ فنقول: إن المسلمين الذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويعظمونها ويقبلونها ويطوفون حولها ويتمسحون بها لا يخطر ببال أحد منهم أن هٰؤلاء الأنبياء والصالحين أو قبورهم آلهة يجب عبادتهم، أو شركاء لله سبحانه، أو أرباب من دون الله، بل يجدون من نفوسهم يقيناً لا مزيد عليه أنهم عباد مكرمون أطاعوا أحكامه وامتثلوا أوامره وبذلوا في سبيله وإعلاء كلمته نفوسهم وأموالهم، فأكرمهم بجنته وأعزهم بجوار قدسه فلذلك هم مستحقون منا بالتعظيم ومستأهلون للخضوع لهم والاستكانة، فهٰذا التعظيم في الحقيقة راجع إلى الله وهو عين التوحيد والاستسلام لعزة الله. وكذلك دعاؤهم ليس دعاءهم بالذوات بأن يحسبوا كافيين في قضاء الحاجة وإنجاح المأمول، بل لما علمنا أن لهم جاهاً ومنزلةَ عند الله عزَّ وجلَّ بسبب طاعتهم وعبادتهم له واتباع سننه والجهاد في سبيله، فنسألهم أن يدعو الله لنا فيقضي الله حاجاتنا بواسطة دعائهم لنا. . . ، وليس في ذٰلك من الكفر والشرك شيء)[1].

١٠ ـ وقالوا: ـ هاذين في أئمة السنة وأعلام هٰذه الأمة ـ؛ على طريقة «رمتني بدائها وانسلت»:

(فمن أراد الله موالاته وسعادته ووقاه شر أولئك المبتدعة، وحفظه من الوقوع في شراكهم وحبالهم، وبصره بما يحفظ عليه دينه، ووجهه وأرشده إلى كشف النقاب عن كل وصف مناقض للعبودية، مخالف للتوحيد والتفرد بالوحدانية؛ وإذا لاحظته عناية الله ولازمه التوفيق الرباني جعله لا

(١) كشف النقاب للنقوي ٤٤-٤٦. وانظر التوسل والزيارة للفقي ١٦-١٧.

يفهم من معنى «العبادة» شرعاً إلا أنها الإتيان بأقصى الخضوع قلباً باعتقاد الـربـوبية في المخضوع له أو قالباً مع ذلك الاعتقاد؛ و«أو» هنا بمعنى «الـواو»؛ فإذا انتفى ذلـك الاعتقاد، ثم لم يكن ما أتى به من الخضوع الظاهر عبادة شرعاً. ومثل اعتقاد الربوبية اعتقاد خصيصة من خصائصها؛ كالاستقـلال بالنفـع والضر، ونفوذ المشيئة لا محالة، ولو كان عن طريق الشفاعة لعابد عند ذلك الرب الذي هو أكبر من ذلك المعبود. وإنما كفر المشركون وخرجوا عن الحنيفية بسجودهم لأصنامهم وأوثانهم؛ لاعتقادهم ربـوبية ما خضعـوا له، واستقلالهم بالنفع والضر، ونفوذ المشيئة مع الله تعـالى. فالتكـريم والخضـوع لأولياء الله الصالحين مجرّداً عن الاعتقاد المذكور لا يعتبر[1] عبادة شرعاً. . .)[2].

١١ ـ قلت: بل وصلت القبورية إلى حد قالوا في كل ما يرتكبونه من الشرك البواح وعبادة القبور وأهلها:

ـ إنه ليس من الشرك، بل من باب التوحيد. . .

ـ وليس من قبيل عبادة غير الله، بل هو من عبادة الله تعالى. . .

ـ وإن كل ذلـك ممـا أمـر به الشـارع، وإنـه من سنن الأنبياء والمرسلين، وطريقة العلماء العاملين، ومسلك الأولياء المقربين[3].

١٢ ـ ومـع هذا الجهل المركب المطبق المحيط بالقبورية لمعنى العبادة كجهلهم بمعنى التوحيد ومفهوم الشرك، ترى القبورية ـ من باب

(١) هكذا في الأصل، وهو غلط ركيك على دأب كتاب هذا العصر؛ والصواب: «لا يعد».

(٢) التوسل والزيارة للفقي ١٦.

(٣) انـظر البـراهين للقضاعي ٣٩٢. والفرقان له ٢١. وكشف الارتياب للعاملي ٢٩٣، ٢٩٥. وكشف النقاب للنقوي ٤٦.

رمتني بدائها وانسلت ـ يقدحون في أئمة التوحيد والسنة، والنحارير الجهابذة في هٰذه الأمة أمثال شيخ الإسلام ومحمد بن عبد الوهاب الإمام، ويسفهون أحلامهم، ويرمونهم بالجهل بمعاني العبادة والتوحيد والشرك:

قال القضاعي أحد كبراء أئمة القبورية (١٣٧٦هـ)، وتبعه ابن مرزوق أحد المجاهيل القبورية:

(وإنما جرى هٰذا المبتدع [يعني شيخ الإسلام] ومن انخدع بأباطيله هٰذه أنه لم يحقق معنى العبادة شرعاً. . . ، فظن أن التوسل برسول الله ﷺ وسائر الصالحين والاستغاثة بهم مع استقرار القلب على أنهم أسباب لا استقلال لهم بنفع أو ضر، وليس لهم من الربوبية شيء، ولٰكن الله جعلهم مفاتيح لخيره ومنابع لبره وسحباً يمطر منها على عباده أنواع خيره، ظن /ابن تيمية/ أن ذٰلك وما إليه من الشرك المخرج عن الملة)[1].

١٣ ـ وقال أيضاً:

(وقول هٰؤلاء المغرورين /يعني أهل التوحيد والسنة/ إن الكافرين الذين بعثت لهم الرسل كانوا قائلين بتوحيد الربوبية وأن آلهتهم لا تستقل بنفع ولا ضر، وإنما كان شركهم بتعظيمهم لغير الله بالسجود له والاستغاثة به والنداء له والنذر والذبح له ـ

إنما هو قول من لم يعرف التوحيد ولا الشرك ولا المعقول ولا المنقول في كتاب الله وسنة رسوله ولا ألم بتاريخ الأمم قبل البعثة)[2].

١٤ ـ والقبورية ـ بناء على تعريفهم الفاسد للعبادة ـ شنوا الغارة على أئمة السنة أعلام هٰذه الأمة، بكلام بذيء فاحش شأن من لا حياء له من

---

(١) البراهين للقضاعي ٣٨٠. والتوسل لابن مرزوق ٢٤. والبراءة له ٩٣.

(٢) البراهين للقضاعي ٣٨١.

العباد ومن رب العباد، حتى قالوا جهاراً دون إسرار في تعريف شيخ الإسلام للعبادة:

(وقوله [أي شيخ الإسلام]: «العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»: هراء ليس بتعريف للعبادة)[1].

قلت:

الحاصل أن تعريف العبادة عند القبورية كما تبين من نصوصهم هو: غاية الخضوع لمن يعتقد فيه الربوبية والاستقلال بالنفع والضر، ونفوذ المشيئة لا محالة بقدرته الذاتية بدون الحاجة إلى غيره.

وبعد أن عرفنا تعريف العبادة عند القبورية، ننتقل إلى المبحث الثاني لنعرف تعريف العبادة عند علماء الحنفية وردودهم على القبورية لإبطال تعريفهم العبادة، وبالله التوفيق.

* * * * *

---

(١) براءة الأشعريين لابن مرزوق ١٣٦. والتوسل له ٦٧. وانظر مناصرة علماء الحنفية لتعريف شيخ الإسلام للعبادة. في ص ٣٢٠.

المبحث الثاني

في جهود علماء الحنفية لابطال تعريف القبورية للعبادة
وتحقيق التعريف الصحيح للعبادة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: رد علماء الحنفية على تعريف القبورية للعبادة.
- المطلب الثاني: في تعريف العبادة لغة عند الحنفية.
- المطلب الثالث: في تعريف العبادة اصطلاحا عند الحنفية.

المطلب الأول
في إبطال علماء الحنفية تعريف القبورية للعبادة

لقد تصدى علماء الحنفية للرد على القبورية؛ فأبطلوا تعريف القبورية للعبادة؛ وحكموا عليهم بالجهل بحقيقة العبادة؛ وبينوا: أن القبورية في حصرهم للعبادة في بعض الأعمال الإسلامية الظاهرة وبعض الإيمانيات الباطنة على باطل محض؛

لأنهم قد قصروا في تعريف العبادة؛ حيث جعلوها مقصورة في بعض أنواعها. فتعريفهم للعبادة تعريف باطل مزيف؛ لأنه غير جامع لأفرادها.

بل تعريفهم للعبادة لا يصدق على عبادات المشركين لآلهتهم؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون فيها أنها خالقة، رازقة، مالكة، أرباب للكون، متصرفة في الخلق، مستقلة بالنفع والضر؛ نافذة المشيئة لا محالة بدون إذن من الله تعالى، وحاجة إليه؛ كما يزعم القبورية.

بل كانوا يعبدون آلهتهم: بالنذر لها، والاستغاثة بها، والاستشفاع بها؛ على أساس أنهم عباد مقربون يشفعون لهم عند الله تعالى[1].

إذن تعريف الحنفية للعبادة لا يصدق على عبادات المشركين

---

(١) كما سبق غير مرة في نصوص الحنفية على ذلك. انظر ص ٢٣١-٢٣٤.

لآلهتهم؛ لأن القبورية يشترطون في العبادة: أنها غاية التعظيم لمن يعتقد فيه الربوبية والاستقلال بالنفع والضر، ونفوذ المشيئة لا محالة والقدرة الذاتية بدون الحاجة إلى الله[1].

فالمشركون السابقون إذن ليسوا بمشركين عند هؤلاء القبورية؛ وليسوا عابدين لغير الله تعالى؛ لأنهم إنما عبدوا الصالحين على أساس الشفاعة، لا على أساس الربوبية والاستقلال بالنفع والضر، ونفوذ المشيئة.

فلو كان تعريف القبورية للعبادة صحيحاً ـ لزم منه كون المشركين غير مشركين، وغير عابدين لغير الله؛

لكن التالي باطل، فالمقدم مثله.

أما وجه بطلان التالي فظاهر؛ لأن القبورية أيضاً يسلمون أن المشركين السابقين كانوا مشركين بلا ريب، وأنهم عباد غير الله بلا امتراء؛

وإذا ثبت بطلان التالي ـ حتى بشهادة الخصوم واعترافهم ـ ظهر بطلان المقدم؛

وهو أن تعريف القبورية للعبادة تعريف باطل مزيف فاسد غير جامع لأفراده؛ بل غير صادق على شيء من أفراده.

هذا تقرير هذا البرهان على طريقة القياس[2] الاستثنائي[3]

---

(١) كما تقدم في نصوص القبورية وتعريفهم للعبادة في ص ٢٩٢.

(٢) القياس عند المناطقة ـ هو الحجة والبرهان ـ وعرفوه بأنه: قول مؤلف من قضايا يلزم لذاته قول آخر. انظر التهذيب مع شرحه للجلال والجمال على الجلال ١٣٥. والمراد بقول آخر هو المدعى، فالقياس دليل يلزم منه ثبوت الدعوى، أي النتيجة.

(٣) الاستثنائي هو القياس الذي يذكر فيه المدعى بمادته ومفردات ألفاظه وهيئته. أي الدعوى بكامله.

انظر المرجع المذكور ١٣٧، ١٧٧.

الرفعي[1].

وأما تقريره على طريقة القياس الاستثنائي الوضعي[2] فهو أن يقال:

لو كان المشركون الأولون مشركين بالله وعابدين لغير الله؛

لزم منه أن يكون تعريف القبورية للعبادة باطلاً مزيفاً غير جامع لأفرادها؛ بل غير صادق على شيء من العبادات.

لٰكن المقدم حق؛ لأن المشركين السابقين مشركون حتى باعتراف القبورية، وعابدون لغير الله حتى بشهادة القبورية؛

فالتالي مثله؛ وهو بطلان تعريف القبورية، وكونه غير جامع لأفراده؛ بل كونه غير صادق على شيء من العبادات.

لأن القبورية يشترطون في تحقيق العبادة شروطاً لم تتوفر في عبادة المشركين السابقين لآلهتهم، مع كونهم مشركين وعابدين لغير الله ـ حتى باعترافهم وشهادتهم ـ.

قلت:

هٰذا الذي ذكرت هو خلاصة رد علماء الحنفية على تعريف القبورية للعبادة وهٰذا هو تقرير ردهم عليهم.

ولتنوير المقام أود أن أسوق بعض نصوص علماء الحنفية لتكون شاهدة لما ذكرت؛ فإليكم بعضها:

---

(١) الرفعي: هو القياس الاستثنائي الذي يستدل ببطلان التالي ـ أي الجزء الثاني من القياس ـ على بطلان المقدم ـ وهو الجزء الأول من القياس ـ وهو النتيجة في الحقيقة. المرجع نفسه ١٧٨.

(٢) الوضعي هو القياس الاستثنائي الذي يستدل فيه بحقيه المقدم وهو الجزء الأول من القياس على بطلان التالي وهو الجزء الثاني من القياس؛ ولٰكن التالي من هٰذا القياس هو الدعوى والنتيجة. انظر المصدر نفسه ١٧٨.

١ ـ قال العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) مبيناً جهل القبورية بحقيقة العبادة ولا سيما جهالة ابن جرجيس أحد أئمتهم (١٢٩٩هـ) مبطلاً تلك الشروط التي اشترطوها في مفهوم العبادة؛ ومحققاً أن العبادة أوسع مما ذكروه وقصروه في بعض الأعمال الظاهرة والباطنة:

(وبعضهم [أي بعض المشركين] أحذق من هٰذا العراقي وأمثاله الذين لم يفهموا من العبادة سوى الركوع والسجود، ولم يجدوا في معلومهم سواه. فأين الحب، والخضوع، والتوكل، والإنابة، والخوف، والرجاء، والرغب، والرهب، والطاعة، والتقوى؛ ونحو ذٰلك من أنواع العبادة الباطنية والظاهرة[1]؟ فكل هٰذا عند العراقي ـ /ابن جرجيس/ ـ يصرف لغير الله ولا يكون عبادة؛ لأن العبادة ما فسرها هو به فقط. بل عبارته في عدة مواضع تفهم: أن السجود لا يحرم إلا على زعم الاستقلال[2]. وقد رأينا كثيراً من المشركين، ولم نر مثل هٰذا الرجل في جهله ومجازفته وبلادته)[3].

٢ ـ وقال رحمه الله أيضاً محققاً أن المشركين الأوائل إنما كان إشراكهم: التسبب والتشفع في آلهتهم، دون عقيدة الاستقلال؛ فهم غير مشركين بناء على تعريف القبورية لعبادة:

(ومن بلغت به الجهالة والعماية إلى هٰذه الغاية فقد استحكم على قلبه الضلال والفساد * ولم يعرف ما دعت إليه الرسل سائر الأمم والعباد *؛

---

(١) الأولى أن يقال: «الباطنية والظاهرية» أو «الباطنة والظاهرة».

(٢) قلت: هٰذا ليس مفهوماً فقط، بل هو نص كلام القبورية؛ فإنهم قد قالوا: (ولا يكون به ـ أي بالسجود ـ كافراً إلا إذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له). مع ملاحظة قيد الاستقلال بالنفع والضر كما سبق في ص ٢٩٢.

(٣) فتح المنان ٤٤٦.

ومن له أدنى نهمة في العلم، والتفات إلى ما جاءت به الرسل يعرف: أن المشركين من كل أمة في كل قرن ما قصدوا من معبوداتهم، وآلهتهم التي عبدوها مع الله تعالى إلا التسبب، والتوسل، والتشفع؛ ولم يدعوا الاستقلال، والتصرف لأحد من دون الله، ولا قاله أحد منهم، سوى فرعون، والذي حاج إبراهيم في ربه؛ وقد قال تعالى: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً**﴾ [النمل: ١٤]. فهم في الباطن يعلمون أن ذلك لله وحده.

قال تعالى في بيان قصدهم ومرادهم: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم [ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله]**[1]﴾ الآية [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [الزمر: ٣]).

٣ ـ ثم ذكر رحمه الله عدة آيات في أن عبادة المشركين لآلهتهم إنما كانت على أساس الشفاعة؛ لا على أساس الاستقلال، ثم قال:

(فأخبر تعالى: أنهم تعلقوا على آلهتهم ودعوهم مع الله للشفاعة والتقريب إلى الله بالجاه والمنزلة، . . . ولم يريدوا منهم تدبيراً، ولا تأثيراً، ولا شركة، ولا استقلالاً؛ يوضحه قوله تعالى: ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله قل أفلا تتقون**﴾ [يونس: ٣١]).

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يذكر في الأصل، وذكره مفيد للغاية.

٤ - ثم ذكر رحمه الله عدة آيات في اعترافهم بتوحيد الربوبية والخالقية والمالكية؛ ثم قال:

(فتأمل هٰذه الآيات وما فيها من الحجج والبينات تطلعك على جهل هٰذا العراقي وأمثاله؛ وأنهم ما عرفوا شرك المشركين * وما كانوا عليه من القصد والدين * ولم يعرفوا ما كان عليه أنبياء الله وأتباعهم من توحيد رب العالمين *).

٥ - ثم ذكر رحمه الله كلاماً[1] مهمّاً في تحقيق أن الله تعالى جعل توحيد الربوبية دليلاً على توحيد الألوهية، وأنه سبحانه احتج على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليعترفوا بتوحيد الألوهية.

٦ - ثم قال: (فسبحان من جعل كلامه في أعلى طبقات البلاغة، والفصاحة، والجلالة، والفخامة، والدلالة، والظهور؛ فأي شبهة بعد هٰذا تبقى للمماحل المغرور؟)[2].

٧ - وقال رحمه الله تعالى أيضاً مبيناً أن تعريف القبورية للعبادة يستلزم أن لا يكون المشركون الأولون مشركين؛ لأن تعريفهم هٰذا لا يصدق على عبادة المشركين لآلهتهم؛ لأنهم لم يعتقدوا فيهم القدرة الذاتية والاستقلال بالنفع والضر:

(وهٰذا الأحمق زاد في غير موضع من كتابه[3] قيداً فقال: «لا يشرك إلا من قصد واعتقد الاستقلال من دون الله».

مع أن في تلبية المشركين في الجاهلية: «لبيك لا شريك لك إلا

---

(١) وقد ذكر نص كلامه هٰذا في ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) فتح المنان ٤٤٦-٤٤٨.

(٣) يعني صلح الإخوان. انظر منه ص ٤٣.

شريكاً هو لك تملكه وما ملك» ؛

فهٰؤلاء لم يدعوا الاستقلال ؛ وعلى زعم هٰذا [العراقي وأمثاله] فليسوا بمشركين.

وأما قوله: «إن نداء الصالحين ليس بعبادة»: فهو من أدل الأشياء على جهله وعدم ممارسته لشيء من العلم وإن قل. . .)[1].

٨ ـ وقال رحمه الله مبيناً جهل القبورية بحقيقة العبادة وحقيقة شرك المشركين وحقيقة التوحيد، وأن خبطهم في هٰذه المعارف جعلهم يعبدون غير الله ويشركون وهم لا يشعرون:

(إنه [أي العراقي ابن جرجيس] لم يفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فلذا خبط خبط عشواء؛ وإذا بسطنا ذٰلك يتبين فساد قوله وبطلانه؛ حتى لصغار المتعلمين؛ فنقول، وبالله التوفيق * وبيده أزمة التحقيق *: توحيد الربوبية هو الذي أقرت به الكفار جميعهم).

٩ ـ ثم أقام عليه عدة آيات، ثم قال:

(وأما توحيد الألوهية فهو إفراد العبادة لله الواحد الصمد. . .، وإذا علمت هٰذا تبين لك أن المعركة بين أهل التوحيد والمشركين في الألوهية فقط. . .؛ وجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم دعوا إلى توحيد الله وعبادته. وقد رد الله سبحانه على من خالف هٰذا الأصل *؛ وحكم على الوصل بحكم الفصل *؛ وهم المشركون الذين وحدوه بالربوبية * وأشركوا به في الألوهية *

١٠ ـ . . .؛ والحكم باتحاد التوحيدين نشأ من جهل هٰذا العراقي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. . .؛ ولربما اعتقد أن أفعال إخوانه ومن على

---

(١) فتح المنان ٤٤٨.

شاكلته ليس[1] شركاً في الألوهية، ولا عبادة لغير الله بناء على زعمهم: أنهم مصدقون بالرسول ﷺ وما جاء به من عند الله تعالى.

فيقال له: لا يفيد ذٰلك الزعم الكاذب مع إظهار الأعمال الشركية الدالة على عقيدة الشرك، وما يصادم ما جاء به الرسول ﷺ؛ وذٰلك كمن يقول: إني مصدق بما ذكر. ثم شد الزنار[2]. وإن تصلف هٰذا العراقي وادعى: أن أفعال إخوانه عبدة القبور لا تشبه أفعال المشركين؛ فتلك عبادة، وأفعال إخوانه ليست عبادة!؟ يقال له: إنك لم تفهم معنى العبادة...)[3].

وقال رحمه الله رادّاً على ابن جرجيس حصره للعبادة في عدة أمور، مبيناً جهله للعبادة:

(والجواب أن كلامه هٰذا نشأ عن جهل باللغة والشرع، وما جاءت به الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم...؛ وهٰذا الغبي لم يعرف من أفراد العبادة غير الركوع والسجود والذبح والتقرب؛ مع أن دعاء المسألة من أفضل أنواعها وأجلها...)[4].

١١ ـ وقال الشيخ الرستمي بعد أن ذكر تعريف العبادة وأنواعها وأمثلة لها مبيناً جهل القبورية بحقيقة العبادة ـ محققاً أن تعريف القبورية للعبادة أمر ذهني لا حقيقة له في الخارج، لأنه لا يصدق على شيء من أفراد

---

(١) هٰكذا في الأصل، والصواب «ليست».

(٢) هو خيط غليظ بقدر الأصبع من الأبريشم يشد على الوسط. (تعريفات الجرجاني ١٥٣). والزنار كرمان: وهو ما على وسط النصارى والمجوس، وما يلبسه الذي يشده على وسطه. (انظر تاج العروس ٣/٢٤٣).

(٣) فتح المنان ٤٥١-٤٥٣.

(٤) فتح المنان ٤٤٢.

العبادة :

(فالأسف كل الأسف على حال من يسجد للقبور ويركع ويعيّن في الأنعام والحرث نذراً لأهل القبور حصة معينة، ويقطع مسافة طويلة لزيارة القبر كالحج ؛ مع أنه[1] يقول في صلاته : «إياك نعبد» ؛ فما بال هٰؤلاء الجهلة!؟ ؛ أي معنى للعبادة عندهم؟!؟ ؛ هل للعبادة مصداق عندهم في الخارج أم لا؟!؟ . فهٰذا حال من لم يعرف حق الله وحق العباد ولم يميز بينها[2] . . .)[3].

١٢ ـ وقد حقق جمع من علماء الحنفية الذين لهم علم بتاريخ الوثنية وعقائد المشركين السابقين، وصرحوا : أن عبادة المشركين لآلهتهم لم تكن باعتقاد الخالقية والرازقية والمالكية والربوبية والقدرة الذاتية والاستقلال بالنفع والضر والتصرف في الكون . وإنما كانت عبادتهم لآلهتهم بندائهم عند الكربات * والاستغاثة بهم عند إلمام الملمات والبليات * والتوجه إليهم بالنذور ونحوها لدفع المضرات وجلب الخيرات * والتوسل بهم والتشفع بهم إلى خالق البريات * لاعتقادهم أنهم عباد صالحون معظمون ذوو مكانة عند رب الكائنات *[4].

الحاصل :

لقد حصل لنا من نصوص علماء الحنفية التي ذكرتها في الرد على

---

(١) هٰكذا في الأصل . والركاكة ظاهرة عليه . ولعل الأولى : (ومع ذٰلك يقول . . .) .

(٢) هٰكذا في الأصل، والصواب : «بينهما» .

(٣) التبيان ٨٣ـ٨٤ .

(٤) انظر النصوص الآتية في ص ٣٨٢ـ٣٨٧، وراجع ما سبق في ص ١٢٩ـ١٣٤، ١٢٩٥ـ١٢٩٦ .

تعريف القبورية للعبادة أحد عشر أمراً:

الأول: جهل القبورية بحقيقة الشرك.

الثاني: جهلهم بتاريخ الوثنية وعقائد المشركين.

الثالث: جهلهم بحقيقة التوحيد.

الرابع: جهلهم بحقيقة العبادة.

الخامس: بطلان تعريفهم للعبادة، وأنه تعريف مزيف فاسد، غير جامع لكثير من أنواع العبادة؛ بل غير صادق على شيء من العبادة.

السادس: أن تعريفهم للعبادة لا يشمل عبادة المشركين لآلهتهم.

السابع: حصرهم للعبادة في بعض الأعمال الظاهرة والباطنة.

الثامن: أنه يلزم من تعريفهم للعبادة: أن يكون المشركون غير مشركين.

التاسع: أنه يلزم من تعريفهم للعبادة: أن المشركين غير عابدين لغير الله.

العاشر: ارتكاب القبورية أنواعاً من الشرك الأكبر وعبادتهم للقبور وأهلها بأنواع من العبادة تحت ستار التوسل والتشفع والولاية والكرامة وتعظيم الأولياء.

الحادي عشر: رميهم أئمة السنة وأعلام هٰذه الأمة بدائهم من الجهل بحقيقة التوحيد والعبادة والشرك؛ وعدم الإلمام بتاريخ الوثنية، وعدم معرفة عقائد المشركين.

وبهٰذه المناسبة أحب أن أنشد فيهم ما قيل:

فحسبكم هٰذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

وأقول بالنسبة إلى جهلهم المطبق المحيط بهم ورميهم أئمة الهدى

بأدوائهم :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وبعد أن عرفنا بطلان تعريف القبورية للعبادة، ننتقل إلى تحقيق تعريف العبادة لغة واصطلاحاً عند علماء الحنفية.

* * * * *

المطلب الثاني

في تعريف العبادة لغةً

لعلماء اللغة من الحنفية كلام طويل في معنى «العبادة» لغة، حاصلها ما يلي:

«العبادة» من مادة «ع ب د». وهٰذه المادة إذا كانت على وزن «نصر ينصر»، فلها خمسة معان:

(١) الخضوع.

(٢) الذلة.

(٣) الطاعة.

(٤) المملوكية.

(٥) التنسك.

وأما إذا كانت من باب «فرح يفرح»، فلها ستة معان:

(١) الغضب والكراهة والأنفة.

(٢) الندامة والملامة.

(٣) الحرص.

(٤) الإنكار.

(٥) القوة.

(٦) البقاء.

فهذه أحد عشر معنى لمادة «ع ب د» من الناحية اللغوية. وإليكم توثيقها:

١ - ٢ - أما المعنيان: الأول، والثاني: فقد قال الزمخشري (٥٣٨هـ):

(وطريق وبعير معبد: مذلل، وتقول: لا يجعلني كالبعير المعبد، والأسير المعبد)[١].

وقال: (العبادة: أقصى غاية الخضوع والتذلل)[٢].

وقال أبو بكر الرازي (٦٦٦هـ):

(وأصل العبودية: الخضوع والذل، والتعبيد: التذلل؛ يقال: طريق معبد. والتعبيد أيضاً: الاستعباد، وهو اتخاذ الشخص عبداً، وكذا الاعتباد. . .، وكذا الإعباد، والتعبد أيضاً؛ يقال: تعبده: أي اتخذه عبداً)[٣].

وقال الزبيدي (١٢٠٥هـ):

(. . .، أصل العبودية: الذل والخضوع. . .؛ يقال: بعير معبد: أي مذلل، وطريق معبد: أي مسلوك مذلل. . .؛ والمعبد: البعير المهنوء بالقطران؛ قال طرفة[٤]:

---

(١) أساس البلاغة ٢٩١.

(٢) الكشاف ٦٢/١. والمدارك ٥/١. وإرشاد العقل ١٦/١. وروح المعاني ٨٦/١.

(٣) مختار الصحاح ١٧٢.

(٤) هو طرفة بن العبد شاعر جاهلي قتل (٦٠ ق. هـ). الشعر والشعراء لابن قتيبة ٧٦. وطبقات فحول الشعراء للجمحي ١٣٨/١. ومعجم الشعراء للمرزباني ١٤٦.

إلى أن تحـامتني العشيرة كلهـا   وأفـردت إفـراد البعير المعبـد[1]

. . .)[2].

٣ ـ وأما المعنى الثالث ـ وهو الطاعة ـ: فقد ذكره كثير من الحنفية[3].

٤ ـ وأما المعنى الرابع ـ وهو المملوكية ـ: فقد قال الزمخشري (٥٣٨هـ):

(أعبدني فلان: ملكنيه)[4].

وقال أبو بكر الرازي (٦٦٦هـ):

(والعبد المملوك خلاف الحر)[5].

وقال الزبيدي (١٢٠٥هـ):

(أعبدني فلان فلاناً: أي ملكني إياه. . .)[6].

٥ ـ وأما المعنى الخامس ـ وهو التعبد ـ: فقد قال الزمخشري (٥٣٨هـ)، والرازي (٦٦٦هـ)، واللفظ للأول:

(وتعبد فلان: تنسك)[7].

وقال الزبيدي (١٢٠٥هـ):

---

(١) من معلقته الدالية. انظر شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ٧٩. وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٠٢. ولم أجده في ديوان طرفة.

(٢) تاج العروس ٢/٤١٠، ٤١٣.

(٣) انظر ص ١٠٥-١٠٧، وراجع الكشاف ٣/٣٢٧ وإرشاد العقل ٧/١٧٥.

(٤) أساس البلاغة ٢٩١.

(٥) مختار الصحاح ١٧٢. وتاج العروس ٢/٤٠٩.

(٦) تاج العروس ٢/٤١٣. وتكملة الصاغاني ٢/٢٧٨.

(٧) أساس البلاغة ٢٩١. ومختار الصحاح ١٧٢.

(وتعبد: تنسك. وقعد في متعبده: أي موضع نسكه)[1].

٦ ـ وأما المعنى السادس ـ وهو الغضب والكراهة والأنفة ـ: فقد قال الزمخشري (٥٣٨هـ):

(وعبد في أنفه «عبدة»: أي أنفة شديدة)[2].

وقال: (و «عَبِدَ»، وأبِدَ، ورَمِدَ، وعَمِدَ، وضَمِدَ، كلها بمعنى «غضب»)[3].

وقال الرازي (٦٦٦هـ)، والزبيدي (١٢٠٥هـ)، واللفظ للأول:

(و «عَبِدَ» من باب «طَرِبَ»: أي غَضِبَ وأنِفَ، والاسم العَبَدَةُ؛ قال الفرزدق[4]:

وأعْبَـدُ أن أهجـو كليباً بدارم[5] ... ...)[6]

وعلى هٰذا المعنى فسر قوله تعالى **﴿قل إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول العابدين﴾** [الزخرف: ٨١].

أي: فأنا أول الآنفين المستنكفين من أن يكون له ولد[7].

---

(١) تاج العروس ٢/٤١٣.

(٢) أساس البلاغة ٢٩١.

(٣) الفائق ٢/٣٨٨.

(٤) هو أبو فراس همام بن غالب التميمي من الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين (١١٠هـ)، وكان معناً مفناً. طبقات الشعراء لابن قتيبة ٢٣٥-٢٤١، والمغني لابن باطيش ٢/٤٠٧-٤٠٩.

(٥) لم أجده في ديوانه، وصدره: «أولٰئك أحلاسي فجئني بمثلهم» تاج العروس ٢/٤١١، وصدره في اللسان ٣/٢٧٥: «أولٰئك قوم إن هجوني هجوتهم».

(٦) مختار الصحاح ١٧٢. وتاج العروس ٢/٤١١.

(٧) انـظر الكشاف ٣/٤٩٧. والمدارك ٣/٣٢٣. وإرشاد العقل ٨/٥٦. وروح =

٧ ـ ١١ ـ **وأما المعاني: السابع إلى الحادي عشر**: وهي: الندامة، والملامة، والحرص، والإنكار، والقوة، والبقاء: فقد ذكرها الزبيدي (١٢٠٥هـ)، وغيره[1].

ولمادة (ع ب د) معان أخرى أيضاً؛ قال الصاغاني[2] (٦٥٠هـ):

العبد: نبات طيب الرائحة، تكلف به الإبل لأنه ملبنة مسمنة.

والمَعْبَدَةُ: العبيد؛ كالمَشْيَخَةُ: جمع الشيخ. والمسيفة: جمع السيف.

والعَبَدَةُ: صلاءة الطيب.

والعَبِد، ككَتِف: جرب لا ينفعه دواء.

والعبادية: الإكام.

وأم عبيد: الفلاة.

والعُبَيْد: ابن الفلاة[3].

هٰـذه معاني مادة «ع ب د» من الناحية اللغوية.

وأما معنى «العبادة» اصطلاحاً شرعياً فأذكرها عن الحنفية في المطلب الآتي إن شاء الله تعالى.

* * * * *

= المعاني ٢٥/١٠٥. ومجمع البحار ٣/٥٠٦. ومختار الصحاح ١٧٢. وتاج العروس ٢/٤١١. وانظر أيضاً معاني القرآن للأخفش ١/١١١. وجامع البيان لابن جرير ٢٥/٦١.

(١) انظر تاج العروس ٢/٤١١. وانظر تكملة الصاغاني ٢/٢٧٦، ٢٧٨.

(٢) هو رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد اللاهوري الهندي البغدادي الحنفي اللغوي. ترجمته في عقد الجمان للعيني ١/٧٢. وسبحة المرجان في آثار هند وسنان للبلجرامي ٢٨.

(٣) التكملة والذيل والصلة ٢/٢٧٦.

المطلب الثالث

في تعريف العبادة اصطلاحاً وشرعاً عند علماء الحنفية

لقد ذكر علماء الحنفية عدة تعريفات للعبادة، وكلها صحيحة جامعة مانعة.

وهي ترد على تعريف القبورية للعبادة ردّاً باتّاً.

وأذكر من تلك التعريفات ما يلي:

التعريف الأول: هو أن العبادة: (فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه)[1].

التعريف الثاني: هو أن العبادة: (فعل ما يرضي الرب)[2].

قلت: المناسبة بين هٰذين التعريفين وبين المعاني اللغوية للعبادة: هي الذل والخضوع والتنسك.

التعريف الثالث: هو أن العبادة: (تعظيم يقصد به الزلفى من الله تعالى والنجاة في الدار الآخرة)[3].

التعريف الرابع: هو أن العبادة: (نهاية التذلل لنهاية تعظيم الغير

---

(١) تعريفات الجرجاني ١٨٩.

(٢) كليات أبي البقاء ٦٥٠.

(٣) التفهيمات الإلٰهية للشاه ولي الله على ما في ضميمة البلاغ المبين له ١٢٣.

بالاختيار)[1].

قلت: المناسبة بين هٰذين التعريفين وبين المعاني اللغوية للعبادة واضحة.

التعريف الخامس: هو أن العبادة: (عبارة عن الاعتقاد والشعور بأن للمعبود سلطة غيبية في العلم والتصرف فوق الأسباب، يقدر بها على النفع والضر؛ فكل دعاء وثناء وتعظيم ينشأ من هٰذا الاعتقاد: فهو عبادة)[2].

وقد أثنى الحنفية على هٰذا التعريف بأنه جامع لأنواع من العبادة؛

قال الشيخ الرستمي:

(وما أحسن ما قيل...)، ثم ذكر هٰذا التعريف ثم قال:

(وهٰذا التعريف جامع لجميع أفراد العبادات[3]: من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والذكر، والنذر، والثناء، والدعاء، والعبادات[4]: القولية، والبدنية، والمالية جميعاً؛ فكل من يعبد عبادة،

---

(١) التبيان للرستمي ٨٠.

(٢) إمداد المفتين للتهانوي بترتيب المفتي الأعظم محمد شفيع ٦/٨٨ (رسالة كفاية الإدراك). ومقدمة جواهر القرآن للشيخ غلام الله ٣٨. والتبيان للرستمي ٨١. نقلاً. وقد نقله الأول والثالث عن حاشية مدارج السالكين لابن القيم ونقله الثاني عن مدارج السالكين لابن القيم نفسه. ولم أجده لا في المدارج ولا في حاشيته؟!؟. وذكره العلامة الرباطي في عقده ٩٢ بدون الإحالة على أي مصدر!.

ومعناه يوجد في تفسير المنار ١/٥٦-٥٧. وفي تفسير المنار ٦/٥٦٨: (العبادة: هي التوجه بالدعاء وكل تعظيم قولي أو عملي إلى ذي السلطان الأعلى على عالم الأسباب وما هو فوق الأسباب).

(٣) هٰكذا في الأصل، والأولى أن يقال: (لجميع أفراد العبادة)، أو (لجميع العبادات).

(٤) هٰكذا في الأصل، وهو ركيك، والصواب أن يقال: (وغيرها من =

ويعتقـد أن للمعبـود عليّ[1]. علماً بجميع الحالات[2]، وتصرفاً في كل حال. فإن كان يعبد الله ـ فهو[3]. عبادة الله، وإن كان يعبد لغير الله بهٰذا الاعتقاد ـ فهو[4] شرك، وعبادة غير الله تعالى)[5].

التعريف السادس: هو أن العبادة: (ما أمر به شرعاً من غير اقتضاء عقلي، ولا اطراد عرفي)[6].

التعريف السابع: هو أن العبادة: (فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ـ ﷺ ـ ابتغاء وجه الله والآخرة)[7].

قلت: وجـه المنـاسبـة بين هٰذين التعـريفين وبين معـاني العبادة اللغوية: الطاعة والتنسك.

قال العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢) هـ قبل أن يذكر هٰذين التعريفين، مبيناً جهالة القبورية للعبادة، مبطلاً حصرهم لها:

(والجـواب أن يقال: إن كلامه [ابن جرجيس] هٰذا نشأ عن جهل

= العبادات. . .).

(١) هٰكذا في الأصل والأولى أن يقال: (عليه)، ولعله أراد الالتفات. تنبيه: ذكر لفظ «على» هٰهنا لا معنى له؛ لأنه لا يصح أن تكون صلة لما قبله ولا لما بعده، فالصواب حذفه وأن يقال: (. . . أن لمعبوده علماً بجميع أحواله).

(٢) هٰكذا في الأصل، والأولى أن يقال: (بجميع الأحوال).

(٣) هٰكذا في الأصل، وهو ركيك والسـليم أن يقال: (فهو عابد لله)، أو يقال: (فعبادته عبادة لله).

(٤) هٰكذا في الأصل وهو ركيك كالأول. والسليم أن يقال: (فهو مشرك عابد لغير الله)، أو يقال: (فعبادته شرك لعبادته لغير الله)؛ لأن الجزاء يحمل على الشرط.

(٥) التبيان ٨١.

(٦) فتح المنان ٤٤٢.

(٧) فتح المنان ٤٤٢.

باللغة والشرع وما جاءت به الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . . .) .

ثم ذكر هٰذين التعريفين وتعريفاً آخر، ثم قال:

(فدخل في هٰذه التعاريف والحدود جميع أنواع العبادات، فلا يقصد بها غير الله ولا تصرف لسواه. وهٰذا الغبي لم يعرف من أفرادها غير الركوع والسجود والذبح والتقرب، مع أن دعاء المسألة من أفضل أنواعها وأجلّها)[1].

التعريف الثامن: هو أن العبادة: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ كالتوحيد؛ فإنه عبادة في نفسه، والصلاة، والزكاة، والحج، وصيام رمضان، والوضوء، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والدعاء، والذكر، والقراءة، وحب الله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، والاستغاثة به، وغير ذٰلك مما رضيه وأحبه، فأمر به، وتعبد الناس به)[2].

قلت: هٰذا التعريف أحسن التعريفات كلها لفظاً ومعنى، وأشملها جمعاً ومنعاً، وأدقها طرداً وعكساً، وأوضحها كلاً وجزءاً، وهو من كلام شيخ الإسلام[3].

التعريف التاسع: هو أن العبادة: (ضرب من الخضوع بالغ حد

---

(١) فتح المنان ٤٤٢.

(٢) فتح المنان لشكري الآلوسي ٤٥٣. والتبيان للرستمي ٨٠.

(٣) انظر العبودية ٤. ومجموع الفتاوى ١٠/١٤٩-١٥٠.

النهاية، ناشىء عن استشعار القلوب عظمة المعبود)[1].

التعريف العاشر: هو أن العبادة: (عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف، والرجاء، والطاعة)[2].

قلت: هٰذا التعريف فيه ميزة لا توجد في غيره من التعريفات، وهي اشتماله على أركان العبادة.

التعريف الحادي عشر: هو أن العبادة: (فعل ما يرضى به الرب)[3].

التعريف الثاني عشر: هو أن العبادة: غاية حب العابد للمعبود، مع ذل العابد لمعبوده[4].

أقول: إن هٰذه التعريفات التي ذكرتها عن الحنفية للعبادة حجة قاطعة على بطلان تعريف القبورية للعبادة، وأن القبورية في اشتراط القيود التي ذكروها في مفهوم العبادة؛ كالاستقلال بالنفع والضر، والربوبية، ونفوذ المشيئة، ونحوها على باطل محض.

---

(١) مفتاح الجنة ٦٥ للخجندي. قلت: هٰذا التعريف موجود في تفسير المنار ١/٥٧، وتمامه فيه: (لا يعرف منشأها، واعتقاده بسلطة له لا يدري كنهها، وماهيتها؛ وقصارى ما يعرفه منها: أنها محيطة به ولٰكنها فوق إدراكه). وأقول: هٰذا التعريف قريب في المعنى من التعريف الخامس.

(٢) مأخوذ من مجموع كلام الحنفية في مفتاح الجنة للخجندي ٦٦. والبصائر ٧٨ ط باكستان. وسمط الدرر ٢٠. كلاهما لشيخ القرآن الفنجفيري. والتبيان للرستمي ٨٠، ٨١.

(٣) تاج العروس للزبيدي ٢/٤١٠.

(٤) التبيان للرستمي ٨٢. وأصل الكلام لابن القيم؛ حيث قال:

وعبادة الرحمٰن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

انظر: النونية ٣٢ ط القديمة. و ط الجديدة. وشرحها توضيح المقاصد لابن عيسى ١/٢٥٣. وشرح هراس ١/٩٥.

وأن تعريفهم للعبادة غير جامع لأفرادها؛ بل غير صادق على شيء من العبادة؛ فهو تعريف مزيف ذاهب أدراج الرياح؛ بل قضي عليه فصار كأمس الدابر؛ وأن تعريفات الحنفية للعبادة كلها صحيحة في نفسها، وبعضها أولى وأوضح من بعضها؛ وأنها جامعة لأفراد العبادة، ومانعة عن دخول غيرها فيها.

وتبين من هذه التعريفات: أن القبورية بنذورهم وتوجههم إلى الأموات، واستغاثتهم بهم عند الملمات - عباد القبور وأهلها مرتكبون للشركيات *.

وبذلك جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

ألم تر أن الحق تلقاه أبلجا وأنك تلقى باطل القول لجلجا

وبعد أن عرفنا تعريف العبادة ننتقل إلى معرفة أركانها وأنواعها وشروط صحتها في المبحث الآتي عند علماء الحنفية، وبالله التوفيق.

* * * * *

المبحث الثالث

في أركان العبادة وأنواعها وشروط صحتها عند علماء الحنفية وردهم على القبورية في ذلك كله

وفيه مطالب ثلاثة:

- المطلب الأول: في أركان العبادة عند علماء الحنفية.
- المطلب الثاني: في أنواع العبادة عند علماء الحنفية.
- المطلب الثالث: في شروط صحة العبادة عند علماء الحنفية.



المطلب الأول
في أركان العبادة

لقد تبين من تعريفات علماء الحنفية للعبادة: أنها لا تتحقق إلا إذا تحققت أركانها.

وقد تبين أيضاً من تلك التعريفات أركان العبادة.

وتلك الأركان ثمانية، وهي:

(١) غاية الذل والخضوع للمعبود.

(٢) نهاية التعظيم للمعبود.

(٣) كمال المحبة للمعبود.

(٤) رضا المعبود.

(٥) الطاعة المطلقة للمعبود.

(٦) الخوف الكامل من المعبود.

(٧) الرجاء التام من المعبود.

(٨) اعتقاد أن للمعبود سلطة غيبية على العابد.

وقد صرح علماء الحنفية: أن هٰذه الأركان للعبادة إذا لم تتحقق لا تتحقق العبادة:

فالذل والتعظيم والمحبة والخوف والرجاء، إذا كانت تحت الأسباب

العـادية لا تدخل في باب العبادة؛ كحب الوالدين مثلاً حباً طبيعياً؛ والخوف من الحـاكم خوفـاً طبيعياً مثـلاً، ورجـاء الناس بعضهم من بعض تحت الأسباب، ونحو ذٰلك ليس من العبادة في شيء[1].

ثم الأركان الثلاثة منها أم الأركان، وهي:

(١) الحب.

(٢) والرجاء.

(٣) والخوف.

ومن هٰذه الثـلاثـة تلتئم العبادة؛ فإن تحققت هٰذه الثلاثة تحققت العبادة، وإلا فلا:

فالحب وحده ليس عبادة؛ لجواز أن يكون الشخص محبوباً، ولا يكون معبوداً؛ لفقدان الخوف والرجاء، أو أحدهما: كالولد؛ فإنه محبوب وليس بمعبود.

وكـذا الخوف وحده ليس عبادة؛ لجواز أن يكون الشخص يخاف منه، ولا يكون معبوداً؛ لعدم تحقق المحبة والرجاء، أو أحدهما؛ كالحاكم مثلاً.

إلا إذا وصل أحد هٰذه الأركان إلى درجة تليق بالله، كالحب مثلاً يكـون عبادة إذا وصل إلى درجة حب الله لقوله تعالى ﴿**يحبونهم كحب الله**﴾ [البقرة: ١٦٥].

الحاصل: أنه لا تتحقق العبادة ما لم تجتمع هٰذه الأركان الثلاثة.

وقد جمع الله تعالى هٰذه الأركان الثلاثة في قوله: ﴿**أولٰئك الذين يدعـون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون**

---

(١) انظر سمط الدرر لشيخ القرآن الفنجفيري ٢٠. والتبيان للرستمي ٨١.

عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [الإسراء: ٥٧].

فقوله تعالى: **﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾**: إشارة إلى ركنية «المحبة».

وقوله تعالى: **﴿ويرجون رحمته﴾**: دليل على ركنية «الرجاء».

وقوله تعالى: **﴿ويخافون عذابه﴾**: دليل على ركنية «الخوف».

فباجتماع هٰذه الأركان الثلاثة تتحقق «العبادة».

فإن لم تتحقق هٰذه الأركان الثلاثة مجتمعة لم تتحقق «العبادة» أصلاً.

ولهٰذا فسر العلماء من الحنفية «الإلٰه» بالمعبود؛ فالإلٰه هو الذي يأله القلوب بكمال الحب، والتعظيم، والإجلال، والإكرام، والخوف، والرجاء[1].

قلت:

هٰذه الأركان الثلاثة هي الأمهات، وأما بقية الأركان فداخلة فيها.

وقد صرح علماء الحنفية بعد تعريفهم للعبادة وذكر أركانها بأن القبورية في استغاثتهم بالأموات * وندائهم عند إلمام الكربات * وقولهم: يا علي، يا حسين، يا خواجة، يا غوث، يا مرشد، يا شيخ، ومثل ذٰلك عند نزول الملمات * ورجائهم وخوفهم من الأولياء الأموات * والطواف حول قبورهم لإنجاح الحاجات *

كل ذٰلك عبادات من أعظم أنواع العبادات * فهم بعبادتهم هٰذه للأموات * أهل إشراك برب البريات[2] *.

---

(١) انظر سمط الدرر ٢٠-٢١. والتبيان ٨١.

(٢) انظر على سبيل المثال التبيان للرستمي ٨١.

تنبيه مهم:

لقد تبين من نصوص علماء الحنفية أن الرجاء والخوف من أركان العبادة، فدل هٰذا على أن الصوفية الذين يقولون: «لا مقصود إلا الله»، ويزعمون أنهم لا يعبدون الله رجاء الجنة وخوفاً من النار على ضلال مبين، وأنهم لم يعبدوا الله تعالى لخلو أعمالهم من الخوف والرجاء[1].

قلت:

هٰذه كانت أركان العبادة، ذكرتها عن علماء الحنفية، وبعد أن عرفناها ننتقل إلى معرفة أنواع العبادة عند علماء الحنفية * والله المستعان على القبورية *.

* * * * *

---

(١) انظر ما سبق في ص ١٤٥-١٤٦.

المطلب الثاني
في أنواع العبادة

لقد تبين من تعريفات علماء الحنفية للعبادة: أن العبادة أمر شامل لجميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة الإسلامية؛ غير محصورة في بعض الأقوال والأفعال، كما قال القبورية؛ فإنهم قد حصروا العبادة في بعض ذلك، كما سبق نقل مقالتهم[1].

وتبين أيضاً من أركان العبادة التي ذكرتها عن الحنفية: أن العبادة غير محصورة في بعض الأمور.

ولذا صرح علماء الحنفية رداً على القبورية وإبطالاً لحصرهم: بأن العبادة غير محصورة في بعض الأقوال والأفعال: من الركوع والسجود والصلاة والزكاة ونحوها كما زعم القبورية[2].

وقد صرح العلامة محمود شكري الآلوسي بأن حديث جبريل في بيان أركان الإسلام والإيمان لا يدل على حصر العبادة في بعض الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فلا مستند للقبورية في هذا الحديث على حصر

---

(١) في ص ٢٩٢.

(٢) فتح المنان ٤٤٢، ٥٠١. والتبيان ٨٢.

العبادة[1].

الحاصل: أن الحنفية قالوا: إن العبادة لها جزئيات كثيرة غير محصورة في بعض الأمور[2].

ولٰكنها تندرج تحت أنواع ثلاثة:

الأول: العبادة القولية.

الثاني: العبادة البدنية.

الثالث: العبادة المالية[3].

قلت: وقد تكون العبادة مركبة من هٰذه الأنواع الثلاثة؛ كالحج.

وهناك نوع رابع أيضاً: وهو العبادة الاعتقادية[4].

وأقول: إن هٰذه الأنواع الثلاثة تحتها أنواع كثيرة من العبادات ذكرها علماء الحنفية.

أذكرمنها على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ دعاء المسألة: وهو من أفضل العبادة وأجلّها، ومخها، بل هو العبادة.

فاستغاثة القبورية عند إلمام الملمات بالأموات إشراك برب البريات * إذ هو عبادة لغير الله سبحانه وعبادة غير الله من أعظم الشركيات *[5].

---

(١) انظر فتح المنان ٥٠١.

(٢) انظر التبيان ٨٢.

(٣) راجع التبيان ٨١.

(٤) انظر صيانة الإنسان ١٥٧ـ١٥٨. فقد ذكر السهسواني أربعة أنواع للعبادة.

(٥) انظر فتح المنان ٤٤٢. وراجع لتحقيق هٰذا المطلوب ما سيأتي ص ١٣٩٦ـ١٤٠٦.

٢ ـ ١٣ ـ قال العلامة محمود شكري الآلوسي (**١٣٤٢هـ**) **مبيناً جهل** القبورية بالعبادة، ذاكراً بعض أنواعها:

(وبعضهم أحذق من هٰذا العراقي وأمثاله الذين لم يفهموا من العبادة سوى الركوع والسجود، ولم يجدوا في معلومهم سواه. فأين الحب، والخضوع، والتوكل، والإنابة، والخوف، والرجاء، والرغب، والرهب، والطاعة، والتقوى، ونحو ذٰلك من أنواع العبادة الباطنية[1] والظاهرة؛ فكل هٰذا عند العراقي يصرف لغير الله، ولا يكون عبادة؛ لأن العبادة ما فسرها هو به فقط؛ بل عبارته في عدة مواضع تفهم: أن السجود لا يحرم إلا على من زعم الاستقلال. وقد رأينا كثيراً من المشركين، ولم نر مثل هٰذا الرجل في جهله ومجازفته وبلادته)[2].

١٤ ـ ٣١ ـ وقال رحمه الله ـ وتبعه الشيخ الرستمي ـ **كاشفاً عن جهل** القبورية بالعبادة مبيناً بعض أنواع العبادة الأخرى:

(وإن تصلف هٰذا العراقي وادعى أن أعمال إخوانه عبدة القبور لا تشبه أفعال المشركين؛ فتلك عبادة وأفعال إخوانه ليست بعبادة؟!؟؛ يقال له: إنك لم تفهم معنى العبادة؛ وهي على ما سبق: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة: كالتوحيد؛ فإنه عبادة في نفسه، والصلاة، والزكاة، والحج، وصيام رمضان، والوضوء، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والدعاء، والذكر، والقراءة، وحب الله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من

---

(١) الأولى أن يقال: «الباطنة والظاهرة».

(٢) فتح المنان ٤٤٦.

عذابه، والاستغاثة به؛ وغير ذلك مما رضيه وأحبه، فأمر به وتعبد الناس به)[1].

٣٢ ـ ٣٨ ـ وقال العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ)، والشيخ الرستمي، واللفظ للثاني:

(وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١٢٠٦ هـ):

«أنواع العبادة التي أمر الله بها: مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، [والاستعانة][2]، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها كلها لله تعالى» كشف الشبهات[3] ص٥)[4].

٣٩ ـ ٤٦ ـ ونقل الشيخ الرستمي عن الإمام ابن القيم رحمه الله (٧٥١) هـ قوله في أنواع العبادة التي هي من حقوق الله التي لا يجوز صرفها لغيره سبحانه:

الرب رب والرسول فعبده ... حقاً وليس لنا إله ثان
لله حق لا يكون لغيره ... ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً ... من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمٰن دون رسوله ... وكذا الصلاة وذبح ذا القربان

---

(١) فتح المنان ٤٥٣. وانظر التبيان ٨٠.

(٢) سقطت من الرستمي. وهي موجودة عند مجدد الدعوة الإمام، والآلوسي.

(٣) لقد خلط الأمر على الرستمي؛ فإن هذا النص لا يوجد في كشف الشبهات، بل هو في الأصول الثلاثة، أو ثلاثة الأصول.

(٤) غاية الأماني ٢ / ٧١. والتبيان ٨٢. وانظر الأصول الثلاثة لمجدد الدعوة الإمام ٩ ط الجامعة الإسلامية. و ٣٧ ط دار عكاظ، وضمن مؤلفات الشيخ ١ / ١٨٧ـ١٨٨.

وكـــذا السجـــود ونـذرنـا ويميننـا ... وكـــذا متـــاب العبـد من عصيان
وكـــذا التـــوكـل والإنـابـة والتقى ... وكـــذا الـــرجـاء وخشية الـرحمٰن
وكـــذا الـعبـــادة واستغـــاثتنـــا به ... إياك نعـــبـــد ذان توحـــيدان
وعـليهمـــا قام الـــوجـــود بأســـره ... دنـيا وأخـــرى حبـــذا الـــركنـــان
وكـــذلـــك الـتسبيح والتكبير والـ ... ـتـهـــليل حق إلـــهـنـــا الـــديان
لٰكـنـمـــا التعـــزير والتـــوقير حقـ ... ـق للرســـول بمـقـتضى القـــرآن
والحب والإيمـــان والتصـــديق لا ... يختص بل حقـــان مشـتـــركـــان
هٰذي تفـــاصيل الحقـــوق ثلاثـــة ... لا تجـهـلوهـــا يا أولـي العـــدوان

فالأسف كل الأسف على حال من يسجد للقبور ويركع، ويعين في الأنعام والحرث نذراً لأهل القبور حصة معينة[1]، ويقطع مسافة طويلة لزيارة قبر؛ كالحج، ومع أنه[2] يقول في صلاته: ﴿**إياك نعبد [وإياك نستعين]**﴾. فما بال هٰؤلاء الجهلة؟! أي معنى للعبادة عندهم؟! هل للعبادة مصداق عندهم في الخارج أم لا؟!؟ فهٰذا حال من لم يعرف حق الله وحق العباد، ولم يميز بينها[3]. . .)[4].

٤٧ ـ ٤٩ ـ وقال ـ مبيناً بعض أنواع العبادة، محققاً أن القبورية يعبدون الأموات بكثير من أنواع العبادة:

(فثبت أن مقصود نزول القرآن دعوة العباد إلى عبادة الله وحده والرد على الذين أشركوا مع الله في العبادات؛ من السجدة لغير الله، والحج،

(١) العبارة فيها ركاكة واضحة؛ لأنه لا معنى لتعيين حصة معينة!؟!.
(٢) هٰكذا في الأصل، والأولى أن يقال: (مع ذٰلك يقول. . .).
(٣) هٰكذا في الأصل، والصواب: (بينهما).
(٤) التبيان ٨٢ـ٨٤. وانظر أبيات ابن القيم هٰذه في النونية ١٧٧ـ١٧٨، وشرحها توضيح المقاصد لابن عيسى ٢/٣٤٧. وشرحها لهراس ٢/١٨٦ـ١٨٩.

والنذر، لغير الله، وغير ذٰلك من العبادات. وقد دخل في هٰذا الباب كثير من الناس في هٰذا الزمان؛ فمنهم من يصلي لغير الله تعالى، وأجزاء الصلاة من الركوع والسجود والقيام والقعود يفعلونها لغير الله تعالى أيضاً، من الأولياء أحياء وأمواتاً)[1].

٥٠ ـ وقال: (العبادة ـ في الشرع ـ عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف؛ فاستكمال[2] هٰذه الثلاثة لله تعالى فيكون[3] عابده تعالى، وموحداً.

ومن أحب مع[4] غير الله مثل حبه تعالى، أو خضع لغير الله مثل الخضوع له تعالى، أو خاف من غير الله كالخوف منه تعالى، فقد أشرك معه تعالى غيره في العبادة؛

فمن يذبح أولاده في محبة الأولياء، ويجعلونهم[5] نذراً لهم، ويخضعون عند قبورهم ما يخضعون مثله في المساجد لله تعالى[6]؛ كما

---

(١) التبيان ٨٥.

(٢) يظهر أن هٰذا مبتدأ، والخبر: «فيكون». لٰكنه كلام ركيك جداً، أعجمي معوج غير فصيح.

(٣) الظاهر أن هٰذا خبر لقوله: «فاستكمال»، لٰكنه كلام غير صحيح ولا فصيح، والعبارة الصحيحة أن يقال:

(فمن استكمل هٰذه الثلاثة يكون عابداً لله تعالى)، ونحو ذٰلك من العبارة السليمة.

(٤) ذكر «مع» بعد «أحب» لا معنى له، بل يجعل الكلام ركيكاً. فالصواب: (ومن أحب غير الله مثل حبه).

(٥) الأولى أن يقال: «ويجعلهم نذراً»؛ لأنه عطف على قوله: «فمن يذبح أولاده».

(٦) قلت: لقد صدق؛ فإن القبورية أشد شركاً من مشركي الجاهلية، كما سيأتي في ص ١١٦٩-١١٩٧. وهم أعظم عبادة للأموات منهم لخالق البريات، كما سيأتي تحقيقه في ص ١١٩٩-١٢٢٩.

لا يخفى ذلك على أحد، أو يخاف من الأولياء فوق الأسباب من[1] وصول الضرر بقطع الأشجار عن أيكتهم، أو بالصيد في أشجارهم، فهو مشرك بالله في العبادة، أعاذنا الله تعالى منه)[2].

٥١ ـ ٨٣ ـ وقد عنون الشاه إسماعيل الدهلوي (١٢٤٦هـ)[3] لأنواع العبادة التي كان قبورية الهند يصرفونها للأموات مبيناً أن كل هٰذا شرك أكبر، وتبعه الشيخ أبو الحسن الندوي، فقالا واللفظ للثاني:

(أعمال العبادة وشعائرها خاصة بالله تعالى.

والشيء الثالث: أن الله سبحانه وتعالى خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه، وهي التي تسمى «عبادة»: كالسجود، والركوع، والوقوف بخشوع وتواضع، ـ مثلاً يضع يده اليمنى على اليسرى[4]، أو إنفاق المال

---

(١) لقد تعبت في تصحيح عبارات هٰذا الرجل، وسئمت من أغلاطه مع علمه وجلالته؛ فكلامه هٰهنا في غاية من الركاكة؛ إذ لا معنى لذكر «من» هٰهنا؛ والصواب أن يقال: (فمن لا يقطع الأشجار في أيكة الأولياء، أو لا يصيد في أشجارهم ـ خوفاً من أن يعتروه بسوء ـ فهو مشرك بالله في العبادة؛ لأنه خاف غير الله فوق الأسباب).

(٢) التبيان ٨٠.

(٣) هو الإمام العلامة المجاهد بالسيف والسنان واللسان والبنان إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي، من كبار علماء الهند من الحنفية. ولٰكن تدريجاً اعتنق مذهب أهل الحديث. جاهد الكفار الهندوكية كما جاهد القبورية الوثنية. وقتل في معركة بالاكوت بأيدي الهندوكية. ترجمته في نزهة الخواطر ٧/٥٨ـ٦٣. رحمه الله رحمة واسعة. طعن فيه الكوثري على هجيراه طعنة العقور، ظلماً وزوراً، كما طعن في جده الإمام ولي الله. انظر: حسن التقاضي ٩٧، وتعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي ٤٥٤ـ٤٥٥. وقد نفع الله به ولا سيما بكتابه تقوية الإيمان خلقاً كثيراً. ومع ذٰلك هذى فيه الكشميري كما هذى في محمد ابن عبد الوهاب. انظر فيض الباري ١/ ١٧٠ـ١٧١.

(٤) كما يقف العبيد بين يدي سادتهم في مجالس الملوك في بلاد العجم. (الندوي).

باسم من يعتقد فيه الصلاح أو العظمة، والصوم له، وقصد بيته من أنحاء بعيدة، وشد الرحل إليه بوجه يعرف كل من رآه أنه يؤم بيته حاجاً زائراً، والهتاف باسمه في الطريق كالتلبية، والتجنب عن الرفث والفسوق، والقنص، وصيد الحيوانات، ويمضي بهٰذه الآداب والقيود، ويطوف بالبيت ويسجد إليه، ويسوق الهدي إليه، وينذر النذور هناك، ويكسو ذٰلك البيت، كما تكسى الكعبة، والوقوف على عتبته، والإقبال على الدعاء والاستغاثة، والسؤال لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة، وبلوغ الأماني، وتقبيل حجر من أحجار هٰذا البيت، والالتزام بجداره، والتمسك بأستاره، وإنارة السرج والمصابيح حوله تعظيماً وتعبداً، والاشتغال بسدانته، والقيام بجميع الأعمال التي يقوم بها السدنة: من كنس، وإنارة، وفرش، وسقاية، وتهيئة أسباب الوضوء والغسل، وشرب ماء بئره تبركاً، وصبه على الجسم، وتوزيعه على الناس، وحمله إلى من لم يحضر، والمشي مدبراً عند العودة؛ حتى لا يولي البيت دبره[1]، واحترام الغابة التي تحيط به، والتأدب معها؛ فلا يقتل صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلي خلاها، ولا يرعى ماشيته في حماها؛ كل هٰذه الأعمال علمها رب العالمين عباده، وأفردها لنفسه[2].

فمن[3] أتى بها لشيخ طريقة، أو نبي، أو جني، أو لقبر محقق، أو

---

(١) قلت: هٰذه العبادة لم تشرع في الإسلام، وإنما نرى القبورية يرتكبونها للأموات؛ بل رأيت كثيراً من الجهلة الخرافية يفعلون ذٰلك عندما يودعون الكعبة المشرفة في المسجد الحرام. فالأولى شرك، والثانية بدعة.

(٢) قلت: غير الاستدبار المذكور فإنه لم يشرع في دين الإسلام لله عزَّ وجلَّ، وإنما تفعله القبورية تارة للقبور وأهلها، وتارة لاحترام الكعبة لله، فيشركون في الأولى، ويبتدعون في الثانية.

(٣) مبتدأ خبره قوله الآتي: «فقد تحقق عليه الشرك...».

مزور، أو لنصب، أو لمكان عبادة، عكف فيها أحد الصالحين على العبادة، والذكر، والرياضة، أو لبيت، أو لأثر من آثار أحد الصالحين، يتبرك به، أو شعار يعرف به، أو يسجد لتابوت، أو يركع له، أو يصوم باسمه[1]، أو يقف خاشعاً، متواضعاً، واضعاً إحدى يديه على الأخرى، أو يقرب له حيواناً، أو يؤم بيتاً من هٰذه البيوت من بعيد، فيشد إليه الرحل، أو يوقد السرج فيه تعظيماً وتعبداً، أو يكسوه بكسوة كما تكسى الكعبة، أو يضع على ضريح ستوراً[2]، أو يغرز علماً أو عوداً باسمه[3]، وإذا رجع رجع على

(١) قال الندوي: يظهر أن بدعة «الصوم» بأسماء الصالحين، والصالحات من الأمة، قد ظهرت في العصر القديم في الهند. وقد يكون الصوم لشخصيات خيالية، لا وجود له. ولهٰذا الصوم أحكام وآداب في النية والإفطار، وأيام محدودة، ويطلب منه قضاء الحاجات من أولٰئك الذين يصام بأسمائهم، والاستغاثة بهم.

وقد شنع على ذٰلك الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (المتوفى ١٠٣٤هـ) في رسالة له إلى إحدى الصالحات من أتباعه، وعده إشراكاً في العبادة. (رسالة رقم ٤١/٣ رسائل الإمام أحمد بن عبد الأحد). الندوي.

قلت: انظر الدرر المكنونات للمنزاوي ترجمة المكتوبات للرباني ٥٥/٣، وانظر نصه في ص ١٥٦٦.

(٢) قال الندوي: اعتاد الغلاة في تعظيم الأموات والقبور أن يكسو ضرائح الأولياء والصالحين بالستور والثياب، ويعاملونها معاملة الأحياء من المشايخ والعظماء؛ وقد ظهرت هٰذه البدعة في بعض البلاد العربية؛ يقول الشيخ علي محفوظ في كتابه الإبداع في مضار الابتداع ص ٩٦-٩٧: «ومن البدع: الستور التي توضع على الأضرحة ويتنافس فيها». إلى أن قال: «ولٰكن خدمة الأضرحة سول لهم الشيطان ذٰلك؛ ليفتح لهم باباً من الارتزاق الخبيث، فتراهم إذا احتاجوا لتجديد ثوب التابوت لكل عام أو إذا بلي، يوهمون العوام أن بها من البركة ما لا يحاط به، وأنها نافعة في الشفاء من الأمراض، ودفع الحساد وجلب الأرزاق، والسلامة من كل المكاره، والأمن عن جميع المخاوف؛ فتهافت عليها البسطاء وهان عليهم بذل الأموال في الحصول على اليسير منها». (الندوي).

(٣) وهي من عادات الغلاة والجهال في الهند. (الندوي). =

أعقابه، أو يقبل القبر، أو يحرك المراوح عليه ليذب الذباب، كما يفعله الخدم مع أسيادهم الأحياء، أو ينصب عليه سرادق، أو يقبل عتبته، ويضع اليمنى على اليسرى، ويتضرع إليه، أو يجلس على ضريح سادناً وقيماً، ويتأدب مع ما يحيط به من أشجار، وآجام، وأعشاب؛ فلا يتعرض لها بإهانة، أو إزالة؛ إلى غير ذٰلك من الأعمال، والالتزامات، ـ

فقد تحقق عليه الشرك[1]؛ ويسمى «إشراكاً في العبادة»؛ سواء اعتقد: أن هٰذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها، وأنها جديرة بذٰلك، أو اعتقد أن رضا الله في تعظيم هٰذه الأشياء، وأن الله يفرج الكرب ببركة هٰذا التعظيم)[2].

٨٤ ـ ١٠٣ ـ وقال رحمه الله أيضاً بعدما ذكر عدة أنواع من العبادة مبطلاً عقائد القبورية حاكماً عليهم بالشرك محققاً أنهم يصرفون كثيراً من أنواع العبادة للقبور وأهلها؛ وتبعه الشيخ أبو الحسن علي الندوي، واللفظ للثاني:

(. . .، فمن أتى بذلك للأنبياء، والأولياء، والأئمة، والشهداء، والعفاريت، والجنيات: مثلاً ينذر لها إذا ألمت به كربة، أو نزلت به ضائقة، أو ينادي بأسمائها عند ملمة، أو نازلة، أو يفتح عمله بأسمائها، وإذا رزق ولداً نذر لها نذوراً، أو سمى أولاده بعبد النبي، أو «إمام بخش» [هبة الإمام]، أو «بير بخش» [هبة المرشد]، ويخصص جزءً من الحبوب،

= قلت: بل هٰذا من أعظم عبادات القبورية للقبور وأهلها، في باكستان، وأفغانستان، وتركيا، وغيرها من البلاد.

(١) هٰذه الجملة في محل رفع خبر لقوله السابق: «فمن أتى بها لشيخ طريقة . . .».

(٢) تقوية الإيمان ٢٢-٢٣. ورسالة التوحيد ٣٧-٤٠.

أو الثمرات لها، ويقدم لها مما أخرجته الأرض من زرع وأثمار، ثم يستعمله في أغـراضـه، ويخصص من المال، وقطعان الأنعام أموالاً ودواب، ثم يتأدب معها، فلا يصرفها، ولا يزجرها عن العلف والتبن، ولا يضربها بعصا أو حجر، أدباً وتعظيماً، ويتمسك بالعادات القديمة، والأعراف الشائعة في الأكل والشرب، واللباس، ويتقيد بها كما يتقيد بأحكام الشريعة؛ فيحرم طعاماً، ولباساً لأناس، ويحلهما لأناس، ويحظرهما على طبقة كالذكور والإنـاث، ويبيحهمـا لأخـرى، فيقـول: إن الـطعـام الفـلاني لا يقـربه الرجال[1]. وإن الطعام الفلاني لا تقربه الجواري؛ ولا تقربه المرأة التي تزوجت بزوج ثان، وإن «الخبيص»[2] الذي يعد باسم الشيخ عبد الحق[3]، لا يأكله من يستعمل النارجيلة[4]، وينسب ما يحدث من خير وشـر، وما ينتاب من بؤس ورخاء إلى هٰؤلاء المشايخ والأولياء؛ فيقول: إن فلاناً أدركته

---

(١) نوع من الطعام يطبخ في الهند باسم السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ يمنع منه الرجال دون النساء، فلا يأكلونه ولا يقربونه. (الندوي).

(٢) الخبيص: الحلواء المخبوص، وخبص الشيء بالشيء: خلطه. (الندوي).

(٣) يعني الشيخ عبـد الحق الـردولـوي، من كبار المشايخ والمربين، ومن أئمة الطريقة الجشتية في الهند، ولد ونشأ في «ردولي» من توابع «لكناو»، وكان له شأن رفيع في التـوحيد وتعـظيم الشـريعـة، والمحافظة على الفرائض والسنن، ودعاء الخلق إلى الله، والتجريد والتفريد، توفي سنة (٨٣٦هـ). وقد اخترع الغلاة والجهال في الهند طعاماً خاصاً يسمونه بـ «زاد الشيخ عبد الحق» يركب من السميد والسكر، وله آداب وقيود يحافظ عليها بشدة. (الندوي).

قلت: إذا كان هٰذا الـرجـل الـذي جعـل إلٰهاً وجعل قبره وثناً ـ من أئمة الصوفية الجشتية ـ فماذا يكون توحيده وتجريده وتفريده؟ فالأسف على الندوي يتكلم بالتوحيد ثم يعظم أهل البدع! وكم له من الطامات، انظر ص ٧١ـ٧٤.

(٤) يعني الشيشة. (الندوي).

لعنة فلان؛ فجنّ، وفلان طرده فلان؛ فافتقر، وفلان أنعم عليه فلان؛ فساعده الحظ، وحالفه الإقبال، وأصابت الناس المجاعة بنوء كذا، ونوء كذا، وفلان بدأ عمله بيوم كذا، وفي ساعة كذا، فلم يوفق، ولم يتم، أو يقول: إن شاء الله ورسوله ـ كان كذا، أو يقول: إن شاء شيخي ـ وقع كذا، أو يضفي على من يعظمه أسماء وصفات تختص بالله، وهي من نعوت العظمة والكبرياء، والغنى عن الخلق، والقدرة المطلقة، والجود الذي لا نهاية له، أو القهر والجبروت؛ مثل المعبود، وأغنى الأغنياء، وإله الآلهة، ومالك الملك، وملك الملوك، أو يحلف بالنبي ـ ﷺ ـ، أو بعلي ـ رضي الله عنه ـ، أو بأحد أولاده الذين يسميهم الشيعة: الأئمة الاثني عشر، أو بشيخ، أو بقبره. كل ذلك يتحقق منه الشرك؛ ويسمى «الإشراك في العبادة»[1]، أن يعظم غير الله في الأعمال التي اعتادها تعظيماً، لا يليق إلا بالله)[2].

١٠٤ ـ ١٠٧ ـ وقال رحمه الله تعالى أيضاً مبيناً أن القبورية يرتكبون أنواعاً من الشرك الأكبر، بصرف أنواع كثيرة من العبادات للقبور وأهلها، وتبعه الشيخ الندوي المذكور، واللفظ للثاني:

(اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر. . . ، ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستعينون بالمشايخ، والأنبياء، والأئمة، والشهداء، والملائكة، والجنيات، عند الشدائد، فينادونها، ويصرخون بأسمائها، ويسألون منها الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها،

---

(١) هكذا في رسالة التوحيد للندوي، وفي تقوية الإيمان للشاه محمد إسماعيل الدهلوي رحمه الله: «الإشراك في العادة».

(٢) تقوية الإيمان ٢٣-٢٤. ورسالة التوحيد ٤١-٤٤.

ويقربون لها قرابين تسعفهم، وتقضي مآربهم، وقد ينسبون إليها أبناءهم؛ طمعاً في رد البلاء. . .، ويرسل بعض الناس ضفيرة في رأسه باسم ولي من الأولياء وبعضهم يقلد ابنه قلادة باسم شيخ أو ولي، وبعضهم يكسو ولده لباساً، وبعضهم يصفد ابنه بقيد في الرجل باسم أحد المشايخ والأولياء، وبعضهم يذبح حيواناً بأسمائهم، وبعضهم يستغيث بهم عند الشدة، وبعضهم يحلف في حديثه بأسمائهم. . . والحاصل: أنه ما سلك عباد الأوثان في الهند طريقاً مع آلهتهم إلا وسلكه الأدعياء من المسلمين مع الأنبياء والأولياء والأئمة والشهداء والملائكة والجنيات؛ واتبعوا سنن جيرانهم من المشركين؛ شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وحذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل، فما أجرأهم على الله، وما أبعد الشقة بين الاسم والمسمى، والحقيقة والدعوى»[1].

قلت:

الحاصل أنه قد تبين من نصوص هؤلاء العلماء من الحنفية التي ذكرتها في المطالب السابقة أمور ستة:

الأول: أن العبادة غير محصورة في بعض الأعمال والأقوال، بل هي شاملة لجميع أنواعها وأفرادها. وبذلك يبطل زعم القبورية في حصرها في بعض الأعمال والأقوال.

الثاني: أن علماء الحنفية قد ذكروا عدة أنواع من العبادة، وقد ذكرت عنهم من خلال نصوصهم فوق المئة، على سبيل المثال لا الحصر. ومن أهم تلك الأنواع التي ذكروها: الدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والنذور، ونحوها.

---

(١) تقوية الإيمان ١٩. ورسالة التوحيد ٢٥-٢٨.

الثالث: أنه قد صرح علماء الحنفية: أن القبورية باستغاثتهم بالأموات عند الملمات * ونذورهم للقبور وأهلها عند الكربات * مرتكبون للشرك الأكبر، وعبادة القبور بأنواع من العبادات *

الرابع: أن الشرك موجود في القبورية، وأنهم أهل الشرك، وأنه لا فرق بينهم وبين الوثنية إلا بالاسم فقط[1].

الخامس: أن الرجاء والخوف داخلان في مفهوم العبادة. فدل هٰذا على ضلال الصوفية الذين يقولون: «لا مقصود إلا الله». ويقولون: إن الذين يعبدون الله رجاء الجنة وخوفاً من النار، فهم كالأجير يطلب الأجرة. وقد تقدم الرد عليهم بكلام الحنفية[2].

والحقيقة أن هٰؤلاء الصوفية الذين يقولون: نحن نعبد الله بالحب فقط لا خوفاً منه ولا رجاء منه ولا طمعاً في الجنة ولا مخافة من النار، هم من الزنادقة الملاحدة الحلولية الاتحادية[3].

السادس: أن كل ما يصرف القبورية للقبور وأهلها من العبادات لا يخلو من المحبة والرجاء والخوف؛

فالقبورية يعبدون القبور وأهلها، وأنهم أشركوا بالله، والله المستعان...

وبعد أن عرفنا العبادة، وعرفنا أركانها، وعرفنا بعض أنواعها ننتقل إلى المطلب الآتي لنعرف شروط صحة العبادة وقبولها عند الله جل وعلا، في ضوء نصوص علماء الحنفية، وبالله التوفيق وإليه مآب.

---

(١) قلت: لٰكن لا يجوز تكفيرهم إلا بعد إقامة الحجة.

(٢) انظر ص ١٤٥-١٤٧.

(٣) راجع ص ١٤٥-١٤٧.

المطلب الثالث

في صحة شروط العبادة

لقد تحدثت في المباحث والمطالب السابقة عن تعريف العبادة، وأركانها، وأنواعها عند علماء الحنفية، وأتحدث في هٰذا المطلب عن شروط صحة العبادة عند علماء الحنفية، كل ذٰلك ردّاً على القبورية عباد القبور وأهلها.

فأقول وبالله التوفيق، وعليه توكلي وإليه إنابتي:

لقد ذكر علماء الحنفية لصحة العبادة وقبولها عند الله ثلاثة شروط:

الأول: التوحيد الخالص من الشرك.

والثاني: الإخلاص لله عز وجل: أي النية الصحيحة الخالصة من النفاق، والرياء.

والثالث: موافقة سنة رسول الله ﷺ وخلوص العبادة من البدعة.

وقد أشير إلى هٰذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى: ﴿**ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولٰئك كان سعيهم مشكورا**﴾ [الإسراء: ١٩].

فقوله تعالى: ﴿**وهو مؤمن**﴾ يدل على اشتراط الشرط لأول، وهو التوحيد الخالص من الشرك.

وقوله تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يدل على اشتراط الشرط الثاني، وهو الإخلاص في العبادة، وخلوصها من النفاق والرياء والسمعة.

وقوله تعالى: ﴿وسعى لها سعيها﴾ يدل على اشتراط الشرط الثالث وهو موافقة العبادة للسنة، وخلوصها عن البدعة(١).

قلت ـ أما الشرط الأول ـ وهو ـ التوحيد الخالص من الشرك، فلا حاجة إلى الإطالة في تحقيقه؛ فقد سبق أن التوحيد له ركنان: النفي والإثبات؛ فمن لم يكفر بالطاغوت، ولم يبرأ من الشرك، فتوحيده باطل فاسد(٢)، وأعماله كلها ـ حتى إقراره بـ «لا إله إلا الله» ـ وغير ذلك من العبادات حابطة(٣).

قال العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢) هـ في بيان أن إقرار القبورية بـ «لا إله إلا الله»، وتصديقهم برسول الله ﷺ ونحو ذلك من العبادات، لا يجديهم ولا ينفعهم:

(فيقال له: لا يفيد ذلك الزعم مع إظهار الأعمال الشركية الدالة على عقيدة الشرك وما يصادم ما جاء به الرسول ﷺ؛ وذلك كمن يقول: إني مصدق بما ذكر، ثم شد الزنار)(٤).

وأما الشرطان: الثاني، والثالث: وهما الإخلاص، وموافقة السنة:

---

(١) راجع كشاف الزمخشري ٢/٤٤٣. ومدارك النسفي ٢/٢٤٢. وإرشاد العمادي ٥/١٦٤. وتبصير المهائمي ١/٤٢٦. وروح الآلوسي ١٥/٤٧. ومظهري الباني بتي ٥/٤٢٩-٤٣٠ وجواهر حسين علي ٢/٦٢٧. وتنوير البروسوي ٢/٣٣٧. وصفوة الصابوني ٢/١٥٥. ومختصره لتفسير ابن كثير ٢/٣٧١-٣٧٢.

(٢) راجع ص ١٥١-١٥٩.

(٣) انظر ص ٥٧٨-٥٨٠.

(٤) فتح المنان ٥٥٥-٥٥٧.

فقد ذكر كثير من علماء الحنفية أنهما شرطان لصحة العبادة وقبولها. وإليكم بعض نصوصهم.

(١) قال الإمام فضيل بن عياض[1] رحمه الله (١٨٧هـ):

(العمل الحسن هو أخلصه، وأصوبه. قالوا: يا أبا علي! ما أخلصه، وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل؛ حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة)[2].

وذكر علماء الحنفية أن هٰذين الشرطين لتحقيق كلمة التوحيد.

(٢) (٣) قال العلامة نعمان الآلوسي (١٣١٧) هـ؛ والعلامة الخجندي (١٣٧٩) هـ، واللفظ للأول:

(وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان: ألا نعبد إلا الله. وألا نعبد إلا بما شرع. وهٰذان الأصلان ـ هما تحقيق شهادة: أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ؛ كما قال تعالى: **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾** [الملك: ٢].

قال الفضيل: أخلصه، وأصوبه. وقال **﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾** [الشورى: ٢١]؛ ولذا قال الفقهاء: والعبادات مبناها على التوقيف)[3].

---

(١) هو إمام من أئمة الإسلام. ولا أراه حنفياً بل هو أثري من أهل المدينة. ترجمته في السير ٨/ ٤٢١-٤٤٢.

وإنما ذكرت قوله؛ لأن الحنفية عدّوه من الحنفية، فكان قوله حجة عليهم. (انظر الجواهر المضية ٢/ ٧٠٠).

(٢) مدارج السالكين ١/ ٩٥-٩٦. ولم أجد من رواه. وانظر جلاء العينين ٤٧٦.

(٣) جلاء العينين ٤٧٥-٤٧٦. ومفتاح الجنة ٥١.

(٤) قال شيخ القرآن الفنجفيري[1] (١٤٠٧هـ):

(قال أبو محمد عبدالوهاب الثقفي[2]: لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صواباً. ومن صوابها إلا ما كان خالصاً. ومن خالصها إلا ما وافق السنة)[3].

(٥) وقد ذكر علماء الحنفية أن هٰذين الشرطين يدل على اشتراطهما لصحة العبادة وقبولها عند الله جل وعلا قوله تعالى: ﴿**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**..﴾ [البقرة: ١١٢].

قال شيخ القرآن المذكور في تفسير هٰذه الآية:

(قال ابن كثير في تفسيره[4]: وقال سعيد بن جبير:

﴿**بلى من أسلم**﴾: أخلص.

﴿**وجهه**﴾: قال: دينه[5]،

---

(١) هو محمد طاهر بن اصف الحنفي الماتريدي النقشبندي الديوبندي؛ له جهود عظيمة في قمع القبورية وقلع شبهاتهم. وكان خطيباً مصقعاً. أسس جماعة سماها: «جماعة إشاعة التوحيد والسنة»، واشتهرت بالفنجفيرية. يرجع إليه الفضل بعد الله تعالى في نشر توحيد الألوهية إلى حد كبير والرد على المبتدعة وإقامة دروس القرآن الكريم في بلاد الأفغان. ولٰكنه كان متعصباً للحنفية إلى الغاية كأنه كوثري ثان؛ عدو لدود لأهل الحديث. وكان ماتريدياً في الصفات نقشبندياً في السلوك وجماعته من فروع الديوبندية. ترجم لنفسه في نيل السائرين ٣٦٧. وانظر أصول السنة ١٥٣. رحمه الله وسامحه وإيانا ولي رد على بدعه وبدع جماعته انظر الماتريدية ١/٧٥-١٤٥.

(٢) هو ابن عبد المجيد بن الصلت: الإمام الأنبل الحافظ الحجة (١٩٤هـ). ترجمته في تاريخ ابن معين ٢/٣٧٨. وتاريخ خليفة ٤٦٦. والتاريخ الكبير ٦/٩٧. وتاريخ بغداد ١١/١٨. وتاريخ الإسلام ١٣/٢٩٩-٣٠١. والسير ٩/٢٣٧-٢٤٠.

(٣) ضياء النور ط القديمة ٧١، و ٧٧ ط الجديدة.

(٤) ١/١٥٤-١٥٥.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٣٣٧-٣٣٨.

﴿وهو محسن﴾: أي اتبع فيه الرسول ﷺ؛

فإن للعمل المتقبل شرطين: أحدهما: أن يكون خالصاً لله وحده. والآخر: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة. فمتى كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يتقبل. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». رواه مسلم[1] من حديث عائشة رح[2]. فعمل الرهبان ومن شابههم ـ وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله ـ فإنه لا يتقبل منهم ذلك إلا[3] متابعاً للرسول ﷺ)[4].

قلت:

وتمام نص كلام الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله:

(المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، وفيهم وفي أمثالهم قال الله تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً**﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**﴾ [النور: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿**وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية * تسقى من عين آنية**﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٥]، . . . وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة

---

(١) ٣/١٣٤٤. قلت: وفي معناه قول النبي ﷺ: «من أحدث من أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». رواه البخاري ٢/٩٥٩، ومسلم ٣/١٣٤٣ عنها رضي الله عنها. وانظر شرح هذا الحديث في فتح الباري ٥/٣٠١-٣٠٣، وعمدة القاري ١٣/٢٧٤ ط دار الفكر.

(٢) هكذا في الأصل. وهو خلاف الاصطلاح. والصواب: «رضي الله عنها».

(٣) عبارة ركيكة المعنى. والعبارة السليمة ما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعاً للرسول ﷺ).

(٤) أصول السنة ١٠٩-١١٠. قلت: العجب من هذا الرجل؛ حيث نقل نقلاً مبتوراً؛ فقد ترك من نص ابن كثير ما هو مهم إلى الغاية!؟!.

الظاهرة، ولٰكن لم يخلص عامله القصد لله، فهو أيضاً مردود على فاعله. وهٰذا حال المرائين والمنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿**إن المنافقين يخادعون الله**﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿**فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤون**﴾ [الماعون: ٤ ـ ٦]. ولهٰذا قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ [الكهف: ١١٠]. وقال في هٰذه الآية الكريمة: ﴿**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾...)[1].

(٦) ونقل الشيخ الرستمي لتحقيق هٰذين الشرطين للعبادة قول الإمام ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ):

وعبادة الرحمٰن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان[2]

قلت: وتمام كلام ابن القيم ـ وفيه تحقيق الشرط الآخر ـ:

فقيام دين الله بالإخلاص والـ ... إحسان إنهما له أصلان
لم ينج من غضب الإلٰه وناره ... إلا الذي قامت[3] به الأصلان
والناس بعد فمشرك بإلٰهه ... أو ذو ابتداع أو له الوصفان[4]

(٧) **قلت**: اشتراط متابعة السنة في العبادة يسميه علماء الحنفية:

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/١٥٤ـ١٥٥.

(٢) التبيان ٨٢. والعجب من هٰذا الرستمي أنه ترك من كلام ابن القيم ما يتعلق بالإخلاص.

(٣) هٰكذا في النونية وشرحها بالتأنيث ولا أعرف له وجهاً!؟!

(٤) النونية ٣٢ وشرحها توضيح المقاصد لابن عيسى ١/٢٥٣. وشرحها لهراس ١/٩٥.

«تـوحيد المتـابعـة»[1]. ويسميه الإمـام ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله: «توحيد الطريق»[2]؟

وهٰذا برهان ساطع على أهمية هٰذا الشرط لصحة العبادة عند الحنفية.

وهٰذا حجة باهرة قاهرة على أن من أخل بتوحيد المتابعة، وتوحيد الطريق في عبادته لله فقد نقض توحيده وأبطله لفوات شرط صحته.

(٨) قال الشيخ الـرستمي ـ بالنسبـة إلى توفـر هٰذين الشرطين في العبادة وعدم توفرهما ـ:

(ثم اعلم: أن تحقق العبـادة على أصلين عظيمين: الإخـلاص للمعبود. ومتابعة الرسول ـ ﷺ ـ. ولذا انقسم الناس إلى أربعة أقسام:

(١) أهل الإخلاص والمتابعة؛ وهم أهل: ﴿إياك نعبد﴾.

(٢) و[3] من لا إخلاص له ولا متابعة؛ وهم أهل الرياء مع كونهم أهل البدع؛ فهم أهل الغضب والضلال.

(٣) و[4] من هو مخلص في أعمـالـه؛ لٰكنهـا على غير المتابعة؛ كجهال العباد، وكل من تعبد الله بغير أمره، واعتقده قربة.

(٤) و[5] من كان عمله على المتابعة[6] لغير الله؛ كالعبادة والجهاد

---

(١) راجع ما سبق في ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) انظر النونية ١٥٧. وما سبق في ص ١٠٥.

(٣) ذكر الواو مفسد للكلام من الناحية النحوية؛ لأن رقم «٢» مبتدأ، وقوله «من» خبره. ولا يتوسط العطف بين المبتدأ وخبره.

(٤) ذكر الواو باطل ومفسد للكلام كما سبق.

(٥) ذكر الواو مفسد كالصورتين الأوليين.

(٦) هٰكذا في الأصل. والعبارة ركيكة فاسدة المعنى. والظاهر أنه سقط من الكلام =

والعلم ومثلها الدنيا[1] والرياء والسمعة)[2].

قلت: أصل هٰذا الكلام للإمام ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ)؛ فله كلام فصيح بليغ متين رصين في بيان هٰؤلاء الأصناف الأربعة بالنسبة إلى هٰذين الشرطين للعبادة[3].

قلت: لقد تبين من كلام الحنفية: أن هٰهنا سبعة أصناف من الناس بالنسبة إلى العبادة وأركانها وشروطها:

١ ـ من عبد الله تعالى بالحب والرجاء والخوف والإخلاص ومتابعة السنة فهو موحد سني.

٢ ـ من عبد غير الله تعالى فهو مشرك.

٣ ـ من عبد الله بالحب وحده، لا رجاء الجنة ولا خوفاً من النار كالصوفية القائلين:

«لا مقصود إلا الله» فهو زنديق[4].

٤ ـ ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجىء[5].

= ما يدل على المراد. وقصد الرجل أن يقول: (٤ ـ من كان عمله موافقاً للسنة في الظاهر؛ كالجهاد والعلم ونحوهما من العبادات، ولٰكن يكون في الباطن لغير الله؛ كحصول الدنيا والرياء والسمعة).

(١) هٰذه العبارة فاسدة باطلة ركيكة أيما ركاكة. وتصحيحها قد سبق آنفاً. وقد سئمت من أغلاط هٰذا الرجل مع كونه من كبار الحنفية!؟!

(٢) التبيان.

(٣) انظر مدارج السالكين ١/٩٥ـ٩٧. ولعل هٰذا الشيخ الرستمي قد أخذ كلامه وأراد اختصاره فأفسده لفظاً ومعنى!؟!

(٤) راجع ما سبق في ص ١١٧ـ١١٨.

(٥) انظر كتابي الماتريدية ١/١٧٢ ففيه تعريف الإرجاء وبيان فرق المرجئة ودركاتهم.

٥ ـ ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري [١] خارجي [٢].

٦ ـ ومن عبد الله بدون الإخلاص فهو منافق، مراء.

٧ ـ ومن عبد الله بدون اتباع السنة فهو مبتدع راهب ضال [٣].

وبعد أن عرفنا أهم ما يتعلق بالتوحيد من تعريفه، وأنواعه، وأركانه، وأهميته، وشروط صحته، وكون توحيد العبادة هو الغاية، والعبادة وأنواعها وأركانها وشروط صحتها، في هٰذا الباب ـ بحمد الله وتوفيقه ـ ننتقل إلى الباب الثالث لنعرف أهم ما يتعلق بالشرك وأنواعه إن شاء الله تعالى.

* * * * *

---

(١) نسبة إلى «حروراء» قرية بظاهر الكوفة نسبت إليها الخوارج. انظر معجم البلدان ٢/٢٤٥ ط القديمة. ومقالات الأشعري تحقيق هلموت.

(٢) وراجع العبودية ٣٧. ومجموع الفتاوى ١٠/٢٠٧. وانظر مدارج السالكين ٨٥. والنونية ١٥٦-١٥٧. وتوضيح المقاصد ٢/٢٥٧-٢٥٨. وتوضيح السعدي ١٣٤. وشرح هراس ٢/١٢٠-١٢٢.

(٣) وانظر أيضاً التدمرية ٢٣٢-٢٣٣. ومجموع الفتاوى ٣/١٢٤-١٢٥. وتفسير القرآن لابن كثير ١/١٥٥-١٥٦.

الباب الثالث

في جهود علماء الحنفية في تعريف الشرك وأنواعه وتطوره، ومصدر عبادة القبور، ونشأة القبورية، وانتشارهم، وتحقيق أن الشرك موجود في القبورية من هذه الأمة، وردهم على القبورية في ذلك كله

وفيه فصول ثلاثة:

- الفصل الأول: في تعريف الشرك وأنواعه ومصدره وتطوره، ونشأة القبورية وتطورهم وانتشارهم، عند علماء الحنفية، وردهم على القبورية في ذلك كله.

- الفصل الثاني: في جهود علماء الحنفية في تحقيق أن الشرك موجود في القبورية من هذه الأمة، والمقارنة بين القبورية وبين الوثنية الأولى، وردهم على القبورية في ذلك كله.

- الفصل الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال شبه القبورية التي تشبثوا بها لتبرير إشراكهم وعبادتهم للقبور وأهلها.

الفصل الأول

في جهود علماء الحنفية في تعريف الشرك وأنواعه ومصدر عبادة القبور وتطور القبورية وانتشارهم وردهم على القبورية في ذلك كله

وفيه مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: في تعريف الشرك عند علماء الحنفية وردهم على القبورية في ذلك كله.
- المبحث الثاني: في بيان أنواع الشرك عند علماء الحنفية وردهم على القبورية.
- المبحث الثالث: في جهود علماء الحنفية في بيان مصدر الشرك بعبادة القبور، وتطور القبورية، وتحقيقهم أن القبورية عبدة الأوثان.

المبحث الأول

في تعريف الشرك عند علماء الحنفية وردهم على القبورية في ذلك

وفيه مطالب ثلاثة:

- المطلب الأول: في عرض عقيدة القبورية في تعريفهم للشرك
- المطلب الثاني: في تعريف الشرك عند علماء الحنفية.
- المطلب الثالث: في جهود علماء الحنفية في إبطال تعريف الشرك عند القبورية.

المطلب الأول
في عرض عقيدة القبورية في تعريفهم للشرك

لقد انحرفت القبورية عن الصراط المستقيم في مفهوم الشرك كما انحرفت في مفهوم التوحيد، والعبادة، ولا سيما توحيد الألوهية كما سبق تفصيله؛

فالقبورية بناء على تعريفهم للتوحيد وللعبادة عرفوا الشرك بتعريف غيروا وبدلوا به حقيقة الشرك؛

فزعموا: أن الشرك: عبارة عن أن يجعل العبد مع الله أحداً ـ

شريكاً في الربوبية والخلق والتدبر والإيجاد، والإحياء والإماتة، واعتقاد الاستقلال فيه بالنفع والضر بنفسه وبذاته ونفوذ المشيئة له لا محالة وتأثيره في الكائنات من تلقاء نفسه بدون حاجته إلى الله تعالى؛

فكل معاملة مع غير الله إذا لم تكن مقرونة بهٰذا الاعتقاد ـ

فليس من العبادة، ولا من الشرك؛

ولو كان سجوداً، واستغاثة، ونذراً، وذبحاً، وغيرها،

وليس في المسلمين المؤمنين الموحدين المستغيثين بالأولياء ـ

من يعتقد في الأولياء ذٰلك الاعتقاد.

هٰذه هي خلاصة عقيدة القبورية في تعريف الشرك؛

وبذٰلك قد برروا ما يرتكبونه من الإشراك الأكبر الأعظم وعبادة القبور وأهلها بأنواع من العبادات،

من النذور لهم عند إلمام الملمات * والاستغاثة عند الكربات[1] *.

وهٰذا التعريف ظاهر البطلان لأنه لا وجود للشرك أصلاً على هٰذا التعريف كما ستقف عليه في رد علماء الحنفية عليهم إن شاء الله.

* * * * *

---

(١) راجع المراجع التي ذكرتها في ص ١٩٠ـ١٩٣.

وراجع كشف الارتياب للعاملي ١٠٥ـ١٠٦، ٢٦٦، ٣٠١،

كشف النقاب للنقوي ٤٤ـ٥٠،

كشف الأسرار للخميني ٢٧ـ٥٩، ٧٥،

الحقائق الإسلامية لابن داود ٤٤/مخطوط،

منهج الرشاد للنجفي ٢٩.

البراهين الجلية للطباطبائي ٣٢ـ٣٣،

البراهين الساطعة للقضاعي ٣٧٥ـ٣٧٨ـ٣٨٠ـ٣٨١ـ٣٨٨ـ٣٩٠ـ٤٤٠،

والفرقان له ١١١ـ١١٦،

والتوسل لابن مرزوق ٢٠ـ٢١، ٢٤ والبراءة له ٨٩ـ٩١ـ٩٣،

ومقالات الدجوي ١/١٦٢ـ١٦٧ وحقيقة التوسل لموسى ١٤١ـ١٤٥ والمفاهيم للمالكي ٤٩، ٧٤، ٨٦، ١٠٣ والإفهام والإفحام لمحمد زكي ٣٣ والرد المحكم للرفاعي ٩٠.

المطلب الثاني

في تعريف علماء الحنفية للشرك

لقد عرف علماء الحنفية «الشرك» لغة واصطلاحاً:

أما لغة: فذكروا أن «الشرك» بمعنى: الحصة والنصيب، وكون أحد الشيئين فأكثر خليطاً مع آخر في أمر ما حسياً كان أو معنى[1].

والشرك جمعه أشراك كشبر وأشبار.

و«الإشراك» إفعال: وهو جعل الشيء خليطاً مع آخر في حصة ونصيب.

وأما اصطلاحاً: فالشرك عند علماء الحنفية ـ

له عدة تعريفات:

التعريف الأول: هو ما قاله الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) رحمه الله:

هو الاعتقاد في الصالحين أنهم شفعاء عند الله،

---

(١) راجع أساس البلاغة للزمخشري ٢٣٤، والمغرب للمطرزي ١/٤٤١، ومختار الصحاح للرازي ١٤٢.

وتاج العروس ٧/١٤٨ للزبيدي،

وكشاف الاصطلاحات للتهانوي ٤/١٤٦.

واتخاذهم وسيلة إلى الله عز وجل، وعبادتهم على هٰذا الأساس وهٰذا أصل شرك العرب؛

فإنهم لم يعتقدوا في الأصنام أنها مشاركة لله في الخلق والتدبير فإنهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية لله عز وجل[1].

قلت: لقد ذكرت عدة نصوص لعلماء الحنفية تثبت هٰذا[2].

كما سيأتي نصوص أخرى لهم فلا حاجة إلى سردها هٰهنا[3].

وأقول: هٰذا التعريف يدل على أن القبورية مرتكبون للشرك الأكبر.

التعريف الثاني: ما قاله الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) رحمه الله:

(حقيقة الشرك: أن يعتقد إنسان في بعض المعظمين من الناس أن الآثار العجيبة ـ أي الكرامات وكثرة العبادة ونحوها ـ الصادرة منه إنما صدرت لكونه متصفاً بصفة من صفات الكمال:

مما لم يعهد في جنس الإنسان؛

بل يختص بالواجب جل مجده، لا يوجد في غيره ـ

إلا أن يخلع هو خلعة الألوهية على غيره. . . . ؛

ونحو ذلك مما يظنه هٰذا المعتقد من أنواع الخرافات؛

كما ورد: أن المشركين كانوا يلبون بهٰذه التلبية:

«لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»[4].

---

(١) راجع شرح الطحاوية ٢٠ـ٢١ ط دار البيان و ٧٩ ط المكتب الإسلامي.

(٢) انظر ص ١٢٩ـ١٣٤.

(٣) راجع ص ٣٦٣، ٣٧٢، ١٢٩١ـ١٣٠٢.

(٤) سبق تخريجه في ص ٢١٤.

فيتذلل عنده أقصى التذلل ويعامل معه معاملة العبادة مع الله تعالى)[1].

قلت: هٰذا التعريف لا يختلف عن الأول؛

وحاصله: أن الشرك: اعتقاد الإنسان في معظم:

أن الله تعالى خلع عليه خلعة يستحق بها أن يعامل معاملة الله تعالى من أقصى التذلل له؛

وأقول: إن استدلال الإمام ولي الله في صدد تعريفه للشرك بتلبية المشركين ـ يدل على أن الشاه ولي الله رحمه الله يرى: أن شرك المشركين لم يكن لاعتقادهم في آلهتهم: أنها مالكة خالقة أرباباً للكون،

بل كانوا يعتقدون أن آلهتهم مملوكة لله وأن الله هو المالك الخالق المدبر للكون؛

وإنما شركهم: زعمهم أن هٰؤلاء معظمون مقربون عند الله فهم شفعاؤهم عنده واسطة بينهم وبين الله،

وعلى هٰذا الأساس كانوا يعبدونهم بأنواع من العبادات[2].

التعريف الثالث: وهو أيضاً قاله الإمام ولي الدهلوي (١١٧٦هـ):

(الشرك أن يثبت لغير الله سبحانه وتعالى شيئاً من صفاته المختصة به:

كالتصرف في العالم بالإرادة التي يعبر عنها بكن فيكون؛

أو العلم الذاتي من غير اكتساب بالحواس. . .)؛

ثم قال رحمه الله:

---

(١) حجة الله ١/٦١ ط السلفية و ١/١٨٣-١٨٤ ط دار إحياء العلوم.

(٢) انظر ص ١٢٩-١٣٤.

(وإن كنت متوقفاً في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم -
فانظر إلى حال العوام والجهلة من أهل الزمان؛
خصوصاً من سكن منهم بأطراف دار الإسلام؛
كيف يظنون بالولاية؟ وماذا يخيل إليهم منها. . . ،
ويذهبون إلى القبور والآثار، ويرتكبون أنواعاً من الشرك. . .)[1].

قلت: هٰذا التعريف من أوضح التعاريف للشرك عند الحنفية،
وهو نص صريح على أن القبورية أهل شرك؛
فإن هٰذا الإمام قد مثل للشرك وأهله بالقبورية وما يرتكبون عند زيارة القبور:
من النذور والاستغاثة بالأموات عند إلمام الملمات.

التعريف الرابع: ما قاله الإمام الشاه عبد القادر الدهلوي (١٢٣٠هـ)[2]:

الشرك هو: أن يعتقد في غير الله صفة من صفات الله تعالى،
كالعلم بكل شيء، أو فعل كل شيء؛
أو أن بيد فلان خيراً وشراً،
أو يصرف لغير الله من التعظيم ما لا يليق إلا لله تعالى كالسجدة وطلب الحاجة، أو اعتقاد أن فلاناً له الاختيار أي التصرف[3].

---

(١) الفوز الكبير ١٦-١٩-٢٠ مع ترجمته المهدوية للكاندهلوي وترجمته المنيرية ١٨، ٢٠ وترجمته الندوية ٢٣-٢٤-٢٦ ومئة مسائل للشاه إسحاق ١٠-١١.

(٢) هو ابن الإمام ولي الله الدهلوي رحمهما الله من كبار أئمة الحنفية الهندية ترجمته في نزهة الخواطر ٧/٣٠٢-٣٠٤.

(٣) موضع القرآن ١/١٠٥.

قلت: هٰذا التعريف للشرك دليل قاطع على أن ما يرتكبه القبورية من أنواع الاعتقاد في الأموات الذين ينذرون لهم ويستغيثون بهم في الملمات،

واعتقادهم علم الغيب والتصرف في الكون فيهم ـ

هو عين الشرك الأكبر، وأنهم أهل الشرك.

التعريف الخامس: ما قاله الإمام محمد إسماعيل الدهلوي (**١٢٤٦هـ**)،

وتبعه أبو الحسن الندوي واللفظ للثاني:

(اعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً

بالله ويساوي بينهما بلا فرق؛

بل حقيقة الشرك: أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية وجعلها شعاراً للعبودية ـ

لأحد من الناس؛

كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة واعتقاد أنه حاضر وناظر في كل مكان؛

وإثبات التصرف ـ في الكون ـ له،

كل ذٰلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركاً. . .)[1].

قلت: هٰذا التعريف لا يحتاج إلى تعليق وفيه عبرة للقبورية!؟!

التعريف السادس: ما قاله العلامة السهسواني (**١٣٢٦هـ**):

(إن الشرك: هو دعاء غير الله في الأشياء التي تخص به سبحانه، أو اعتقاد القدرة لغير الله فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء

---

(١) تقوية الإيمان ٢٢-٢٣، ورسالة التوحيد ٣٢-٣٣.

مما لا يتقرب به إلا إليه)؛

وقال: (الشرك: هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه)؛

ثم قال مبرهناً عليه:

(وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام -

لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع،

والاستغاثة بها عند الحاجة،

والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم؛

وهٰذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور [وأهلها]...)؛

ثم ذكر رحمه الله أن القبورية أشد خوفاً وعبادة للأموات منهم لله تعالى[1].

قلت: سيأتي مفصلاً أن القبورية أشد إشراكاً من الوثنية الأولى وأعظم عبادة للأموات منهم لخالق البريات[2].

أقول: هٰذه كانت عدة تعريفات للشرك عند علماء الحنفية،

ذكرتها لتكون رداً على تعريف القبورية للشرك؛

فأنت رأيت أن علماء الحنفية لم يشترطوا في تعريفاتهم للشرك تلك القيود التي اشترطها القبورية في تعريف الشرك:

من قيد «الاستقلال بالنفع والضر» وقيد «الربوبية»

وقيد «بنفسه وبذاته» وقيد «من دون الحاجة إلى الغير»

وقيد «الخالقية والإحياء والإماتة» وقيد «نفوذ المشيئة لا محالة» ونحوها من القيود الباطلة؛

---

(١) صيانة الإنسان ١٦٦.

(٢) انظر ص ١١٧١-١١٩٧، ١١٩٩-١٢٢٩.

ثم رأيت تصريح علماء الحنفية في صدد تعريفاتهم للشرك:

أن القبورية مرتكبون للشرك الأكبر بعبادتهم للقبور وأهلها من تقديم النذور والاستغاثة بهم عند الكربات *،

وغيرها من أنواع العبادات *.

* * * * *

المطلب الثالث

في جهود علماء الحنفية في إبطال تعريف القبورية للشرك

لقد سبق أن عرضت عقيدة القبورية في تعريف الشرك،

فقد رأيت أخي المسلم: أن القبورية قد عرفوا الشرك بحيث يبرر لهم جميع ما يرتكبونه من الشرك الأكبر وعبادة غير الله ـ

تحت ستار الوسيلة والواسطة والشفاعة والولاية والكرامة؛

ولٰكن علماء الحنفية قد ردوا عليهم وأبطلوا تعريفهم للشرك؛

وذٰلك من وجوه:

الوجه الأول: أن علماء الحنفية قد عرفوا الشرك بعدة تعريفات كما ذكرت أمثلة منها أمام القراء الكرام وليس في هٰذه التعريفات شيء من تلك القيود الفاسدة التي ذكرتها القبورية في تعريفهم للشرك؛

كقيد «الاستقلال بالنفع والضر»، وقيد «الربوبية»، وقيد «بنفسه وبذاته»، وقيد «نفوذ المشيئة لا محالة»، وقيد «الخالقية والإماتة والإحياء» ونحوها،

فدل ذٰلك على أن الشرك يتحقق بدون هٰذه القيود؛

فذكر هٰذه القيود كلًا أو بعضاً يفسد حقيقة الشرك ويغير مفهومه ويحرف معناه، وهٰذا دليل على أن تعريف القبورية للشرك ـ

تعريف مزيف باطل فاسد *، عاطل كاسد *،

وليس إلا محاولة فاشلة لتبرير الإشراك بالله وجواز عبادة غير الله سبحانه وتعالى.

الوجه الثاني: أن علماء الحنفية قد صرحوا ـ كما ظهر في تعريفاتهم للشرك ـ

بأن الشرك يتحقق بعبادة غير الله سبحانه على سبيل الاستشفاع،

واعتقاد التصرف في الكون لغير الله جل وعلا،

واعتقاد علم الغيب في غير الله تعالى،

سواء اعتقد ذلك في غير الله عز وجل ـ

على سبيل الاستقلال أم على سبيل الإعطاء من عند الله سبحانه[1].

قلت: فهذا كله يدل على إبطال تعريف القبورية للشرك وأنه تعريف باطل فاسد.

الوجه الثالث: أن الحنفية قد صرحوا بأن القبورية هم أهل الشرك وهم عباد القبور وأهلها سواء اعترفوا بذلك أم لا،

وسواء سموا شركهم تعظيماً أو محبة أو تقديراً،

أم سموه بأسماء أخرى،

فهم في الشرك على طريقة الوثنية الأولى:

قال الإمام إسماعيل الدهلوي (١٢٤٦هـ) وتبعه الشيخ أبو الحسن الندوي، واللفظ للثاني:

(اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر. . . ؛

---

(١) انظر تقوية الإيمان للإمام إسماعيل الدهلوي ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ ورسالة التوحيد لأبي الحسن علي الندوي ٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٥-٣٦-٤٠.

والحاصل: أنه ما سلك عباد الأوثان في الهند طريقاً مع آلهتهم ـ
إلا وسلكه الأدعياء من المسلمين مع الأنبياء والأولياء. . . ،
وتبعوا سنن جيرانهم من المشركين شبراً بشبر وذراعاً بذراع وحذو القذة بالقذة والنعل بالنعل. . . ؛

فإذا عارضهم معارض وقال لهم: أنتم تدعون الإيمان، وتباشرون أعمال الشرك. . . ؟!؟،

قالوا: نحن لا نأتي بشيء من الشرك؛
إنما نبدي ما نعتقده في الأنبياء والأولياء من الحب والتقدير،
أما إذا عدلناهم بالله واعتقدنا: أنهم والله جل وعلا بمنزلة سواء ـ
كان ذلك شركاً،
ولكننا لا نقول بذلك،
بل نعتقد بالعكس: أنهم خلق الله وعبيده؛
أما ما نعتقد فيهم من القدرة، والتصرف في العالم ـ
فهما مما أكرمهم الله وخصهم به،
فلا يتصرفون في العالم إلا بإذن منه ورضاه؛
فما كان نداؤنا لهم واستعانتنا بهم إلا نداء الله واستعانة به،
ولهم عند الله دالة ومكانة ليست لغيرهم،
قد أطلق أيديهم في ملكه، وحكمهم في خلقه؛
يفعلون ما يشاؤون، وينقضون ويبرمون، وهم شفعاؤنا عند الله، ووكلاؤنا عنده ـ

فمن حظي عندهم ووقع عندهم بمكان ـ
كانت له حظوة ومنزلة عند الله. . . ؛

إلى غير ذٰلك من التأويلات الكاسدة والحجج الفاسدة. . . ؛

وإن[1] كانوا عولوا على كلام الله ورسوله «ﷺ»، وعنوا بتحقيقه ـ

عرفوا[2] أنها نفس التأويلات والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي ﷺ ويحاجونه بها،

ولم يقبلها الله منهم، بل كذبهم فيها؛

فقال في سورة يونس: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هٰؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** [يونس: ١٨]. . . ،

وقد تبين من هٰذه الآية: أن من عبد أحداً من الخلق اعتقاداً بأنه شفيعه ـ

كان مشركاً بالله. . . ،

وقد وضح من ذٰلك: أن من اتخذ ولياً من دون الله ـ

وإن كان ذٰلك على أساس: أن عبادته تقربه عند الله ـ

كان مشركاً بالله كاذباً، كافراً بنعمة الله. . . ؛

وكذٰلك تبين: أن الكفار الذين كانوا في عصر النبي ﷺ ـ

لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله. . . ؛

بل كانوا يقرون بأنهم مخلوقون وعبيد. . . ؛

فما كان كفرهم، وشركهم إلا نداؤهم لآلهتهم والنذور التي كانوا ينذرون لها. . . ؛

---

(١) هٰكذا في الأصل، والصواب: «ولو كانوا. . .».

(٢) هٰكذا في الأصل، والأولى: «لعرفوا. . .».

واتخاذهم لهم شفعاء ووكلاء؛

فمن عامل أحداً بما عامل به الكفار آلهتهم ـ

وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد ـ

كان هو وأبو جهل في الشرك بمنزلة سواء. . . ؛

فاعلم: أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله ويساوي بينهما بلا فرق،

بل حقيقة الشرك: أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية ـ

لأحد من الناس:

كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان،

وإثبات التصرف له ـ

كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركاً. . . ؛

لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء والجن والشياطين،

والعفاريت، والجنيات ـ

فمن عاملها هذه المعاملة ـ

كان مشركاً. . . ؛

فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق ويناديه. . .، ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء. . .،

ويعتقد أنه لا يخفى عليه من أمره شيء. . .؛

كان بذلك مشركاً، وكل ذلك يدخل في الشرك؛

ويسمى هذا النوع: الإشراك في العلم». . .،

سواء اعتقد: أنه يعلم من ذاته،

أو يعلم أنه منحة من الله وعطاء منه؛

كل ذلك شرك. . .؛

إن التصرف في العالم، وإصدار الأمر والنهي. . .،

وإنجاح المطالب، وتحقيق الأماني، ودفع البلايا، والإغاثة في الشدائد، وإلهاف الملهوف، وإنهاض العاثر ـ

هذه كلها من خصائص الله تعالى؛

لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء والشهداء والصلحاء والعفاريت والجنيات؛

فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد، وطلب منه حاجته: وقرب القرابين والنذر لأجل ذلك، واستصرخه في نازلة ـ كان مشركاً؛

ويقال لهذا النوع: «الإشراك في التصرف»؛

سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم،

أو اعتقد: أن الله سبحانه وهبهم هذه القدرة. . .)،

ثم ذكرا عدة أنواع من العبادات التي يصرفها القبورية للقبور وأهلها[1]، ثم قالا:

(كل هذه الأعمال علمها رب العالمين عباده، وأفردها لنفسه؛

فمن أتى بها لشيخ طريقة، أو نبي، أو جني، أو قبر محقق، أو مزور، أو لنصب أو لمكان عبادة. . .، ـ

فقد تحقق عليه الشرك؛

ويسمى: «إشراكاً في العبادة»؛

---

(١) وقد سبق نص كلامهما في ص ٣٣٤-٣٤١.

سواء اعتقد: أن هٰذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها،

وأنها جديرة بذٰلك،

أو اعتقد: أن رضا الله في تعظيم هٰذه الأشياء،

وأن الله يفرج الكرب ببركة هٰذا التعظيم)(١)

الوجه الرابع: أن علماء الحنفية قد حققوا:

أن المشـركين السـابقين كانوا معترفين بتوحيد الربوبية، وأنهم لم يشركوا آلهتهم بالله في الخلق والتدبير والتصرف والاستقلال ونحو ذٰلك(٢).

ومع ذٰلك كانوا مشركين؛

فدل هٰذا دلالة قاطعة لا تحتمل النقيض على أن تعريف القبورية للشرك فاسد باطل.

الوجه الخامس: أن تعريف القبورية للشرك -

دليل على أنهم لم يعـرفـوا الشـرك ولا تاريخ الـوثنية، ولا عقيدة المشركين، وما كانوا عليه من القصد والدين كما أن القبورية لم يعرفوا ما كان عليه الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم من توحيد رب العالمين(٣).

لذٰلك هم عرفوا الشرك بهٰذا التعريف الباطل -

الذي ذكروا فيه تلك القيود والشروط التي لم تكن متحققة في شرك المشركين الأولين.

الوجه السادس: أن نقول: لو صح تعريف القبورية للشرك -

---

(١) تقوية الإيمان ١٩-٢٣، ورسالة التوحيد للندوي ٢٥-٤٠.

(٢) راجع ما سبق في ص ٢٣٢ وانظر شرح الطحاوية ٢١ ط دار البيان و ٧٩ ط المكتب وجلاء العينين ٥٢١.

وانظر ما سيأتي في ص ١٣٠٠-١٣٠٢.

(٣) راجع فتح المنان لشكري الآلوسي ٤٤٧.

لزم منه ـ

أن يكون المشركون السابقون غير مشركين ؛

لكن التالي باطل فالمقدم مثله ؛

ولو صح أن المشركين السابقين كانوا مشركين ـ

لزم منه ـ

أن يكون تعريف القبورية للشرك باطلاً فاسداً * عاطلاً كاسداً * ؛

لكن المقدم حق فالتالي مثله .

ودليل هٰذين البرهانين القاهرين * والسلطانين الباهرين * ـ

ما قاله العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) :

(وهٰذا الأحمق [ابن جرجيس] زاد في غير موضع من كتابه قيداً فقال :

لا يشرك إلا من قصد واعتقد الاستقلال من دون الله .

مع أن تلبية المشركين في الجاهلية :

«لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»[1] ؛

فهٰؤلاء لم يدعوا الاستقلال ؛

وعلى زعم هٰذا «العراقي ابن جرجيس» فليسوا بمشركين)[2] .

وقال رحمه الله :

(وأما جعل الأموات أسباباً يستغاث بها وتدعى وترجى وتعظم على أنها وسائط ـ

فهٰذا دين عبادة الأصنام ؛

---

(١) سبق تخريجه في ص ٢١٤ .

(٢) فتح المنان ٤٤٨ .

يكفر فاعله بمجرد اعتقاده وفعله؛
وإن لم يعتقد الاستقلال:
كما نص عليه القرآن في غير موضع؛
فالغلاة معارضون للقرآن مصادمون لنصوصه)[1].
قلت: انشده بهٰذه المناسبة ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ):

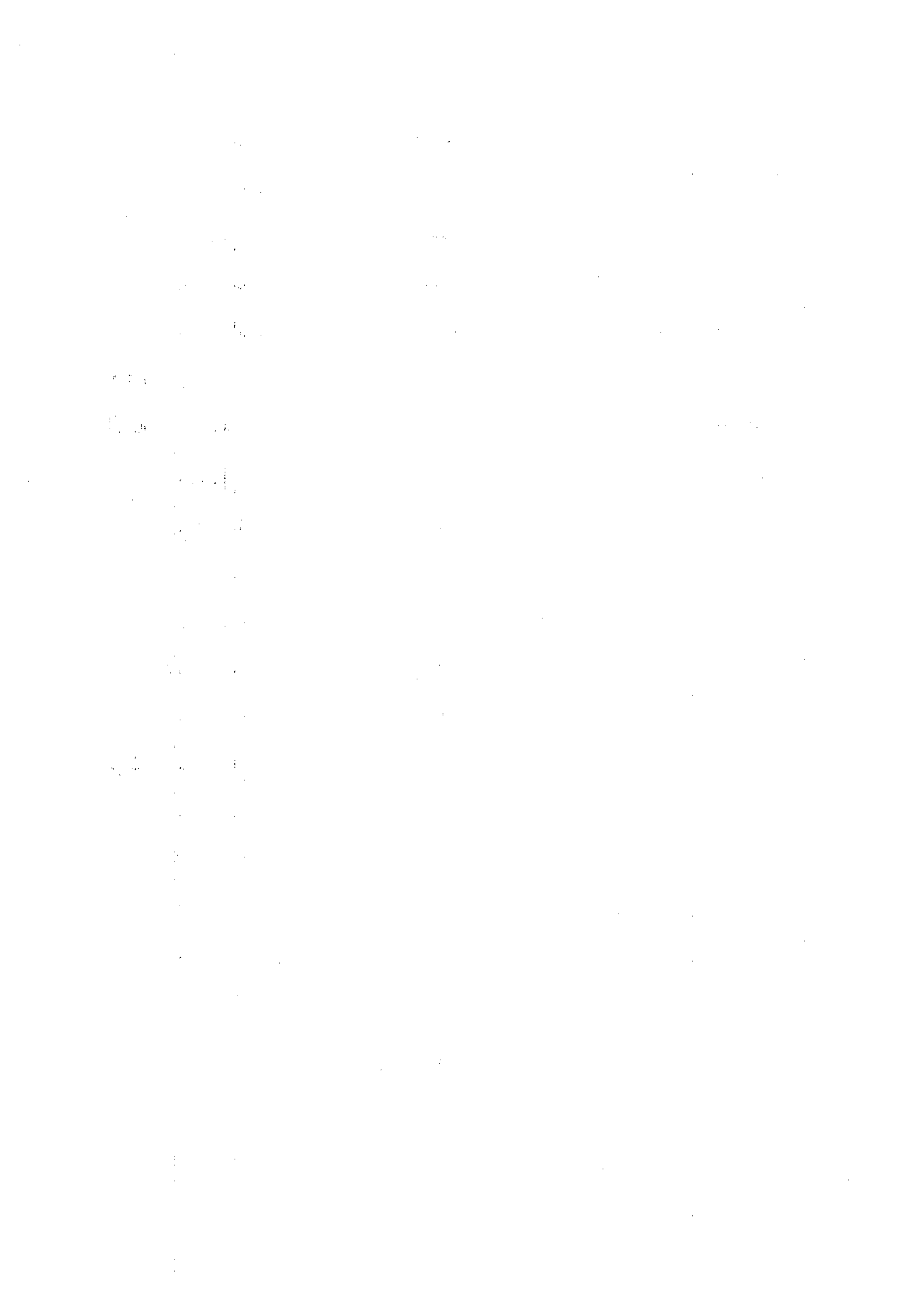
والله ما بعد البيان لمنصف   إلا العناد ومركب الخذلان[2]

الحاصل: أن تعريف القبورية للشرك -
تعريف باطل فاسد غير جامع لأفراده؛
بل غير صادق على شرك المشركين الأولين والآخرين،
وأن الصحيح الحق الصواب -
هو تعريف هٰؤلاء العلماء من الحنفية للشرك؛
فإنه جامع شامل لجميع أفراده صادق على شرك الوثنية القديمة وعلى شرك القبورية في آن واحد.
وبعد أن عرفنا بطلان تعريف القبورية للشرك وعرفنا صحة تعريف الحنفية للشرك ننتقل إلى المبحث الآتي؛
لنعرف أنواع الشرك عند الحنفية.
فنقول وبربنا لرحمٰن نستغيث ونستعين * إذ هو المستعان المغيث وهو المعين *:

* * * * *

---

(١) غاية الأماني ١/٢٧٧.
(٢) النونية ١٢٥.



المبحث الثاني

في بيان أنواع الشرك عند علماء الحنفية وردهم على القبورية

كلمة بين يدي هٰذا المبحث:

لقد ذكرت تعريف الشرك لغة واصطلاحاً عند علماء الحنفية،

كما ذكرت بعض جهودهم في إبطال تعريف القبورية للشرك.

وتبين من نصوصهم أن الشرك له أنواع توجد كثير منها في القبورية؛

فعلماء الحنفية ـ في تعريفهم للشرك تعريفاً صحيحاً واسعاً جامعاً لأنواع الشرك ـ ردوا ردّاً قوياً على القبورية بحيث جعلوهم صرعى لا نهوض لهم.

وفي هٰذا المبحث أريد أن أذكر أهم ما ذكره علماء الحنفية من أنواع الشرك التي يرتكبها القبورية قديماً وحديثاً ليكون هٰذا أبلغ رد من علماء الحنفية لمزاعم القبورية وأقمع لعقائدهم فأقول وبالله لتوفيق:

لقد ذكر كبار علماء الحنفية عدة أنواع للشرك:

بأساليب مختلفة وعبارات متنوعة وطرق متعددة وكلها في الرد على القبورية؛

ليبينوا للناس أن هٰذه[1] الأفاعيل الشركية والأباطيل الخرافية ـ

---

(١) الخبر قولي الآتي: «كلها داخلة».

التي ترتكبها القبورية ويبررونها بتلك القيود التي يذكرونها في تعريف الشرك:

كقيد: «استقلال الأنبياء والأولياء بالنفع والضر[1]» أو «اعتقاد الربوبية[2] فيهم» أو «أنهم ينفعون ويضرون بذواتهم»)[3].

كلها[4] داخلة في تعريف الشرك وأنها من أنواع الشرك لا محالة.

سواء كان يعتقد فيهم «الاستقلال بالنفع والضر» ويعتقد فيهم الربوبية أم لا؛

وفيما يلي أذكر بعض أقوال علماء الحنفية في بيان أنواع الشرك.

١ - قول الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الملقب عند الحنفية بالإمام الرباني ومجدد الألف الثاني (١٠٣٤هـ)[5]:

ذكر للشرك نوعين.

الأول: الشرك في وجوب الوجود.

الثاني: الشرك في العبادة.

ولما كان النوع الأول غير واقع والثاني هو الواقع في المشركين عامة والقبورية خاصة - اهتم ببيان الشرك في العبادة رداً على القبورية فقال:

(ما أشد سفاهة من لا يشركون بالله شيئاً في وجوب الوجود ومع ذلك

---

(١) راجع ص ١٩١.

(٢) راجع ص ١٩٣.

(٣) راجع ص ١٩١.

(٤) خبر لقولي السابق: «أن هذه الأفاعيل».

(٥) ترجمته في سبحة المرجان ٤٧-٥٢، ونزهة الخواطر ٥/٤٣-٥٥، وإرغام المريد ٦٩-٧٢ للكوثري.

يشركون به تعالى في العبادة. . . ،

بل الأهم والأحوج إليه والأنفع في هٰذه الطرق نفـي شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات؛

فإن المخـالفين الـذين ليسوا بملتزمين ملة نبي من الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات؛

أيضاً ينفون شريك وجوب الوجود. . . ،

ولٰكنهم غافلون عن معاملة استحقاق العبادة.

وفارغون عن نفي شريك استحقاق العبادة،

لا يتحاشون من عبادة الغير،

ولا يتكاسلون من عمارة الدير،

الأنبياء هم الذين يهدمون الدير وينهون عن عبادة الغير،

والمشرك في لسان هٰؤلاء الأكابر ـ

من يكون أسيراً لعبادة غير الحق سبحانه،

وإن كان قائلاً بنفي وجوب الوجود،

فإن اهتمامهم في نفي عبادة ما سوى الحق سبحانه المتعلق بالعمل والمعاملة المستلزم لنفي شريك وجوب[1] الوجود؛

فمن لم يتحقق[2] بشرائع هٰؤلاء الأكابر عليهم الصلوات والتسليمات المنبئة عن نفي استحقاق ما سوى الله للعبادة ـ

لا يتخلص من الشرك، ولا ينجو من شعب شرك عبادة الآلهة)؛

ثم ذكـر أن المقصود من بعثة الرسل إنما هو تحقيق توحيد العبادة

---

(١) في الأصل: «الوجوب الوجود» وهو غلط.

(٢) هٰكذا في الأصل، ولعل الصواب: «فمن لم يحقق شرائع».

والنجاة من الشرك في عبادة الله عز وجل[1].

أقول: هٰذا النص مشتمل على نكات مهمات وكلها رد على القبورية:

الأولى: أن القبورية أشركوا في عبادة الله تعالى.

الثانية: أن القبورية اهتموا بتعمير ما أمر الأنبياء بهدمه من الدير والمشاهد.

الثالثة: المشرك في اصطلاح الأنبياء هو من أشرك في عبادة الله.

الرابعة: أن من عبد غير الله تعالى فهو مشرك وإن اعترف بتوحيد الربوبية.

الخامسة: الفرق بين توحيد الربوبية وبين توحيد العبادة.

السادسة: أن الأنبياء والمرسلين إنما بعثوا لتحقيق توحيد الألوهية ونفي عبادة غير الله تعالى.

٢ ـ قول الإمام أحمد الرومي أحد عظماء الحنفية الذي له جهود عظيمة في إبطال عقائد القبورية (**١٠٤٣**هـ)،

٣ ـ قول الشيخ سبحان بخش الهندي،

٤ ـ قول الشيخ محمد السورتي،

فهٰؤلاء العلماء ذكروا ستة أنواع للشرك منها الشرك في العبادة،

وقالوا في بيان هٰذا النوع من الشرك ـ واللفظ للأول ـ:

(والثالث من أنواع الشرك ـ

شرك تقريب:

وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله؛

---

(١) الدرر المكنونات للمنزاوي ترجمة المكتوبات للرباني ٣/٧ـ٨.

كشرك متقدمي عبدة الأصنام،

فإنهم لما رأوا أن عبادتهم للمولى العظيم على ما هم عليه من غاية الدناءة ونهاية الحقارة ـ

سوء أدب عظيم ـ

تقربوا إليه بعبادة من هو أعلى منهم عنده. . .)[1].

ثم بوبوا فقالوا؛ واللفظ للأول أيضاً:

(المجلس السابع عشر في بيان عدم جواز الصلاة عند القبور والاستمداد من أهلها واتخاذ السروج والشموع عليها).

ثم أطنبوا في الرد على عقائد القبورية وحققوا أن هٰذا النوع من الشرك ـ وهو عبادة غير الله ـ موجود في القبورية،

وأتوا بتحقيقات دقيقة وتدقيقات عميقة في إبطال عقائد القبورية مما فيه عبرة للقبورية وسخنة الأعين للخرافية وقرة عيون السنية[2].

٥ ـ قول الشيخ محمد أعلى الفاروقي أحد علماء الحنفية[3].

لقد ذكر عدة أنواع للشرك في مبحث طويل رد فيه على القبورية:

منها الشرك في العبادة.

ومنها الشرك في الطاعة أي في التحليل والتحريم.

---

(١) مجالس الأبرار: ١١٨ـ١٢٠، مع خزينة الأسرار، ونفائس الأزهار: ١٥٠ـ١٥٢.

(٢) المراجع السابقة: ٢٣ـ١٣١، ٣٥٥ـ٣٦٢ و ١٥٤ـ١٦٣. ٤٠٧ـ٤١٥.

(٣) كان حيّاً سنة (١١٥٨هـ) ترجمته في نزهة الخواطر ٢٧٨٦.

لٰكنه ينقل عن الشاه عبد العزيز في كتابه كشاف الاصطلاحات ٤/١٥٣، مع أن الشاه عبد العزيز توفي سنة (١٢٣٩هـ) كما في نزهة الخواطر ٧/٢٧٥ـ٢٨٣، وفقه أهل العراق ٧٩!؟!

ومنها الشرك في التسمية.

ومنها الشرك في العلم،

ومنها الشرك في القدرة.

ثم قال في بيان سبب عبادة الأوثان:

(ولا بد من بيان سبب عبادة الأوثان؛

إذ عبادة الأحجار من جم غفير عقلاء، ظاهر البطلان)؛

ثم ذكر عدة أسباب، منها التقرب إلى الله وقال في بيان ذلك:

(وعابدو الأوثان فيهم من كانوا لا يقولون: إنهم شركاء الله في الخلق وتدبير العالم؛

بل كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله،

فثبت أن الأكثر منهم كانوا مقرين بأن الله إله العالم واحد،

وأنه ليس له في الإلهية - بمعنى خلق العالم وتدبيره - شريك ونظير كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾ [الزخرف: ٩].

ثم تصدى للرد على القبورية وبيان كشف زيغهم وإبطال عقيدتهم في الشفاعة، والتوسل الشركيين، فقال:

(والفرقة الرابعة هي فرقة عباد الشيوخ وأنصارها:

يقولون: حيث إن الرجل الكبير مستجاب الدعوات مقبول الشفاعات بسبب كمال الرياضة والمجاهدة فإنه ينقل[1] قوة عظيمة وبسطة من هذه الدنيا إلى روحه،

فكل من يجعل صورته برزخاً أو يسجد على قبره ويتذلل أو يذكره في

---

(١) في الأصل «تنقل» وهو خطأ.

مكان عبادته، أو ينذر نذراً باسمه، أو يفعل نحو ذلك ـ

فإن روح ذلك الشيخ ـ بسبب كماله ـ تطلع على هذا الأمر وتشفع له في الدنيا والآخرة)؛

وقال أيضاً في بيان إبطال توسل القبورية:

(ومن جملتهم الأشخاص الذين يدعون الآخرين لدفع البلاء عنهم ويتوسلون بالآخرين في تحصيل المنافع، ويعدون الآخرين عالمين بالغيب وذوي قدرة مطلقة مستقلين بذاتهم[1]،

وهذا نوع من الشرك في العلم والقدرة)[2].

قلت: هذا النص في غاية من الأهمية لإبطال عقائد القبورية وبيان أنهم يرتكبون أنواعاً من الشرك كالشرك في العبادة حيث يعبدون القبور وأهلها بنذور وسجود ونداء واستغاثة لدفع البلاء وتحصيل المنافع وأن القبورية يرتكبون شفاعة شركية ووسيلة خرافية.

وأنهم يعتقدون فيمن يدعونهم ويستغيثون بهم من الأولياء ـ

أنهم عالمون بالغيب وقادرون بقدرة مطلقة مستقلين بذاتهم،

وأن القبورية لأجل هذه العقائد الشركية مرتكبون شركاً في العلم وشركاً في القدرة.

تنبيه: قوله: «مستقلين بذاتهم» ـ ليس قيداً لتحقيق الشرك،

بل بيان أن القبورية قد وصلوا في شركهم إلى حد ـ

اعتقد بعضهم: أن للأولياء قدرة مطلقة،

مستقلين بذواتهم،

---

(١) هكذا في الأصل، والأولى «بذواتهم».

(٢) كشاف الاصطلاحات ٤/١٤٦-١٥٣.

وهٰذا تكذيب للقبورية أيما تكذيب!؟!؛

إذ ليس هٰذا إلا شركاً في الربوبية والصفات؛

فالقبورية أشركوا بالله حتى أشركوا في الربوبية فضلاً عن الشرك في العبادة.

٦ ـ قول الإمام ولي الله رحمه الله.

لقد بوب الإمام ولي الله الدهلوي أحد كبار أئمة الحنفية (١١٧٦هـ) ليرد على مزاعم القبورية ويبطل عقائدهم ببيان أنواع الشرك فقال:

«باب أقسام الشرك».

ثم ذكر تعريف الشرك وقد تقدم نصه[1] ثم قال: «ورد في الحديث: أن المشركين كانو ا يلبون بهٰذه الصيغة:

«لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»[2].

ثم ذكر: أن المشرك يتذلل عند معبوده الباطل أقصى التذلل،

ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى؛

ثم ذكر للشرك عدة أنواع سماها الشرك ومظانه على ما يلي:

١ ـ الشرك في السجود.

٢ ـ الشرك في الاستعانة.

٣ ـ الشرك في النذور.

وقال:

«ومنها أنهم كانوا يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير وينذرون لهم يتوقفون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور،

---

(١) في ص ٣٦١-٣٦٣.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢١٤.

ويتلون أسماءهم رجاء بركتها،

فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [الفاتحة: ٥]،

وقال تعالى: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ [الجن: ١٨]؛

وليس المراد من الدعاء العبادة، كما قال بعض المفسرين بل هو الاستعانة لقوله تعالى: ﴿**بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون**﴾...)؛ [الأنعام: ٤١]؛

ثم ذكر نوعين آخرين للشرك:

٤ ـ تسمية بعض شركائهم بنات الله وأبناء الله.

٥ ـ الشرك في الطاعة وهو طاعة الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله الله.

ثم ذكر في إبطاله قوله تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾ [التوبة: ٣١]،

وحديث عدي بن حاتم المعروف(١).

ثم قال:

«وسر ذٰلك أن التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ في الملكوت أن الشيء الفلاني يؤاخذ به أو لا يؤاخذ به،

فيكون هٰذا التكوين سبباً للمؤاخذة وتركها،

وهٰذا في صفات الله».

ثم ذكر أن من فعل هٰذا الشرك فهو مشرك بالله تعالى،

ثم ذكر أنواعاً ثلاثة أخرى للشرك:

---

(١) سبق تخريجه في ص ٢٦٦.

٦ ـ الشرك في الذبح والإهلال باسم غير الله.

٧ ـ تسييب السوائب والبحائر تقرباً إلى غير الله،

٨ ـ الشرك في الحلف بغير الله.

وقال: (ومنها أنهم كانوا يعتقدون في أناس أن أسماءهم مباركة معظمة وكانوا يعتقدون أن الحلف بأسمائهم على الكذب يستوجب حرماً في ماله وأهله،

فلا يقدمون على ذلك؛

ولذلك كانوا يستحلفون الخصوم بأسماء شركائهم بزعمهم، فنهوا عن ذلك وقال النبي ﷺ:

«من حلف بغير الله فقد أشرك»[1] وقد فسره بعض المحدثين على معنى التغليظ والتهديد،

ولا أقول بذلك،

وإن المراد عندي: اليمين المنعقدة[2]، واليمين الغموس[3] باسم غير الله تعالى على اعتقاد ما ذكرنا».

ثم ذكر نوعاً آخر للشرك:

٩ ـ الشرك في الحج لغير الله.

---

(١) رواه أبو داود ٣/ ٥٧٠، والترمذي ٤/ ١١٠، وأحمد ٢/ ٨٦-٨٧، ١٢٥، وابن حبان ١٠/ ٢٠٠ (الإحسان)، وعبد الرزاق ٨/ ٤٦٨، والطيالسي ٢٥٧، والحاكم ٤/ ٢٩٧، والبيهقي ١٠/ ٢٩، وقال شعيب الأرناؤوط الحنفي: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، تعليقاته على الإحسان لابن بلبان الحنفي ١٠/ ٢٠٠.

(٢) هي: الحلف على فعل أو ترك في المستقبل. (تعريفات الجرجاني ٣٣٣).

(٣) هي: الحلف على فعل أو ترك في الماضي كذباً. (تعريفات الجرجاني ٣٣٣).

وقال في شرحه وبيانه:

(ومنها الحج لغير الله تعالى:

وذٰلك أن يقصد مواضع متبركة مختصة بشركائهم ـ

يكون الحلول بها تقرباً من هٰؤلاء،

وقال النبي ﷺ:

«لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»[1]).

وقال: (كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة بزعمهم يزورونها ويتبركون بها، وفيه من التحريف والفساد ما لا يخفى،

فسدّ النبي ﷺ الفساد،

لئلا يلتحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله،

والحق عندي أن القبر ومحل عبادة وليّ من أولياء الله والطور كل ذٰلك سواء في النهي).

وذكر نوعاً آخر للشرك، وهو:

١٠ ـ الشرك في التسمية بأن يسمي ابنه عبد العزى وعبد الشمس ونحو ذٰلك.

ثم قال بعد ذكر هٰذه الظاهرة للشرك:

(فهٰذه أشباح وقوالب للشرك نهى الشارع عنها)[2].

وذكر أن شرك الطاعة التي هي عبادة الأحبار والرهبان قد وقع فيه بعض المقلدين الجامدين للأئمة الذين لا يتركون التقليد وإن ظهر الدليل

---

(١) سيأتي تخريجه في ص ٦٤٥.

(٢) حجة الله ١/١٨٣ـ١٨٨، ٥٤٣ ط المحققة، و ١/٦٠ـ٦٣، ١٩٢ ط القديمة. وانظر البدور البازغة ١٢١ـ١٢٧ ط القديمة و ١٦٢ـ١٧٠ ط الجديدة.

على خلاف قول إمامهم[1].

٧ ـ قول الشاه محمد إسماعيل المجاهد (١٢٤٦هـ)،

٨ ـ وقول الشيخ أبي الحسن الندوي.

لقد مشى على طريقة الإمام ولي الله حفيده العلامة إسماعيل الدهلوي وتبعه الشيخ أبو الحسن الندوي في بيان أنواع الشرك الموجودة في القبورية فقالا واللفظ للثاني:

(استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس.

اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر)،

ثم ذكر بعد عنوان: «مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة» ـ ما يلي:

١ ـ الشرك بدعاء الأولياء والاستغاثة بهم.

٢ ـ الشرك بالاستعانة من الأولياء.

٣ ـ الشرك بالنذر والذبح للأولياء.

٤ ـ الشرك في التسميات بأن ينسب الأولاد إلى الأولياء بمعنى أنهم من عطاء غير الله ككثير من الأسماء الشركية؛

نحو عبد النبي، وهبة علي، وهبة حسين، وهبة المدار[2] وهبة سالار[3] وذلك طمعاً في رد البلاء عنهم.

٥ ـ الحلف بأسماء الأولياء.

---

(١) انظر البدور البازغة ١٢٥-١٢٧ ط القديمة، و ١٦٧-١٧٠ ط الجديدة، وحجة الله ١/٤٤٤-٤٤٦ ط المحققة، و ١/١٥٥-١٥٦ ط القديمة، والإنصاف ١٠٠-١٠١. وانظر نص كلامه فيما مضى.

(٢) مؤسس الطريقة المدارية الخرافية، انظر ص ١١٩٢.

(٣) هو مسعود انظر ص ١١٤٢.

٦ ـ إرسال الظفيرة باسم ولي من أولياء الله.

٧ ـ تعليق القلادة لولي من الأولياء.

٨ ـ إلباس الولد لباساً خاصاً باسم ولي من الأولياء.

٩ ـ صفد الابن بقيد في رجله باسم ولي من الأولياء.

١٠ ـ السجود لغير الله.

١١ ـ اعتقاد علم الغيب في غير الله.

١٢ ـ إثبات قدرة التصرف لغير الله.

ثم قالا: (كل ذٰلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركاً)[١].

قلت: في هٰذا النص أبلغ الرد على القبورية في صميم اعتقاداتهم الباطلة.

٩ ـ قول آخر للشاه المجاهد المذكور (١٢٤٦هـ) وقد شن الغارة على القبورية لإبطال عقائدهم الوثنية.

فذكر أن الشرك أولاً على نوعين؛

١ ـ الشرك في الربوبية.

٢ ـ الشرك في الألوهية.

ثم ذكر أنه تفرع منها أربعة أنواع أخرى وهي:

١ ـ الشرك في العلم بمعنى علم الغيب.

٢ ـ الشرك في التصرف.

٣ ـ الشرك في العبادة.

٤ ـ الشرك في العادة يعني في الأعمال العادية[٢].

---

(١) تقوية الإيمان ١٩ـ٢٠ ورسالة التوحيد ٢٥ـ٣٣.

(٢) انظر رد الإشراك ١٦ـ١٧، وانظر أيضاً تقوية الإيمان ٢٩ـ٤٧.

١٠ ـ وتبعه أيضاً الشيخ أبو الحسن الندوي في بيان هٰذه الأنواع الأربعة،

وشدد النكير على القبورية لإبطال عقائدهم الخرافية[1].

١١ ـ قال العلامة السيد محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ):

(إن الشرك نوعان:

١ ـ شرك في الربوبية: بأن يجعل معه لغيره تدبيراً ما. . .

٢ ـ وشرك في الألوهية: بأن يدعي غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة. . .)[2].

١٢ ـ قول العلامة حسين علي (١٣٦٢هـ) أحد عظماء الحنفية[3].

١٣ ـ قول غلام الله الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن (١٩٨٠م)[4].

فقد تصديا لإبطال عقائد القبورية وبيان أن القبورية ارتكبوا عدة أنواع من الشرك،

فذكـرا من تلك الأنواع ما يلي:

١ ـ الشرك في العلم.

٢ ـ الشرك في التصرف.

٣ ـ الشرك في الدعاء.

---

(١) راجع رسالة التوحيد ٣٤ـ٤٤.

(٢) غاية الأماني ٢/٢٧٧.

(٣) ترجمته في تكملة البنوري لفقه أهل العراق للكوثري: ٨٠، ومقدمة جواهر القرآن: ٥ ونيل السائرين للفنجفيري ٣٦٥.

(٤) ترجمته في أكابر علماء ديوبند ٣٦٤ـ٣٦٥ وكارون آخرت ١٨٤ـ١٨٥ (ركب الآخرة).

٤ ـ الشرك الفعلي .

ثم ذكرا تعريفات كل نوع منها، وكشفا عن تمويهات القبورية وخرافاتهم[١].

١٤ ـ قول الأستاذ أبي الأعلى المودودي (١٩٧٩م) رحمه الله.

لقد قسّم الأستاذ المودودي رحمه الله الشرك أوّلاً إلى قسمين:

١ ـ الشرك الاعتقادي.

٢ ـ الشرك العملي[٢].

وقسم الشرك الاعتقادي إلى أربعة أقسام:

١ ـ الشرك في الذات.

٢ ـ الشرك في الصفات، وهو إثبات صفة من صفات الله تعالى لغيره سبحانه كاعتقادهم الغيب في غيره تعالى.

أو أن غيره تعالى يسمع كل ما يسمع ويبصر كل شيء أو منزه عن كل عيب ونقص وخطأ.

٣ ـ الشرك في الاختيار وهو إثبات التصرف والنفع والضر والإغاثة والحفظ والإجابة والخير والشر فوق الأسباب العادية لغيره تعالى،

والتصرف في التشريع من التحليل والتحريم والتقنين.

٤ ـ الشرك في الحقوق وهو الشرك في العبادة.

كالسجود والركوع والقيام والنذر والذبح والقربان ورجاء رفع الحوائج والمشكلات والدعاء وقت نزول المصائب والبلايا لغير الله سبحانه.

وكذا كل ما يدخل في العبادة بجميع أنواعها وصورها.

---

(١) انظر مقدمة جواهر القرآن ٤٠ـ٤٢.

(٢) انظر تفهيم القرآن ١/٥٧٧ـ٥٧٨.

وهكذا الطاعة لغير الله تعالى طاعة مطلقة.

كل ذلك من قبيل الإشراك بالله تعالى في حقوقه وعبادته[1].

قلت: الشرك في الاختيار هو في الحقيقة داخل في الشرك في الصفات.

فالأولى أن يقال: الشرك في الذات، الشرك في الصفات، الشرك في العبادات؛

غير أن الشرك في الذات أمر ذهني يتصوره العقل فقط وليس له وجود في الخارج فلا تعرف طائفة كائنة من بني آدم ارتكبت الشرك في الذات[2].

١٥ ـ قول شيخ القرآن الفنجفيري (١٤٠٧) رحمه الله.

١٦ ـ قول الشيخ الرستمي حفظه الله.

لقد تصدى الشيخ محمد طاهر الفنجفيري الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن وتبعه تلميذه الشيخ عبد السلام الرستمي، للرد على القبورية وإبطال عقائدهم الوثنية فكشفا الستار عن كثير من أسرارهم ونبّها على مفاسدهم وأضرارهم، وبينا عدة أنواع للشرك، فقالا، واللفظ للثاني:

(بحث أقسام الشرك:

اعلم أن الشرك في التفصيل له أنواع كثيرة؛

لأن الإشراك بالله تعالى في كل صفة مختصة به تعالى ـ نوع من الشرك،

وكذا الإشراك في كل حق من حقوقه تعالى ـ

نوع مستقل [من أنواع الشرك]؛

(١) انظر تفهيم القرآن ١/٥٩٧ـ٥٩٨.

(٢) كما صرح به الحنفية، انظر ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

والصفات والحقوق الإلٰهية كثيرة؛
فالأنواع للشرك بجنبها كثيرة،
لٰكنها في الأصل ترجع إلى نوعين:
(١) شرك اعتقادي،
(٢) وشرك فعلي،
والأول على أربعة أقسام:
(١) الشرك في العلم «علم الغيب»،
(٢) والشرك في التصرف والاختيار،
(٣) والشرك في الدعاء؛ يعني النداء والاستغاثة.
(٤) والشرك في العبادة.
فنذكر هٰذه الأقسام بالنهج الذي ساقه القرآن)[١].
١٧ ـ وقد ذكر الشيخ الرستمي أنواعاً أخرى بترتيب آخر، وهي:
١ ـ الشرك في المالكية[٢].
٢ ـ الشرك في الربوبية لا يعني الشرك في «الحكم» أي الطاعة[٣].
٣ ـ الشرك في التصرف[٤].
٤ ـ الشرك في الاستعانة[٥].
٥ ـ الشرك في الاستعاذة[٦].

---

(١) تنشيط الأذهان ٢٤.
(٢) التبيان ٥٨-٥٩.
(٣) التبيان ٤٨-٤٩.
(٤) التبيان ٢٨.
(٥) التبيان ٢٩.
(٦) التبيان ١٧-١٨، ١٩.

٦ ـ الشرك في الاستجارة[1].

٧ ـ الشرك في البركة[2].

٨ ـ الشرك في الصفات[3].

٩ ـ الشرك في العلم[4].

١٠ ـ الشرك في العبادات القولية[5].

١١ ـ الشرك في العبادات العملية[6].

١٢ ـ الشرك في الدعاء[7].

١٣ ـ الشرك في الألوهية. ويعني به الشرك في الربوبية[8].

الحاصل: أن هٰذه عدة أنواع للشرك.

ذكرتها عن علماء الحنفية الذين ردوا على القبورية وهي تدل دلالة قاطعة على أن القبورية قد ارتكبوا أنواعاً من الشرك الأكبر بالله سبحانه، وذلك بعبادتهم للقبور وأهلها.

وبعدما عرفنا الشرك وأنواعه ـ

ننتقل إلى المبحث الآتي ـ

لنعرف كيف بدأ الشرك وكيف تطور؟؛

---

(١) التبيان ١٨.

(٢) التبيان ٢٦-٢٧.

(٣) التبيان ٥١.

(٤) التبيان ٩٢١.

(٥) التبيان ٣٧.

(٦) التبيان ٣٧.

(٧) التبيان ٢٦-١٢٣.

(٨) التبيان ٥٨-٥٩، ٣٩-٤٠.

ليكون ذلك أبلغ رد من علماء الحنفية على القبورية؛

فنقول وبالله نستعين وبه نستغيث * إذ هو المستعان المعين المغيث *:

* * * * *

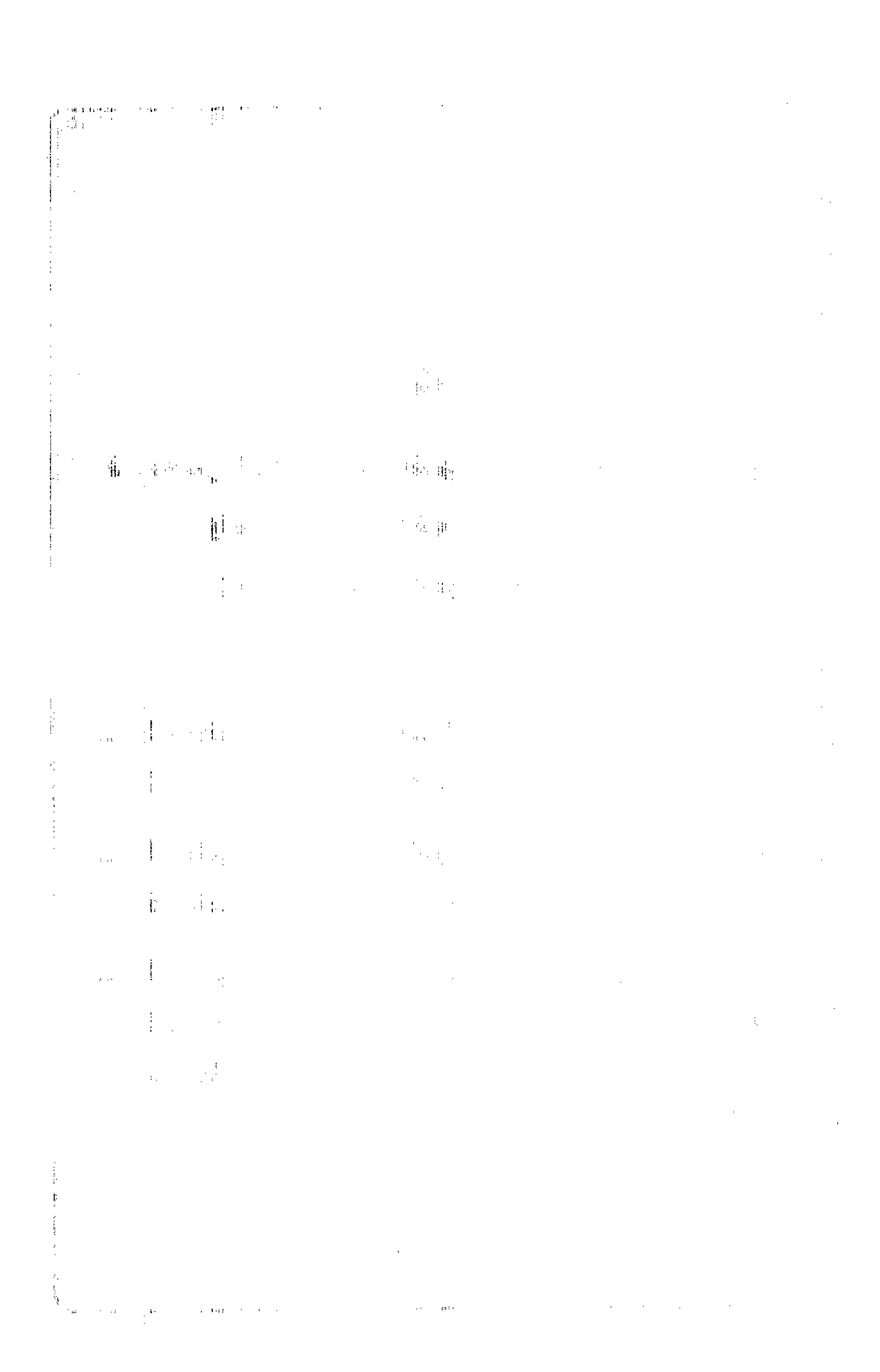


المبحث الثالث

في مصدر الشرك بعبادة القبور وتطوره، ونشأة القبورية وانتشارهم في العالم عند علماء الحنفية وتحقيقهم: أن القبورية عبدة الأوثان

وفيه مطالب ثلاثة:

- المطلب الأول: في مصدر الشرك بعبادة القبور ونشأة القبورية عند علماء الحنفية.
- المطلب الثاني: في تطور الشرك والقبورية، وانتشارهم في العالم عند علماء الحنفية.
- المطلب الثالث: في تحقيق علماء الحنفية: أن القبورية أهل الشرك وثنية؛ عبدة الأوثان، وعباد القبور، والأنصاب، والأحجار والغارات، والأشجار.



المطلب الأول

في مصدر الشرك بعبادة القبور وأهلها ونشأة القبورية عند علماء الحنفية

لعلمـاء الحنفية جهـود في بيان مصدر الشرك بعبادة القبور وأهلها ونشأة القبورية،

والكلام هٰهنا في أمور ثلاثة:

الأمر الأول: في تصريح علماء الحنفية بأن الناس قبل نشأة القبورية كانوا موحدين كلهم:

لقد صرح علماء الحنفية بأن الناس كانوا أمة واحدة على الإسلام موحدين متفقين على الحق والتوحيد،

في زمن أبينا آدم عليه السلام إلى زمن قوم نوح عليه السلام،

ثم اختلفوا بدسائس الشيطان وحيله ومكره الخفي،

كما قال تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾** [البقرة: ٢١٣]،

وقال سبحانه: **﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾** [يونس: ١٩][1].

---

(١) انـظر تفسيرهمـا في تأويلات المـاتريدي ١/ ٤٤٠ وبحر العلوم للسمرقندي =

الأمر الثاني: في مصدر عبادة القبور وكيف بدأ شرك عبادة القبور فيهم؟

لقد ذكر جمع من علماء الحنفية أثر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: **﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾** [نوح: ٢٣]:

(صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح ـ

في العرب بعد:

أما «ود» فكانت لكلب بدومة الجندل،

وأما «سواع» فكانت[1] لهذيل،

وأما «يغوث» فكانت لمراد،

ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ،

وأما «يعوق» فكانت لهمدان،

وأما «نسر» فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع[2] ـ

أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛

فلما هلكوا ـ أوحى الشيطان إلى قومهم:

أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون ـ أنصاباً، وسموها بأسمائهم؛

ففعلوا، فلم تعبد ـ

= ١/٦١٧ والكشاف ١/٣٥٥ و ٢/٢٣٠، والمدارك ١/١٣٥ و ٢/٩ وإرشاد العقل للعمادي ١/٢١٤ و ٤/١٣٢ وروح المعاني ٢/١٠٠-١٠١ و ١١/٨٩-٩٠.

(١) هكذا بالفاء الشرطية في نسخة الفتح ٨/٦٦٧، وغيرها، وهو الصحيح، ووقع هٰهنا وما قبله في نسخة البغا: «كانت» بدون الفاء، وهو غلط نحوياً، ورواية.

(٢) راجع لمعرفة هٰذه القبائل عمدة القاري ١٩-٢٦٢-٢٦٣.

حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم ـ

عبدت)[1].

قلت: لقد استدل الحنفية بهذا الأثر لبيان مصدر عبادة القبور وأهلها، وأن الشرك قد بدأ بعبادة القبور وأهلها بسبب غلوهم في الصالحين[2].

الأمر الثالث: نشأة القبورية بعبادتهم للقبور وأهلها.

انتبه: أيها المسلم إلى تاريخ الوثنية ـ الذي ذكرت عن الحنفية نبذة منه في مصدر عبادة القبور آنفاً، وأن الشرك كيف بدأ فيهم؟

لقد عرفت أن الشرك بعبادة القبور بدأ؛ ثم تطور وانتشر في العالم بحيل الشيطان ومكره ولطيف تدبيره،

وقد ذكر علماء الحنفية في بيان كيفية بداية عبادة القبور ونشأة القبورية، وأن الشيطان كيف استدرج الناس بحيله ومكره إلى الشرك بعبادة القبور، وكيف أدخل عليهم الشرك؟ حتى نشأت القبورية؛

فقالوا: إن هٰؤلاء الخمسة كانوا رجالاً صالحين ذوي شرف في قومهم فلما ماتوا حزن عليهم قومهم كثيراً ـ؛

فجاءهم الشيطان في صورة إنسان، وقال لهم:

حزنتم كثيراً؟ فقالوا: نعم،

---

(١) رواه البخاري ٤/١٨٧٣ وعبد الرزاق في تفسيره ٣/٣٢٠ وابن جرير في جامعه ٢٩/٩٩ وانظر صحيفة علي بن أبي طلحة ٥٠١-١٠٢.

(٢) انظر من كتب الحنفية: شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢١ ط دار البيان و ٧٩-٨٠ ط المكتب وعمدة القاري ١٩/٢٦٢-٢٦٣ ط دار الفكر و ١٦/١١٩-١٢٠ ط البابي وكشاف الزمخشري ٤/١٦٤ ومدارك النسفي ٣/٥٩٤ وإرشاد العقل للعمادي ٩/٤٠ والدر اللقيط للتاج بن مكتوم ٨/٣٤٠.

فقــال: هل لكـم أن أصــورهـم لكم في قبلتكم إذا نظرتم إليهم ـ ذكرتموهم فيذهب حزنكم وتنشطون في العبادة ـ

فقالوا: نكره أن تجعل لنا في قبلتنا شيئاً نصلي عليه.

فقال: أصورهم في مؤخرة المسجد،

قالوا: نعم،

فصورهم لهم،

ثم لما تقدم الزمن وانقرضت الآباء والأبناء وأبناء الأبناء ونسي العلم جاء الشيطان في صورة الإنسان وقال لمن بعدهم:

إن من كان قبلكم من سلفكم الصالح كانوا يعبدونهم؛

فعبدوهم، ثم صارت سنة في العرب في الجاهلية(١).

أقـول: تبين من هٰذا أنهم لم يكـونـوا يعبدون الأحجار كما تزعم القبورية بل كانوا يعبدون الصالحين،

وقد صرح علماء الحنفية: أن عبادة القبور ـ

هي أصل شرك العالم، وأن المشركين القبوريين قد ظهروا في عهد نوح عليه الصلاة والسلام بسبب عبادة هٰؤلاء الأولياء الخمسة،

وعكوف القبورية في ذٰلك العهد على قبورهم،

وبـذٰلـك وجدت القبورية على الأرض، ثم تطورت القبورية حتى انتشرت في العرب وغيرهم(٢).

---

(١) راجع المراجع السالف ذكرها آنفاً بعد عمدة القاري.

(٢) انـظر شرح الطحاوية لابن أبي العز، وزيارة القبور للبركوي ومجالس الأبرار لأحمد الرومي وجلاء العينين لنعمان الآلوسي وفتح المنان لشكري الآلوسي؛ بأرقام الصفحات التي ذكرتها آنفاً.

هٰذه كانت قصة مصدر الشرك ومبدأ نشأة القبورية، وبدايتها؛ كيف بدأت؟ وكيف ظهرت؟ ذكرتها عن علماء الحنفية،

وأما تطور شرك عبادة القبور على نطاق أوسع وانتشار القبورية في العالم ـ ففي المطلب الآتي:

* * * * *



المطلب الثاني

في تطور الشرك بعبادة القبور وأهلها وانتشار القبورية في العالم عند علماء الحنفية وردهم على القبورية

والكلام هٰهنا في تحقيق عشرة أمور:

الأمر الأول: في تحقيق أن أول فرقة قبورية هي قوم نوح عليه الصلاة والسلام؛ وأما سائر فرق القبورية فتبع لها.

لقد تبين من كلام علماء الحنفية:

أن الإشراك بالله تعالى أول ما ظهر وبدأ -

إنما ظهر وبدأ في قوم نوح بمكر الشيطان وحيله الخفية المزخرفة اللطيفة وكيده لبني آدم في الإغواء والإضلال بسبب عبادة القبور وأهلها:

فصار قوم نوح أول فرقة مشركة قبورية وثنية -

ظهرت على وجه الأرض في تاريخ البشرية،

وانشقت عن المسلمين الموحدين،

فقبورية قوم نوح هم السلف الشريرالسوء الطالح لكل مشرك قبوري ولجميع الفرق القبورية في شرق الأرض وغربها، عجمها، وعربها، تركها، وبربرها، هندها، وغيرها؛ سواء تنتمي إلى الإسلام أم إلى الرفض أم إلى الفلسفة، أم إلى الصوفية، أم إلى الكلام، أم إلى ملة من ملل الكفر ونحله.

فعبادة القبور هي أصل شرك العالم، وقبورية قوم نوح هي أم القبوريات؛

ثم انتشرت القبورية في اليهود والنصارى والعرب والعجم من الهند والترك والبربر وغيرهم؛

فقد قال الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ)، والعلامة نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ)، واللفظ للأول، في بيان مبدأ عبادة القبور وتطور القبورية في العالم:

(فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية. . . ؛

ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم؛

بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم:

من الهند، والترك والبربر، وغيرهم؛

تارة يعتقدون: أن هٰذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء ويتوسلون بهم إلى الله؛

وهٰذا أصل شرك العرب؛

قال الله تعالى حكاية عن قوم نوح؛

﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ [نوح: ٢٣]؛

وقد ثبت في صحيح البخاري وكتب التفسير، وقصص الأنبياء وغيرها،

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من السلف:

أن هٰذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح؛

فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم؛

وأن هٰذه الأصنام بعينها ـ

صارت إلى قبائل العرب؛
ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما قبيلة قبيلة)[1].
وقال الإمامان: محمد البركوي (٩٨١هـ) وأحمد الرومي (١٠٤٣هـ)،
والشيخان: سبحان بخش الهندي، وإبراهيم السورتي -
في تحقيق مبدأ عبادة القبور وأهلها، ونشأة القبورية وتطورها وانتشارها في العالم، مبينين أن القبورية قديماً وحديثاً يعبدون الصالحين دون الأحجار،
واللفظ للأول:
(ومن أعظم مكائده - أي الشيطان - التي كاد بها أكثر الناس،
وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته -
ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه:
من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله تعالى،
وعبدت قبورهم، واتخذت أوثاناً،
وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها،
ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل،
ثم جعلت أصناماً، وعبدت مع الله تعالى،
وكان ابتداء هٰذا الداء العظيم[2] في قوم نوح)؛
ثم ساقوا أثر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية المذكورة

---

(١) شرح الطحاوية ٢١ ط دار البيان و ٧٩-٨٠ ط المكتب الإسلامي وجلاء العينين ٥٢١-٥٢٢.

(٢) في مجالس الأبرار: «الداء العضال» ٣٥٥.

كما نقلته عن ابن أبي العز آنفاً، ثم قالوا:

(وكان هٰذا مبدأ عبادة الأصنام:

فهٰؤلاء جمعوا بين الفتنتين:

فتنة القبور،

وفتنة التماثيل؛

وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ . . . ، :

«أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح ـ

بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور؛

أولئك شرار الخلق عند الله»[1].

ففي هٰذا الحديث: ما ذكر من الجمع بين التماثيل والقبور)[2].

قلت: لقد ظهر من كلام هٰؤلاء الأعلام من الحنفية:

أن القبورية نشأت في قوم نوح،

ثم تطورت وانتشرت فيمن بعدهم من الأقوام والأمم حتى جاءت نوبة اليهود والنصارى؛

فهم صاروا من أعظم فرق القبورية وشرارها حتى آل الأمر إلى جزيرة العرب؛

فكان العرب في الجاهلية من أعظم قبورية العالم؛

وكانوا جميعاً قد جمعوا بين فتنتين:

---

(١) رواه البخاري ١/١٦٧ و ١٦٥ و ٤٥٠ و ٣/١٤٠٦ ومسلم ١/٣٧٦ عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) زيارة القبور ط التركية و ٥٢٣ ط الكردية و ٥٠٤ ط دار الإفتاء و ١١-١٢ تحقيق د. الخميس ومجالس الأبرار مع خزينة الأسرار ١٢٣-١٢٤ و ٣٥٥ نفائس الأزهار ١٥٥.

فتنة الشرك بعبادة القبور،

وفتنة الصور والتماثيل.

كما تبين من ذلك أنهم كانوا يعبدون الصالحين دون الأحجار لا كما يزعم القبورية.

الأمر الثاني: في تحقيق أن مشركي العرب كانوا قبورية كسلفهم قوم نوح عليه السلام.

أقول: بالنسبة إلى مشركي العرب في الجزيرة وكونهم قبورية فالأمر أوضح وأشهر من أن يبرهن عليه ويذكر؛

فإنهم كانوا قبورية يعبدون القبور وأهلها،

فقد صرح الإمام محمود الآلوسي (١١٧٠هـ):

أن «اللات» كان رجلاً من ثقيف يلت السويق بالزيت؛

فلما توفي جعلوا قبره وثناً،

وأنه كان يلت السويق على الحجر؛

فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه،

وعبدوا ذلك الحجر إجلالاً[1].

وذكر الشيخ جوهر الرحمٰن[2].

عن الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) قوله:

(فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه)[3].

---

(١) روح المعاني ٢٧/٥٥.

(٢) من كبار علماء الحنفية المعاصرة في باكستان.

(٣) مسألة الوسيلة ٥٣ وانظر تفسير القرآن لابن كثير ٤/٢٥٣.

قلت: هٰذا الأثر رواه ابن جرير عن مجاهد وغيره انظر جامع البيان ٢٧/٥٨.

قلت: فإن قيل ماذا كان نوع عبادة العرب للات؟

قلت: لقد صرح الحنفية بأنهم كانوا يستعينون به عند الشدائد كدأب قبورية اليوم وبذلك كفروا وأشركوا بالله في عبادته؛

قال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ):

(وكفر الله مشركي مكة لقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحاج:

إنه نصب منصب الألوهية؛

فجعلوا يستعينون به عند الشدائد)[١].

قلت: هذا كله برهان بل براهين على أن مشركي العرب من أعظم فرق القبورية في العالم،

وأنهم أقحاح في القبورية،

ومنه تبين أن المشركين كانوا يعبدون الصالحين دون الأحجار لا كما هو زعم القبورية الآن.

ومن أعظم الحجج الباهرة القاهرة على أن مشركي العرب كانوا قبورية يعبدون القبور وأهلها ـ

نهي النبي ﷺ في بداية الإسلام عن زيارة القبور؛

فقد قال ﷺ:

«نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها»[٢].

وقال ﷺ:

«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً»[٣].

---

(١) البدور البازغة ١٢٦ ط القديمة و ١٦٩ ط الجديدة.

(٢) رواه مسلم ٢/٦٧٢ عن بريدة رضي الله عنه.

(٣) رواه مالك ٢/٤٨٥ وقد زعم الشيخ محمد فؤاد أن البخاري رواه في موضعين من صحيحه، ولكني لم أجده فيه!!!.

قلت: ولقد علل كثير من علماء الحنفية نهي النبي ﷺ هٰذا عن زيارة القبور في بداية الإسلام؛

أنه ﷺ كان يخاف عليهم،

لكون القبور مبدأ لعبادة الأصنام في العرب وقبلهم،

فنهاهم أولاً لكونهم حديثي عهد بالشرك سدّاً لذريعة الشرك وحماية لحمى التوحيد؛

لأن زيارة القبور كانت تفتح عليهم باب عبادة القبور وأهلها؛

ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم واطمأنت نفوسهم على تحريم عبادة غير الله ـ

أذن لهم في زيارة القبور للتزهيد في الدنيا وتذكير الآخرة والدعاء للأموات بالمغفرة[1].

أقول: انتبه أخي المسلم إلى أن النبي أذن لهم فيما بعد في زيارة القبور،

ولكن حذرهم من الشرك وشوائبه بقوله ﷺ: «ولا تقولوا هجراً»؛

وقد صرح علماء الحنفية في شرح كلام النبي ﷺ هٰذا: «هجراً»:

(هجراً: أي فحشاً:

وأي فحش أعظم من الشرك عندها قولاً وفعلاً؟!؟)[2].

قلت: بعد هٰذا لا حاجة إلى البرهنة على أن مشركي العرب كانوا قبورية أقحاح بأكثر من هٰذه البراهين القاهرة الباهرة؛

---

(١) انظر زيارة القبور للبركوي ٢٣ـ٢٤ ومجالس الأبرار لأحمد الرومي ٣٥٥ـ٣٥٦ وحجة الله البالغة لولي الله الدهلوي ٢/٣٨ ط السلفية القديمة و ٢/٩٨ ط دار إحياء العلوم، وفتح المنان ٤٨٩ و ٤٩٣.

(٢) زيارة القبور للإمام البركوي ٣٨ ط دار الإفتاء.

فلقد تبين من هٰذه النصوص أن المشركين كانوا يعبدون الصالحين المقربين عند الله على زعمهم أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى،

ولم يكونوا يعبدون الأحجار لذاتها؛

لا كما هو زعم القبورية الكذبة مبررين شركهم بالأكاذيب؛

ولذلك قال الشيخ ابن آصف الفنجفيري الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن بعد سرد أقوال المفسرين:

(فاتفقت كلمتهم على أن المشركين [كانوا] يدعون العباد الصالحين ويتوسلون بهم ويقولون هٰؤلاء شفعاؤنا عند الله. . .، ويعطون[1] النذور لهم باعتقاد أنهم يقربونا إلى الله زلفى فكان شركهم العبادة للمقبورين والدعاء[2] من الغائبين والأموات[3] أن أصحاب القبور يسمعون الدعاء والنداء ويعلمون السر وأخفى ويتصرفون في الأمور كيف يشاؤون)[4].

الأمر الثالث: في تحقيق أن اليهود والنصارى - كانوا قبورية أقحاحاً.

أما اليهود والنصارى -

فقد سبق في نصوص علماء الحنفية:

أنهم من شر القبورية الذين كانوا يعبدون الصالحين ويتخذون قبورهم مساجد،

---

(١) هٰكذا في الأصل وهو ركيك المعنى والصواب «وينذرون لهم».

(٢) هٰكذا في الأصل وهو غلط فاحش ركيك جداً، والصواب: «ودعا الغائبين».

(٣) هٰكذا في الأصل والكلام لا صلة له ولا ربط بما سبق وهو ركيك إلى النهاية، وكم لهٰذا الرجل من طامات نحوية عربية سئمت منها وتعبت في تصحيحها، والصواب أن يقال: «واعتقادهم أن أصحاب القبور. . .».

(٤) البصائر ١٠٦ ط باكستان وانظر البصائر ٣٠٥ ط قطر.

وقد نص على ذلك رسول الله ﷺ كما سيأتي قريباً[1] فكانوا يعبدون القبور وأهلها،

مع ارتكابهم فتنة التماثيل والصور بجانب فتنة الشرك بعبادة القبور وأهلها،

ويوضح هذا أن كثيراً من علماء الحنفية -

قد استدلوا بقول النبي ﷺ عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم:

«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2].

وفي لفظ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه - وفي لفظ: «مات فيه» -:

«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

قالت: (ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)[3].

ورواه أبو هريرة رضي الله عنه أيضاً بهذا اللفظ[4] على[5] تحريم اتخاذ القبور مساجد والبناء على القبور،

وأن ذلك من أعظم وسائل الشرك ووسائل عبادة القبور وأهلها قديماً وحديثاً[6]؛

---

(١) انظر ص ٤١٦.

(٢) رواه البخاري ١/١٦٨ و٣/١٢٧٣ و٤/١٦١٥ و٥/٢١٩٠ ومسلم ١/٣٧٧.

(٣) رواه البخاري ١/٤٤٧ و٤٦٨ ومسلم ١/٣٧٦.

(٤) رواه مسلم ١/٣٧٧ و٤٦٨ ولم أجده في صحيح البخاري.

(٥) متعلق بقولي السابق: «وقد استدلوا...».

(٦) انظر شرح الطحاوية ٢٢ ط دار البيان و ٨٠ ط المكتب الإسلامي وزيارة القبور للبركوي ٦-٧-٨ ومجالس الأبرار ١٢٣-١٢٤ وعمدة القاري ٨/١٣٥-١٣٦ ط الفكر واللمع في الحوادث والبدع للتركماني ١/٢١٦ وروح المعاني ١٥/٢٣٨ وجلاء العينين ٥٢٢ وغاية الأماني ١/٢٦٧ و ٢/٢٣-٢٤-٢٠٥ وفتح المنان ٤٧٧.

وهٰذا كله حجج ساطعة وأدلة قاطعة على أن اليهود والنصارى من أعظم فرق القبورية في العالم وأشرارها.

الأمر الرابع: في تحقيق أن جميع الأمم من المشركين كانوا قبورية.

الظاهر أن جميع الأمم من المشركين كعاد وثمود ومدين وغيرهم - كانوا قبورية كسلفهم قوم نوح عليه السلام؛

لما ذكره علماء الحنفية من قول النبي ﷺ قولاً عاماً شاملاً لجميع المشركين قبل العرب: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذٰلك»،

قاله قبل أن يموت بخمس[1].

وقد استدل بهٰذا الحديث جمع من علماء الحنفية[2]؛

فدلّ ذٰلك على أن جميع الأمم المشركة كانوا قبورية.

الأمر الخامس: في تحقيق أن فلاسفة اليونان كانوا قبورية أجلاد.

لقد صرح الرازي (٦٠٦هـ) بأن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها إذا اعترتهم مشكلة من المشكلات وكان الفلاسفة من تلاميذ أرسطو[3] إذا دهمتهم نازلة - ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض[4]،

وهٰكذا يعبدون القبور وأهلها؛

---

(١) رواه مسلم ١/٣٧٨.

(٢) انظر شرح الطحاوية ٢٢ ط دار البيان و ٨٠ ط المكتب الإسلامي وجلاء العينين ٥٢٢ وزيارة القبور للبركوي ٥ ط دار الإفتاء ومماس الأبرار لأحمد الرومي ١٢٣ وغاية الأماني ١/٢٦٧ و ٢/٢٣ و ٢٠٦.

(٣) انظر ترجمته في ص ١٢٨٢.

(٤) انظر المطالب العالية ٧/٢٢٨ وانظر الرق المنشور للنيلوي ٩٣.

كعادة قبورية هٰذه الأمم،

قلت: هٰذا الرازي من أعظم أئمة القبورية ولا سيما الكوثري والكوثرية.

فإن الكوثري ينهل من قبورياته المستنقعات،

ويعتمد على بحوثه الكلامية غاية الاعتماد، حتى نقل كلامه عن هٰذه الصفحة من مطالبه ويقول: إن الأئمة: الرازي والتفتازاني والجرجاني من كبار أئمة أصول الدين الذين يفزع إليهم في المشكلات ومعرفة الإيمان والكفر والتوحيد والشرك معظماً كتاب المطالب العالية[1].

والفلاسفة اليونانية الوثنية المشركة من أعظم السلف للديوبندية في الاستفاضة من القبور[2]!؟!

الأمر السادس: في تحقيق أن المتفلسفة في الإسلام أمثال الفارابي (**٣٣٩هـ**) الضال الكافر[3] وابن سينا الحنفي القرمطي (**٤٢٨هـ**)[4] ونصير الشرك الطوسي الساحر الوثني (**٦٧٢هـ**)[5].

الذين لعبوا بالإسلام ما لعب بولس[6] بالنصرانية ـ

كانوا من أعظم القبورية الوثنية الأجلاد،

ولهم تفلسف في زيارة القبور الشركية والوثنية ـ

في غاية الضلال والإضلال؛

---

(١) انظر مقالات الكوثري ٣٨١-٣٨٢ وتبديده ١٦٠-١٦١ وراجع إرغامه ٤٦-٤٨.

(٢) انظر ص ٧٨٥-٧٨٧، ٦٣٢-٦٣٥.

(٣) ترجمته في ص ١٢٩٥.

(٤) انظر ترجمته في ١٢٩٤-١٢٩٥.

(٥) انظر ترجمته في ٢٣.

(٦) انظر ترجمته في ص ٢٣.

كما ذكره عنهم كثير من علماء الحنفية،

وسيأتي نص كلامهم بالتفصيل إن شاء الله تعالى[1].

الأمر السابع: في تحقيق أن الروافض بجميع فرقهم قبورية أجلاد وثنية أقحاح؛

فهم أول من وضع الأحاديث القبورية والروايات الوثنية ـ

لزيارة المشاهد فعطلوا المساجد وعمروا المشاهد التي كانوا يشركون فيها[2].

ولهذا كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين؛

إذ عمروا المشاهد وعطلوا المساجد؛

وألف بعض أعناقهم كتاباً وثنياً سماه «مناسك حج المشاهد»[3]؛

مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام؛

ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام؛

ودخول في دين عبادة الأصنام كما صرح بذلك علماء الحنفية[4].

وقد بني مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما بالقاهرة بأيدي الروافض[5].

الأمر الثامن: في تحقيق: أن الصوفية قبورية؛

---

(١) راجع ص ١٢٩٤-١٢٩٦.

(٢) غاية الأماني ٢/٢٠٦ لشكري الآلوسي.

(٣) وهو ابن النعمان (٤١٣هـ) ترجمته في ص ١٠٥١.

(٤) زيارة القبور للبركوي ٢٠.

(٥) فقد صرح ابن دقماق الحنفي المؤرخ (٨٠٩هـ) أن الخليفة الفائز بنور الله عيسى بن الظافر قد ابتناه سنة (٥٤٩هـ) انظر الجوهر الثمين ٢١٦ تحقيق عاشور و ١/٢٦٦ تحقيق محمد كمال الدين.

بل هم أشنع قبورية هٰذه الأمة على الإطلاق وأبشعها؛
فهم ملاحدة اتحادية وزنادقة حلولية،
يعبدون القبور وأهلها على طريقة الوثنية.
ولعلماء الحنفية كلام قامع لهم، قاطع لدابرهم،
قالع لشبهاتهم[1]؛
قال العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) مبيناً كثرة القبورية وانتشارهم في البلاد والعباد، وأنهم أشنع شركاً من المشركين السابقين:
(وأما من ينتسب إلى طريقة من الطرائق الكثيرة ـ
فعنده: أن الاستمداد من روحانية مشائخهم والاستغاثة بهم من الواجبات الشهيرة؛
فلا حفظ الله لهم حريماً * ولا صان لهم أديماً * نسأله أن يطهر الأرض من أمثالهم * ويريح المسلمين من كفرهم وإضلالهم)[2].
الأمر التاسع: في تحقيق أن كثيراً من المتكلمين من الماتريدية والأشعرية وغيرهم ـ قبورية؛
لتأثرهم بالفلاسفة والمناطقة والصوفية،
وجعلهم حقيقة توحيد الألوهية عين توحيد الربوبية كما سبق على لسان علماء الحنفية[3].
الأمر العاشر: أن كثيراً بل أكثر من ينتمون إلى المذاهب الأربعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة قبورية،

---

(١) راجع ما سيأتي في ص ١٣١٣-١٣٧٩.
(٢) فتح المنان ٤٩٣ وانظر نصه الكامل في ص ٤٦٩.
(٣) راجع ما سبق في ص ١٧٨.

ولعلماء الحنفية جهود في كشف الستار عن أسرارهم وكتب ألفوها في قمعهم وقلع شبهاتهم؛

وهؤلاء القبورية المنتسبة إلى الأئمة الأربعة ـ

فرق وألوان * وصنوف وأفنان *؛

وهم أكثر من أهل التوحيد ـ تكتظ بهم البلاد والبلدان *؛

كما سيأتي تفصيل ذلك على لسان علماء الحنفية الرادين على القبورية[1]؛

فهم ـ كما قال الإمام الآلوسي (١٢٧٠هـ):

(عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر:

ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها؛

وهم اليوم أكثر من الدود)[2].

وقال ابن آصف الفنجفيري الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن:

(وقد صنف العلماء الربانيون في ردهم[3] تواليفاً[4]،

وشنعوا عليهم تشنيعاً بليغاً،

لكن الزائغين المحرفين في دين الله يبتغون لذلك حيلاً،

وأسسوا قواعد مزخرفاً[5] بالأقوال المموهة الباطلة؛

---

(١) انظر ما سيأتي في ص ٤٤٧-٤٧٩.

(٢) روح المعاني ١٣/٦٧.

(٣) هكذا في الأصل، وهو ركيك المعنى، والصواب: «في الرد عليهم».

(٤) هكذا في الأصل وهو غلط من وجهين: زيادة الواو، والتنوين، والصواب: (تآليف).

(٥) هكذا في الأصل وهو غلط والصواب: «مزخرفة».

والعجب عن[1] بعض من ينتمون[2] أنفسهم بشيوخ الحديث فيدرسون[3] في المشاهد دروساً[4]،

ويقولون: قال الله تعالى، وقال رسوله ﷺ،

ويكتمون الحق ويغمضون البصر[5] مما[6] يرون عباد[7] القبور عليها عكوفاً،

وينحرون عندها نذوراً، يمسحون أجداثاً،

وشرعوا ديناً لم يأذن به الله؛

أعادوا بها معنى سواع ومثله
يغوث وود بئس ذلك من ود

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
كما يهتف المضطر بالواحد[8] الصمد

---

(١) هٰكذا في الأصل والصواب: «من».

(٢) هٰكذا في الأصل وهو كلام فاسد المبنى غلط نحوياً: والصواب أن يقال: (ومن يسمون أنفسهم شيوخ الحديث) أو «من ينتمون إلى شيوخ الحديث، ونحو ذٰلك»!

(٣) هٰكذا في الأصل والفاء لا معنى لها والصواب «يدرسون».

(٤) الأولى «تدريساً» أو «كتب التفسير والحديث» ونحو ذٰلك.

(٥) لا حاجة إلى لفظة «البصر» والأولى أن يقال: «ويغمضون عما يرونه».

(٦) هٰكذا في الأصل والصواب «عما».

(٧) هٰذه العبارة إلى قوله: «وشرعوا...» كلها فاسدة ركيكة والعبارة السليمة أن يقال: «ويغمضون عما يرونه من عبادتهم للقبور وعكوفهم عليها ونحرهم عندها ولمسها وشرعهم ديناً لم يأذن الله به»، ونحو ذٰلك من العبارة السليمة نحواً وعربية،

وقد سئمت من كثرة أغلاط هٰذا الرجل وتعبت في تصحيحها مع أنه ملقب بشيخ القرآن! * فما ظنّك بشيخ العميان؟!؟ *

(٨) في ديوان الصنعاني: «بالصمد الفرد».

وكم نحروا[1] في سوحها من بحيرة[2]

أهلت لغير الله جهلاً على عمد

وكم طائف عند[3] القبور مقبلاً[4]

ويلتمس الأركان منهن بالأيدي[5]

فيجب على علماء الإسلام إزالة مواضع الشرك وهدم الطواغيت)[6].

قلت: لقد عرفت بالتجربة والاستقراء وبما قرأت وبما سمعت:

أن أكثر القبورية في المنتسبين إلى المذاهب الأربعة ـ

هم الحنفية لكثرتهم ونفوذ سلطانهم ودولهم في شرق الأرض وغربها، من صينها إلى مغربها؛

وهندها، وأفغانها، وتركها، وشامها، ومصرها،

وروما، وغيرها من البلاد[7].

---

(١) في ديوان الصنعاني: «وكم عقروا».

(٢) في ديوان الصنعاني: «من عقيرة».

(٣) في ديوان الصنعاني: «حول القبور».

(٤) هٰكذا في الأصل وهو غلط محض لا وجه لنصبه!؟!

(٥) هٰذه الأبيات من قصيدة الصنعاني المعروفة انظر ديوانه ١٢٩، ولٰكن هٰذا الرجل لم يعز إليه!؟!

(٦) البصائر ط قطر ٤٥١-٤٥٢.

(٧) فقد ذكر الكوثري ـ مفتخراً بكثرة الحنفية في العالم ـ أن الحنفية في السند والهند والصين والروس والقوقاس والقزان وبخارى، وسيبريا والروم وبلاد العرب وبوسنا وهرسك وألبان والبلغار والبلاد التركية والعثمانية في القارات الثلاث: آسيا وأوروبا وأفريقيا ـ لا يقلون عن مئتين وخمسة وعشرين مليوناً (٢٢٥) سوى الحنفية في أفغانستان وبلاد الحبشة ومصر وطرابلس الغرب وتونس وأفريقيا الجنوبية. التأنيب ٢٢، وانظر كتابي الكبير الماتريدية ١/٢٧٢.

ولكثرة الفرق الضالة المبتدعة في الحنفية أيضاً[1].

ثم في الشافعية، ثم في المالكية،

ونزر قليل من الحنابلة؛

لكون عامة الحنابلة من أهل الحديث والأثر والسنة المحضة ولكونهم أقل عدداً من بقية أهل المذاهب.

وأقول: هٰذه كانت نبذة من تاريخ القبورية الوثنية،

من لدن قوم نوح عليه السلام؛

مروراً بعامة الأمم من المشركين؛

أمثال عاد، وثمود، ومدين،

بل اليهود والنصارى،

فضلاً عن مشركي العرب، والعجم، في الجزيرة، والهند، وفارس، والروم، وغيرها؛

بل فلاسفة اليونان، من المناطقة المشائبة، والصوفية الإشراقية؛

ومن طريق هٰؤلاء دخل شرك القبور إلى المتفلسفة في الإسلام أمثال الفارابي وابن سينا والطوسي، فهم قبورية أجلاد،

وإلى الروافض بصفة عامة، فهم قبورية أقحاح،

كما أن الصوفية قديماً وحديثاً قبورية وثنية حلولية اتحادية إلا من شاء الله منهم،

ثم من طريق الصوفية والروافض، وهٰؤلاء المتفلسفة ـ

تسربت القبورية إلى كثير من المتكلمين،

ومنهم جميعاً إلى كثير من المنتسبين إلى المذاهب الأربعة؛

---

(١) انظر كتابي الكبير الماتريدية ١/١٧٢-١٧٦.

حتى طمت القبورية، وشملت الوثنية البلاد * وعادت الجاهلية الأولى وعمت العباد *؛

إلا من شاء الله تعالى وما شاء.

حتى أصيب بهذا الداء العضال كثير من أهل الفقه والعلم والفضل والزهد[1]،

وهم لا يدرون ولا يشعرون * إنا لله وإنا إليه راجعون *

فضلاً عن العوام * الذين هم في الجهل كالأنعام *؛

وسيأتي لذلك مزيد تفصيل وتحقيق على لسان علماء الحنفية في الرد على القبورية؛

فاستمع لما في المطلب الآتي وما في الفصل بعده من عجائب انتشار القبورية في هذه الأمة وغرائب نفوذهم في البلاد والعباد،

وأن القبورية فرقة مشركة، وثنية يعبدون القبور وعباد الأوثان وعبدة الأنصاب، إنا لله وإنا إليه راجعون؛

لتكون على علم تام أن القبورية في إنكارهم وجود الشرك فيهم -

إما منخدعون، جاهلون ممرضون * وخادعون مغالطون متجاهلون.

فنقول وبربنا الرحمن نستغيث ونستعين *

إذ هو المغيث المستعان المعين *:

* * * * *

---

(١) انظر جلاء العينين ٤٨٥ وغاية الأماني ١/١٠٥ و٢٩٨ و٢/٣٤٤ و٣٤٨ وفتح المنان ٤٩٣ وحكم الله الواحد الصمد ٣٤.

المطلب الثالث

في تحقيق علماء الحنفية أن القبورية أهل الشرك وثنية عبدة الأوثان وعباد القبور والأنصاب والأحجار

لقد أقام علماء الحنفية عدة براهين قاطعة وكثيراً من الحجج الساطعة على كون القبورية أهل شرك وثنية عبدة الأوثان والقبور.

فأريد أن ألخص أهم ما برهنوا به على ذلك في وجوه:

الوجه الأول:

أن علماء الحنفية قد حققوا أن القبورية يرتكبون أنواعاً من الشرك الأكبر بعبادة القبور وأهلها:

من السجدة(١) لها والطواف(٢) بها واتخاذها مساجد، والحج إليها(٣) ونحوها، والصوم(٤) لأصحابها والنذور(٥) لهم، والاستغاثة بهم في الملمات(٦) واعتقاد علم الغيب فيهم(٧)،

---

(١) انظر ص ٤٦٩، ٦٣٢، ٣٣٥.

(٢) انظر ص ٦٣٢.

(٣) انظر ص ٦٤٤-٦٥٢.

(٤) انظر ص ٣٣٥-٣٣٧، ١٥٦٥-١٥٦٧.

(٥) انظر ص ٣٣٥، ١٥٤٥-١٥٤٧.

(٦) انظر ص ١٠٤٣-١٥٣٨.

(٧) انظر ص ٦٩٥-٧٥٩.

وإثبات التصرف في الكون لهم[1]،
وغيرها من العقائد الشركية الكفرية الوثنية[2].
فتحقق أن القبورية؛ عبدة القبور وعباد الأوثان، ووثنية وأهل الشرك.

الوجه الثاني:

أنه قد حقق علماء الحنفية أن القبورية أشد شركاً من المشركين السابقين؛
من حيث إنهم كانوا يخلصون الدعاء لله وحده في الملمات والكربات،
بخلاف القبورية؛
فإنهم يستغيثون بالأموات عند إلمام الملمات[3]؛
بل القبورية قد وصلوا في الشرك والكفر إلى حد ـ
رجحوا الاستغاثة بالأموات عند الكربات،
على الاستغاثة برب البريات،
وقالوا: جهاراً بدون حياء ولا إسرار:
إن المكروب تضره الاستغاثة بالله عند البليات،
بخلاف استغاثته بالولي فإنه أسرع إجابة من الله!؟![4].
فتحقق أن القبورية أهل الشرك مناقضون للتوحيد على أقل تقدير بلا ريب.

---

(1) انظر ص ٧٠٣-٧٧٩.
(2) انظر ص ٦٩٥-٨٠٤.
(3) انظر ص ١١٧١-١١٩٧.
(4) انظر ص ١٠٥٥-١٠٦٧.

الوجه الثالث:

أن علماء الحنفية قد حققوا: أن القبورية أعظم عبادة للقبور وأهلها منهم لله في المساجد وأوقات الأسحار[1]،

وأن خوفهم من الأموات أشد من خوفهم من الله تعالى[2]،

وهٰذا سلطان قاهر وبرهان باهر وحجة قاطعة ساطعة على أن القبورية أهل شرك، وعباد القبور بلا امتراء.

الوجه الرابع:

أن القبورية لما كانوا يعبدون القبور وأهلها ـ

صح ـ عند علماء الحنفية ـ إطلاق عدة أسماء وصفية تشعر بأنهم وثنية، أهل شرك، عابدو غير الله جل وعلا؛

وليس هٰذا من باب نبـذ الألقاب بل من باب بيان الحق والجرح، فمنها ما يلي:

١ ـ عباد القبور[3].

٢ ـ عبدة القبور[4].

٣ ـ أهل الشرك[5].

---

(١) انظر ص ١١٩٩-١٢٠٦.

(٢) انظر ص ١٢٠٦-١٢٢٩.

(٣) زيارة القبـور للبـركوي ٢٢، ٤٥، ٤٩ ومجالس الأبرار للرومي ١٢٦ وصيانة الإنسان ٨١ والبصائر للفنجفيري ٤٥١ ط قطرية و ١٣١ ط باكستان وحكم الله الواحد الصمد ٢٦ وغاية الأماني ١/٢١٥.

(٤) روح المعاني ١٣/٦٧، البلاغ المبين ٢٩ ومصباح المؤمنين ٢٤، ٢٧، فتح المنان ٤٥٣.

(٥) زيارة القبور للبركوي ٢١ ط دار الإفتاء و ٥٣١ ط الكردية.

٤ ـ أشباه عباد الأصنام[1].

٥ ـ هم من جنس عباد الأصنام[2]، والأوثان[3].

٦ ـ المقابرية[4].

٧ ـ القبوريون[5].

٨ ـ الوثنية[6].

٩ ـ المشركون[7].

١٠ ـ عبدوا القبور وأصحابها[8].

١١ ـ عابدو القبور[9]

١٢ ـ أشباه النصارى[10].

---

(١) زيارة القبور ٤٥ ط دار الإفتاء و ٥٤٣ الكردية.

(٢) زيارة القبور ٤٩ ط دار الإفتاء و ٥٤٥ ط الكردية والبصائر ٩٢ ط باكستان.

(٣) الكواكب الدرية للرباطي ٦٨، وأصل الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما سيأتي.

(٤) زيارة القبور للبركوي ٣٤ ط التركية و ٥٤٣ ط الكردية و ٤٥، ٤٦ ط دار الإفتاء ومجالس الأبرار مع خزينة الأسرار ١٣١ والبصائر للفنجفيري ١٣١ ط باكستان.

(٥) صيانة الإنسان ١٦٧ وغاية الأماني ٢/٢٢.

(٦) انظر فتح المنان ٣٧٨.

(٧) أصول السنة لشيخ القرآن الفنجفيري ٤٣ والبصائر له ط باكستان ٨٦، ١١١، وط القطرية ٥٢٥٢، ٤٤٤ ورجال الفكر ٢/١٧٣ للندوي، والكواكب الدرية للرباطي ٦٦، وصيانة الإنسان ١٨٦، ٤١٩، ومقدمة جواهر القرآن للغلام ٣٧.

(٨) زيارة القبور للبركوي ٢٩.

(٩) التبيان للرستمي ١٠٣ وإمداد الفتاوى للتهانوي ٦/٨٩ (نهاية الإدراك...).

(١٠) زيارة القبور للبركوي ٢٣ ط دار الإفتاء، و ٥٣٢ ط الكردية.

الوجه الخامس:

أن علماء الحنفية قد حققوا:

أن «القبر» إذا عبد من دون الله تعالى -

يصير «وثناً» من الأوثان التي عبدت وتعبد من دون الله:

فالوثن أعم من الصنم؛ فيشمل القبر وكل ما عبد من دون الله؛

فإن الصنم ما كان له جسم أو صورة، وينقش،

والوثن يطلق على ما لم يكن له صورة فالوثن عام،

فقد يطلق الوثن على الصليب أيضاً،

وعلى كل ما يشغل عن الله تعالى[1].

وبناء على أن القبورية جعلوا القبور أوثاناً يعبدونها من دون الله -

صح أنهم وثنية، كما صح أنهم عباد القبور، وتحقق أنهم أهل الشرك بلا شك.

الوجه السادس:

أن علماء الحنفية قد ذكروا قول النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري

---

(١) انظر البلاغ المبين للشاه ولي الله ١٥-١٦ ومصباح المؤمنين للمظفري ١٣-١٤، وزيارة القبور للبركوي ٤٩-٥٢ ط دار الإفتاء و ٣٥٢-٣٥٧ ط التركية،

ومجالس الأبرار لأحمد الرومي مع خزينة الأبرار ١٢٨-١٣٠ ونفائس الأزهار لإبراهيم السورتي ١٥٩-١٦٢،

كليات أبي البقاء ٣١٥ ومجمع البحار للفتني ٣/٣٥٩، ٥/١٢ وتاج العروس للزبيدي ٩/٣٥٨، والتبيان للرستمي ١٠٢-١٠٤ وتنشيطه ٨١-٨٢،

والبصائر لشيخ القرآن الفنجفيري ٨٨ ط باكستان وأوجز المسالك للكاندوي ٣/٣٠٠.

وثناً يعبد؛ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١).

واستدلوا به على أن القبر إذا سجد إليه وعبد ـ يصير وثناً من الأوثان التي تعبد من دون الله(٢).

---

(١) رواه مالك في الموطأ ١ /١٧٢ وعنه ابن سعد في الطبقات ٢ /٢٤٠-٢٤١،

عن عطاء مرسلاً، وانظر المسوى للدهلوي ١ /١٣٠،

ورواه عبد الرزاق في المصنف ١ /٤٠٦ وابن أبي شيبة في المصنف ٣ /٣٤٥، عن زيد بن أسلم مرسلاً.

ووصله الحميدي ٢ /٤٤٥، وأحمد ٢ /٢٤٦ وأبو نعيم في الحلية ٧ /٣١٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ:

«اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»،

وأبو يعلى ١٢ /٣٤ بلفظ: «لا تجعلُن قبري وثناً. . .» وانظر المقصد العلي للهيثمي ٥٤٣،

ووصله البزار أيضاً كما قاله ابن عبد البر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،

ورواه من طريقه في التمهيد ٥ /٤٣،

ولٰكن لم أجده في المطبوع من مسند البزار ولا في كشف الأستار للهيثمي،

والحديث قد صححه وصحح إسناده ووثق رجاله جمع من الحنفية وغيرهم،

انظر التمهيد لابن عبد البر ٥ /٤٢-٤٤، والبوصيري ـ كما قال الأعظمي في تعليقاته على المطالب العلية ١ /٣٧١، ولم أجده في مصباحه ـ، والهيثمي في معجمه ٤ /٢-٣، والسيوطي في تنويره ١٥ /١٨٦ والزرقاني في أبهجه ١ /٣٥١،

وشيخنا الألباني في تحذيره ٢٤٥-٢٦ وعبد القادر الأرناؤوطي الحنفي في تعليقه على فتح المجيد ١٥٠، ٢٦٩، وحسين سليم أسد الحنفي في تعليقه على مسند أبي يعلى ١٢ /٣٤ وبشير محمد عيون الحنفي في تعليقه على قرة عيون الموحدين ١١٦.

(٢) انظر البلاغ المبين للإمام ولي الله ١٥-١٦ ومصباح المؤمنين للمظفري ١٣-١٤ وتذكير الإخوان للسلطان ١٥٨-١٥٩،

وزيارة القبور للبركوي ٨، ١٠، ١١ ط دار الإفتاء،

ومجالس الأبرار لأحمد الرومي مع خزينة الأسرار لسبحان بخش الهندي ١٢٧، =

ولذلك ترى علماء الحنفية يطلقون كلمتي «الوثن» و«الأوثان» على القبور التي عبدتها وتعبدها القبورية في أكناف العالم[1].

وهٰذا كله برهان باهر وسلطان قاهر على أن القبورية وثنية، مشركة، عبدة القبور وعباد الأوثان، والله المستعان؛

قال الشيخ الرستمي:

(فصح أن القبر الذي ينقل[2] بالنذور إليه ويسجد له ويدعى صاحبه في الحاجات ويعبد؛ فهو داخل في الوثن والصنم[3] والنصب، فما[4] قال تعالى في كتابه في شأن الأنصاب يشمل القبر. . . وما قال في شأن الأوثان يشمل القبور أيضاً).

تنبيه النبيه: على سؤال وثني خلفي * وجواب حنفي سلفي حنيفي *

لقد رمى النبهاني (١٣٥٠هـ)[5] الإمام ابن القيم (٧٥١) رحمه الله

= ونفائس الأزهار لإبراهيم السورتي ١٥٩،

والمرقاة للقاري ٢/٢٢٨ ط ملتان و ٢/٤٥٨ ط المحققة وأوضح المسالك للكاندوي ٣/٣٠١، وجلاء العينين ٥٢٣، لنعمان الآلوسي،

وفتح المنان ٤٧٧ و ٥١٠، ٥١٣ وغاية الأماني ١/١٥٩ و٢٦٧ و٢/٢٢، ٢٣، ٢٤ والبصائر للفنجفيري ٨٨ ط باكستان.

(١) راجع المراجع السابق ذكرها آنفاً، وانظر زيارة القبور ٣، ٤، ١٠، ١٢، ١٣، ١٨، ٥٢ ومجالس الأبرار مع خزينة الأسرار ١٢٨، ١٣٠ ونفائس الأزهار ١٦١ وجلاء العينين ٥٢٣.

(٢) الصواب «تنقل النذور إليه».

(٣) القبر غير داخل في الصنم فذكر الصنم هٰهنا في غير محله فتدبر.

(٤) التبيان ١٠٣.

(٥) هو يوسف بن إسماعيل الفلسطيني من قضاة الدولة العثمانية بفلسطين، وبيروت =

= وسافر إلى القسطنطينية (إسلامبول) وعمل في جريدة الجوائب بآستانة وتعلم بالأزهر، وجاور المدينة له كتب كثيرة، كان شاعراً مجيداً وأديباً بارعاً لكنه وثني داعية إلى الشرك والكفر، وهو أحد كبار أئمة القبورية،

كان عدواً لدوداً لأئمة الدعوة من أهل نجد وغيرهم،

من أخبث كتبه وأعمقها في الشرك والوثنية، والضلال * وأبعدها غوار في الكفر والإلحاد والاتحاد والإضلال *: «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» و«جامع كرامات الأولياء»،

والكتاب الأول قد رد عليه العلامة شكري الآلوسي بكتابه القيم (غاية الأماني في الرد على النبهاني) فذبحه من قفاه لئلا يفتح فاه،

ثم ألف النبهاني رسالة فاشلة في الرد عليه سماها «الرائية الصغرى» فرد عليه برسالة سماها «الآية الكبرى» فقضى عليها صريعاً سريعاً،

ومن أعظم حسنات النبهاني وصدقه وإنصافه وعدله أنه لم يرم أئمة الدعوة والتوحيد والسنة ولا سيما شيخ الإسلام بتهمة تنقيص الأنبياء والأولياء والاستخفاف بهم، بل صرح بأنهم في التحذير من الاستغاثة بهم لا يريدون الطعن والتنقيص والاستخفاف بهم،

انظر شواهد الحق ٦٩-٧٠ و ٢٩٦-٢٩٧ بخلاف غيره من أئمة القبورية كالكوثري وغيره، انظر ص ٤٤٣/ب-٤٤٤، جرحه العلامة شكري الآلوسي بأشد الكلمات والألقاب كقوله فيه:

(الشيخ الشيطاني)، (النبهاني الخبيث)، (الملحد الزائغ)، (اخسأ يا عدو الله) و(ممار عنود) و(لا يرتدع عن غيّه ولا ينتهي عن جهله) و(هذا الزائغ لولا حسده وجهله)، (قد قضيت عمرك بالضلال وفاسد الأعمال والحكم بالطاغوت) و(نبح الكلاب) و(جهله مركب، مع رعونة ونقصان عقل ودين وقلة إيمان وعدم حياء)، (سود الله وجهه باتباع وساوس إبليس)، (فضحه الله)، (شيخه الصيادي دجال العصر)، (أبو البدع شيطانه مقتدى الدجالين)، (قبحه الله ولعنه كما لعن أصحاب السبت)، (البادي أظلم) وغيرها من الطعون:

انظر غاية الأماني ٢/٥ و ١٤ و ٤٤ و ٤٨ و ٦٣ و ٧٦ و ٧٩ و ٩٤ و ٢٨٢ و ٣٥٧ و =

بالتناقض؛ فقال:

(إن ابن القيم عبر عن القبر المزور بالوثن[1].

لكنه تناقض؛ حيث قال:

ولــقــد نهــانــا أن نصــير قبــره
عيداً حذار الــشــرك بالــديان[2]

= ٣٦٣ و ٣٧٧و (النبهاني الغليل) كما في ص ١٣٦٧-١٣٦٨.

قلت: لا ينبغي لعن معين، ولكن تجب الشدة على المعاندين من أهل البدع الدعاة إليها.

انــظر ترجمتــه في الأعــلام للزركلي ٨/٢١٨ ومعجم المـطبـوعـات لسـركيس ٢/١٨٣٨-١٨٤٢ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣/٢٧٥-٢٧٦.

(١) **قلت**: انظر إغاثة اللهفان ١/٢٩٦ و ٣٠٥ و ٣٣٠،

وأقول: قال في النونية:

والله ما غضبـوا إذا انتهكت محـا ... رم ربـهــم في الســر والإعــلان
حتى إذا ما قيل في الـوثن الـذي ... يدعــونــه ما فيه من نقــصــان
فأجــارك الــرحـمٰن من ضر وتعـ ... ـزير ومــن سب ومـن تسـجـان

النونية ١٥٨ وشرحها توضيح المقاصد ٢/٢٦٥ وشرح هراس ٢/١٢٧، وقال رحمه الله:

وإذا ذكــرت الــله توحـيداً رأيـ ... ـت وجـوههم مكسـوفـة الألـوان
بل ينــظرون إليك شزراً مثـل ما ... نظر التيوس إلى عصـا الجـوبـان
وإذا ذكــرت بمـدحـه شركـاءهم ... يتبــاشــرون تباشر(*) الفـرحـان
والــله ما شمــوا روائــح دينــه ... يا زكــمــة أعـيت طبـيب زمــان

(٢) **قلت**: في النونية «بالرحمٰن».

(*) هٰكذا في النونية وشرح هراس، وفي توضيح المقاصد: «يستبشرون تباشر»، والصواب: «يتكاشرون تكاشر».

النونية ١٥٩ وشرحها توضيح المقاصد ٢/٢٦٦ وشرح هراس ٢/١٢٩.

ودعــا بأن لا يجعــل القبـر الـذي

قد ضمـه وثـنـاً من الأوثــان

فأجــاب رب الـعــالـمين دعــاءه

وأحــاطــه بثــلاثــة الــجــدران

حتــى اغتــدت أرجــاؤه بدعــائــه

في عزة وحــمــاية وصــيان[1]

انظر إلى تناقضه!،

فإنه أولاً قرر أن القبر المزور وثن من الأوثان،

وفي هٰذه الأبيات قرر أن قبر النبي ﷺ ليس بوثن؛

مع أن قبر النبي ﷺ أعظم القبور المزارة)[2].

الجواب: لقد أجاب عن هٰذه الشبهة العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ): بأن المراد من القبور التي جعلت أوثاناً ـ

القبور التي تكون في الصحراء، أو في مكان يصل إليه الزائرون،

بحيث يسجدون إليه ويتمسحون به،

ويتمكنون من الوصول إليه ليعبدوه؛

كما يتمكن الوثنيون من الوصول إلى أوثانهم،

بخلاف قبر النبي ﷺ؛

---

(١) قلت: انظر النونية ١٨٠ وشرحه توضيح المقاصد ٢/٣٥٢ وشرح الدكتور محمد خليل هراس ٢/١٩٦،

وهٰذه الأبيات ذكرهما العلامتان الآلوسيان: نعمان، ومحمود شكري. انظر جلاء العينين ٥٠٦ وغاية الأماني ٢/٢٢.

(٢) شواهد الحق ٢٧٤، وتشبث القضاعي أيضاً بهٰذه الشبهة في براهينه ٣٤٦.

فإنه قد دعا ربه تبارك وتعالى أن لا يجعل قبره وثناً؛ فاستجاب له، وأحاط قبره بثلاثة من الجدران؛

فلا يمكن لأحد من القبورية الوثنية أن يصل إليه؛

ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها في تعليل عدم إبراز قبره ﷺ:

(ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)[1]؛

فالآن بحمد الله تعالى لا يمكن لأحد من القبورية الوثنية أن يصل إليه ليعبده ويسجد إليه، ويتخذه مسجداً ووثناً[2].

الوجه السابع:

أن علماء الحنفية قد حققوا:

أن الأنصاب جمع نصب بضمتين أو بالفتح والسكون وهو كل ما نصب وعبد من دون الله:

من شجر أو حجر، أو قبر ونحوه،

فالنصب أعم من هذه كلها؛

فإنه كل ما ينصب ليعبد،

«فالقبر» إذا عبد من دون الله -

صح أن يطلق عليه «النصب»؛

فإن من عظيم كيد الشيطان ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام،

وهي رجس من عمل الشيطان،

وأصل اللفظ: «المنصوب»،

فالفعل بمعنى المفعول؛ كالخلق بمعنى المخلوق؛

---

(١) سبق تخريجه في ص ٤١٥.

(٢) غاية الأماني ٢/٢٢-٢٣.

فالنصب هو الذي يقصده من رآه،
سواء كان شجراً، أو عموداً، أو قبراً، أو غير ذلك؛
وأعظم هٰذه الأنصاب ـ
القبور التي نصبت وجعلت أنصاباً تعبد من دون الله،
وأعظم الفتنة بهٰذه الأنصاب ـ
هي فتنة هٰذه القبور التي جعلت أنصاباً وأوثاناً تعبد من دون الله؛
فإن الشيطان ينصب لهم قبر رجل معظم يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله[1].

الحاصل: أنه ثبت من هٰذا أن القبورية عبدة الأنصاب كما أنهم عبدة الأوثان.

الوجه الثامن:

أن علماء الحنفية قد برهنوا على أن القبورية ليسوا عبّاد القبور وأهلها فقط؛ بل هم عبّاد مغارات وعبدة الأشجار والأحجار والآبار أيضاً؛

١ ـ فقد ذكر الشيخ مسعود الندوي (١٣٧٣هـ) أن أكثر المسلمين في العالم الإسلامي قبيل مجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ) كانوا على طريقة الوثنية الأولى:

يعبدون القبور والأشجار والمغارات،
ويرتكبون من السفاهات والحماقات ما يسخر منه الكفار

---

(١) زيارة القبور للبركوي ٤٩ـ٥٢ ط دار الإفتاء و٣٥٢ـ٣٥٧ ط التركية و٥٤٥ـ٥٤٧ ط الكردية و ط المحققة.

ومجالس الأبرار ١٢٨ـ١٣٠ لأحمد الرومي وخزينة الأسرار لسبحان بخش الهندي ١٢٨ـ١٣٠ ونفائس الأزهار ١٥٩ـ١٦٢ لإبراهيم السورتي.

المستشرقون[1].

٢ ـ وقد ذكر علماء الحنفية: أن القبورية عباد القبور أشباه عباد الأصنام قد وضعوا لتبرير إشراكهم بالله عدة من الأكاذيب على رسول الله ﷺ

منها أخلوقتهم الوثنية وأسطورتهم الشركية:

«لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه»[2].

٣ ـ وقد صرح العلامة محمود شكري الآلوسي بأن القبورية يطلبون قضاء الحاجات من الأحجار والآبار * والصخور والأشجار * أيضاً[3].

قلت: هذا برهان باهر وسلطان قاهر على أن القبورية عباد الأحجار أيضاً؛

كما أنهم عبدة الأوثان والأنصاب والغارات والأشجار فضلاً عن كونهم عباد القبور وأهلها،

فتحقق: أن القبورية وثنية أجلاد أهل شرك أقحاح وعباد غير الله أصلاب.

وأقول: لأجل أن فتنة الشرك بقبر رجل معظم ـ

أشد وأعظم وأسرع سراية إلى القلوب ـ

قال علماء الحنفية: كالبركوي (٩٨١هـ) والرومي (١٠٤٣هـ) والشاه ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ)، واللفظ للأول:

(فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه ـ أسرع إلى النفوس ـ

---

(١) انظر محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ٣١-٤٣.

(٢) انظر توثيقه والكلام عليه من كتب الحنفية في ص ١٢٧٩.

(٣) انظر غاية الأماني ١/ ٣٧٠، وراجع ما سيأتي في ص ٤٧٢-٤٧٣.

من الشرك بشجر أو حجر؛

ولذا نجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون ويخشون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم - عبادة لا يفعلونها في مساجد الله تعالى ولا في وقت السحر،

ومنهم يسجد لها؛

وكثير منهم يرجون من بركة الصلاة عندها ولديها ما لا يرجون في المساجد)[1].

قلت: لقد تبين وتحقق من هٰذا كله:

أن القبورية - عند الحنفية -

عباد «الأنصاب» أيضاً، كما أنهم عبدة «الأوثان»، بل هم عبّاد الأحجار والأشجار والمغارات أيضاً.

الحاصل: أن هٰذه المباحث والتحقيقات الدقيقة المحققة براهين باهرة وسلاطين قاهرة وأدلة ساطعة وحجج قاطعة على أن القبورية - فرقة مشركة، وثنية، يعبدون القبور والأحجار والأشجار والمغارات والأنصاب والأوثان[2].

وبهٰذا كله تبين بطلان زعم القبورية: أن المشركين كانوا عباد الأوثان والأنصاب والأحجار،

---

(١) زيارة القبور ٨-٩ ط دار الإفتاء و ٥٢٥ ط الكردية للبركوي ومجالس الأبرار لأحمد الرومي ١٢٤ وخزينة الأسرار لسبحان بخش الهندي ١٢٤ ونفائس الأزهار لإبراهيم السورتي ١٥٥ وفتح المنان للآلوسي ٤٩١.

(٢) هٰذه المباحث كلها اجتناها علماء الحنفية من اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ٢/٦٧٢-٦٧٤، وما قبلها، وما بعدها وإغاثة اللهفان ١/٢٨٦-٣٤٤ لابن القيم الإمام.

بخلاف زوار القبور فإنهم يستغيثون بالأولياء ويتوسلون بالصالحين إلى الله؛

فهم ليسوا بمشركين، ولا عباد الأنصاب والأوثان؛

بل هم مؤمنون موحدون[1].

قلت: بعد ما عرفنا: أن القبورية فرقة مشركة وثنية، عباد الأنصاب، وعبدة الأوثان؛

بل عباد الأحجار والأشجار والمغارات ـ

ننتقل إلى الفصل الآتي لنعرف جهود علماء الحنفية في بيان انتشار القبورية في شرق الأرض وغربها، كما نعرف جهودهم في الرد على شبهات القبور في هٰذا الصدد؛

* مستغيثين بربنا الرحمٰن * المستعان على ما يصفون *

* إذ هو المغيث المعين؛ * فإياه نعبد وإياه نستعين *

* * * * *

---

(١) راجع ما سبق في ص ١٩٣-١٩٦.

المبحث الأول

في تحقيق علماء الحنفية أن الشرك موجود في القبورية، وأن القبورية عمت البلاد وطمت العباد، إلا من رحمه الله، بذكر أمثلة من إشراك القبورية بعبادة القبور وأهلها في شرق الأرض وغربها، الموجودة في أكثر البلاد، والتي ارتكبها أكثر العباد

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: في تاريخ القبورية إجمالا.
- المطلب الثاني: في جهود علماء الحنفية في بيان أن الشرك بعبادة القبور وأهلها قد طم البلاد وعم العباد إلا من شاء الله تعالى من أهل التوحيد.

الفصل الثاني

في جهود علماء الحنفية في تحقيق أن الشرك موجود في القبورية من هذه الأمة وأنه انتشر شرقاً وغرباً وردهم على القبورية في ذلك

وفيه مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: في تحقيق علماء الحنفية أن الشرك موجود في القبورية في شرق الأرض وغربها، وأن القبورية قد عمت البلاد وطمست العباد، إلا من رحمه الله.

- المبحث الثاني: في جهود علماء الحنفية في المقارنة بين القبورية وبين الوثنية الأولى، وتحقيق أن القبورية أشد شركا من مشركي العرب في باب الاستغاثة بالأموات عند إلمام الملمات.

- المبحث الثالث: في جواب الحنفية عن شبهة القبورية التي تشبثوا بها من إنكار وجود الشرك في هذه الأمة.

المطلب الأول

في تاريخ القبورية إجمالاً

لقد سبق على لسان علماء الحنفية:

أن القبورية نشأت من قوم نوح عليه الصلاة والسلام؛

ثم انتشرت وتطورت وعمت جميع الأمم من المشركين كعاد، وثمود، ومدين، وغيرهم،

ثم اليهود والنصارى، فضلاً عن العرب في الجاهلية،

وكذا الفلاسفة بيونان،

ومن طريق هٰؤلاء الأمم تسربت القبورية إلى الروافض والصوفية والمتفلسفة في الإسلام ومن هٰؤلاء جميعاً دخلت عبادة القبور وأهلها ـ

على المنتسبين إلى المذاهب الأربعة؛

ففي الحنفية أكثر،

ثم في المالكية والشافعية،

وفي الحنابلة نزر قليل؛

فعمت العباد وطمت البلاد إلا من شاء الله تعالى من أهل التوحيد،

وتوضيح ذٰلك وتحقيقه في المطلب الثاني على لسان علماء الحنفية بشيء من التفصيل.

المطلب الثاني

في جهود علماء الحنفية في بيان أن الشرك بعبادة القبور وأهلها قد طم البلاد وعم العباد من هذه الأمة إلا من شاء الله تعالى من أهل التوحيد

لقد سرح علماء الحنفية أنظارهم في أحوال القبورية من هٰذه الأمة فحققوا أنهم انتشروا في شرق الأرض وغربها *

وسهولها وجبالها * وقراها ومدنها * وبلادها وعبادها * وهندها وأفغانها * وتركها وورومها * وما وراء نهرها *

ومصرها وشامها * ونحوها: برها وبحرها *

وبهٰذا قد كذّب علماء الحنفية دعوى القبورية في عدم وقوع الشرك في هٰذه الأمة لأن القبورية قد ادعوا لتبرير شركياتهم:

أن الشرك غير واقع وغير موجود، وأن المؤمنين الموحدين وزوار القبور المستغيثين بالأولياء ـ

لا يشركون بالله ولا يعبدون الأولياء ولا قبورهم،

وإنما يعظمونهم ويستعينون بهم وينذرون لهم ويتوسلون بهم إلى الله عز وجل(١).

وفيما يلي أسوق نصوص علماء الحنفية التي تكذب القبورية وتثبت

---

(١) راجع ما سبق في ص ١٩٣-١٩٦.

وانظر ما سيأتي في ص ٤٤٨-٤٨٣.

وجود الشرك فيهم بأوسع ما يكون وأن القبورية اتبعوا سنن اليهود والنصارى والمشركين حذو النعل بالنعل شبراً بشبر والقذة بالقذة.

١ ـ ٨ ـ قال الإمام قاسم بن قطلوبغا (٨٧٩هـ)[١]،

وتبعه ابن نجيم الملقب بأبي حنيفة الثاني (٩٧٠هـ)[٢] وخير الدين الرملي (٩٩٣هـ)[٣] وسراج الدين عمر بن نجيم (١٠٠٥هـ)[٤]، وعلاء الدين الحصكفي (١٠٨٨هـ)[٥] وابن عابدين الشامي (١٢٥٢هـ)[٦]، والعلامتان: شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) والخجندي (١٣٧٩هـ)، واللفظ

---

(١) هو زين الدين أبو العدل من كبار أئمة الحنفية، ترجمته في الضوء ٦/ ١٨٤ والشذرات ٧/ ٣٢٦ والبدر الطالع ٢/ ٤٥، والتعليقات السنية للكنوي ٩٩ وهدية العارفين ١/ ٨٣٠ والأعلام للزركلي ٥/ ١٨٠.

(٢) هو زين الدين أو زين العابدين بن إبراهيم بن محمد المصري من كبار أئمة الحنفية وفقهائهم انظر ترجمته في كشف الظنون ٢/ ١٥١٥ والتعليقات السنية للكنوي ١٣٤-١٣٥ وشذرات الذهب ٨/ ٣٥٨ والأعلام للزركلي ٣/ ٦٤.

(٣) هو خير الدين بن أحمد بن نور الدين من مشاهير فقهاء الحنفية ترجمته في هدية العارفين ١/ ٣٥٨.

(٤) هو مؤلف النهر الفائق شرح كنز الدقائق للنسفي ترجمته في كشف الظنون ٢/ ١٥١٦.

(٥) هو محمد بن علي بن محمد بن علي الدمشقي من أعاظم أئمة الحنفية في عصره،
ترجمته في خلاصته الأثر للمحبي ٤/ ٦٣-٦٥ والأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٤.

(٦) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز من كبار علماء الحنفية وفقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره انظر ترجمته في حلية البشر للبيطار ٣/ ١٢٣٠-١٢٣٩،
وذكر البيطار في آخر ترجمته: أن قبره مشهور ويزار ويقصد لطلب الحوائج،
إنا لله وإنا إليه راجعون،
وانظر ترجمته أيضاً في الأعلام للزركلي ٦/ ٤٢.

للأول؛ مبينين أحـوال القبورية في عصورهم وعبادتهم لغير الله بالنذور والنداء والاستغاثة، وغيرها من أنواع العبادة:

(وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام ـ على ما هو مشاهد ـ كأن يكون لإنسان غائب، أو مريض، أو له حاجة ضرورية؛

فيأتي بعض قبور الصلحاء فيجعل ستره على رأسه؛

فيقول: يا سيدي فلان!

إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي؛

فلك من الذهب كذا، ومن الفضة كذا، ومن الطعام كذا، ومن الماء كذا، ومن الشمع كذا، ومن الزيت كذا:

فهٰذا النذر باطل بالإجماع؛

لوجوه:

منها: أنه نذر لمخلوق؛ والنذر للمخلوق لا يجوز؛

لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت؛ والميت لا يملك.

ومنها: [أنه] إن ظن: أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى، واعتقاده ذٰلك كفر...)؛

وزاد الحصكفي: (وقد ابتلي الناس بذٰلك ولا سيما في[1] هٰذه الأعصار)،

وزاد ابن عابدين: (ولا سيما في[1] مولد السيد أحمد البدوي)[2])،

---

(١) فيه ركاكة نحوية فتدبر.

(٢) انظر ترجمة البدوي وأمثلة الوثنيات المنسوجة حوله في ص ٦١٣-٦٢٢.

وحكاه عن النهر الفائق[1].

قلت: يظهر من هٰذا النص أن أكثر العوام في عصور هٰؤلاء العلماء الحنفية كانـوا يستغيثون بالأموات * عند إلمام الملمات * وينذرون لهم أنواعاً من النذور عند الكربات * ولا يقصدون القبور إلا لهٰذه الشركيات معرضين عن دعاء رب البريات *

وهٰذه وثنية سافرة * قبورية فاجرة *

وهٰذا من أعظم الحجج على وجود الشرك في القبورية وانتشارهم في مشارق الأرض ومغاربها.

٩ ـ وقـال الإمام البركوي (٩٨١هـ)[2] مبيناً كثرة القبورية في بلاد

---

(١) انظر شرح (درر البحار لشمس الدين القونوي ٧٨٨هـ) لقاسم بن قطلوبغا كما في المـراجـع الآتية: البحر الرائق لابن نجيم ٢/٢٩٨ ط دار الكتب العربية بمصر، وط الباكستانية و٢/٣٢٠ـ٣٢١ ط القديمة المصرية وط دار الكتب الإسلامي والفتاوى الخيرية للرملي ١٧ـ١٨ والدرر المختار للحصكفي مع رد المحتار لابن عابدين ٢/٤٦٧ـ٤٦٨ ط البـابي المصـرية و ٢/٤٣٩ـ٤٤٠ ط دار الفكر و ٢/١٢٨ ط بولاق وط دار إحياء التراث العربي وفتح المنان لشكري الآلوسي ٤١٧، والنهر الفائق لسراج الدين كما في جكم الله الواحد الصمد للخجندي ١٠ـ١١ و ١٢ـ١٣، وانظر الفتاوى الديوبندية ١٢/٩٩.

(٢) هو العـلامة الإمام محيي الدين محمد بير علي بن إسكندر البركوي الرومي أحد كبار علماء الحنفية وأحد قضاة العثمانية، من أشهر كتبه «الطريقة المحمدية» فقد تهافت الحنفية عليه وشرحوه بعدة شروح،

له جهود عظيمة في قمع القبورية وقلع شبهاتهم،

ألف رسالة «زيارة القبور» اجتناها من إغاثة اللهفان للإمام ابن القيم وقطع بها دابر القبورية، رحمه الله رحمة واسعة وإيانا آمين!

ترجمته في العقد المنظوم لابن لالي بالي ٤٣٦ـ٤٣٧ وكشف الظنون ٢/١١١١ـ١١١٣ وإيضاح المكنون ١/٢ وهدية العارفين ٢/٢٥٢ـ٢٥٣ والأعلام للزركلي ٦/٦١ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٩/١٢٣ ومعجم المطبوعات لسركيس ١/٦١٠.

الروم والترك؛

ناقماً عليهم كاشفاً لعوراتهم، مشتكياً إلى الله عز وجل، ذاكراً سبب تأليف كتابه في الرد على القبورية:

(وبعد: فهٰذه أوراق انتخبتها من «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» للشيخ الإمام العلامة ابن القيم...؛

لأن كثيراً من الناس في هٰذا الزمان ـ

جعلوا بعض القبور كالأوثان:

يصلون عندها ويذبحون القربان...؛

ومن أعظم مكائده [أي الشيطان] التي كاد بها أكثر الناس،

وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته ـ

ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه، وأوليائه:

من الفتنة بالقبور؛

حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله تعالى، وعبدت القبور، واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل)[1].

١٠ ـ ١١ ـ وقال الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي الملقب عند الحنفية بالإمام الرباني ومجدد الألف الثاني (١٠٣٤هـ)، وتبعه الشيخ محمد مراد المنزاوي المكي (؟)[2].

مشتكياً حال القبورية إلى الله مبيناً أن الشرك قد عم وطم في جهلة أهل الإسلام رجالاً ونساء في الهند بطولها وعرضها:

---

(١) زيارة القبور ط التركية و **٥٢٢ـ٥٢٣** ط الكردية و **٣ـ٤** ط دار الإفتاء و **٩ـ١١** تحقيق د. الخميس.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(التبـري من الكفـر شرط الإسـلام، والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد، والاستمداد من الأصنام والطاغوت في دفع الأمراض والأسقام كما هو شائع فيما بين جهلة أهل الإسلام -

عين الشرك والضلالة. . .،

وأكثـر النسـاء مبتليات بهٰذا الاستمداد الممنوع عنه بواسطة كمال الجهل فيهن يطلبن دفع البلية من هٰذه الأسماء الخالية عن المسميات،

ومفتونات بأداء مراسم الشرك وأهل الشرك،

خصوصاً وقت عروض مرض الجدري. . .،

فإن ذٰلك الفعل مشهود ومحسوس، من خيارهن وشرارهن، في ذٰلك الوقت؛

بحيث لا تكاد توجد امرأة خالية من دقائق هٰذا الشرك. . .؛

إلا من عصمها الله تعالى. . .،

كما أن جهلة أهل الإسلام خصوصاً طائفة نسائهم -

يؤدون رسوم أهل الكفر. . .؛

وكل ذٰلك شرك وكفر بدين الإسلام؛

قال الله تعـالى: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾** [يوسف: ١٠٦]،

وما يفعلونه من ذبح الحيوانات عند قبور المشائخ المنذورة لهم -

جعله الفقهاء أيضاً في الروايات الفقهية داخلاً في الشرك. . .؛

ومثل ذٰلك صيام النساء بنية المشائخ. . .؛

ويطلبـن حوائجهن منهم بواسـطة تلك الصيام، ويزعمن قضـاء حوائجهن منهم،

وهٰذا الفعل إشراك للغير في عبادة الله تعالى وطلب لقضاء الحوائج من الغير بواسطة العبادة إليه[1])[2].

١٢ ـ ١٤ ـ وقال الإمام أحمد الرومي في (١٠٤٣هـ)[3]؛ مبيناً حال القبورية في بلاد الشرك والروم،

وتبعه الشيخان: سبحان بخش الهندي (؟هـ)[4]، ومحمد إبراهيم السورتي (؟هـ)[5]، واللفظ للأول:

(قال ابن القيم في إغاثته نقلاً عن شيخه [شيخ الإسلام]:

إن هٰذه العلة [أي العكوف على القبور، وإيقاد السرج عليها] ـ

التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ القبور مساجد ـ

هي التي أوقعت كثيراً من الناس، إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه

---

(١) هٰكذا في الأصل، والصواب: «له» أو «عبادته».

(٢) الدرر المكنونات للمنزاوي، ترجمة المكتوبات للرباني ٣/٥٥.

(٣) هو الإمام أحمد بن محمد الرومي الأقحصاري من كبار علماء الحنفية في الدولة العثمانية التركية الرومية له جهود عظيمة في قمع القبورية وقلع شبهاتهم ألف كتابه العظيم مجالس الأبرار وهو مئة مجلس في شرح مئة حديث من مصابيح البغوي (٥١٦هـ) كل مجلس في شرح حديث واحد،

فالمجالس الأربعة منها ـ وهي السابع عشر، والثامن عشر، والسابع والخمسون، والثامن والخمسون ـ في الرد على القبورية وكشف عوراتهم،

وكل هٰذه المجالس الأربعة خلاصة كلام الإمامين شيخ الإسلام وابن القيم الهمام، انظر ترجمته في كشف الظنون ٢/١٥٩٠ وهدية العارفين ١/١٥٧ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/٨٣ ومعجم المطبوعات لسركيس ١/٣٨٨.

(٤) لم أجد له ترجمة وهو مؤلف خزينة الأسرار بالأردية ترجمة مجالس الأبرار لأحمد الرومي.

(٥) لم أجد له ترجمة وهو مؤلف نفائس الأزهار بالأردية ترجمة مجالس الأبرار.

من الشرك؛

فإن الشرك؛

بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه ـ

أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر أو حجر؛

ولهٰذا تجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون ويخشعون ويعبدون بقلوبهم ـ

عبـادة لا يفعلون مثلها في بيوت الله تعالى ولا في وقت السحر، ويرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء لديها ـ

ما لا يرجون في المساجد. . .)[1].

قلت: في هٰذا النص يبين لنا شيخ الإسلام (٧٢٨هـ) وابن القيم الهمام (٧٥١هـ)

حالة القبورية في الشام ومصر؛

ويبين لنا الإمام أحمد الرومي (١٠٤٣هـ) أحوال القبورية في البلاد الرومية، كما يبين لنا الشيخان: سبحان بخش، والسورتي حالة القبورية في الديار الهندية وأنهم على كثرتهم يرتكبون الشرك بعبادة القبور وأهلها.

١٥ ـ ١٨ ـ وقال الإمام صنع الله الحلبي المكي (١١٢٠هـ)[2]؛

---

(١) مجالس الأبرار مع خزينة الأسرار ١٢٤ ـ ونفائس الأزهار ١٥٥، وانظر الإغاثة ١/٢٨٨-٢٨٩ والاقتضاء ٢/٦٧٤.

(٢) هو الإمام صنع الله الحلبي المكي أحد كبار علماء الحنفية له جهود طيبة في الرد على القبورية في كتابه «سيف الله على من كذب على أولياء الله»،

غير أنـه ماتـريدي حيث شحن النصف الأخير من كتـابه هٰذا بالعقيدة الماتريدية الحنفية الكلامية الجهمية والتعطيل، وكأنه ذكر خلاصة العقائد النسفية، سامحه الله وإيانا وكتابه مخطوط حتى الآن، =

مبيناً سبب تأليف كتابه «سيف الله . .» كاشفاً عن أسرار القبورية الأستار بذكر عقائدهم الشركية الوثنية،

وتبعه العلامتان: شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) والخجندي (١٣٧٩هـ) وشيخ القرآن الفنجفيري (١٤٠٧هـ) واللفظ للأول:

(هٰذا وإنه قد ظهر الآن[1] فيما بين المسلمين جماعات *

يدعون أن للأولياء تصرفاً في حياتهم وبعد الممات *،

ويستغاث بهم في الشدة والبليات * وبهممهم تكشف المهمات *

فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات *؛

مستدلين على أن ذٰلك منهم كرامات * . . .)[2].

قلت: هٰذا النص بين لنا فيه الشيخ صنع الله أحوال القبورية التركية والرومية ويبين فيه لنا الآلوسي أحوال القبورية العراقية،

ويبين فيه لنا الخجندي أحوال القبورية بما وراء النهر ويبين فيه لنا الفنجفيري أحوال القبورية بباكستان وأفغانستان،

= ولأخي الفاضل الدكتور محمد بن عبد الرحمٰن الخميس اعتناء بتحقيقه،

انظر ترجمته في إيضاح المكنون ١/١١٥ و٢/٣٥ وهدية العارفين ١/٤٢٨ ومعجم المؤلفين لكحالة ٥/٢٤،

وقد اقتبس منه نصاً الشيخان: سليمان في تيسير العزيز الحميد ٢٠٧، ٢٣٢، ٢٣٥، وعبد الرحمٰن في فتح المجيد ١٧٢، ١٨٣-١٨٦، وفي قرة عيون الموحدين ٨٧.

(١) قوله: «الآن» قيد باطل؛ لأن القبورية قد ظهروا من زمن قوم نوح إلى يومنا هٰذا وكانت بلاد الأتراك والروم تكتظ بالقبورية والوثنية قبل الشيخ صنع الله الحلبي فلا معنى لقوله: «ظهر الآن».

(٢) سيف الله ٣ مخطوط مكتبة الحرم المكي،

وانظر غاية الأماني ٢/٦٦-٦٨ وفتح المنان ٣٩٧-٣٩٩ للآلوسي وحكم الله الواحد الصمد للخجندي ١٣ والبصائر للفنجفيري ٩٦-٩٧ ط الباكستانية.

وفي ذلك عبرة للقبورية أيما عبرة!!!

١٩ ـ وقال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) مبيناً شرك القبورية في البلاد الهندية الشاسعة بطولها وعرضها،

محققاً أنهم على طريقة المشركين الأولين:

(وإن كنت متوقفاً في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم؛ فانظر إلى حال العوام والجهلة من أهل الزمان،

خصوصاً من سكن منهم بأطراف دار الإسلام؛

كيف يظنون الولاية[1] وماذا يخيل إليهم منها...؟

ويذهبون إلى القبور والآثار،

ويرتكبون أنواعاً من الشرك،

وكيف تطرق إليهم التشبيه والتحريف؟

ففي الحديث الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل»[2].

وما من آفة من هذه الآفات إلا وقوم من أهل هذا الزمان واقعون في

---

(١) يعني أن القبورية يظنون: أن الولي يتصرف في الكون ويعلم الغيب ويستغاث به!!!

(٢) لم أجده بهذا اللفظ؛ ولكن وجدته بلفظ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قلنا يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال «فمن»؟

رواه البخاري ٦/٢٦٦٩ و ٣/١٢٧٤ ومسلم ٤/٢٠٥٤ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وروى الترمذي ٥/٢٦ بلفظ «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل...»، عن ابن عمر، وقال: (هذا حديث مفسر غريب...)، ومعنى «مفسر»: أنه بيّن فيه ما ليس فيما قبله. انظر تحفة الأحوذي ٧/٣٣٤.

ارتكابها، معتقدون مثلها)[1].

٢٠ ـ وقال رحمه الله أيضاً مبيناً أن الشرك قد عم وطم:

(فلست أرى أحداً إلا وفيه الإشراك؛

كما قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦])[2].

قلت: نص هٰذا الإمام في بيان انتشار القبورية في البلاد الهندية لا يحتاج إلى تعليق، فهو بنصه وفصه يدل على أن أكثر المنتسبين إلى الإسلام في البلاد الهندية كانوا قبورية وثنية عبدة القبور وأهلها.

٢١ ـ وقال ابن عربشاه (٨٥٤هـ)[3]: واصفاً حال القبورية ببغداد وما وراء النهر وتهافتهم على عبادة القبور وأهلها تهافت الفراش على النار،

حتى عبدوا الفسقة الفجرة * من الملوك الظلمة الجورة *؛

حيث كانوا يعبدون تيمور (٨٠٦ هـ)[4] وقبره بأنواع من العبادات؛

---

(١) الفوز الكبير ١٩ـ٢٠ وترجمته المنيرية ط القديمة و٢٠ ط الجديدة وترجمته الندوية ٣٩ـ٤٠ ط القديمة و ٢٦ ط الجديدة.

(٢) البدور البازغة ١٢٦ ط الحجرية و ١٦٩ ط الحيدري بباكستان،

قلت: وله نص مهم آخر، انظر ص ١١٤١ـ١١٤٣.

(٣) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي المؤرخ من كبار علماء الحنفية ومؤلف «عجائب المقدور في نوائب تيمور»؛

ترجمته في الضوء اللامع ٢/١٢٦ـ١٢٧ ونظم العقيان للسيوطي ٦٣، وهو غير ابن عربشاه: «عبد الوهاب» فإنه ابن الأول، وكلاهما معروف بابن عربشاه وعبد الوهاب هو مؤلف «الإرشاد المفيد لخالص التوحيد» (٩٠١هـ) ترجمته في الضوء اللامع ٥/٩٧، والشذرات ٨/٥ والكواكب السائرة ١/٢٥٧.

(٤) هو تيمور بن طرقاي المعروف بتيمور لنك أي الأعرج كان من كبار الملوك الجبابرة الأكاسرة الظالمين السفاكين الفجرة الجورة، ألف ابن عربشاه في ظلمه وعدوانه =

إلى أن جعلوه وثناً يعبد من دون الله:

(* وقبره في مكانه المشهور * تنقل إليه النذور * وتطلب عنده الحاجات * ويبتهل عنده بالدعوات * وتخضع الملوك إذا مرت به إعظاماً * وربما تنزل عن مراكبها إجلالاً له وإكراماً *)[1].

٢٢ ـ ومن أوضح الحجج على أن أكثر الناس صاروا قبورية لجهلهم بالتوحيد ـ ما ذكره علماء الحنفية:

من أن التتار لما أغاروا على بلاد الشام ـ

كان القبورية يخرجون يستغيثون بالموتى عند القبور، يرجون عندها كشف الضر، ودفع التتار؛

ولذا قال بعض شعراء القبورية:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر[2]

وفي لفظ:

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر

وقد صرح علماء الحنفية بعد ذكر هذه القصة المؤلمة أيضاً:

أن أهل العلم والفضل والفهم ممن كانوا يدركون الأمور ويعرفون الواقع ـ

= كتابه المعروف «عجائب المقدور في نوائب تيمور» وللعقيد محمد أسد بن الصفا كتاب «تيمور لنك» وانظر ترجمته في بدائع الزهور لابن إياس الحنفي ١/٢/٧٠٩-٧١١.

(١) عجائب المقدور ٤٠٨.

(٢) لم أعرفه، ولعله أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة (٦٠٧هـ) صاحب المدرسة العمرية وهو أخو الموفق ابن قدامة صاحب المغني (٦٢٠هـ) والناس نسجوا حوله خرافات حتى جعلوه قطباً، قبره بالصالحية بالشام وجعل وثناً يعبد من دون الله انظر القلائد الجوهرية لابن طولون الحنفي ١/٢٤٨-٢٥٠ و ٢/٥٦١-٥٦٧.

لم يشتركوا أولاً في قتال التتار؛ ولم ينجح القبورية بل التتار غلبوهم لأن القيادة كانت بأيدي القبورية المستغيثين بالأموات،

ولٰكن لما نُصِحوا وقبلوا النصيحة ونُبِّهوا -

انتبهوا،

وأخلصوا الدعاء لله تعالى،

وجاهدوا التتار بقيادة شيخ الإسلام فنصرهم الله تعالى على التتار[1].

لأن الجهاد في المرة الأولى لم تكن فيه فائدة لا دينية ولا دنيوية، لعدم القتال الشرعي[2].

قلت: ما أشبه الليلة بالبارحة؛ إنا لله وإنا إليه راجعون؛

فإن كثيراً من الجهاد في أفغانستان كان بقيادة القبورية؛

ولذٰلك رأيت ما حدث الآن بعد جهاد استمر حوالي خمس عشرة سنة[3]!؟!.

---

(١) انظر أخبار التتار في نهاية الأرب للنويري ٢٧/٣٠١-٣٢٠،

قلت: وتذكرت بهٰذه المناسبة أن التتار كانوا مشركين قبورية وثنية فكانوا يحرقون إذا أغـاروا على البلاد ويحرقون زروعها ولكنهم امتنعوا عن تحريق أراضي الجبال / العراق العجمي لأجل الشيخ عبد القادر الجيلاني. انظر صبح الأعشى ١٤-٤٤٩، فالتتار لم يكونوا يخافون الله ولٰكنهم يخافون الجيلاني!؟!

(٢) انظر جلاء العينين لنعمان الآلوسي ٤٨٥-٤٨٦ وغاية الأماني ٢/٣٤٤ وأصل الكلام لشيخ الإسلام في تلخيص كتاب الاستقامة المعروف بالرد على البكري ٣٧٦-٣٧٧.

(٣) أقول: لا يفهم من هٰذا أننا نطعن في الجهاد الأفغاني؛

فإن أهـل التوحيد أعظم الناس جهاداً بالمال والنفس واللسان والبنان والسنان في أفغانستان وغيرها؛ بل القصد أن كل عمل إذا لم يكن على طريقة السلف لا يثمر ثمرة طيبة =

٢٣ ـ وبهٰذه المناسبة أذكر ما ذكره الشيخ عبد الرزاق البيطار الحنفي رحمه الله (١٣٣٥هـ)[١]:

من أن جنود الفرنسيين والإفرنج حينما أغاروا على مصر صاح المحاربون في المسلمين وصرخوا مستغيثين بغير الله مع الله:

(يا رب يا لطيف، ويا رجال الله، ونحو ذٰلك)؛

٢٤ ـ وعلق عليه حفيده الشيخ محمد بهجت البيطار[٢] بقوله:

(قال تعالى: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ [الجن: ١٨]،

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**﴾ [النمل: ٦٢]. . .)[٣].

قلت: يظهر من هٰذا وأمثاله أن الشرك والقبورية والوثنية تموج أمواجاً *

حتى صار المنهل العذب ملحاً أجاجاً *

٢٥ ـ وبهٰذه المناسبة تذكرت ما ذكره الكوثري أحد أئمة القبورية

= بل يكون الأمر بالعكس كما في أفغانستان! ففي كلام شيخ الإسلام، ثم كلام الآلوسيين عبرة للأفغانيين وغيرهم من المجاهدين!

(١) هو ابن حسن بن إبراهيم الدمشقي، كان مولعاً بكتب شيخ الإسلام وابن القيم والنواب صديق بن حسن ملك بوبال وكان سلفي العقيدة راجع ترجمته في تاريخ علماء دمشق ١/٣٤٠ والأعلام للزركلي ٣/٣٥١ ويبدو لي أنه حنفي المذهب؛ لأنه درس الفقه الحنفي انظر مقدمة كتاب حلية البشر لحفيده محمد بهجة البيطار ٩ وانظر ترجمته أيضاً في معجم المؤلفين السوريين ٧٥.

(٢) هو ابن محمد بهاء الدين بن عبد الرزاق البيطار من كبار علماء دمشق ومن أعضاء مجمع اللغة العربية ترجمته في معجم المؤلفين السوريين لعبد القادر عباس ٧٥-٧٦.

(٣) حلية البشر ١/١١١.

ورافـع لواء الجهمية وشيخ عصبـة المتعصبة المقلدة الحنفية والوالغ في أعراض الأئمة [1]:

من أن أرض الشام يحرسها من الآفات والبلايا ـ

أربعة من الأولياء الذين يتصرفون في قبورهم [2].

انظر أيها المسلم إلى هٰذا الكفر البواح والشرك الصراح الذي ارتكبه قبورية الشام!؟!.

٢٦ ـ ٢٧ ـ وقال الإمام المجاهد إسماعيل الدهلوي الملقب عند الحنفية بالشاه الشهيد (١٢٤٦هـ) وتبعه الشيخ أبو الحسن علي الندوي مبينين استفحال الشرك بعبادة القبور وأهلها في البلاد الهندية، محققين أن أكثر الناس هم أهل الشرك بالله تعالى:

واللفظ للثاني:

(استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس:

اعلم أن الشـرك قد شاع في النـاس في هٰذا الزمان وانتشر. . .،

مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة:

ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس ـ

يستعينون بالمشائخ والأنبياء والأئمة والشهداء. . .،

تقليد جهال المسلمين للمشركين القدامى:

والحاصل أنه ما سلك عباد الأوثان في الهند طريقاً مع آلهتهم ـ

إلا وسـلكـه الأدعياء من المسلمين مع الأنبياء والأولياء والأئمـة

---

(١) انظر كتابي الكبير الماتريدية ١/٣٤٤-٣٦٥، إن كنت تريد معرفة هٰذا الوالغ المبالغ.

(٢) مقالاته ٣٤٣.

والشهداء والملائكة والجنيات، واتبعوا سنن جيرانهم من المشركين شبراً بشبر،

وذراعاً بذراع، وحذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل[1].

فما أجرأهم على الله!

وما أبعد الشقة بين الاسم والمسمى والحقيقة والدعوى، وصدق الله العظيم، إذ قال في سورة يوسف (١٠٦):

﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾[2].

٢٨ ـ وله مبحث مهم وتحقيق حقيق عميق في عودة الوثنية الأولى والجاهلية الجبلاء في كثير من المنتسبين إلى الإسلام بل أكثرهم[3].

٢٩ ـ وتبعه في ذلك الشيخ أبو الحسن الندوي[4].

٣٠ ـ ٣١ ـ وقال الإمام محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ) وتبعه ابنه نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ) مبينين حال القبورية العراقية وغيرهم واللفظ للأول:

(إن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله من الأولياء:

الأحياء منهم والأموات:

مثل يا سيدي فلان! أغثني.

وليس ذلك من التوسل المباح في شيء...)[5].

وقالا واللفظ للأول أيضاً في بيان إشراك القبورية:

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد في ذلك انظر ما سبق في ص ٢٠٩.

(٢) تقوية الإيمان ١٩ ورسالة التوحيد ٢٥-٢٨.

(٣) تقوية الإيمان ٤٥-٤٧.

(٤) رسالة التوحيد ١١٢-١١٧.

(٥) روح المعاني ٦/١٢٨ وجلاء العينين ٥٠٢.

(وأعظم من ذلك: أنهم يطلبون من أصحاب القبور نحو إشفاء المريض وإغناء الفقير ورد الضالة، وتيسير كل عسير)[1].

٣٢ ـ ٣٦ ـ وقال رحمه الله وتبعه العلامتان: ابنه نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ) وحفيده شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) والشيخان الرباطي والرستمي مبينين أن القبورية انتشرت في البر والبحر وأن شرك القبورية أشد وأعظم من شرك الوثنية الأولى:

واللفظ للأول:

(وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جم في بر أو بحر ـ

دعوا من لا يضر ولا ينفع * ولا يرى ولا يسمع *...)[2].

إلى آخر كلامه القامع للقبورية القاطع لدابرهم والقالع لشبهاتهم[3].

٣٧ ـ ٣٨ ـ وقال رحمه الله أيضاً وتبعه الشيخ الغلام الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن (١٩٨٠م) مبينين أن القبورية في كثرتهم الكاثرة أكثر من الدود:

وذلك في تفسير قوله تعالى: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾** [يوسف: ١٠٦].

(إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلاً، وكان مرتكباً ما يعد شركاً كيفما كان،

---

(١) روح المعاني ١٢٧/٦ وجلاء العينين ٥٠٠.

(٢) روح المعاني ٩٨/١١ وجلاء العينين ٥٠٣ـ٥٠٤ وغاية الأماني ٣١٥/٢ـ٣١٦ والكواكب الدرية ٥٠ـ٥١ه والتبيان ١٠٥ والتنشيط ٤٣ـ٤٤.

(٣) كما سيأتي كاملاً بنصه وفصه إن شاء الله تعالى في ص ١١٧٢ـ١١٧٤.

ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها،

وهم اليوم أكثر من الدود)[1].

٣٩ ـ وقال رحمه الله مبيناً أن أكثر العوام قد ارتكبوا شركاً أشد من شرك الوثنية الأولى،

وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون**﴾ [النحل: ٥٤]:

(وفي الآية ما يدل على أن صنيع أكثر العوام اليوم:

من الجؤار إلى غير الله... ـ سفه عظيم وضلال جديد، ولكنه أشد من الضلال القديم...)[2].

٤٠ ـ ٤٥ ـ وقال رحمه الله، وتبعه العلامتان: ابنه نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ)، وحفيده شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) والغلام الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن (١٩٨٠م) والشيخان: الرباطي والرستمي، واللفظ للأول، مبينين أن القبورية يرتكبون أنواعاً من الإشراك بالله تعالى، وأنهم مفسدون للدين وضحكة لليهود والنصارى وأهل النحل والدهرية لسفاهتهم:

(وفي قوله تعالى: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً...**﴾ إلخ [الحج: ٧٣] ـ

إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله تعالى حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله، وينذرون لهم النذور...، قاتلهم الله! ما

---

(١) روح المعاني ١٣/٦٧ وجواهر القرآن ٢/٥٤٢.

(٢) روح المعاني ١٤/١٦٦ وسيأتي كلامه أكمل منه في ص ١١٧٣-١١٧٥.

أجهلهم! وأكثر افتراءهم! . . . ، وقد أفسد هٰؤلاء على الناس دينهم، وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة:

من اليهود والنصارى، وكذا لأهل النحل والدهرية)[1].

٤٦ ـ ٤٩ ـ وقال رحمه الله مبيناً كثرة القبورية المستغيثين بالأموات عباد القبور وأهلها بأنواع العبادات، وتبعه العلامتان ابنه نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ) وحفيده شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) والشيخ الرستمي،

وذلك في تفسير قوله تعالى: **﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾** [الزمر: ٤٥]:

(وقد رأينا كثيراً من الناس على نحو هٰذه الصفة التي وصف الله بها المشركين؛

يهشون لذكر أموات، يستغيثون بهم ويطلبون منهم . . .)[2].

إلى آخر كلامه القامع للقبورية القاطع لدابرهم القالع لشبهاتهم[3].

٥٠ ـ وقال رحمه الله راداً على خرافات الغزالي حجة إسلام الصوفية والقبورية والأشعرية الجهمية (٥٠٥هـ)[4]، والرازي فيلسوف الأشعرية وأحد أئمة الجهمية المعطلة المشككة الغلاة (٦٠٦هـ)[5]، مبيناً كثرة

---

(١) روح المعاني ١٧/٢١٢-٢١٣ وجلاء العينين ٤٩٠ و ٥٠٣ وغاية الأماني ٢/٣١٢ وجواهر القرآن ٢/٧٤٨ والكواكب الدرية ٥٩ وتنشيط الأذهان ٤٣.

(٢) روح المعاني ٢٤/١١ وجلاء العينين ٤٨٩-٤٩٠ وغاية الأماني ٢/٣١٤-٣١٥ والتبيان ١١٠-١١١.

(٣) سيأتي كاملاً بنصه وفصه وحرفه إن شاء الله تعالى في ص ١١٧٥-١١٧٧.

(٤) راجع كتابي الكبير الماتريدية ٢/٥٢-٥٣، لترى عجباً!؟!

(٥) انظر المرجع السابق ٢/٥٤-٥٨، لتعرف حقيقة هٰذا الرازي وأمثلة من إلحاده وتخريفه وخرافاته!؟!

القبورية سخفة العقول:

وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فالمدبرات أمراً﴾ [النازعات: ٥]:

(وكذا في حملها على النفوس الفاضلة المفارقة ـ

إيهام صحة ما يزعمه كثير من سخفة العقول:

من أن الأولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وإنقاذ الغريق والنصر على الأعداء وغير ذلك مما يكون في عالم الكون والفساد، على معنى أن الله فوض إليهم ذلك، ومنهم من خص ذلك بخمسة،

والكل جهل، وإن كان الثاني أشد جهلاً)[1].

٥١ ـ وقال العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) مبيناً أن القبورية قد عمت البلاد * وطمت العباد * إلا من رحمه رب العباد *،

ولا سيما بلاد اليمن، أما بلاد الهند ونحوها فالأمر فيها أطم وأعم:

(ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالاً ـ

فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الأقطار اليمانية[2]؟:

من قولهم:

«يا ابن العجيلي»[3]، «يا زيلعي»[4]، «يا ابن علوان»[5]، «يا فلان»،

---

(١) روح المعاني ٢٥/٣٠.

(٢) في الأصل: «اليمنية» وهو غير فصيح.

(٣) هو أحمد بن موسى اليماني (٦٨٤هـ)، لقد نسجت القبورية له كرامات عجيبة وتصرفات في الكون غريبة، إلى أن قالوا: إنه قد وصل إلى درجة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقالوا: كان الناس يزدادون نوراً بزيارة الكعبة ولكن الكعبة تزداد نوراً بزيارته. وقبره جعل وثناً يعبد من دون الله. ترجمته في جامع كرامات النبهاني ٥١٧/١ـ٥٢٠.

(٤) لم أعرفه.

(٥) هو أحمد بن علوان أبو العباس الصوفي اليماني (٦٦٥هـ) سجلوا له كرامات =

«يا فلان»؛ هل ينكر هٰذا منكر؟ ويشك فيه شاك؟

وأما ما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم! ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه، وفي كل مدينة جماعة منهم، حتى أنهم في حرم الله ينادون: «يا ابن عباس»[1]، «يا محجوب»[2]! فما ظنك بغير ذلك؟

فلقد تلطف إبليس وجنوده ـ أخزاهم الله تعالى ـ لغالب أهل الملة الإسلامية بلطفة تزلزل الأقدام عن الإسلام،

فإنا لله وإنا إليه راجعون)[3].

٥٢ ـ وقال العلامة نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ) مشتكياً حال القبورية وإفراطهم وانتشارهم في هٰذا الزمان * وارتكابهم للشرك في كل مكان *:

(وقد تعاظم الأمر في هٰذه الأزمان * وظهرت البدع في كل مكان * وبنيت القبب المذهبة على القبور * ونذرت لها النذور * وجعلت عليها الشبابيك من العين * وسرجت عليها السرج وقناديل اللجين * ووضعت عليها الأسلحة المجوهرة * وصرفت على سدنتها وبنائها القناطير

= ومكاشفات، وعلم بعدة لغات له ديوان شعر، ترجمته في طبقات الخواص للزبيدي ١٩-٢٠ ط القديمة و ٦٩-٧١ محققة والأعلام للزركلي ١/١٧٠، ومعجم المؤلفين لعمر رضا ١/٣١٤.

(١) هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقيه هٰذه الأمة ومفسر كتاب الله تعالى (٦٨هـ) قبره بالطائف جعلته القبورية وثنا يعبدونه من دون الله!؟! وذكر العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) أن رجلاً قال لصاحبه أن أهل الطائف لا يعرفون الله وإنما يعرفون ابن عباس! فقال الآخر ـ وهو ممن ينتمي إلى العلم ـ: معرفتهم لابن عباس كافية، لأنه يعرف الله! وذكر كفريات أخرى انظر غاية الأماني ١/١٠٥.

(٢) لم أعرفه.

(٣) صيانة الإنسان ١٦٨، وأصل الكلام للإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ) في الدر النضيد ٢٠ وضمن الرسائل السلفية ١٦٥.

المقنطرة * وطاف حولها الزائرون * وتبرك بتقبيلها والتمسح بأعتابها الداخلون * وطلبوا منهم قضاء الحاجات * وتفريج الكربات * وجعلوا ذلك من أعظم الطاعات * ورموا من زجرهم عن هذا الفعل الشنيع بأعظم الهنات * وأسمعوه ما يكره من الكلمات * ...، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[1].

٥٣ ـ وقال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢ هـ) بعد ما ذكر عقائد المشركين السابقين وبعض أنواع الشرك الأكبر مبيناً أن القبورية عمت البلاد * وطمت العباد * إلا من شاء الله:

(وهذا الجهل قد عمت به البلوى في زمن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، وقبله وبعده، كما قال في الكافية الشافية:

ولقد رأينا من فريق يدعي الـ
إسلام شركاً ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم[2] وَسَو
ووهم[3] به في الحب لا[4] السلطان[5]

---

(١) جلاء العينين ٥٢٢.

(٢) في فتح المنان: (ولوهم) وهو غلط والتصحيح من النونية.

(٣) في فتح المنان: (وساووهم) والذي أثبت فهو من النونية.

(٤) في فتح المنان (والسلطان) وهو غلط مفسد للمقصود، وكذب في نفسه والتصحيح من النونية.

(٥) النونية ١٥٨، وانظر شرحها توضيح المقاصد ٢/٢٦٥ وشرح هراس ٢/١٢٧ وبعدهما:

والله ما ساووهم بالله بل ... زادوا لهم حباً بلا كتمان
وإذا ذكرت الله توحيداً رأيـ ... ـت وجوههم مكسوفة الألوان

إلى آخر الأبيات)[1].

٥٤ ـ وقال رحمه الله مبيناً أن القبورية عمت وطمت حتى ابتلي بها كثير مـن العلماء فضلاً عن العوام والصوفية:

(وقد رأيت ـ والله! ـ بعيني رأسي من سجد للأعتاب * معرضاً عن رب الأرباب *، ولا أقول: إن العوام فقط على هٰذا المنوال * فكم قد رأينا وسمعنـا عمن يدعي العلم قد فعل هٰذه الفعال *، وأما من ينتسب إلى طريقة من الطرائق الكثيرة ـ

فعنـده: أن الاستمـداد من روحـانية المشائخ والاستغاثة بهم من الواجبات الشهيرة؛

فلا حفظ الله لهم حريماً * ولا صان لهم أديماً *

نسأله أن يطهر الأرض من أمثالهم * ويريح المسلمين من كفرهم وإضلالهم *)[2].

٥٤ ـ وقـال رحمـه الله بعد ذكر فضائح القبورية وشركياتهم، وأن القبورية قد صنعوا ما صنع اليهود والنصارى والمشركون من عبادة القبور وأهلها،

مبيناً أن القبورية قد عمت البلاد * وطمت العباد * إلا من عصمه

= بل ينظرون إليك شزراً مثلما   نظر التيوس إلى عصا الجوبان

وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم   يتكـاشـرون تكـاشـر الفـرحـان

والله ما شمـوا روائح دينـه   يا زكمـة أعيـت طبيـب زمـان

النونية ١٥٩ وتوضيح المقاصد ٢/١٦٦ وشرح هراس ٢/١٢٩، وفيها: (يتباشرون تباشر) ولعل الصواب ما أثبت.

(١) فتح المنان ٣٩٥-٣٩٦.

(٢) فتح المنان ٤٩٣.

رب العباد *:

(وقد عم هٰذا البلاء جميع بلاد المسلمين إلا ما ندر وقل، ولا ينجح الإنكار على ذٰلك شيئاً، بل ربما أوقعوا المنكر في مهاوي الهلكة، وبدعوه وضللوه)[1].

٥٥ ـ وقال رحمه الله بعد ذكر فضائح القبورية مبيناً كثرة القبورية العراقية،

وأنهم على طريقة إخوانهم من المشركين الأولين، بل أشنع شركاً منهم:

(ومن ذهب إلى مشاهد أهل البيت وغيرهم من الأولياء في بغداد في مواسم الزيارات ـ

تحقق ما ذكرناه، واستقل بالنظر إلى فعل هٰؤلاء ما كان يفعله المشركون عند آلهتهم، كاللات والعزى)[2].

٥٦ ـ وقد ذكر رحمه الله تعالى حديث:

«لتتبعن سنن من كان قبلكم. . .»[3].

ثم قال:

(فلا بد أن يكون الذين يحذون حذوهم ـ

هم من بدل وغير وابتدع وحرف وحاكى الذاهبين الأولين في أفعالهم وأعمالهم.

من بناء المشاهد والمساجد على قبور صالحيهم، وندائهم في

---

(١) فتح المنان ٥١٥.

(٢) فتح المنان ٤٩٣.

(٣) سبق تخريجه في ص ٤٥٦.

المهمات والملمات، وغير ذلك مما كان يفعله اليهود والنصارى والمشركون. . .).

إلى آخر كلامهم الطيب المكذب للقبور القاطع لدابرهم القامع لدينهم والقاطع لشبهاتهم[1].

٥٧ ـ وله رحمه الله كلام مهم في شرح الحديث المذكور وتحقيق عميق لإثبات أن دولة القبورية قد عادت فشب على الشرك الصغير وشاب عليه الكبير واتبعوا سنن اليهود والنصارى والمشركين إلى آخر كلام يقطع دابر القبوريين[2].

٥٨ ـ ولقد ذكر رحمه الله أن الجماهير من الناس ابتلوا بالشرك الأكبر من عبادة القبور وأهلها أنواعاً من العبادة.

ثم ذكر عجائب من كفريات القبورية وشركياتهم، وهي أمثلة تدل على أن من أهل اليمن والمغرب والعراق ومصر وغيرها قبورية وثنية[3].

٥٩ ـ وله رحمه الله كلام آخر مهم جدّاً يحقق أن غالب الناس شرق الأرض وغربها قبورية تصديقاً لقول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»

فأصبح الدين منهم في أنين * والإسلام في بلاء مبين، وحسبنا الله ونعم الوكيل[4].

٦٠ ـ وله رحمه الله كلام في غاية الأهمية في تحقيق أن القبورية

---

(١) غاية الأماني ١/١٩ـ٢٠.

(٢) غاية الأماني ١/٣٠٧ـ٣٠٨.

(٣) غاية الأماني ١/١٠٤ـ١٠٨.

(٤) رسائل الجاهلية ٢٥ـ٢٦.

على عين ما كان عليه المشـركون السابقون: من قولهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى[1].

ولقـد تألم الشيخ مسعود الندوي (١٣٧٣هـ)[2]: جدّاً مشتكياً إلى الله تعالى فساد عقائد المسلم في العالم الإسلامي كله.

مبينـاً: أن أكثـر المسلمين في العـالم قد عبـدوا القبور بأنواع من العبادات بل قد عبدوا الأشجار والغارات، وقد ارتكبوا أنواعاً من الإشراك بالله تعالى.

حتى تمكنت العقائد الوثنية في قلوبهم، ووقعوا في سفاهات ليسخر منهم بسببها الكفار المستشرقون إلى آخر ما ذكره من الوثنيات القبوريات[3].

٦١ ـ وقال العلامة الخجندي رحمه الله (١٣٧٩هـ).

بعـد أن حقق أن الاستغـاثـة بالأمـوات * عنـد الكـربـات وإلمام الملمات * من أعظم العبادات * وأكبر الشركيات * مبيناً أن أكثر أهل بلاد

(١) فتح المنان ٤٨١.

(٢) هو من كبار علماء الحنفية الديوبندية الندوية الهندية الباكستانية، كان متعصباً إلى الغاية على طريقة الكوثري للحنفية.

ولكنـه تتلمـذ على العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي فتحصن كثيراً من أغراضه التقليدية وأغراضه المذهبية.

وألف كتابه المعروف «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» ولكنه مع ذلك كله لم يزل حنفياً.

وكان على الطريقة الإخوانية المودودية في السياسة والإصلاح.

ترجمة في الأعلام للزركلي ٧/٢٢١ ومعجم المؤلفين لعمر رضا ١٢/٢٣٢ ومقدمة العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي لكتابه: «محمد بن عبد الوهاب...» ٦-٨.

(٣) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ٣١-٣٤.

ما وراء النهر والبلاد التركية وبخارى والبلاد الهندية والبلاد الأفريقية ـ قبورية:

(فعلى كل طالب للحق بمطالعة تلك الكتب (كتب شيخ الإسلام وكتبه هو)، ولا يكن كأكثر البخاريين والهنديين والأتراك والأفريقيين، عباداً لأهل القبور والأرواح.

فإنهم بهذا الاعتقاد مشركون، ولا ينفعهم عند الله دعوى الإسلام[1]، أو المجاورة في الحرمين، إلا إذا تابوا وأصلحوا وبينوا. . .)[2].

٦٢ ـ ولقد ذكر رحمه الله عدة أسباب لعودة الوثنية الأولى وانتشار القبورية في العالم[3].

٦٣ ـ كما ذكر عدة قبور في العالم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً جعلت أوثاناً تعبد من دون الله، فانتشر الشرك والقبورية بأوسع ما يكون في العباد والبلاد، من بخارى، وسمرقند، وتركستان، وخجند، وكاشغر، وكربلاء، ودمشق، والقاهرة، وطنطا، وقونية، وغيرها[4].

٦٤ ـ وقال رحمه الله بعد ذكر مفاسد اتخاذ القبور مساجد في كلام قيم متين رصين، مبيناً كثرة القبورية في جميع العالم:

(وكم نشأ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام.

---

(١) أي إذا أقيمت عليهم الحجة وصحت لهم الحجة.

(٢) تمييز المحظوظين ١٦٥-١٦٦.

(٣) مفتاح الجنة ١١-١٥.

(٤) مفتاح الجنة ٣٣.

منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظموها، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقصداً يطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب. . .، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا، وهكذا في جميع أنحاء العالم الإسلامي عموماً، وفي المدينة عند قبر الرسول ﷺ خصوصاً، وبالجملة: أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. . .) إلى آخر كلامه القيم[1].

٦٥ ـ وقال رحمه الله:

(والعبد الضعيف في زياراتي الأربع للمدينة الطيبة قد أمعنت النظر فشاهدت في المسجد النبوي وعند قبره الشريف ما يضاد الإيمان ويهدم الإسلام، ويبطل العبادات:

من الشركيات والوثنيات * الصادرة من الغلو وتراكم الجهالات *)[2].

٦٦ ـ وقال رحمه الله مشتكياً إلى الله تعالى مبيناً أن غالب أهل بلاد بخارى وأفغانستان، والهند وأجمير، وبغداد ومصر، والشام وغيرها، قبورية يرتكبون الشرك الأكبر بالله تعالى:

(قلت: في هذه الآثار والأحاديث عبرة لمن اعتبر: أن تعظيم القبور وأصحابها، والعكوف عليها والتوجه إليها، والاستمداد منها ـ

هو أصل الشرك.

فما يفعله الجهلة، بل من هو في زي الصالحين ولباس أهل العلم:

---

(١) المشاهدات المعصومية ٢٧ـ٢٨.

(٢) المرجع نفسه ٧.

من العكوف على القبور والتوجه إليها والنذر لها والاستمداد منها، كغالب أهل بخارى، وأفغانستان، والهند، . . . ، وأجمير[1]، وبغداد، ومصر، ودمشق وغيرها ـ

فمصيبة عظيمة وبلاء جسيم موجبة لمقت الله وغضبه)[2].

٦٧ ـ وقد تألم رحمه الله جدّاً مشتكياً إلى الله تعالى لأجل أن جمهرة الناس في البلاد الروسية، وما وراء النهر، وبخارى والتركستان، وأفغانستان، والصين، وعامة بلاد الهند قبورية يحجون إلى قبور المشائخ ويطوفون لها، وينذرون لهم النذور ويعتقدون فيهم أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يتعرفون في الكون وأنهم حراس البلاد، إلى غير ذلك من الوثنيات والكفريات والشركيات[3].

٦٨ ـ وقد ذكر رحمه الله ـ مبيناً كثرة القبورية في بلاد ما وراء النهر، والروسية وتركستان وبخارى، والبلاد الروسية ـ:

أن سبب غلبة البلاء الأحمر السوفييت على هذه البلاد إنما هو الشرك وعبادة القبور، ثم حذر رحمه الله أهل الهند بقوله:

يا أهل الهند! إني أخاف أن ينزل الطوفان الأحمر (السوفييت) عليكم وعلى بلادكم بسبب عبادة القبور وأهلها، فعليكم أن تستيقظوا من رقدتكم وتنتبهوا من غفلتكم وتوبوا إلى ربكم[4].

٦٩ ـ وقال ابن آصف الفنجفيري (١٤٠٧هـ) الملقب عند الحنفية

---

(١) مدينة عظيمة في الهند. انظر ص ٦٣١-٦٣٢، ١١٤١.

(٢) حكم الله الواحد الصمد ٣٤.

(٣) حكم الله الواحد الصمد ٥٠.

(٤) حكم الله الواحد الصمد ٣٠-٣١.

بشيخ القرآن مبيناً أن القبورية قد عمت البلاد والعباد إلا من رحمه ربك:

(وقلما تجد بلدة إلا ولها آلهة تعبد وتستغاث[1] بهم ويعتقدون[2] أهلها فيهم أنهم[3] يتصرفون فيها، جعلوهم للنصر، والرزق والأولاد، ودفع الضر، وينذرون لهم.

وقد امتلأت بلاد الأفاغنة[4] (أفغانستان وما والاها) منها، حتى جعلوا الأعباد[5]، والعروس[6] على قبورهم في كل سنة وكل شهر وخميس وأحد، وغير ذلك من الأيام.

فلذا قال الإمام ولي الله الدهلوي:

وما من بلدة إلا ولها آلهة تعبد.

---

(١) هٰكذا في الأصل وهو غلط والصواب: «وليستغاث بهم».

(٢) هٰكذا في الأصل وهو غلط والصواب: «ويعتقد أهلها».

(٣) هٰكذا في الأصل وهو خطأ والصواب: «أنهم».

(٤) جمع الأفغان أو الأفغاني، ولعل الأولى: «الأفاغين»، جمع «الأفغان»، نحو «الأفاعيل» جمع «الأفعال» و «الأقاويل» جمع «الأقوال»؛

لا «الأفاعل» جمع «الأفعل» كالأكارم جمع الأكرم، أو جمع «الأفعلي» كالأجانب «جمع الأجنبي»، أو جمع «الفِعلى» كالأكاسرة جمع كسرى، ونحوها، وأما «الأفغانيون» «جمع الأفغاني» فهو قياس لأنه جمع سالم،

والصواب؛ أن يقال: «الأفغان» بدون صيغة الجمع؛ لأنه جمع معنى، نحو «العرب»، و «العجم»، و «البربر»،

والنسبة: «الأفغاني»، و «العربي»، و «العجمي»، و «البربري»، و «التركي».

(٥) هٰكذا في الأصل، والصواب: (جعلوها أعياداً).

كما ورد: «لا تجعلوا قبري عيداً» ولم يقل: «لا يجعلوا على قبرى عيداً» ولم يقل أيضاً: «لا يجعلوا العيد على قبري»!؟!

(٦) هٰكذا في الأصل، والصواب: «الأعراس».

فلذا ابتلوا بأنـواع من الشرك، ولا سيما بالشرك الفعلي، ذكره في كتابه البدور البازغة[1] ١٦٩)[2].

٧٠ ـ ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي مبيناً حالة جمهرة المسلمين في عهدشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله،

كانت العقـائد الشركية قد نالت رواجاً بين عامة المسلمين بسبب اختـلاطهم مع أصنـاف من المشـركين ونفـوذ الـدولـة الفاطمية الباطنية الإسماعيلية وانتشار الصوفية.

فكانوا يحملون من العقائد الشركية في الأولياء والصالحين والمشايخ ـ

ما كان يعتقده اليهود والنصارى والمشركون:

من الطواف حول القبور والاستغاثة بأصحابها، والحج إليها، وبناء المساجد الفخمة عليها وعقد المهرجانات عليها عاماً مقاماً، والنذور إلى القبور، وقد عمت وطمت هٰذه العقائد إلى أن جعلوا الميت كالإلٰه، والشيخ الحي كالنبي، وكانوا قد عزلوا الله تعالى عن أن يتخذوه إلهاً، وعزلوا النبي ﷺ عن أن يكون رسولاً، وارتكبوا ما كان محض دين المشركين والنصارى، وقد وصلوا في عبادة القبور والسجود إليها ودعاء أصحابها وجعل القبور قبلة وكعبة ـ

---

(١) لم أجد هٰذه العبارة ولا قريباً منها في النسختين من البدور البازغة والذي في البدور البازغة في ص ١٦٩، قد سبق أن ذكرت نصه في ص ٣٦٣، كما أنه ليس فيه ذكر الشرك الفعلي!؟

فلا أدري من أين نقـل هٰذا الرجل هٰذا النص!؟! فالعهدة عليه، وقد سئمت من أخطاء هٰذا الرجل: العربية، والعلمية، اللفظية، والمعنوية.

(٢) العرفان ٢٢-٢٣.

إلى حد كان هٰؤلاء القبوريون المشركون بالقبور ـ

يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجده أحدهم في مساجد الله.

إلى أن كان الفسقة الفجرة أصحاب الكبائر من هٰؤلاء القبورية لا يتحاشون الكبائر.

ولكن إذا رأوا الميت أو الهلال فوق رأس قبة القبر المعبود خشوا من فعل الفواحش، فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون خالق الأكوان، وكانوا يحلفون بالله بالكذب ولا يحلفون بالميت كذباً،

فكانوا في الشرك كما كان قوم إبراهيم حيث قال لهم: **﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾** [الأنعام: ٨١].

وكان بعضهم يفضل شيخه على الأنبياء والمرسلين ويعتقد فيه الإلٰهية كالنصارى إلى غير ذٰلك في الكفريات والشركيات التي تدل على أن القبورية الوثنية قد عمت العباد وطمت البلاد إلا من شاء الله تعالى[١].

٧١ ـ ولقد ذكر الشيخ محمد يوسف الهندي[٢] تاريخ الوثنية القديمة وعقائد المشركين الأولين، ثم ذكر أن الشرك قد عم وطم بعبادة القبور وأهلها في هٰذه الأمة إلا من رحمه الله، وذكر أنواعاً من الإشراك الأكبر المخرج عن الملة ـ

التي يرتكبها القبورية.

بحيث عادت الجاهلية الأولى والوثنية الخرقاء إلى أن حصل الأمر

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام ٢/١٧١-١٨٤.

(٢) أمير الجماعة الإسلامية بالهند من الحنفية المعاصرة.

بهم أنهم صاروا أشد شركاً من المشركين السابقين، لأن السابقين كانوا لا يدعـون الإلـه عنـد الكـربـات وأما هؤلاء القبورية فيدعون غير الله عند الكربات فهم أضل من الكفار السابقين.

وقال: (وإذا عرفت هذا فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر. . .)[1].

٧٢ ـ (وهذا ملأ البر والبحر وشاع وذاع.

حتى أن كثيراً ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار. . .)[2].

٧٣ ـ ولقد اعترف الشيخ أحمد بن محمد الصديق الغماري أحد مشاهير القبورية بوجود الشرك الأكبر والكفر الصراح في القبورية مبيناً حالة القبورية المغربية، فقال:

(إن كثيراً من العوام بالمغرب ينطقون بما هو كفر في حق الشيخ عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ)، وكذلك نرى بعضهم يفعل ذلك مع من يعتقده من الأحياء، فيسجد له، ويقبل الأرض بين يديه في حال سجوده، ويطلب منه في تلك الحال الشفاء والغنى والذرية ونحو ذلك مما لا يطلب إلا من الله تعالى.

وإن عندنا بالمغرب من يقول في ابن مشيش (٦٦٢هـ)[3]: أنه الذي

---

(١) الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن كتاب: بحوث أسبوع الشيخ ٢/٢٦١-٢٦٢.

(٢) المرجع السابق ٢/٢٦٨-٢٦٩.

(٣) هو عبد السلام بن مشيش صاحب «الصلاة المشيشية» صوفي مغربي يعبده كثير من أهل المغرب حتى جعلوه خالقاً ورباً حتى باعتراف الغماري القبوري ترجمته في جامع الكرامات للنبهاني ٢/١٦٧-١٦٨، والأعلام للزركلي ٤/٩ والطبقات الشاذلية للفاسي ٥٨-٥٩.

خلق الابن والدنيا.

ومنهم من قال ـ والمطر نازل بشدة ـ: يا مولانا عبد السلام! الطف بعبادك. فهٰذا كفر[1].

قلت: الحمد لله، وله المنة على إتمام الحجة وإيضاح المحجة، فقد اعترف هٰذا الغماري أحد أئمة هٰؤلاء القبورية، بأن الشرك الصراح والكفر البواح قد وجدا في القبورية إلى حد جعلوا ابن مشيش رباً وخالقاً...

وبعد هٰذا أقول:

هٰذه كانت عدة نصوص لعلماء الحنفية وفي آخرها خاتم من شهادة ذٰلكم الغماري القبوري في وجود الشرك الأكبر في القبورية حتى في توحيد الربوبية فضلاً عن توحيد الألوهية.

وهي تكذب دعوى القبورية في إنكار وجود الشرك وتعمهم وتغلق شبهاتهم.

والآن ننتقل إلى مقارنة علماء الحنفية للقبورية بالوثنية الأولى وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق.

* * * * *

---

(١) إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور ٢١-٢٢.

المبحث الثاني

في جهود علماء الحنفية

في المقارنة بين القبورية الحديثة وبين الوثنية القديمة

١ ـ لقد قام كثير من علماء الحنفية بالمقارنة والمقابلة بين القبورية الوثنية الحديثة في هٰذه الأمة وبين الوثنية القديمة من المشركين السابقين، فحققوا أن كلاً منهم أهل الشرك وأن القبورية الحديثة على طريقة الوثنية القديمة في الشرك وعبادة غير الله، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة والشبر بالشبر[١].

٢ ـ وقد سبق كثير من نصوص علماء الحنفية في ذٰلك أيضاً[٢].

٣ ـ وسيمر بالقارىء الكريم كثير من نصوصهم في ذٰلك أيضاً إن شاء الله تعالى[٣].

٤ ـ بل للحنفية تحقيقات بديعة في أن القبورية الحديثة أشد شركاً من الوثنية القديمة[٤].

---

(١) انظر حجة الله البالغة ١/١٨٧ الطبعة المحققة، روح المعاني ١١/٩٨ و ١٤/١٦٦ وجلاء العينين ٤٤٨ وصيانة الإنسان ١٥٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٨، وفتح المنان ٤٨١-٤٨٢، وعقد اللآلىء والدر ٤٠-٤١.

(٢) راجع ما سبق ص ٤٥٥-٤٥٧.

(٣) انظر ما سيأتي في ص ٤٩٣-٥٠٧.

(٤) انظر بحث الاستغاثة بغير الله في ص ١١٧١-١١٩٧.

٥ ـ وأن القبورية الحديثة أعظم خوفاً وعبادة للقبور وأهلها منهم عند الكربات * لرب البريات وخالق الكائنات(١).

وذلك بعرض علماء الحنفية لعقائد المشركين السابقين وأنهم كانوا معترفين بتوحيد الربوبية وإنما كان إشراكهم باستغاثتهم بآلهتهم والنذور لهم وجعلهم وسائط بينهم وبين الله(٢).

بل صرح علماء الحنفية: بأن الشرك والقبورية قد عما وطما إلى حد ـ.

لـم يقتصرا في العوام والطغام فحسب بل سريا في كثير من أهل العلم والفضل والعقل والزهد والفقه وهم لا يشعرون(٣).

٦ ـ فوصل الأمر إلى أن:

(تعذر على العارفين الأمر بالعرف * وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف)(٤).

(حتى نسج العالم الخبير على فيه من السكوت اللثام * وترك الأمر بالمعروف خوفاً من اللئام *)(٥).

---

(١) راجع ما سيأتي مفصلاً في ص ١١٩٩-١٢٢٩.

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٣٢، وما سيأتي إن شاء الله في ص ١٢٨٩-١٣٠٢.

(٣) انظر روح المعاني ١٧/٢١٢ وجلاء العينين ٤٦٠، ٤٨٥ وغاية الأماني ١/١٠٥، ٢٩٨ و٢/٣٤٤، ٣٤٨ وفتح المنان ٤٩٣ وحكم الله الواحد الصمد ٣٤، ومئة المسائل ٦٨ للشاه إسحاق.

(٤) انظر روح المعاني ١١/٩٨ لمحمود الآلوسي.

(٥) جلاء العينين ٤٦٠ لنعمان الآلوسي، وفي الأصل: «لئام» وهو غلط وانظر أيضاً فتح المنان ٤٩٢-٤٩٣ و٥١٥ وغاية الأماني ١/٤٩-٥٠ و٣٠٧ لشكري الآلوسي ومفتاح الجنة ١٤، للخجندي.

٧ ـ الحاصل: أن القبورية أهل الشرك صدقاً وهم وثنية حقاً، عباد الأوثان بلا شك، عبد الأنصاب بلا امتراء، وأنهم أتباع المشركين الأولين بلا ريب، وأن الشرك الأكبر الصراح موجود واقع فيهم، وبعد ما عرفنا ذلك ننتقل إلى المبحث الثاني، لأذكر جواب علماء الحنفية عن شبهة القبورية التي تشبثوا بها في عدم وقوع الشرك في الأمة.

* * * * *



المبحث الثالث

في جهود علماء الحنفية في الجواب عن شبهة القبورية التي تشبثوا بها في إنكار وجود الشرك في هذه الأمة

لقد سبق أن ذكرت عدة شبهات للقبورية وسقت أجوبة علماء الحنفية عنها، منها شبهتهم في تعريف التوحيد(1).

ومنها ست شبهات لجعلهم توحيد الألوهية عين توحيد الربوبية(2).

ومنها أربع عشرة شبهة لزعمهم أن المشركين كانوا مشركين في توحيد الخالقية والرازقية والمالكية والربوبية(3).

ومنها شبهة في تعريف العبادة(4).

ومنها شبهة في حصرهم للعبادة في عدة أعمال(5).

ومنها شبهة في عدم جعل القبور أوثاناً(6).

وقد سبق جواب الحنفية عنهما فصار كأن لم يعن بالأمس، بحمد الله وتوفيقه.

---

(1) انظر ص ٩٣-٩٦.

(2) راجع ص ٢٢٩-٢٤٣.

(3) مرت في ص ٢٤٥-٢٨٦.

(4) انظر ص ٢٨٩-٢٩٦.

(5) راجع ص ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٢٩-٣٣٠.

(6) مرت في ص ٤٢٨-٤٣٨.

وللقبورية شبهات كثيرة سأذكرها مع أجوبة علماء الحنفية عنها إن شاء الله تعالى:

منها ما يتعلق بالشرك[1].

ومنها ما يتعلق بعلم الغيب[2].

ومنها ما يتعلق بالتعرف في الكون[3].

ومنها ما يتعلق بالاستغاثة بالأموات[4].

ومنها ما يتعلق بسماع الأموات[5].

ومنها ما يتعلق بالحياة البرزخية[6].

ومنها ما يتعلق بالتوسل[7].

ومنها ما يتعلق بالنذر للقبور[8].

وغيرها من الشبهات القبورية الوثنية[9].

وفي هٰذا المبحث أذكر أولاً شبهة القبورية التي تشبثوا بها في زعمهم أن الشرك لم يقع في هٰذه الأمة، ثم أذكر ثانياً جواب علماء الحنفية عنها لإتمام الحجة وإيضاح الحجة.

---

(١) انظر ص ٤٨٦-٥٦٩.

(٢) راجع ص ٩٧٥-٩٧٧.

(٣) سيأتي في ص ٩٧٨-١٠٤١.

(٤) انظر ص ١٢٣١-١٤٣٤.

(٥) راجع ص ٨٧٨-٨٨٥.

(٦) سيأتي في ص ٨٧٥-٨٧٨.

(٧) انظر ص ١٤٩٩-١٥٣٨.

(٨) راجع ص ١٥٥٩-١٥٦٨.

(٩) ستأتي في ص ١٦٤٧-١٦٦٣.

أولاً: عرض هٰذه الشبهة:

لقد حاولت القبورية على عادتهم السيئة إخفاء وثنيتهم وستر إشراكهم الأكبر وتبرير عبادتهم لأموات ولا سيما عند الكربات بالتشبث بعدة شبهات قد سبق ذكر بعضها وسيأتي ذكر بعضها ومن تلك الشبهات:

زعمهم أن الشرك لم يقع في هٰذه الأمة وتشبثوا بقول النبي ﷺ:

«إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولٰكن في التحريش بينهم»[1].

وغيره من الأحاديث التي وردت في هٰذا المعنى، واستدلت القبورية بها، على أن الشرك غير واقع في جزيرة العرب ليأس الشيطان أن يعبده المسلمون[2].

وقد فسرت القبورية جزيرة العرب بأنها:

جنوباً وشمالاً: من عدن إلى ديار بكر.

وشرقاً وغرباً: من العراق إلى مصر.

فتدخل فيها اليمن، والحجاز، ونجد، والعراق، والشام، ومصر[3].

قال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (توفي حوالي سنة ١٢١٠هـ)[4]،

---

(١) رواه مسلم ٤/٢١٦٦، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) انظر حجة فصل الخطاب لسليمان بن عبد الوهاب ٢٤/أ-٢٥/ب مخطوط والصواعق الإلٰهية له ٤٤-٤٧ ط النخبة و ٤٥-٤٨ ط الفتوح، وصلح الإخوان لابن جرجيس ١٤٤ والبراهين للقضاعي ٣٨٤.

(٣) انظر صلح الإخوان لابن جرجيس ١٤٤ وحجة فصل الخطاب لسليمان بن عبد الوهاب ٢٥/ب المخطوطة، والصواعق الإلٰهية له ٤٥-٤٦ ط النخبة و ٤٧ ط الفتوح.

(٤) هو شقيق مجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ) كان من قبورية الحنابلة على دأب بعض الشطيين، ومن الأعداء الألداء للإمام ودعوته، كذّاباً أفّاكاً مفترياً عليه، له كتاب فصل =

في صدد تقرير استلاله بهٰذا الحديث وأمثاله، ما حاصل كلامه:

إن هٰذا الحديث يقرر أن الشيطان لا يعبد في جزيرة العرب، مع أن ما تعدونه كفراً وشركاً وعبادة القبور والأوثان، من الاستغاثة بالأولياء والنذر لهم ونحوها ـ ملأت مكة والمدينة واليمن، والحجاز والعراق من سنين متطاولة.

ودل على أن الشرك لم يقع في الجزيرة فما بالك بغيرها[1].

الجواب:

ولقد أجاب علماء الحنفية بأجوبة:

منها: أن المراد من قوله ﷺ: «المصلون» في هٰذا الحديث: هم المؤمنـون الكـاملون العارفون للتوحيد والشرك المصلون صلاة صحيحة أمثال الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان من أهل السنة والحديث والأثر، وليس المراد من يصلي فقط وينتمي إلى الإسلام مع ارتكابه الشرك والكفر.

قال العلامة شكري الآلوسي:

= الخطاب مخطوط وطبع بعنوان الصواعق الإلٰهية في الرد على الوهابية وله كتاب الرد على من كفر المسلمين بسبب النذر بغير الله مخطوط في أوقاف بغداد،

ترجمته في إيضاح المكنون ٢/٧٢ والأعلام للزركلي ٣/١٣٠ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤/٢٦٩ ودعاوى المناوئين لأخينا الفاضل عبد العزيز ٤٠-٤٢؛

وقد ذكر رجوعه وتوبته وندمه وتأليف رسالة في ذٰلك العلامة عبد اللطيف في مصباح الظلام ١٠٤-١٠٥ والزركلي وأخونا عبد العز، وليس على الله بعزيز سامحه الله وإيانا وغفر لنا وله، ونص رسالته في صيانة الإنسان ٤٦٨.

(١) حجة فصل الخطاب ٢٤/ب -٢٥/ب والصواعق الإلٰهية ٤٥-٤٩ ط الفتوح و ٤٤-٤٧ ط النخبة.

(إن الشيطان لا يطمع أن يعبده المؤمنون في جزيرة العرب، وهم المصدقون بما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه المذعنون له الممتثلون لأوامره المنتهون عما نهى عنه.

ولا شك: أن من كان على هٰذه الصفة ـ

فهو على بصيرة ونور من ربه.

فلا يطمع فيه الشيطان أن يعبده.

وأما من تسمى باسم الإسلام، وتعاطى كل ما نهى عنه النبي ﷺ فيما يسر ويعلن ـ

فهو باسم المنافق أحق منه باسم المؤمن، وإن صام وصلى.

فمن التجأ إلى غير الله، وتوكل على غيره، ودعاه * في سره ونجواه *ـ

لم يكن مؤمناً برب العالمين * ولا مقرّاً بوحدانية إلٰه السماوات والأرضين *

فوجود مثل هٰذا في جزيرة العرب ـ

لا ينافي الحديث الصحيح * كما لا يخفى على من له قلب سليم وعقل رجيح * وإطلاق المصلين على المؤمنين * كثير في كلام العارفين *)[1].

وقال: (ويحتمل: أن يراد بالمصلين: «أناس معلومون»؛

بناء على أن تكون «ال» للعهد، وأن يراد بهم الكاملون فيها، بناء على أن تكون للكمال: وهم خير القرون،

ويؤيد ذٰلك قوله ﷺ في آخر الحديث:

---

(١) فتح المنان ٤٩٧ـ٤٩٨.

«ولكن في التحريش بينهم». . .)[1].

ولابن آصف الفنجفيري الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن (١٤٠٧هـ) كلام قريب من هٰذا[2].

الحاصل: أن الشرك قد وقع في القبورية من هٰذه الأمة،

وهٰذا الحديث لا ينافي ذٰلك بحمد الله تعالى، وبعد هٰذا ننتقل إلى الفصل الثالث؛ لنعرف جهود علماء الحنفية في الرد على شبهات القبورية الأخرى.

* * * * *

---

(١) فتح المنان ٤٩٨.

(٢) انظر البصائر ١٢٦-١٢٧.

الفصل الثالث

في أجوبة علماء الحنفية عن شبهات القبورية الأخرى التي تشبثوا بها لتبرير إشراكهم الأكبر وعبادتهم القبور وأهلها

للقبورية شبهات كثيرة لتبرير إشراكهم الأكبر بالله عز وجل وعبادتهم القبور وأهلها من الاستغاثة بهم عند الكربات والنذر لهم عند الملمات وغيرها من أنواع العبادات.

وقد سبق أن ذكرت شيئاً كثيراً من هٰذه الشبهات مع أجوبة علماء الحنفية عنها[1].

وسيمر بك أيها القارىء الكريم شيء كثير منها مع أجوبة علماء الحنفية عنها في مناسبات شتى إن شاء الله تعالى[2].

وفي هٰذا الفصل أذكر شبهات تشبثت القبورية بها لتبرير إشراكهم بالله تعالى وعبادتهم القبور وأهلها:

الشبهة الأولى: شبهة الأحجار والأشجار والأصنام والأوثان.

زعم القبورية ـ لتبرير إشراكهم بالله وعبادتهم لغير الله: أن المشركين السابقين كانوا يعبدون الأصنام والأحجار * ويعتقدون فيها الربوبية ويعبدون الأوثان والأشجار * التي لا تضر ولا تنفع * ولا ترى ولا

---

(١) انظر ص ٤٨٥-٤٨٦.

(٢) راجع ١٢٣٣-١٢٣٥-١٤٣٣-١٤٣٤.

تسمع * ولا مكانة لها عند الله ولا احترام لها عنده .

أما نحن فنستغيث بالأنبياء والمرسلين *

ونتوسل بالأولياء والصالحين إلى رب العالمين *

فهم أحياء يسمعون ويتصرفون ويعلمون *

ولهم مكانة عند الله تعالى ، ويشفعون *

فجاء هؤلاء الوهابية[1] الخوارج[2] -

فعمدوا إلى آيات نزلت في المشركين -

فحرفوها وحملوها على المؤمنين الموحدين المتوسلين المستغيثين بالأنبياء والأولياء ، كما أنهم حرفوا الآيات التي نزلت في الأصنام والأوثان والأحجار -

فحملوها على الأنبياء والأولياء ، فقاس هؤلاء الوهابية الخوارج - المؤمنين الموحدين الذين يستغيثون بالأنبياء والأولياء - على المشركين الذين كانوا يعبدون الأحجار والأصنام - في أن كلًّا منهم أهل الشرك .

وقاسوا الاستغاثة بالأنبياء والأولياء -

على عبادة الأصنام ، والأوثان - في أن كلًا منها شرك .

كما قاسوا الأنبياء والأولياء -

على الأصنام والأوثان -

---

(١) «الوهابية» نسبة إلى «الوهاب» والقبورية أخطأوا في نبذ أهل التوحيد بهذا اللقب لغة واصطلاحاً .

لأنهم يقصدون بذلك أنهم أتباع «محمد بن عبد الوهاب رحمه الله» (١٢٠٦هـ) مع أن النسبة إليه «محمدية» لا «الوهابية»!؟!

(٢) عامة القبورية حتى الديوبندية يرمون أهل التوحيد بالخوارج ظلماً وعدواناً .
انظر المهند على المفند للسهارنفوري ٤٦-٤٧ مع ما في الشفرتين .

في عدم النفع والضر وعدم الشفاعة.

مع أن هٰذه الأقيسة فاسدة؛ إذ لا يصح قياس موحد مؤمن يستغيث بالأنبياء والأولياء -

الذين لهم مكانة عند الله، وينذرون لهم وينادونهم -

على مشرك يعبد الأحجار والأصنام والتماثيل التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعقل ولا تسمع.

كما لا يصح قياس الاستغاثة بالأنبياء والأولياء ودعائهم والنذر لهم -

على عبادة الأصنام والأحجار والأوثان -

التي لا مكانة لها ولا احترام لها عند الله ولا تضر ولا تنفع لأن المشركين كانوا يعبدونها على أساس أنها تستقل بالنفع والضر وأن لها تأثيراً وشرفاً ذاتياً واختباراً وتدبيراً وأما نحن فنستغيث بالأنبياء والأولياء -

الذين لهم مكانة عند الله تعالى، وهم أحياء يعلمون ويسمعون.

فأين هٰذا من ذاك[1]؟!؟

الجواب:

أن هٰذه الشبهة تتضمن شبهات كثيرة:

منها: أن الاستغاثة بالأموات عند الكربات ليست من العبادة فليست

---

(١) انظر فصل الخطاب للقباني ١٢، ١٨، ٨٢، ٩١-٩٨/خ. وكشف الارتياب للعاملي ٢٩٣-٢٩٦، وكشف النقاب للنقوي ٤٥-٥٠، وسعادة الدارين للسمنودي ١/٣٠٤-٣٠٧، وغوث العباد للحمامي ٢٢٠-٢٢٢، والبراهين للقضاعي ٣٨٧-٣٩٠، والتوسل لابن مرزوق ٣٧-٩٢ والبراءة له ١٠٦-١٦١، والتبديد للكوثري ٢٨، والردود للنوري ٢٤٧-٢٥٤ و ٢٥٦ والحقيقة لموسى ١٣٧-١٤٥، وقوة الدفاع للتجاني ٥٣-٥٤، والبصائر للداجوي ١٦٧-١٦٩، والإفهام لمحمد زكي ١٠٨، والرد المحكم للرفاعي ٩٠-٩١، وراجع صلح الإخوان لابن جرجيس ١٣٦ و ١٤٠-١٤١.

من الشرك بالله تعالى .

وسيأتي الجواب عنها مفصلاً إن شاء الله تعالى[1] .

ومنها: أن الشرك لا يتحقق إلا باعتقاد الربوبية والخالقية والاستقلال بالنفع والضر في غير الله.

وقد سبق الجواب عنها بحمد الله وتوفيقه[2] .

ومنها: أن المشركين السابقين كانوا يشركون آلهتهم بالله في الخالقية والرازقية والاستقلال بالنفع والضر.

وقد سبق الجواب عنها بما لا يزيد عليه[3] .

ومنها: أن «الوهابية» (أهل التوحيد) خوارج يكفرون المؤمنين الموحدين وسيأتي الجواب عنها في إبطال شبهة التكفير[4] .

بقيت شبهة: أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام والأحجار * والأوثان والأشجار * التي لا تضر ولا تنفع * ولا ترى ولا تسمع * ولا مكانة لها عند الله ولا تشفع * وقد أجاب عنها علماء الحنفية بعدة أجوبة:

الجواب الأول: أن المشركين الأولين ـ لم يكونوا يعبدون الأحجار والأشجار لذاتها، وإنما كانوا يعبدون الصالحين * على أساس أنهم من عباد الله المقربين * عند رب العالمين * فيكونون لهم عنده من الشافعين * وقد سبق مفصلاً محققاً أن بداية إشراكهم ونشأة القبورية والوثنية ـ

---

(١) انظر ص ١٣٨١-١٤٢٩ .

(٢) راجع ص ٣٥٩-٣٧٧ .

(٣) انظر ص ٢٤٥-٢٨٦ .

(٤) راجع ص ٥١٥-٥٤١ .

إنما كان على هٰذا الأساس * كل ذٰلك بحيل الشيطان الخناس[1] *

قال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) محققاً أن إشراك المشركين قديماً وحديثاً، إنما كان بعبادة الصالحين وجعلهم شفعاء عند الله:

(فإن الشرك بقبر الرجل المعروف بالصلاح أقرب إلى النفس من الشرك بالأحجار، لما للشيطان من وساوس يلقيها في قلوب بني آدم، وقد أدخلها في قوالب يريهم أنها بظواهرها شرعيات * وما هي إلا زخارف وتمويهات * ثم إذا ألفوها لم تكد أن تفارقها النفوس * ولو قطعت بالسيوف * فمما ألقاه إليهم بكيده:

أن قال: إن هٰؤلاء قوم صالحون * وعند الله مقربون *، ولهم عنده ما يشاؤون * ولهم الجاه الأعلى * والمقام الرفيع الأسمى *.

فمن قصدهم لا يخيب سعيه * ولا يطيش رأيه *، وأن ببركتهم تدفع البليات * وتقضى الحاجات *، وبشفاعتهم يتقرب زوارهم إلى الله الغفار * فتحط عنهم بشفاعتهم عند الله الأوزار * إلى غير ذٰلك من التمويهات التي يملأ بها قلوب أهل الأماني * بمثل هٰذه المعاني *؛

فيتلاعب بعقولهم السخيفة * وآرائهم الضعيفة * ويحسن لهم البدع والمنكرات * بما يلقيه إليهم من الحكايات والخرافات *، ويحثهم على التقرب إلى أهل القبور * بما يقدرون عليه من النحر والنذور * والطواف وتزيينها بالزينة المحرمة من القصب والذهب وتعليق القناديل، وإيقاد شموع العسل وتصفيح الجدران *، والأعتاب، والسقوف، والأبواب بالفضة والذهب وغيرها مما يجاوز الحساب، ويفهمهم: أنهم في مثل ذٰلك أحسنوا كل الإحسان فدخلوا الجنان *.

---

(١) راجع ص ٤٠١-٤١١.

ثم ما كفاه ذلك حتى استخفهم، فدعاهم إلى أن يطلبوا منهم النصر على الأعداء * والشفاء من عضال الداء *

فأجابوه إلى ما دعاهم (إليه) مسرعين * وزادوا على ذلك بأن طلبوا منهم بقاء الحياة لأولادهم، فتراهم يقولون *:

قد علقنا أولادنا عليهم.

ومنهم من يطلب منهم النسل إذا كان عقيماً * والشفاء إذا كان سقيماً * وكثير منهم يطلب منصباً فيه أخذ أموال العباد * والسعي في الأرض بكل فساد * فيجيء إليهم ويلازمهم معتقداً: أن من لازمهم قضيت حاجته *، ونجحت سعايته * واقتربت سعادته *،

وإذا فتحت بيوت قبورهم المذهبة * ورفعت ستور الأبواب المطلية المطرزة * وفاحت تلك الروائح المسكية من الجدران المخلقة * -

وجد هذا الزائر في فؤاده من الخشية والرهب -

ما لا يجد معشار جزء من عشره بين يدي خالق السماوات والأرضين * وإله جميع العالمين *؛

فيدخل إلى القبر خاشعاً * ذليلاً متواضعاً * لا يخطر في قلبه مثقال ذرة من غير إجلاله * منتظراً فيض كرمه ونواله *.

فأقسم بالله! أنه لم يتصوره بشراً قد وضع بأكفانه في لحده، ولو سلمنا: أنه خطرت له - وهو عنده - تلك الخطرة - لتعوذ بالله منها، ووقف عند حده.

ويا مصيبة من أنكر عليهم حالهم * ويا شناعة من رد عليهم أمرهم * ويا خسارة من علمهم وأرشدهم * فإن ذلك عندهم قد تنقص حق الأولياء * وهضمهم مرتبتهم من السمو والارتقاء *.

فبالله عليك أيها الناظر! إلا ما قابلت هٰذه مع ما ورد عن سيد الأنام ﷺ، متأملاً كيفية إذنه بعد المنع.

وانظر إلى سبب المنع والإذن، وما علل النبي ﷺ به الإذن وجعله في حكم الغاية والشرط...)[1].

قلت: هٰذا النص يدل على أمور:

الأول: أن القبورية فرقة مشركة عباد القبور والأوثان.

الثاني: أن أصل شرك الوثنية الأولى والحديثة ـ

هو عبادة الصالحين للتقرب بهم إلى الله تعالى وقضاء الحاجات.

الثالث: أن أهل الشرك قديماً وحديثاً قصدهم عبادة الصالحين المقربين عند الله تعالى للشفاعة بهم عنده.

الرابع: أن أهل الشرك قديماً وحديثاً لم يقصدوا عبادة الأوثان والأحجار * والأصنام والتماثيل والأشجار *

وإنما كان قصدهم عبادة الصالحين ليشفعوا لهم عند رب العالمين.

الخامس: أن أهل الشرك ـ لم يعتقدوا في آلهتهم أنهم شركاء في الخالقية والرازقية والمالكية والربوبية، والاستقلال بالنفع والضر.

السادس: أن الاستغاثة بالأموات عند إلمام الملمات * والنذر والذبح لهم عند الكربات * من أعظم أنواع العبادات * ومن أكبر الأمور الشركيات *.

السابع: أن الحكم على هٰؤلاء القبورية بالشرك ـ

ليس من باب رمي الخوارج المسلمين بالكفر.

وإنما هو من باب الحقيقة وبيان الحق وحماية التوحيد.

---

(١) فتح المنان ٤٩١-٤٩٣.

وبذلك راحت شبهة القبورية هٰذه ومعها أمثالها أدراج الرياح.

الجواب الثاني:

أن علماء الحنفية قد حققوا: أن القبورية هم عبدة القبور، وعباد الأوثان والأنصاب والأشجار والأحجار.

فالقبورية كما أنهم وثنية أقحاح كذلك هم نصبية أجلاد حجرية أصلاب [١].

فلا فرق بينهم وبين المشركين السابقين إلا أن الأولين كانوا عبدة الأصنام أيضاً، وأما قبورية هٰذه الأمة ـ

فليسوا عباد الأصنام؛

لأنهم لم ينقشوا ولم ينحتوا للأولياء الصور من الحجر، أو الخشب أو الحديد أو الصفر ونحو ذلك.

ولكن القبورية شاركوا المشركين الأولين في كونهم جميعاً عباد القبور وأهلها وعبدة الأوثان والأنصاب والأحجار الأشجار.

وامتازت قبورية هٰذه الأمة بأن شركهم أشد من شرك الأولين[٢] وأنهم أعظم عبادة وخوفاً ورجاء من الأموات منهم لخالق البريات[٣].

وبذلك قد اجتثت شبهة القبورية:

من أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام والأحجار.

أما نحن فنستغيث بالأولياء المقربين عند الله!

فالقبورية كذبهم علماء الحنفية، كما كذبتهم أفعالهم.

---

(١) ٤٢٥-٤٣٩.

(٢) ١١٦٣-١١٩٧.

(٣) ١١٩٩-١٢٢٩.

وتحقق أن القبورية قديماً وحديثاً ـ

عباد الأحجار والأشجار وعبدة الأنصاب والأوثان، يعبدون القبور وأهلها.

الجواب الثالث:

أن علماء الحنفية قد صرحوا بأن جل شرك المشركين إنما كان بإشراكهم الصالحين بالله تعالى ولذلك نرى أن أكثر آلهتهم إنما كانت من عباد الله الصالحين من الأنبياء والأولياء.

أمثال إبراهيم، وإسماعيل، والمسيح، وعزير عليهم السلام، ومريم، وود وسواع ويغوث، ويعوق، واللات، ومناة، وهبل وغيرهم[1].

فإذا كان الأمر كذلك ـ

فلا يصح للقبورية أن يقولوا:

إن المشركين الأولين كانوا يعبدون الأحجار التي لا كرامة لها، ونحن نستغيث بالأنبياء والأولياء الذين لهم كرامة عند الله!

فزالت شبهة من أصلها.

الجواب الرابع:

أن علماء الحنفية قد حققوا:

أن الله عز وجل قد ذكر أوصاف العقلاء لآلهة المشركين في صدد الرد عليهم وعبر عن آلهتهم بصيغ العقلاء؛

فدل ذلك على أنهم إنما كانوا يعبدون الصالحين، ولم يكونوا

---

(١) انظر مسألة الوسيلة للشيخ الجوهر ٥١ـ٥٥، والتبيان للرستمي ٩٩ـ١٠١ وراجع جلاء العينين ٤٤٢، وفتح المنان ٣٧٨ـ٣٧٩.

وانظر ما سبق في ص ٤٠١ـ٤٠٥.

يقصدون الأحجار والأصنام بالعبادة لذاتها.

وتفصيل ذلك على ما ذكره كثير من علماء الحنفية:

أن الله تعالى قال في صدد الرد على المشركين مبيناً عجز آلهتهم:

﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١]، وقال جل وعلا:

﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون * فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ [يونس: ٢٨ - ٢٩]. وقال سبحانه وتعالى:

﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وقال عز وجل:

﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ [الكهف: ١٠٢]، وقوله تبارك وتعالى:

﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤]، وقال جل شأنه:

﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦]، وقال تعالى:

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧].

إلى غيرها من الآيات التي فيها ذكر آلهة المشركين بصيغ العقلاء وصفات ذوي العقول؛

فأنت ترى: أن هٰذه الآيات الكـريمـات مشتملة على صفـات العقلاء، لآلهة المشركين والتعبير عنهم بصيغ العقلاء:

نحو: ﴿الذين﴾، ﴿يخلقون﴾، و ﴿أموات﴾، و ﴿ما يشعرون﴾، و ﴿يبعثـون﴾، و ﴿نحشـرهم﴾، و ﴿قـال شركـاؤهم﴾، و ﴿لغافلين﴾، و ﴿عبـاد أمثـالكم﴾ و ﴿فليستجيبوا﴾، و ﴿عبادي﴾، و ﴿ما يملكون﴾، و ﴿لا يسمعـوا﴾، و ﴿لـو سمعـوا﴾، و ﴿ما استجابوا﴾ ،و ﴿يوم القيامة يكفرون بشرككم﴾، و ﴿هم﴾، و ﴿غافلون﴾، و ﴿إذا حشر الناس كانوا لهم أعـداء﴾، و ﴿كـانـوا بعبـادتهم كافـرين﴾، و ﴿يبتغـون إلى ربهم الـوسيلة﴾، و ﴿يرجـون رحمته﴾، و ﴿يخافون عذابه﴾، ونحو ذٰلك من الصيغ التي لا تستعمل إلا لذوي العقول عند العرب، وغيرهم والصفات التي لا توجد إلا في العقلاء في اللغة العربية، وغيرها؛

فإن الجمـادات من الأصنام والأحجار والأشجار والتماثيل التي لا تعقل لا يقال فيها:

﴿الذين لا يخلقون﴾، و ﴿لا يشعرون﴾، و ﴿لا يملكون﴾، و ﴿لا يستجيبون﴾، و ﴿لا يسمعون﴾. . . ،

كمـا لا يقـال فيهـا: (أموات غير أحياء، وعباد أمثالكم، وأعداء، وعبادي، ونحشرهم، وغافلون، وغافلين، وكافرين، ويبعثون، ويبتغون، ويرجون، ويخافون). . . ؛

وهٰذه كلها براهين باهرة * وسلاطين قاهرة * وحجج ساطعة * وأدلة قاطعة * ـ

على أن آلهة المشركين السابقين إنما كانوا عقلاء، وأنهم كانوا من عباد الله تعالى وليسوا جمادات بحتة، ولا أحجار صرفة، ولا أصنام خالصة، كما تزعم القبورية[1].

وقال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) ردّاً على ابن جرجيس خاصة * وعلى القبورية أتباع إبليس عامة * مجيباً عن هٰذه الشبهة:

(فأقول: يريد العراقي بهٰذا الكلام إثبات المساواة بين الأموات * والأحياء!؛

ليغري الناس على ندائهم في الملمات * والدعاء!.

وهٰذا يبطله ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿**وما يستوي الأحياء ولا الأموات**﴾ [فاطر: ٢٢].

وشبه بهم من لم ينتفع بسماع الهدى؛

وقال تعالى: ﴿**والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم**

---

(١) راجع: سيف الله للإمام صنع الله الحلبي (١١٢٠هـ) ١٢ مخطوط بمكتبة الحرم المكي،

وروح المعاني ١٥/٩٧ لمحمود الآلوسي،

وفتح المنان لشكري الآلوسي ٣٧٨،

والبصائر للفنجفيري ١٠٤-١٠٦ ط باكستان،

ومسألة الوسيلة للشيخ الجوهر ٥٠-٥١،

والتبيان للرستمي ٩٧-٩٩، والتنشيط له ٧٥-٧٦،

وللعلامة الشيخ محمد حسين النيلوي الحنفي تحقيق مهم طويل ممتع في أن المشركين كانوا يعبدون الصالحين بدليل أن هٰذه الصفات من صفات ذوي العقول، وهٰذه الصيغ من صيغ ذوي العقول دون الأحجار والأشجار والأصنام والجمادات، انظر: شفاء الصدور ١٤-١٦. وستأتي خلاصة كلامه في ص ٨٥٨-٨٦٢، إن شاء الله تعالى.

يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون [أيان يبعثون]﴾ [النحل: **٢٠ - ٢١**]،

وليست هٰذه الآية في الأصنام -

كما يزعمه من لم يتدبر؛

لأن الأصنام من الأخشاب والأحجار لا يحلها الموت. . . ولا شعور لها.

وقد قال تعالى: **﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾** الآية،

وإنما هي فيمن يموت ويبعث: من أهل الكرامات، والمعجزات، وغيرهم؛

كما لا يخفى على من تدبرها،

وتأمل قوله تعالى: **﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾**،

وهٰذا إنما يستعمل فيمن يعقل؛

كما لا يخفى على من له معرفة باللغة العربية [بل بغيرها من اللغات أيضاً]؛

فالحمد لله على ظهور الحجة * وبيان المحجة)[1].

قلت:

بعد إتمام هٰذه الحجة * وإنارة هٰذه المحجة * لا يمكن للقبورية أن يقولوا: إن المشركين كانوا يعبدون الأحجار والأشجار، ونحن نستغيث بالأنبياء والأولياء.

ألـم تر أن الـحق تلقـاه أبـلجـا

وأنـك تلقى باطـل القـول لجلجـا

---

(١) فتح المنان ٣٧٨-٣٧٩.

أبن وجـه نور الحق في صدر سامع

ودعـــه فنـور الحق يسـري ويشـرق

الجواب الخامس:

أن علماء الحنفية قد حققوا أن المشركين لم يكونوا يعبدون الأصنام والأحجار لذاتها في الحقيقة،

وإنما كان قصدهم عبادة هٰؤلاء الصالحين الذين ظنوا أنهم مقربون عند الله، ويشفعون لهم عنده، وإنما صوروا لهم تماثيل ليجعلوها قبلة للتـوجه إلى هٰؤلاء المقربين، كما أن الكعبة قبلة للمسلمين؛ لأنه لا يعقل في أحد من بني آدم أن ينحت بيده حجراً أو خشباً ثم يعتقد أنه إلٰهه ويعبده ويجعله شفيعاً بينه وبين الله،

إذن لا يتصـور إطبـاق جم غفير من العقـلاء على عبـادة الأصنام والأخشاب والأحجار لذاتها وجعلها آلهة بأعيانها؛

لأن هٰذا مما لا يصدر من عاقل، ولا يتصور أن يفعله أحد من بني آدم،

فكيف يتصور ذلك من جم غفير من العقلاء؟ بل الحقيقة أن المعبود لهم لم يكن هٰذا الحاضر من الصنم المنحوت من الحجر أو الخشب،

بل المعبود إنما كان ذلك الغائب الذي صوروه وجعلوا له صنماً من خشب أو حجر أو صفر أو غيره،

فالصنم لم يكن مقصوداً بالعبادة،

وإنما كان المقصود هو ذلك المقرب الصالح،

وإنما كان الصنم قبلة لتوجههم إلى هٰذا الصالح المقرب عند الله في زعمهم، الشفيع لهم عنده،

هٰذا هو ما عليه جمهرة المشركين،

ولٰكن لا يمنع أن يكون فيهم بعض الحمقى السفهاء الذين لم يتفطنوا للفرق بين هٰذه الأصنام، وبين من هي على صورهم،

فظنوها معبودات وآلهة بأعيانها.

ولذٰلك نرى: أن الله تعالى تارة قد يرد على أمثال هٰؤلاء السفهاء أيضاً كقوله تعالى: **﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾** [الأعراف: ١٩٥][(١)].

قلت:

لا ريب في أن القبورية الوثنية من هٰذه الأمة ـ

على طريقة الوثنية الأولى بعينها،

فإنهم أيضاً يعظمون آثار الصالحين كقبورهم، وأحجارهم، وأشجارهم، كأنها قبلة لتوجههم إلى هٰؤلاء الصالحين،

فقد قال علماء الحنفية في بيان سبب تعظيم المشركين للأصنام:

---

(١) الفوز الكبير ١٧، وترجمته المنيرية ٦ ط الأولى، ١٩ ط الباكستانية والترجمة الندوية ٣٧ ط. القديمة، ٢٤ـ٢٥ ط الجديدة،

وحجة الله البالغة ١/١٧٧ـ١٧٨ ط. دار إحياء العلوم، ١/٥٩ ط. السلفية وكشاف الاصطلاحات للتهانوي ٤/١٤٦ـ١٤٧،

والأنموذج الجليل لأبي بكر الرازي ١٩٥،

والبصائر للفنجفيري ٨٨، ١٢٣ ط. باكستان، ٤٢٢ ط. قطر، والعرفان له ٢١ـ٢٢،

وعقد اللآلىء والدرر للرباطي ٦١ـ٦٢،

وتنشيط الأذهان للرستمي ٨٥،

وإرشاد الناظر لابن شاندي ٤١٥، وشفاء الصدور للنيلوي ١٦.

(إنهم وضعوا هٰذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا: أنهم متى اشتغلوا بعبادة هٰذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى،

ونظيره في هٰذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله)[1].

ولذلك صرح الإمام محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ) بأن المعبود الحقيقي عند المشركين إنما كان هو الله تعالى، وأما آلهتهم الأخرى فكانوا يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى[2].

وقال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) محققاً أن المشركين السابقين لم يقصدوا عبادة الأحجار والأصنام لذاتها،

بل كانوا يعبدون من يعتقدون فيهم الشفاعة عند الله،

مبيناً أن القبورية في ذٰلك على طريقة الوثنية الأولى:

(فإن قال [القبوري]: «الشرك عبادة الأصنام»،

فقل له: «ما معنى عبادة الأصنام؟».

أتظن أنهم كانوا يعتقدون: أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق، وترزق، وتدبر أمر من دعاها؟» ـ

فهٰذا يكذبه القرآن.

---

(١) جواهر القرآن للشيخ الغلام ٢/٤٧٠، والبصائر للفنجفيري ٢٦٥-٢٦٦ ط. قطر، ٨٤، ١١٨ ط. باكستان، ومسألة الوسيلة للشيخ الجوهر ٦٠-٦١،

وانظر أيضاً: إرشاد العقل للعماوي ٤/١٣١-١٣٢، وروح المعاني للآلوسي ١١/٨٨-٨٩، وأصل الكلام للرازي. انظر: مفاتيح الغيب ١٧/٤٩ ط. دار الكتب العلمية، وهو حجة عليه وعلى أمثاله من المتفلسفة الجهمية القبورية.

(٢) روح المعاني ١٥/١١٥.

وإن قال: «هـو قصد خشبة، أو حجراً، أو بنية على قبر، أو غيره - [ممـا له تعلق بالصـالحين] - يدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع عنا [المصائب] ببركته». -

فقـل له: «صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار، والأبنية التي على القبور وغيرها».

فهذا قد أقر: أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام)[1].

الجواب السادس:

أنه لو سلم أن المشركين السابقين كانوا يعبدون الأصنام والأحجار لذاتها والقبورية من هذه الأمة لا يعبدون الأحجار،

بل يستغيثـون بالأنبياء، والأولياء، لكن لا نسلم أن القبـورية غير مشركة؛ لأنه قد تحقق أن القبورية من أعظم أهل الشرك،

وأن استغاثتهم بالأموات عند الكربات ونذورهم لهم عند الملمات * من أعظم الشركيات لأنها من أعظم أنواع العبادات *؛

فالقـدر المشترك بينهم وبين المشركين الأولين هو ارتكاب الشرك الأكبر وعبادة غير الله تعالى -

سواء كان ذلك إنساناً، أو جنّاً، أو ملكاً، أو صنماً، أو حجراً، أو شجراً، حيّاً، أو ميتاً، قبراً، أو غاراً، فمن عبد غير الله تعالى -

فقد أشرك به سبحانه؛

فمن زعم أن المشركين السابقين -

كانوا مشركين؛

---

(١) غاية الأماني ١/٢٩٣، وأصل الكلام لمجدد الدعوة الإمام في كشف الشبهات ٢٧.

لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والأحجار؛

بخلاف القبورية ـ

فإنهم لا يعبدون الأصنام ولا الأحجار،

وإنما يستغيثون بالأموات عند الكربات وينذرون لهم عند الملمات ـ

فهم ليسوا بمشركين ـ

فهو إما مجنون، زائل العقل، مرفوع عنه القلم، ملحق بالأنعام * أو مستكبر، معاند، مكابر، سوفسطائي، مغرض، ممرض للأنام * فلسان حاله يقول:

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي
ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

ولكننا نقول له:

فليس شعاع الشمس يخفى لناظر
أفيقوا عن الإصرار ما بالكم لد

وإليكم لتحقيق هذا المطلوب بعض نصوص علماء الحنفية:

قال العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) بعد ذكر عقائد المشركين مقارناً بها عقائد القبورية من هذه الأمة:

(وإذا تقرر هذا فلا شك: أن من اعتقد في ميت من الأموات، أو حي من الأحياء:

أنه يضره أو ينفعه، إما استقلالاً، أو مع الله تعالى، وناداه، أو توجه إليه، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق ـ

فهو لم يخلص التوحيد لله، ولا أفرده بالعبادة،

إن الدعاء بطلب وصول الخير إليه، ودفع الضر عنه ـ

هو نوع من أنواع العبادة،
ولا فرق بين أن يكون هٰذا المدعو من دون الله أو معه ـ
حجراً، أو ملكاً، أو شيطاناً، كما كان يفعل ذٰلك أهل الجاهلية،
وبين أن يكون إنساناً من الأحياء أو الأموات، كما يفعله الآن كثير من المسلمين.

وكل عالِم يعلم هٰذا، ويقر به، فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله تعالى، وتشريك غيره معه ـ
للحيوان، كما يكون للجماد، وللحي كما يكون للميت.

فمن زعم: أن ثم فرقاً بين من اعتقد في وثن من الأوثان: أنه يضر أو ينفع،
وبين من اعتقد في ميت من بني آدم، أو حي منهم:
أنه يضر أو ينفع، أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله ـ
فقد غلط غلطاً بيناً، وأقر على نفسه بجهل كثير؛

فإن الشرك ـ هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغير الله فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره مما لا يتقرب به إلا إليه،

وليس في مجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكاً: بالصنم، والوثن، والإلٰه لغير الله ـ زيادة على التسمية بالولي، والقبر، والمشهد، كما يفعله كثير من المسلمين؛

بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن؛

إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض

المسميات،

بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه.

سواء أطلق على ذلك الغير ما كانت تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسم[1] آخر.

فلا اعتبار بالاسم فقط،

ومن لم يعرف هذا؛ فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم،

وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام -

لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد: أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة، والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم...

وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور [وأهلها]...)،

ثم حقق رحمه الله أن القبورية أشد شركاً من الوثنية الأولى، وأعظم عبادة للقبور وأهلها منهم لله عز وجل[2].

٢ - وقال الشيخ الرستمي بعد ذكر قوله تعالى: ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾ [الحج: ٣٠]:

(فمن اجتنب عن[3] عبادة الأحجار والخشب[4]، وابتلي في[5] عبادة

---

(١) في الأصل: «اسما»، والصواب ما أثبت.

(٢) صيانة الإنسان ١٦٥-١٦٦.

(٣) هكذا في الأصل، وهو غلط،
والصواب: «فمن اجتنب عبادة الأحجار».

(٤) الأولى أن يقال: «الأحجار والأخشاب».
أو يقال: «الحجر والخشب».

(٥) هكذا في الأصل، وهو خطأ ركيك، والصواب: «وابتلى بعبادة القبور».

القبور ـ فهو منكر[1] هٰذه الآية، وداخل في حكم[2] المشركين،

فعلم من جميع[3] هٰذا التفصيل: أن بين المشركين السابقين وبين عابدي القبور في هٰذا الزمان أو غيره ليس[4] فرق ما،

بل[5] فصلنا في هٰذا الباب تفصيلاً طويلاً؛

ليوازي كل عابد قبر نفسه بالمشركين السابقين،

ويظهر له باليقين: أن عبادة القبور أيضاً شرك وضلال،

فلا[6] يغتر هٰؤلاء الجهلة بأنا[7] مؤمنون وموحدون،

بل[8] صدق عليهم قوله تعالى: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾** [يوسف: ١٠٦].

---

(١) هٰكذا في الأصل وهو خطأ ركيك معنى، لأن القبورية ليسوا منكرين لهٰذه الآية وإن كانوا مخالفين لها، فالصواب أن يقال: فهو لم يتجنب الأوثان أو يقال: «فهو لم يمتثل أمر الله تعالى في هٰذه الآية»، ونحو ذٰلك من العبارات الفصيحة الصحيحة.

(٢) الأولى أن يقال: «داخل في المشركين»، لأن القبورية مشركون لا أن حكمهم حكم المشركين.

(٣) الأولى أن يقال: «فعلم من هٰذا التحقيق»، أو: «فعلم من هٰذا التفصيل».

(٤) هٰكذا في الأصل، والكلام كله ركيك أعجمي مبين، والصواب أن يقال: «فعلم من هٰذا التحقيق: أنه لا فرق بين القبورية وبين المشركين السابقين»، ونحوه من العبارات السليمة.

(٥) هٰكذا في الأصل ولا معنى له، والصواب: «ولقد فصلنا القول في هٰذا الباب» ونحو ذٰلك من العبارات الصحيحة الفصيحة.

(٦) الأولى أن يقال: «لئلا يغتر...».

(٧) الأولى أن يقال: «بزعمهم: أنهم مؤمنون وموحدون».

(٨) هٰكذا في الأصل ولا معنى لذكر «بل» هٰهنا، والصواب أن يقال: «لأنه قد صدق عليهم قوله تعالى...».

فيا أيها الإخوان!، ويا مدعي الإسلام!، الشرك الشرك، وعبادة القبور[1]، وعبادة القبور؛

فإنها شرك الردى، يردى[2] صاحبها، ويهوي[3] صاحبها في مكان سحيق)[4].

٣ ـ وقال حفظه الله:

(وبعض الجهلة إذا سمعوا هٰذه المقالة ـ

يقولون: «إن هٰؤلاء الوهابيين يسوون بين الأنبياء والأولياء، وبين سائر الناس والأوثان والأصنام، ويذلونهم».

فأقول لهم ـ تمثيلاً ـ[5]: بأن[6] من يصلي[7]، وأكل بصلاً، أو فوماً في الصلاة ـ فتفسد[8] صلاته بهٰذا[9] الأكل.

---

(١) هٰكذا في الأصل بذكر الواو، والصواب: «وعبادة القبور عبادة القبور» بدون ذكر الواو، كما هو قاعدة في التحذير، نحو قولهم: «الطريق الطريق».

راجع: كافية ابن الحاجب ٩٩، ووافيته مع شرحها ٢١٢، وفوائد الجامي ١/٣٦٦ والمفصل للزمخشري ٦٥، والتخميلا لصدر الأفاضل ١/٣٨٣، وشرح ألفية ابن معطي لابن الفوارس ١/٤٩٢، وقد سئمت من أغلاط هٰذا الرجل وتعبت في تصحيحها. . .

(٢) إن كان يقصد أن «يردى» من باب الإفعال، فالصواب: «تردي» ليكون «صاحبها» مفعولاً به.

(٣) إن كان يقصد أن «يهوي» لازم، فالصواب: «تهوي بصاحبها»، إلا أن يكون صاحبها فاعلاً.

(٤) التبيان: ١٠٣.

(٥) الأولى أن يقول: «مثلاً».

(٦) هٰكذا في الأصل وهو غلط ركيك بالمرة، والصواب: «إن من صلى. . .».

(٧) الأولى أن يقول: «إن من صلى وأكل. . .».

(٨) الأولى أن يقول: «فسدت صلاته».

(٩) لا حاجة إلى ذكره.

وكذا من أكل طعاماً لذيذاً مثل اللبن[1]، أو الدجاج، أو غيرها[2] في الصلاة ـ تفسد صلاته.

فهل يجوز لأحد أن يقول: إن الفقيه سوى بين البصل واللبن؟

فكذا التوحيد يفسد بأن يعتقد في عامة الناس التصرف والملك للأصنام[3].

أو يعتقد هٰذا الاعتقاد في الأنبياء والأولياء)[4].

الحاصل:

أن العبرة بارتكاب الشرك لا بالشريك، فالمشرك مشرك؛

سواء أشرك بالله تعالى: صنماً، أو وثناً، أو حجراً، أو شجراً، أو قمراً، أو شمساً، أو نجماً، أو أشرك بالله تعالى: ملكاً مقرباً، أو نبيّاً مرسلاً، أو وليّاً كاملاً، أو رجلاً عاميّاً.

قلت:

هٰذا الذي ذكرته من كلام الحنفية في هٰذا الجواب يكفي لقلع شبهة القبورية وقطع دابرهم:

ولـو كان هٰذا موضع القول لاشتفى
به الـقـلب لكن للمقـال مواضـع

---

(١) اللبن لا يؤكل بل يشرب!؟!

(٢) الصواب: «غيرهما».

(٣) هٰكذا في الأصل، وهو كلام فاسد نظماً، ركيك إلى الغاية، طافح بالعجمة! والصواب أن يقول: «فكذا من اعتقد في الصنم أو الوثن أو الحجر، أو في رجل عامي، أو نبي ورسول، أو ولي: أنه يتصرف في الكون ويعلم الغيب ويغيث المكروبين، ويستحق النذر ونحوه.

يفسد توحيده ويكون مشركاً ونحو ذٰلك من العبارات السليمة.

(٤) التبيان: ٦٠.

الجواب السابع:

أن علماء الحنفية قد حققوا: «أن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس ـ من الشرك بشجر أو حجر،

ولهذا نجد كثيراً من الناس عند القبور: يتضرعون ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في مساجد الله تعالى، ولا في وقت السحر!،

ومنهم من يسجد لها، وكثير منهم يرجون من بركة الصلاة عندها ولديها ما لا يرجون في المساجد»[1].

قلت:

لعلماء الحنفية أجوبة أخرى أيضاً في الجواب عن هذه الشبهة وإبطالها[2].

وأقول: بناء على ذلك لو سلم أن المشركين السابقين كانوا عباد الأصنام والأشجار * وعبدة الأوثان والأحجار * التي لا كرامة لها ولا مكانة عند الله، ولا تضر ولا تنفع * ولا ترى ولا تسمع * ـ

لكان شرك القبورية أشد وأسرع فليكن السابقون عباد الأحجار والأشجار،

فإن ذلك لا ينفع القبورية عبدة القبور وأهلها،

ولا يبرّر شركهم ولا يجوّز استغاثتهم بالأموات * ولا يبيح النذور لهم

---

(١) راجع ما سبق في ص ٤٣٨، وما سيأتي في ص ١٢٠٤، إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: إرشاد الطالبين للباني بتي وترجمته لغلام محمد ٥٤ـ٥٥، وتقوية الإيمان ١٩ـ٢٣، والفتاوى الرشيدية ٢٠٥، وصيانة الإنسان ١٦٦، ٤١٦، ورسالة الشاه إسماعيل إلى البغدادي ٢٣١، وفتح المنان ٣٧٨، ٤٦٧، ٤٨٠ـ٤٨٣ وغاية الأماني ١/٢٩١ـ٢٩٤.

عند الكربات * ؛

فالفريقان كلاهما أهل الشرك وكلهم جميعاً عبدة غير الله سبحانه ؛

فإن تنــج منهــا تنــج من ذي ملمــة
وإلا فإنـــي لا إخـــالـــك ناجـــيا

وبعد إبطال هٰذه الشبهة ننتقل إلى إبطال شبهتهم الأخرى:

الشبهة الثانية: شبهة التكفير والخروج:

لقـد أثـارت القبورية ضد التوحيد وأئمته كثيراً من العوام الجهلة، وقاموا وقعدوا وهولوا وجولوا، وصاحوا وصرخوا، وقالوا:

إن هٰؤلاء الوهابية قد كفروا الأمة المسلمة كلها جميعاً برمتها، ورموها بالشرك والكفر على طريقة إخوانهم الخوارج[1] كلاب النار،

فزعمـوا في المؤمنين المـوحـدين زوّار القبـور المستغيثين بالأنبياء والأولياء:

أنهم يعبدون غير الله، وأنهم يشركون بالله، ويعمدون إلى آيات نزلت في الكفار والأصنام ـ

فيحرفونها ثم يحملونها على المؤمنين الموحدين المتوسلين، مع أن زوار قبور الصالحين بريئون من الشرك بحمد الله[2].

والقبـورية يتشبثـون لتحقيق شبهتهم هٰذه بتلك الأحاديث المطلقة

(١) هم فرقة من أهل القبلة خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا يكفرون المسلمين بالذنوب العملية الكبيرة.

انظر: النبراس للفريهاري ٣٥٠، وشرح العقائد للتفتازاني ١٠٨.

(٢) انـظر: صلح الإخوان لابن جرجيس ١٤٤، وبراهين القضاعي ٣٨٧ـ٣٩٠، وتـوسـل ابن مرزوق ٣٦ـ٣٧، والبـراءة له ١٠٥ـ١٠٦، والبصـائـر للداجـوي الديوبندي ١٥٥ـ١٥٧. وراجع المراجع المذكورة في ص ١٩٢ـ١٩٦.

التي فيها ذكر قول «لا إله إلا الله» مطلقاً بدون قيد؛

كحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»[1]، وحديث أسامة: «يا أسامة! أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله»؟ الحديث[2].

وقالوا: إن هذه الأحاديث دالة على أن الكفر أمر باطني؛

فلا يجوز تكفير أحد ممن قال كلمة التوحيد؛

لكن هؤلاء الخوارج يكفرون الأمة الإسلامية جمعاء، حتى الصحابة والتابعين وأتباعهم، والمتكلمين، والفقهاء، والمحدثين، والصوفية إلى يوم القيامة[3].

قلت:

لعنة الله على الأفاكين البهاتين * وغضب الله على المتقولين الدجالين *!؟!

وأقول:

يجدر بي أن أسوق نصوص بعض القبور بحرفها وفصها في تقرير هذه الشبهة ليظهر للمسلمين تهوُّرُهم * وفي دركات البهتان تطوُّرُهم *:

١ - قال ابن عابدين الشامي (١٢٥٢هـ)، مبيناً تعريف الخوارج، مُدْرِجاً فيهم أئمة الدعوة السلفية، معلقاً على قول الحصكفي (١٠٨٨هـ):

[«...، وخوارج: وهم قوم لهم منعة، خرجوا عليه [أي الإمام]

---

(١) تقدم تخريجه في ص ١٣٩.

(٢) رواه البخاري ٤/١٥٥٦، ٦/٢٥١٩،
ومسلم ١/٩٦-٩٧.

(٣) التوسل لابن مرزوق ٣٦-٣٧، والبراءة له ١٠٥-١٠٦.

بتأويل يرون أنه على باطل: كفر، أو معصية توجب قتاله بتأويلهم،
ويستحلون دماءنا وأموالنا، ويسبون نساءنا،
ويكفرون أصحاب نبينا ﷺ»] ـ:
(. . .، كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب[1] الذين خرجوا من نجد،
وتغلبوا على الحرمين،
وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة،
لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة[2] وقتل علمائهم، حتى كسر الله شوكتهم، وخرّب بلادهم[3]، وظفر بهم عساكر المسلمين عام[4] ثلاث وثلاثين ومائتين)[5].

٢ ـ وقال جميع أئمة الديوبندية وشيوخهم، وعلى رأسهم خليل أحمد

---

(١) كذب مكشوف، لأن مجدد الدعوة هو محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) لا أبوه رحمهما الله. انظر إلى هذا الجهل المركب المطبق! ثم انظر إلى حكمه الجائر المزخرف المنمق!.

(٢) كذب سافر لوجهين: الأول: أن الإمام لم يقاتل أحداً من البداية.
والثاني: أن الذين قاتلوه كانوا قبورية أهل البدع ولم يكونوا أهل السنة.

(٣) قلت: الحمد لله على أنه لم يخرب بلاد أهل التوحيد،
فبلادهم في نعمة وأمن واستقرار، تموج بالنعم والحمد لله، ينهل منها المسلمون في شرق الأرض وغربها، وعمت خيراتها مشارق الأرض ومغاربها، حتى القبورية، وأهل البدع من الماتريدية، والأشعرية، وغيرهم، فكثير منهم نزلوا هذه البلاد لأغراضهم الدنيوية مطرقين رؤوسهم إطراق الكرى * وكل الصيد في جوف الفرى *.

(٤) هكذا في جميع الأصول، والصواب: «عام ثلاثة وثلاثين. . .».

(٥) رد المحتار ٣/٣٠٩ ط. بولاق، ٤/٢٨٣ ط. البابي، ٤/٢٦٢ ط. دار الفكر.

السهارنفوري (١٣٤٦هـ)[1] في الجواب عن السؤال «الثاني عشر»:

---

(١) هو: خليل أحمد بن مجيد علي الهندي، أحد كبار أئمة الديوبندية، ومؤلف بذل المجهود شرح سنن أبي داود، و«المهند على المفند» ذلك الكتاب الفاضح المفضوح الناقض المنقوض، القبوري الخرافي الشركي الصوفي، الموسوم باسم «عقائد علماء أهل السنة من الديوبندية»، والمترجم إلى الأردية بعنوان: «ما في الشفرتين على خادع أهل الحرمين»،

وقد قرظه كبار أئمة الديوبندية، ووقعوا عليه، والتقريظات أكثر من الكتاب، قال الشيخ حسين أحمد بن حبيب الله، أحد كبار أئمة الديوبندية (١٣٧٧هـ)، الملقب بشيخ الإسلام عندهم، وصاحب كتاب خرافي قبوري «الشهاب الثاقب»، والذي كان يطعن في شيخ الإسلام، ويعظم ابن عربي الملحد، كما في نزهة الخواطر ٨/ ١٢٠، والذي كان يقول في أئمة الدعوة السلفية: «الوهابية الخبيثة، الخبثاء» انظر: الشهاب الثاقب ٥١، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٥ مثنياً على هذا السهارنفوري: (وارث الأنبياء والمرسلين، زبدة العلماء الكاملين، زمان الفقهاء والمحدثين، رئيس الأصفياء والمفسرين، محيي السنة البيضاء، قامع البدعة الظلماء... : خليل أحمد الجشتي القادري النقشبندي السهروردي، دامت سحب فيوضه هاطلة). الشهاب الثاقب ٨٦-٨٧،

وقد ألف تلميذه الميرتهي في ترجمته كتاباً ضخماً سماه «تذكرة الخليل» فيه عجائب من الخرافات،

وكان مع إمامته وعلومه خرافياً قبورياً يعكف على القبور للمراقبة، وقد جلس يوماً للمراقبة أمام قبر خواجه معين الدين الجشتي إمام الصوفية الجشتية الوثنية القبورية (٦٢٧هـ)

واستغرق في المراقبة(*) إلى حد لم يعلم أين جلس، وماذا يفعل الناس.

والناس يرتكبون الإشراك الصريح حول قبره من السجدة له وغيرها.

انظر: تذكرة الخليل ٣٧١-٣٧٢. =

(*) قلت: لا غرو في ذلك؛ لأن هذا الخواجه الجشتي أيضاً عكف على قبر الهجويري (٤٦٥هـ)، والزنجاني (؟هـ)، انظر ما سيأتي في ص ١١٤١، فجاء هذا السهارنفوري وعكف على قبر الجشتي!.

(قـد كان محمد بن عبد الوهاب النجدي يستحل دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم،

وكان ينسب الناس إلى الشرك، ويسب السلف، فكيف ترون ذلك؟

وهل تجوزون تكفير السلف والمسلمين وأهل القبلة؟

أم كيف مشربكم؟.

الجواب: الحكم عندنا فيهم: ما قال صاحب الدر المحتار...)،

ثم ساقوا كلامه المذكور آنفاً في الخوارج،

ثم قالوا:

(وقال الشامي في حاشيته:

«كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب...»).

ثم ساقوا كلام ابن عابدين المذكور ـ

الذي قرروا فيه: أن محمد بن عبد الوهاب وأتباعه خوارج مكفرون للمسلمين[1].

٣ ـ وقال خرافي آخر وهو الشاه محمد أنور الكشميري (١٣٥٢هـ) أحد كبار أئمة الديوبندية[2]:

= ترجمته في: نزهة الخواطر ٨/١٢٣-١٣٦، ومقدمة بذل المجهود ١/٢٠-٣٤، ٢٠/٢٤٤-٢٤٨، ومقدمة أوجز المسالك لزكريا شيخ التبليغية ٥٩.

(١) انظر: المهند على المفند مع ترجمته ما في الشفرتين على خادع أهل الحرمين ٤٥-٤٦.

(٢) هو: ابن معظم شاه، الملقب عند الديوبندية بمحدث العصر، وإمام العصر، وقد عظمه الديوبندية وأكبرته بعجائب من الإجلال وغرائب من الغلو الباطل الكاذب، والألقاب الفارغة،

فقد قالوا في الثناء عليه: =

. . . .

= شمس الضحى، بدر الدجى، علم الهدى، كهف الورى، بحر البحور، شمس المجد، البحر المحيط، البحر المواج، السراج الوهاج، عديم النظير، بقية السلف، حجة الخلف، أمة وحده، جمع ميزات كل من سحبان، والبحتري، وابن دقيق العيد، وإنه إعجاز الدين،

ومثل الزهري، وأحمد، والبخاري، والترمذي بلا خلاف.

انظر: مقدمة فيض الباري ١/١٩-٦٨، ومقدمة أبي غدة لكتاب التصريح له ٢٣-٢٦،

وكان عدوّاً لدوداً للدعوة السلفية وأئمتها، انظر نصه الذي ذكرته في المتن، وكان يحمل أفكاراً خرافية صوفية، حتى الميل إلى وحدة الوجود،

انظر: فيض الباري ٤/٤٢٧-٤٢٨.

ويذكر ابن عربي الملحد الزنديق بلقب الشيخ الأكبر ويترحم عليه بل يترضى عنه،

انظر: فيض الباري ١/١٠٢، ٦٦، ٤/٣.

وقد كذب على شيخ الإسلام على عادة المتقولين أمثال ابن بطوطة وغيره: أنه قال: ينزل الله تعالى كنزولي هـذا. ونزل إلى الدرجة الثانية من المنبر،

انظر: فيض الباري ٤/٤٧٢،

وقال بحصول الاستفاضة من أهل القبور مع اعترافه أنه لا يجوز عند المحدثين ولٰكن يجيزه هو لكونه ثابتاً عند أرباب الحقائق ـ يعني الصوفية ـ.

انظر: فيض الباري (المتن والحاشية) ٣/٤٣٤،

ويقـول في الطعن في كتاب الإمام إسماعيل المجاهد الدهلوي (تقوية الإيمان) الذي نفع الله به الخلائق الهندية والباكستانية ونجوا به من الكفر والشرك والوثنية ممن لا يحصيهم إلا الله:

(وكتابه تقوية الإيمان فيه شدة فقل نفعه)،

انظر: فيض الباري ١/١٧٠،

وألف تلميذه البنوري الكوثري في ترجمته رسالة سماها: (نفحة العنبر من هدي الشيخ الأنور)، =

(أما محمد بن عبد الوهاب النجدي ـ

فإنه كان رجلاً بليداً، قليل العلم،

فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر،

ولا ينبغي أن يقتحم في هٰذا الوادي إلا من يكون متيقظاً متقناً عارفاً بوجوه الكفر وأسبابه)[1].

٤ ـ وقال حسين أحمد الملقب عند الديوبندية بشيخ الإسلام،

أحد كبار أئمة الديوبندية، وأحد مشاهير القبورية الخرافية، وأحد الأعداء الألداء للدعوة السلفية وأئمتها (١٣٧٧هـ)[2]:

= وقد أكبره أشرف علي التهانوي القبوري الخرافي الملقب عند الديوبندية بحكيم الأمة بقوله: (وعندي وجود الشيخ محمد أنور الكشميري من الدلائل على أن الإسلام دين سماوي حق)،

انظر: مقدمة فيض الباري ١/١٩،

ترجمته في: نزهة الخواطر ٨/٨٠ـ٨٤، ومقدمة فيض الباري ١/٦٨ـ٦٩، ٧٨ـ٨٠، ومقدمة أبي غدة الكوثري لكتاب التصريح لما تواتر في نزول المسيح ١٢ـ٣٢.

(١) فيض الباري ١/١٧٠ـ١٧١، وسكت عليه الشيخان * الميرتهي، والبنوري الديوبنديان *؟!؟.

(٢) هو: ابن حبيب الله، مؤلف ذٰلكم الكتاب القبوري الوثني الذي سماه «الشهاب الثاقب»، كان داعية إلى الخرافات القبورية والخزعبلات الصوفية،

وقد عنون للمقارنة بين عقائد الوهابية وبين عقائد الديوبندية وحقق أن بين عقائد هاتين الطائفتين بوناً بعيداً. انظر: الشهاب الثاقب ٤٣ـ٦٨،

وهٰذه المقارنة في اثنتي عشرة عقيدة،

وانظر: نقش الحياة ١/١٠٣ـ١٠٧،

وهٰذه المقارنة في سبع عقائد،

وفيها من الكذب والتزوير والافتراء والبهتان ما هو فسق صريح مسقط للعدالة، موجب للسقوط في هاوية الخيانة. =

(محمد بن عبد الوهاب النجدي كان يحمل خيالات باطلة، وعقائد فاسـدة، وقـاتـل أهـل السنـة والجماعة، وقتلهم، وأجبرهم على اعتقاد خيالاته، وغنم أموالهم، ورأى أن قتلهم موجب لرحمة الله، وقد آذى أهل الحرمين أشد الأذى،

وكان يسيء القول في السلف الصالح،

= وكان يلقب الجيلاني بالغوث الأعظم. انظر: نقش الحياة ١/١٠٦، وغوث الثقلين.

انظر: الشهاب الثاقب ٥٩.

وكان له اهتمام بالاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: الشهاب الثاقب ٤٨، ٦٦، وكتاباه «الشهاب الثاقب»، و«نقش الحياة» دعوة للوثنية؛ فأي فرق بينه وبين البريلوية؟

وكان شديد الانتصار لابن عربي الزنديق الملحد، طاعناً في شيخ الإسلام، انظر: نزهة الخواطر ٨/ ١٢٠،

وكان شديد العداوة لأئمة الدعوة، قبيح الشتائم لهم، والغا فيهم، فيقول فيهم تنفيراً للناس عنهم وتحذيراً منهم: (الوهابية الخبيثة)، (الوهابية الخبثاء)،

انظر: الشهاب الثاقب ٥١، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٥، ٦٦، وانظر نصه الذي ذكرته في المتن.

هٰذه نبـذة من عقـائـد إمام الديوبندية والتبليغية، الملقب بشيخ الإسلام، إسلام الخرافات القبورية * والخزعبلات الصوفية *

فضلاً عن الطامات الماتريدية * والتقليد الأعمى، والتعصب المقيت للحنفية *؛ فما بالك بغيره؟؟؟،

وهٰذه من البراهين الباهرة * والسلاطين القاهرة * على أن الديوبندية والتبليغية من فرق القبورية *

وأنهم من أهل البدع، وليسوا من أهل السنة.

ترجمته في: نزهة الخواطر ٨/١١٥-١٢١.

وقد تضايق كثير من أهل الحرمين من إيذائه، فهاجروا، واستشهد بأيدي جنوده آلاف من الناس؛

فالحاصل:

أنـه كان ظالماً، وباغياً، سفاكاً، فاسقاً، ولهٰذا أبغضه العرب كما أبغضوا أتباعه، إلى حد لم يبغضوا اليهود، ولا النصارى، ولا المجوس، ولا الهندوك؛

نعم يجب بغضهم وعداوتهم لما صدر منهم من أنواع الإيذاء لهم...؛

إن بين عقائدنا، وعقائد أكابرنا، وبين عقائد الوهابية بوناً بعيداً، وفرقاً شاسعاً، كما بين السماء والأرض...؛

وإليكم بعض الأمثلة من عقائد الوهابية...؛

العقيدة الأولى:

أن محمـد بن عبـد الوهاب يعتقد أن جميع المسلمين في جميع العالم مشركون وكافرون،

وأن قتلهم، وقتالهم، وسلب أموالهم جائز وحلال، بل واجب...؛

وأن الشيخ النجدي يعتقد تحريم مناكحتهم ومجالستهم،

ويوجب هتك أعراضهم، وإيـذاءهم في دينهم، وأنفسهم، وأموالهم)[1].

إلى آخـر ما ذكـره في الطعن في أئمة الدعوة وعقيدتهم[2]، ظلماً وعدواناً * وبغياً وبهتاناً.

---

(١) الشهاب الثاقب ٤٢-٤٣.

(٢) المرجع نفسه ٤٢-٦٨، وانظر أيضاً: نقش الحياة له ٢/٢٤-٢٥.

٥ ـ وهكذا نرى كثيراً من الديوبندية يرددون أكاذيب أكابرهم في كتبهم الوثنية[١].

قلت:

هذه عدة نماذج من نصوص القبورية ولا سيما الديوبندية في تقرير هذه الشبهة.

وبذلك تبين للمسلمين حقيقة الديوبندية * وأنهم قبورية خرافية * إلا من رحم ربك منهم.

والحقيقة أن هؤلاء الديوبندية وأئمتهم ـ

قد شهدوا على أنفسهم بلسانهم وبنانهم:

أنهم فرقة قبورية خرافية * مبتدعة صوفية * ـ

بتلك الخرافات الوثنية التي سجلوها في كتبهم، كما أنهم شهدوا على أنفسهم:

أنهم كذبة في افترائهم على أئمة التوحيد والسنة والدعوة السلفية، فقد أظهروا للناس حقيقة أمرهم ـ

بتلك الشهادات التي هي أعظم وثوقاً من شهادة من قال الله تعالى فيه:

﴿وشهد شاهد من أهلها. . . .﴾ [يوسف: ٢٦]،

ومن قواعد الحنفية: «المرء مؤاخذ بإقراره»[٢].

---

(١) انظر على سبيل المثال: كلام حمد الله الداجوي الديوبندي الذي تجرد للدعوة إلى الوثنية في بلاد بشاور والقبائل الحرة وأفغانستان،

وهو مرجع الديوبندية وإمامهم في إثارة الشبهات ومناصرة الوثنيات،

انظر كتابه البصائر ١٥٥-١٥٧.

(٢) القواعد الفقهية للبركتي ١٢٠.

فلا يلومن إلا نفسه. ولنعم ما قيل:

فكانت كعنز السوء قامت بظلفها

إلى مدية تحت التراب تثيرها

وبعد هٰذا العرض لهٰذه الشبهة، ننتقل إلى جهود علماء الحنفية في الجواب عنها وإبطالها وقلعها وقطع دابر أهلها.

الجواب:

لقد أجاب علماء الحنفية عن هٰذه الشبهة بعدة وجوه أذكر منها:

الوجه الأول: أن علماء الحنفية قد حققوا:

أن من ركني التوحيد: ركن النفي،

وهو نفي جميع ما يعبد من دون الله سواء كان صنماً أو حجراً أو شجراً، أو وثناً، أو ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً، أو وليّاً كاملاً، أو رجلاً عاديّاً عاميّاً، أو جنيّاً، أو غير ذٰلك؛

فمن أقر بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» -

ولٰكنه لم يتجنب من عبادة غير الله من الاستغاثة بالأموات، والنذر لهم عند الملمات ونحو ذٰلك -

فلا يتحقق توحيده، ولا ينفعه التلفظ بكلمة التوحيد[1].

وللعلّامتين الآلوسيين كلام في غاية الأهمية في أن المسلم إذا تلفظ بالكفر وجحد ما هو من الضروريات كالتوحيد الذي هو دين الرسل فقد كفر ولو مزحاً[2].

إذن بطل اتهام القبورية بأن الوهابية خوارج يكفرون المؤمنين

---

(١) راجع ما سبق في ص ١٥١-١٥٩.

(٢) جلاء العينين ٤٥٠-٤٥١، وغاية الأماني ١/٢٥٣-٢٥٤، ٢٩٥-٢٩٧.

الموحدين.

الوجه الثاني: أن علماء الحنفية قد صرحوا:

بأن من شروط صحة التوحيد ـ

فهم معنى: «لا إلٰه إلا الله» ـ

فمن قال هٰذه الكلمة بدون فهم معناها،

ويرتكب الشرك، ويعبد غير الله ـ

لا يدخل في الإسلام ولا يصح توحيده[1].

قلت:

إذا كان الأمر كذلك ـ

لا يصح زعم القبورية أن المستغيثين بالأموات والناذرين لهم عند الكربات ـ موحدون مؤمنون *؛

فبطل تهمة الخروج، وتهمة تكفير المؤمنين الموحدين *.

الوجه الثالث: أن علماء الحنفية قد ذكروا في شروط صحة التوحيد:

التصديق المنافي للتكذيب[2].

ولا شك أن القبورية مع قولهم: «لا إلٰه إلا الله» يكذبون معناها ـ

بارتكابهم للشرك الأكبر، وعبادة غير الله؛

فالقبورية في الحقيقة مكذبون لهٰذه الكلمة لا مصدقون بها،

وإن كانوا يقولونها باللسان.

وبهٰذا ثبت أن القبورية ليسوا موحدين ولا مؤمنين * وبطلت شبهة تكفير المؤمنين الموحدين *.

---

(١) راجع ما سبق في ص ١٦١ـ١٦٨.

(٢) راجع ما سبق في ص ١٧٠ـ١٧١.

الوجه الرابع: أن علماء الحنفية اشترطوا لصحة التوحيد:

الإخلاص المنافي للشرك[1].

ولا ريب أن القبورية لم يحققوا هٰذا الشرط، لأنهم مع تلفظهم بكلمة التوحيد ـ

يرتكبون الشرك البواح * والكفر الصراح * ويعبدون الأموات بأنواع من العبادات * فلا يصح توحيدهم * مع ندائهم الأموات عند الكربات *.

وإذا كان الأمر كذٰلك ـ

فأنّى للقبورية أن يكونوا مؤمنين موحدين *

وثبت أن القبورية كذابون متقولون على أئمة التوحيد والسنة في أنهم خوارج، وأنهم يكفرون المؤمنين الموحدين *.

الوجه الخامس: أن علماء الحنفية صرحوا بأن الركن الأهم في الإيمان * ـ

هو التصديق بالجنان[2] *،

وأئمتهم الثلاثة: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، وغيرهم، كالطحاوي وغيره ـ

يجعلون الإقرار باللسان أيضاً ركناً للإيمان[3] *.

---

(١) راجع ما سبق في ص ١٧٠ـ١٧٣.

(٢) انظر كتاب التوحيد للماتريدي ٣٧٣ـ٣٧٧، والتمهيد للنسفي ٢٦/ب، وبحر الكلام له ٤١ـ٤٢، والبداية للصابوني ١٥٢، والعمدة للنسفي ١٧/أ، والعقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني ١١٩ـ١٢٣، وشرح المقاصد له ٥/١٧٦، ونشر الطوالع للمرعشي ٣٧٣ـ٣٧٤.

(٣) انظر: الطحاوية مع شرحها للبابرتي ١٠٧، وشرحها لابن أبي العز ٣٦٠ ط. =

فإذا كان الأمر كذلك ـ

فالقبورية لم يحققوا التصديق بالجنان * لارتكابهم الشرك الأكبر، وعبادتهم للأموات * من الاستغاثة، والنذور عند الكربات *؛

فزالت شبهة تكفير المسلمين المؤمنين الموحدين من أصلها، وبطلت تهمة الخروج.

الوجه السادس: أن علماء الحنفية قد صرحوا بعدم تكفير أهل القبلة،

لكن إذا لم ينكر أحد منهم ما هو من ضروريات الدين * فمن أنكر ما هو من ضروريات الدين *، وارتكب ما هو كفر بواح * وشرك صراح * ـ

فهو عندهم كافر؛

حتى أن كثيراً منهم لا يعذرون بالجهل في ذلك،

وإن كان مواظباً طول عمره على الطاعات[1].

قلت:

بناء على نصوص هؤلاء العلماء من الحنفية ـ

= دار البيان، ٣٧٣ط. المكتب الإسلامي وشرحها للغنيمي ٩٨، وأصول الدين للبزدوي ١٤٦.

(١) انظر: المقاصد مع شرحها للتفتازاني ٢/٢٦٨، والنبراس للفريهاري ٥٧٢، وشرح الشفاء للخفاجي ٤/٥٠٩،

والفتاوى العزيزية ١/١٥٦،

ورد المحتار للشامي ١/٣٧٧ ط. بولاق، ومنح الأزهر للقاري ٢٤١-٢٤٢، وإزالة الريب لصفدر ٤٥٠-٤٥٩،

وكليات أبي البقاء ٧٦٤-٧٦٥، ومجموعة الفتاوى للكنوي ٢/٤٥،

وآكام النفائس له ٧٢.

لا شك أن القبورية قد ارتكبوا كفراً بواحاً * وشركاً صراحاً * وأنكروا ما هو من ضروريات الدين: من التوحيد، وإفراد الله تعالى بالعبادة، فيتحقق كفرهم عند علماء الحنفية، ولا يعذرون بالجهل،

ولكن لا يجوز تكفيرهم قبل إقامة الحجة عليهم وإيضاح المحجة لهم عند أئمة السنة[1]، والحنفية.

وبهذا قد بطلت شبهة القبوريين * وذهب اتهامهم لأئمة الدعوة بأنهم خوارج يكفرون المسلمين * -

أدراج الرياح * وأنهم على أئمة السنة باغون أقحاح *،

وأن القبورية في هذا الاتهام كذابون أفاكون * ساقطون عن العدالة خائنون مائنون * كما أنهم بهاتون متقولون في زعمهم أن الوهابية يعمدون إلى آيات نزلت في الكفار المشركين * والأوثان، فيحرفونها ويحملونها على المؤمنين الموحدين *.

الجواب السابع: أن علماء الحنفية قديماً وحديثاً أشد الناس في التكفير وأسرع الناس إليه ويكفرون بأشياء قد لا تكون من الكفر البواح مباشرة إلا بالوسائط التي لم يلتزمها ذلك القائل الذي يحكمون عليه بالكفر، وقد اشتكى تهورهم وإسراعهم إلى التكفير كثير من الناس[2].

وقد خصص كثير من علماء الحنفية عدة مباحث للتكفير في كتبهم، وبوبوا لذلك واهتموا بجمع ألفاظ الكفر،

---

(١) راجع ص ٥٣٤-٥٣٧.

(٢) انظر على سبيل المثال: الزواجر للهيتمي ١/٢٩ ط. القديمة، ١/٤٦ ط. الجديدة والعلم الشامخ للمقبلي ٢٢١-٢٢٢ ترى عجب العجاب من التهور في التكفير، وراجع أيضاً: جلاء العينين ٤٥٠-٤٥١، وغاية الأماني ١/٢٥٣-٢٥٤، ٢٩٧، فإنه مهم للغاية.

والتصريح بالتكفير بها،

وفي ذلك من العجائب والغرائب من تكفير المسلمين،

بأشياء قد تصدر خطأ، أو بزلة لسان * دون قصد الجنان[1] *،

وقد جمع العلامة القاري (١٠١٤هـ) ألفاظ الكفر وكلمات الارتداد عند الحنفية فأوعى[2].

وذكر العلامة نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ) طرفاً من ذلك أيضاً[3].

بل قد ألف بعض الحنفية كتاباً في ألفاظ الكفر وكلمات الارتداد والأقوال التي يكفرون بها المسلم الذي صلى وصام، وزكى، وحج، وعبد الله طوال عمره[4].

قلت: إذا كان الأمر كما وصفت ـ

فلم لا يوجِّه القبورية ـ ولا سيما قبورية الحنفية * طعونهم وسهامهم إلى الحنفية؟!؟ * ـ

ولم لا يحكمون عليهم بأنهم خوارج كلاب النار * وأنهم جعلوا

---

(١) راجع: خلاصة الفتاوى ٤/٣٧٩ـ٣٩٠ لطاهر بن أحمد البخاري (٥٤٢هـ)، والفتاوى الخانية ٣/٥٧١ـ٥٨٠ لحسن بن منصور الفرغاني (٥٩٢هـ)، والجامع الوجيز ٦/٣١٥ـ٣٥٠ لابن البزاز الكردري (٨٢٧هـ)، والبحر الرائق ٥/١١٩ـ١٢٥ ط. كراتشي لابن نجيم (٩٧٠هـ)، وما لا بد منه للباني بتي (١٢٥٢هـ) ١٢٣ـ١٣٦.

(٢) انظر: منح الأزهر ٢٤٥ـ٢٩٩.

(٣) انظر: غالية المواعظ ١/٣٥ـ٣٨.

(٤) وهو أخو يوسف بن جنيد التوقادي (٩٠٥هـ) المعروف بأخي جلبي، ولم أجد له ترجمة وافية. انظر: كشف الظنون ٢/٢٠٢١ـ٢٠٢٢، ٢٠٤٣، وكتابه هو: «هدية المهديين» مخطوط ولكنه نشره حسين حلمي الإسلامبولي، أحد أئمة القبورية الوثنية في تركيا مصوراً عن المخطوط.

المسلمين كالكفار *؟

وأنهم يكفرون المسلمين بمثل هٰذا التكفير الواسع الأرجاء؟ * فلم هٰذا الإباء والإحجام والإرجاء؟ *

ولٰكن القبورية في كتمان الحقائق واتهام الأبرياء كمن قيل فيه:

أصـم عن الـشيء الـذي لا أريده
وأسـمـع خلق الـله حين أريد

وما قيل:

فعين الـرضـا عن كل عيب كليلة
ولٰكن عين السخط تبـدي المساويا

مع أن أئمة التوحيد والسنة لا يكفرون أحداً بمثل هٰذا التكفير الواسع الذي يوجد عند الحنفية.

كما أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة إلا بعد إتمام الحجة * وإيضاح المحجة *

ولٰكن القبورية في عدم الإنصاف * وشدة الاعتساف * كمن قيل فيه:

فرصـاص من أحببتـه ذهب كمـا
ذهب الـذي لم ترض عنـه رصاص

بل هم في الظلم والعدوان * والبغي والاتهام والبهتان * كمن قيل فيه:

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا
شرّاً أذاعـوا وإن لم يسمعـوا كذبـوا

إذن لا ذنب لأئمة التوحيد والسنة، ولا مبرر للقبورية في ولوغهم في

أعراضهم، فإن القبورية كذابون بهاتون في الحكم عليهم بأنهم خوارج، وأنهم يكفرون المسلمين.

وأقول متمثلاً بما قيل:

أقـلوا عليهـم لا أبـا لأبـيكـم
من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

الجواب الثامن: أن الحنفية قد صرحوا بأن الخوارج كانوا يكفرون المسلمين بارتكاب الكبيرة من الذنوب العملية دون الاعتقادية[1].

فمن كفر أحداً بارتكاب كفر بواح * وشرك صراح * بعد إقامة الحجة عليه * وتنور المحجة لديه * ـ

لا يقال له: إنه خارجي يكفر المسلمين * المؤمنين الموحدين *!

ومن زعم ذلك ـ

فهو مغالط ماكر ملبس مغرض * غالط شاطر مدلس ممرض *

فأئمة الدعوة لم يكفروا أحداً من المسلمين بارتكاب الذنب الكبير العملي، ولا كفـروا أحـداً بارتكـاب الكفر والشرك إلا بعد إقامة الحجة عليه * وإيضاح المحجة لديه *؛

قال العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) في الرد على دحلان أحد أئمة الدعاة إلى عبادة الشيطان (١٣٠٤هـ)؛ وكشف تلبيساته * وبيان أكاذيبه وتمويهاته وتدليساته *:

(وأما المسألة الثالثة ـ وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام ـ:

أن أهل العلم قالوا: «لا يجوز تكفير المسلم بالذنب»، وهذا حق،

(١) انظر: شرح العقائد النسفية للتفتازاني ١٠٨، والنبراس للفريهاري ٣٥٠.

ولكن ليس هٰذا مما نحن فيه،

وذٰلك أن الخوارج يكفرون من زنا، أو سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر [عندهم]،

وأما أهل السنة فمذهبهم: أن المسلم لا يكفر إلا [بالكفر] بالشرك،

ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم[1] إلا بالشرك،

لٰكنك رجل من أجهل الناس * [ومن أكذب الناس *]؛

تظن أن من صلى وادعى أنه مسلم -

لا يكفر؛

فإذا كنت تعتقد ذٰلك -

فما تقول في المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون. . . ؟؟؟

ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر[2] وغيره. . ؟؟

فأضرم لهم علي بن أبي طالب ناراً فأحرقهم بها

وأجمعت الصحابة على قتلهم

لٰكن ابن عباس رضي الله عنهما أنكر تحريقهم بالنار، وقال: «يقتلون بالسيف»[3].

---

(١) راجع نصوص علماء الحنفية في الحكم على القبورية بالكفر في ص ٩٢٧-٩٣١، ٩٥٩-٩٦٠.

(٢) انظر أمثلة غلوهم فيه وفي غيره في ص ٧٢٥-٧٣١.

(٣) لم أجده بهٰذا اللفظ، والقصة رواها البخاري ٣/١٠٩٨ عن عكرمة بلفظ: (أن علياً رضي الله عنه حرق قوماً، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لأن النبي ﷺ قال: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم، كما قال النبي ﷺ: «من بدل دينه =

أتظن أن هٰؤلاء ليسوا من أهل القبلة؟

أم أنت تفهم الشرع!؟!،

وأصحاب رسول الله ﷺ لا يفهمونه؟؟؟)[1].

الحاصل:

أن أهل التوحيد والسنة لا صلة لهم بالخوارج، وليست شبهة القبورية هٰذه إلا محض اتهام لإضلال العوام * ولحاجة في نفوس هٰؤلاء الطغام *

رمـاني بأمـر كنت منـه ووالـدي
بريئـاً ومن أجـل الـطويّ رمـانيا

الوجه التاسع: أن كثيراً من علماء الحنفية قد صرحوا بأن أئمة الدعوة لا يرون تكفير من ارتكب الكفر والشرك -

إلا بعد إقامة الحجة عليه * وتنوير المحجة لديه *

وهٰذا غاية في الاحتياط، ونهاية في تقوى الله سبحانه وتعالى؛

قال العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) في الرد على دحلان (١٣٠٤هـ):

(السادس: أنك قد عرفت فيما تقدم: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفر السواد الأعظم من المسلمين،

ومن كفره، فلم يكفره بارتكاب ذنب من الكبائر،

كما هو مذهب الخوارج؛

وإنما كفره، بدعوة غير الله، حيث يطلب فيها منه ما لا يقدر عليه إلا

= فاقتلوه»)،

ورواها أبو داود ٤/٥٢٠، والنسائي ٧/١٠٤، والترمذي ٤/٥٩.

(١) صيانة الإنسان ٤١٥.

الله *

وهٰذا لا يستريب أحد من أهل العلم والديانة : أنه عبادة لغير الله *
وعبادة غير الله لا شك في كونها كفراً ؛
مع أنه لم يكفره أيضاً حتى عرفه الصواب * ونبهه [إلى طريقة السنة والكتاب] *

وأيضاً قد عرفت فيما مر: أن الشيخ ليس بمنفرد في هٰذا التكفير؛
بل جميع أهل العلم من أهل السنة والجماعة يشاركون فيه ، لا أعلم أحداً مخالفاً له . . .) .

ثم عد جمعاً من العلماء بأسمائهم، أنهم كفروا القبورية بشركياتهم[1].

وقد ساق العلامة السهسواني عدة نصوص لمجدد الدعوة الإمام، تنفي هٰذه التهمة الماكرة *
وتكذب القبورية الكذابة الفاجرة[2].

وذكر العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) : أن المسلم، بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري ،
فيجب تنبيهه وتعليمه ليتوب ،
ولا يحكم بكفره لأجل جهله ، وذلك إتماماً للحجة * وإيضاحاً للمحجة * [3].

---

(١) صيانة الإنسان ٤٣١ .

(٢) صيانة الإنسان ٤٢٨-٤٣٠ .

(٣) غاية الأماني ١/٢٩٨ ، وأصل الكلام لمجدد الدعوة الإمام في كشف الشبهات ٤٦ .

وذكر الآلوسي أن أهل التوحيد لا يكفرون إلا من حكم الله تعالى ورسوله ﷺ بكفره[1].

قلت:

هذا كما قال الإمام ابن القيم:

من كان رب العالمين وعبده
قد كفراه فذاك ذو الكفران[2]

قلت:

لأجل عدم إتمام الحجة * وإيضاح المحجة * لم يحكم علماء الحنفية على القبورية بالكفر بمعنى خروجهم عن الملة والارتداد عن دين الإسلام[3].

وأقول:

إن عدم الحكم على القبورية ـ مع ارتكابهم الشرك الصريح الصراح * والكفر القبيح البواح * ـ بتكفيرهم وخروجهم عن الملة، وارتدادهم عن الإسلام ـ

مثل عدم الحكم على الجهمية المعطلة بعدم الارتداد ـ مع ارتكابهم الكفر الواضح * والشرك الفاضح * ـ

---

(١) فتح المنان ٤٩٤.

(٢) النونية ١٩٧.

(٣) راجع: التفهيمات الإلهية ٢/٤٥ للشاه ولي الله الدهلوي،
وإمداد الفتاوى ٦/٨٩ للتهانوي،
وللعلامة شكري الآلوسي تحقيق مهم مأخوذ من كلام شيخ الإسلام في عدم تكفير من ارتكب كفراً حتى تقام عليه الحجة * وتتضح له المحجة *
انظر: غاية الأماني ١/٣٠-٣٦.

لأجل خوف عدم إقامة الحجة عليهم * وعدم إيضاح المحجة لديهم *

ولقد أجاد أبو غدة الكوثري أحد كبار الكوثرية * وأحد الموالين للقبورية * وأفاد في جمع نصوص العلماء الأعلام * ولا سيما نصوص شيخ الإسلام * في عدم تكفير الجهمية لأجل عدم إقامة الحجة عليهم * وعدم تنوير المحجة لديهم *

وذكر فيها قول شيخ الإسلام: «لو وافقتكم كنت كافراً. . .، وأنتم لا تكفرون لأنكم جهال»[1].

فتبين أن أئمة السنة ليسوا متهورين في التكفير * وأن القبورية كاذبون في النكير *.

الوجه العاشر: أن علماء الحنفية قد صرحوا بأن القبورية يستحقون وصف الخوارج فإنهم هم أشد الناس تكفيراً،

بل هم أشنع تكفيراً من الخوارج، والخوارج خير منهم، لأن الخوارج كانوا يكفرون الناس بارتكاب الكبائر، أما القبورية ـ

فهم يكفرون أهل التوحيد بتوحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة.

قال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ):

(يوضحه الوجه الثاني: أن الخوارج إنما كَفّروا الأمة بمخالفة أمره ومعصيته، وتمسكوا بنصوص متشابهة لم يردوها إلى المحكم؛

وأما عباد القبور ـ

فَكفّروا بموافقة الرسول [ﷺ] في نفس مقصوده، وجعلوا تجريد

---

(١) انظر التتمة الخامسة من تتمات أبي غدة لموقظة الذهبي ١٤٧-١٦٥، وراجع كتابي الماتريدية ٣/١١٧-١١٨.

التوحيد كفراً وتنقصاً؛

فأين المكفر بالذنب من المكفر بموافقة الرسول [ﷺ] وتجريد التوحيد؟؟)[1].

قلت:

لقد ذكرني كلام الآلوسي هٰذا كلام ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله، فقد قال مبيناً أن القبورية أشنع كفراً من الخوارج:

وخصومنا قد كفرونا بالذي … هو غاية التوحيد والإيمان
ومن العجائب أنهم قالوا لمن … قد دان بالآثار والقرآن
أنتم بذا مثل الخوارج إنهم … أخذوا الظواهر ما اهتدوا لمعان
فانظر إلى ذا البهت هٰذا وصفهم … نسبوا إليه شيعة الإيمان
سلّوا على سنن الرسول وحزبه … سيفين سيف يد وسيف لسان
والله ما كان الخوارج هٰكذا … وهم البغاة أئمة الطغيان
كفرتم أصحاب سنته وهم … فساق ملته فمن يلحاني
إن قلت هم خير وأهدى منكم … والله ما الفئتان مستويان
شتان بين مكفر بالسنة الـ … ـعليا وبين مكفر العصيان[2]

الوجه الحادي عشر: وهو جواب عن تشبث القبورية بتلك الأحاديث المطلقة التي وردت في قول: «لا إله إلا الله»[3]:

والجواب:

أن تلك الأحاديث لا تفيد القبورية شيئاً، ولا تدل على شيء من

---

(١) غاية الأماني ١/٢١٥،

قلت: أصل الكلام للإمام ابن عبد الهادي في صارمه ٤٤٥.

(٢) النونية ١٠٣-١٠٤ وشرحها توضيح المقاصد ٢/٦٣، وشرح هراس ١/٣٢١.

(٣) كما سبق في ص ٥١٥-٥١٧.

مطلوبهم؛

فإن غاية ما في تلك الأحاديث وجوب الكف عن قتل من قال: «لا إله إلا الله » حتى يتبين أمره، وليس معناها أن من قال: «لا إلٰه إلا الله» ـ

فهو مسلم مؤمن موحد، وإن ارتكب كفراً بواحاً * وشركاً صراحاً *!!!،

لما سبق تحقيقه: من أن هٰذه الأحاديث المطلقة مقيدة بقيود وردت في أحاديث أخرى،

فلا يكفي مجرد قول كلمة التوحيد باللسان[1] * دون تصديق معناها بالجنان *؛

قال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ):

(ولخصوم[2] الحق، وأعداء الدين شبهة أخرى: وهي: أنهم يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: «لا إلٰه إلا الله»، وقال: «أقتلته بعدما قال: «لا إلٰه إلا الله»؟).

وكذٰلك قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله». . .،

إلى أحاديث أُخَرَ في الكف عمن قالها،

ومراد هٰؤلاء الجهلة: أن من قالها ـ

لا يكفر، ولا يقتل، ولو فعل ما فعل. . .؛

فيقال لهم:

---

(١) راجع ص ٥٢٧.

(٢) في كشف الشبهات لإمام الدعوة ومجددها ٤٦: «وللمشركين. . .» يعني القبورية.

من المعلوم: أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم[1]،
وهم يقولون: «لا إله إلا الله»،
وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة[2] وهم يشهدون: «أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، ويصلون، ويدعون الإسلام،
وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار[3].
وهؤلاء الجهلة يقرون: أن من أنكر البعث ـ كفر، وقتل
ولو قال: «لاإله إلا الله»،
وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام ـ كفر، وقتل
ولو قالها؛
فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع!؟!،
وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل، ورأسه؟؟؟؛
ولكن أعداء الله لم يفهموا معنى الأحاديث!؛
فأما حديث أسامة ـ
فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله،
والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين ما يخالف ذلك،
وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل

---

(١) في الأصل: «وسألهم» وهو خطأ، والتصحيح من كشف الشبهات.
(٢) هم قوم مسيلمة المتنبي الكذاب (المقتول سنة ١١هـ). انظر قصته في تاريخ الإسلام للذهبي ٣/٣٨-٤١.
(٣) سبق تخريج هذه القصة قريباً في ص ٥٣٣.

الله فتبينوا﴾ [النساء: ٩٤].

أي: تثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه، والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام ـ

قتل؛

لقوله: «فتبينوا»،

ولو كان لا يقتل إذا قالها ـ

لم يكن للتثبت معنى،

وكذلك الأحاديث الأخر معناها ما ذكرنا

وأن من أظهر التوحيد والإسلام ـ

وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك...)[1].

قلت:

لقد بطلت شبهات القبورية كلها المتعلقة بالتكفير بحمد الله وحسن توفيقه،

وتبين أنهم في جميع ذلك كذابون * أفاكون، دجالون، مضلون *

والآن ننتقل إلى عرض شبهتهم الأخرى لنعرف جهود علماء الحنفية في إبطالها:

الشبهة الثالثة: شبهة تعظيم الأنبياء ومحبة الأولياء.

زعم القبورية قديماً وحديثاً ـ لتبرير كل ما يرتكبونه من الاستغاثة بالأموات عند الكربات * والنذور لهم، والسجدة لهم، واعتقاد التصرف وعلم الغيب لهم وغير ذلك من الشركيات والعبادات *ـ

---

(١) غاية الأماني ١/٢٩٨-٢٩٩، وأصل الكلام لمجدد الدعوة الإمام في كشف الشبهات ٤٦-٤٩.

أن كل ذلك ليس من باب الإشراك بالله ولا من قبيل عبادة غير الله *،

بل ذلك من تعظيم أولياء الله، ومحبة أحباب الله *[1].

الجواب:

لقد أجاب علماء الحنفية عن هذه الشبهة بتحقيقات طويلة جعلوها كأمس الدابر.

وحاصلها: أن تعظيم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومحبة الأولياء والصالحين ـ

أمر مطلوب، وهو من الإيمان، ومن أعظم الأمور في الإسلام، ومن أجل العبادة لله تعالى، ولكن إذا كان في حدود الشريعة الغرّاء؛

بحيث لا يكون ذلك غلوّاً ولا مفضياً إلى الغلو، ولا يكون ذريعة إلى الإشراك بالله تعالى ولا وسيلة إلى عبادة غير الله تعالى، وأن لا يسمى الشرك الصريح، ولا عبادة الأموات باسم التعظيم والمحبة.

ولا يرتكب الوثنية، ولا يعبد غير الله تحت ستار التعظيم والمحبة، وأما تعظيم الأنبياء والأولياء إذا كان بالغلو فيهم وإطرائهم ورفعهم عن منزلتهم، ويتذرع به إلى الاستغاثة بهم والنذور لهم واعتقاد التصرف وعلم الغيب فيهم، ونحوها من الكفريات والشركيات ـ

فهو ليس بتعظيم، بل هو في الحقيقة تحقير لشأنهم، واستخفاف

---

(١) انظر: شفاء السقام للسبكي ١٠٨ ط. بولاق، ١٣٠ ط. بيروت، وكشف النور للنابلسي الحنفي الخرافي الصوفي الوثني (١١٤٣هـ) ١٦، وشواهد الحق للنبهاني ٢٧٨، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٨، وإمام الزنادقة ابن تيمية لمجموعة من القبورية الديوبندية ٣٣، وفصل الخطاب للقباني ٣٠/ المخطوط.

بهم، بل هو استخفاف بالله تعالى أيضاً وتحقير لجنابه سبحانه وتعالى، وإنـه في الحقيقـة مبـالغـة في الإشراك بالله وعبادة غير الله، وهو شرك صريح، وكفر قبيح تحت شعار التعظيم، وانسلاخ عن جملة الدين،

وهٰـذا النـوع من التعظيم هو من أعظم أسباب الوثنية، والإشراك بالله، وعبادة غير الله عز وجل قديماً وحديثاً،

وإنـمـا التعـظيم للأنبياء عليهم السـلام، والأولياء، ومحبتهم، وتوقيرهم، واحترامهم -

يكـون باتباع سنتهم، والتأسي بهم في أفعالهم وأقوالهم، وسلوك طريقهم، دون عبادتهم وعبادة قبورهم، والعكوف عليها، واتخاذها أوثاناً،

وتعظيمهم لا يقتضي الاستغاثة بهم، وليس كل تعظيم جائزاً في الإسلام[1].

قلت:

إن «التعـظيم»، و «المحبـة»، و «التـوسـل»، و «الكـرامـة»، و «العبـادة»، و «التـوحيد»، و «الشـرك»، و «الاستغـاثـة»، و «النـذر»، و «الألوهية»، و «الصفات»، و «التشبيه»، ونحوها -

مصطلحات شرعية يجب تفسيرها وشرحها وفق ما ورد في الكتاب

---

(۱) راجع: زيارة القبور للبركوي ۱۲-۱۳، ۲۱ ط. دار الإفتاء، ۵۲۷، ۵۳۱ ط الكردية، وفتح المنان ۳۹٦-۳۹۷، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٦٠، ٤٩١-٤٩۳،

وغاية الأماني ۱/۳۷-۳۸، ۲۱٦-۲۱۸، ۲۱۹-۲۲۱، ۲۸۳، ۲/۲۸-۲۹، ۳٦٥-۳٦٦،

وحكم الله الواحد الصمد ۳۲، والمشاهدات المعصومية ۹، والكواكب الدرية، للرباطي ٦٦، والعقد له ٥٥، وانظر أيضاً الصارم المنكي لابن عبد الهادي ٤٤٧-٤٦٤، وانظر ص ٦۲۲-٦۲۳.

والسنة،

وطبق مصطلحات الصدر الأول من الصحابة التابعين؛

فمن فسرها بغير تفسيرها، وحملها على مصطلحات أهل البدع من الـروافض، والجهمية * والمعتزلة، والأشعرية، والماتريدية، والصوفية، والقبورية * وغيرهم من أصناف المبتدعة ـ

فقـد حرف الإسلام، وقلب الحقائق، وبدل الدين * وأتى بزندقة عظمى * وطـامـة كبـرى * وإلحاد مبين * وتحريف قرمطي * وتخريف وثني * وتلاعب بالمصطلحات * وغيّر الحدود واللغات *.

وهٰذه حقيقة واقعة اعترف بها أحد كبار أئمة القبورية * وأحد دعاة الجهمية * ذلكم الكـوثـري (١٣٧١هـ)، فقـد قال ـ عليه من الله ما يستحقـه ـ مقـرّاً ببعض الحق، شاهـداً على نفسـه وأهله وذويه، ذابحـاً للقبورية والجهمية في آن واحد بسيف لسانه * ومدية بنانه * وشفرة قوله، وسكين نصه وبيانه * وقانونه الكلي وتبيانه *:

(أين التجليات[1] التي اصطلح عليها الاتحادية؟

من تخـاطب العـرب، ومن تفـاهم السلف والخلف بهـذا اللسان العربي المبين؟

حتى يكون حمل النصوص والآثار على التجليات المصطلح عليها فيما بعد عهد التنزيل بدهور ـ استعمالاً لها في حقائقها؟

ومن زعم ذلـك فقـد زاغ عن منهج الكتاب والسنة، وتنكب سبيل

(١) من مصـطلحـات الصـوفية والتجلي عنـدهم: «ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب»، تعريفات الجرجاني ٧٣، واصطلاحات الصوفية للقاشاني ١٥٥،

قلت: في طيه وثنية، واتحادية، أو حلولية، والله المستعان على ما يصفون.

السلف الصالح، ومسلك أئمة أصول الدين،

ونابذ لغة التخاطب، وهجر طريقة أهل النقد في الجرح والتعديل، والتقويم والتعليل. . .»[1]

قلت:

بناء على شهادة هٰذا الكوثري، إمام القبورية الوثنية * والمعطلة الجهمية الماتريدية * وشيخ عصبة التعصبات المذهبية * ـ

أقول، وأقلب حجته عليهم جميعاً: إن القبورية، والماتريدية * والأشعرية، والصوفية * وغيرهم من أهل البدع، قد حملوا كثيراً من نصوص الكتاب والسنة * ومصطلحات الصحابة والتابعين، وأئمة هٰذه الأمة *:

كالتوحيد، والتشبيه، والصفات، والتوحيد، والشرك، والعبادة، والألوهية، والكرامة، والولاية، والتوسل، والتعظيم، والمحبة، وغيرها من المصطلحات الشرعية ـ

على مصطلحاتٍ ومعانٍ أحدثوها، وفسروها على ما يوافق مذهبهم البدعي والشركي القبوري، الوثني، الجهمي، الصوفي، الخرافي، كما تراه هٰهنا مما فعلت القبورية الوثنية،

حيث سمَّت الشرك الأكبر وعبادة الأموات * والاستغاثة بهم عند الكربات، والنذر لهم عند الملمات *ـ

باسم التعظيم والمحبة، والولاية، والكرامة، والتوسل، ونحوها من المصطلحات التي كانت عند الصحابة والتابعين ـ

على ضد ما تقصده القبورية، وتفعله وتقوله وتعتقده؛

---

(١) تعليقات الكوثري على كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي ٤٥٥ .

فجاءت القبورية فعمدت إلى تلك المصطلحات القرآنية والسنية التي كانت لها معان أخرى عند الصحابة والتابعين ـ

فحرفتها وحملتها على مصطلحات الوثنية الشركية الكفرية؛

إذن تحقق: أن القبورية ـ في حمل تلك المصطلحات على مصطلحاتهم ـ أبعد الناس من تخاطب العرب وتفاهم السلف، واللسان العربي المبين،

وأنهم قد زاغوا ـ بهذا التحريف والتبديل والتغيير للمصطلحات ـ عن منهج الكتاب والسنة * وطريقة السلف أئمة هذه الأمة *،

وأنهم بتخريفاتهم الوثنية هذه ـ تنكبوا سبيل السلف الصالح ـ باعتراف الكوثري وقانونه ـ.

وأقول:

إن الحمد لله الذي دفع أهل البدع بعضهم ببعض، وقطع دابر صغارهم بسيوف كبارهم، ﴿**وكفى الله المؤمنين القتال**﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وقمعهم بسلاح كوثريّهم؛

ومع ذلك ترى القبورية قديماً وحديثاً في كل مكان وزمان *ـ

يقاتلون أهل التوحيد والسنن بالسيف والسنان والبهتان * ولكن أهل التوحيد بتوفيق الرحمن * يقمعونهم بالحجة والبرهان *

فإن عدت والله الذي فوق عرشه
منحتك مسنون الغرارين أزرقا

فإن دواء الجهل أن تضرب الطلى
وأن يغمس العريض حتى يفرقا

وبعد هذا ننتقل إلى شبهتهم الأخرى، وبالله التوفيق.

الشبهة الرابعة : شبهة تنقيص الأنبياء والأولياء :

لقد تسلحت القبورية بسلاح فتاك *

مسموم بسم قاتل سفاك * إضلالاً للعوام * وإغواء للأنام *

قاتلت به أهل التوحيد والسنة قديماً وحديثاً في كل مكان وزمان *

بالظلم والبغي والعدوان والافتراء والبهتان * كما قاتلتهم بقوة السنان والسلطان *

لعجزهم عن إقامة الحجة والبرهان * على استغاثتهم بالأموات وعبادتهم للأوثان *

ولكونهم من أكذب الناس في البيان * وأقلهم خوفاً من الرحمٰن *

وهو اتهامهم أهل التوحيد بأنهم يسيئون الأدب في حق الأنبياء واالأولياء، ويستخفون بهم ويتنقصونهم،

بل يحملون الضغينة، والبغض والطعن، والعداوة في قلوبهم لهم،

وأنهم ينكرون الصلاة على رسول الله ﷺ وشفاعته كما أنهم ينكرون كرامات الأولياء(١).

وأود أن أسوق كلام رجل لقّبته الديوبندية بشيخ الإسلام *

لتعرفوا حقيقة الديوبندية وتعلموا أن إمامهم هٰذا في هٰذا الاتهام *

وطعنه في مجدد الدعوة الإمام والتقول عليه من أكذب الأنام *

---

(١) انظر المقالة المرضية للأخنائي (٧٥٠هـ) ضمن البراهين للقضاعي ٣٧١-٣٧٤ والبراهين الساطعة للقضاعي ٤٠٨ وحقيقة التوسل لموسى محمد علي ١٣٨ وشواهد الحق للنبهاني ٢٧٨ وبراءة الأشعريين لابن مرزوق ٤، ١٧٥ والتوسل بالنبي له ٢، ١٠٢ وإمام الزنادقة ابن تيمية لجمع من الديوبندية ٣٣ وتبديد الظلام للكوثري ١٥٨ ومقالاته ٣٩٢، والبصائر للداجوي ١٥٧ وكشف الارتياب للعاملي ١٣٩ وسعادة الدارين للسمنودي ١/ ٤٤ و٥٣، وتبيين الحق والصواب لسوقية ٢٩ وحدائق بخشش للبريلوي الأفغاني ٢/ ٢.

ألا وهو الشيخ حسين أحمد الملقب بشيخ الإسلام أحد كبار أئمة الديوبندية (١٣٧٧هـ)، وهٰذا نص كلامه في تقرير هٰذه الأكذوبة:

(٤ ـ إن الوهابية يسيئون الأدب إلى شأن النبوة وحضرة الرسالة على صاحبها الصلاة والسلام بكلمات نابية؛

ويرون أنفسهم مماثلة لذات سيد الكائنات؛

ويعترفون له بفضيلة قليلة، ولٰكنهم يرونها محدودة بزمان تبليغ الرسالة،

ولأجل شقاوة قلوبهم وضعف اعتقادهم ـ

يرون: أنهم هداة العالم،

ويزعمون: أنه لا حق لرسول الله ﷺ عليهم؛

كما أنهم يزعمون: أنه ﷺ لا تفيد ذاته فائدة ولا تحسن إحساناً بعد وفاته ﷺ؛

ولأجل ذٰلك لا يجوز التوسل بذاته ﷺ في دعائهم بعد وفاته ﷺ ولأكابر الوهابية مقالة معاذ الله معاذ الله! وحكاية الكفر ليست بكفر؛

وهي: أن العصا أنفع منه ﷺ، لأننا ندفع بالعصا كثيراً من الشر، والنبي ﷺ لا يدفع شيئاً)[1].

إلى آخر تلك الأكاذيب السافرة * والأساطير الفاجرة الماكرة * التي لا تصدر إلا عن الفسقة الفجرة * فضلاً عن أن يكون من شيوخ الإسلام البررة *

هٰذه هي ديانة هٰؤلاء الديوبندية *

وأمانة هٰؤلاء الكذبة القبورية *

---

(١) الشهاب الثاقب ٤٧ وراجع أيضاً نقش الحياة ١/١٠٤.

فهم كما قيل:

عجبت لشيخ يأمــر النــاس بالتقى

ومــا راقب الـرحمٰن يومـاً ومـا اتقى

وبعد عرض هٰذه الشبهة الماكرة * لهٰؤلاء الكذبة القبورية الفاجرة * ننتقل إلى جواب علماء الحنفية عنها وقلعها من أصلها وقطع دابر أهلها.

الجواب:

لقد أجاب علماء الحنفية عن تلك الشبهة الماكرة لهٰؤلاء القبورية الخونة الفجرة عامة وهٰؤلاء الديوبندية الكذبة الجائرة خاصة بعدة أجوبة:

الجواب الأول:

أن هٰؤلاء القبورية كذابون أفاكون في هٰذه الفرية وهٰذا الاتهام * بهاتون متقولون على أئمة الإسلام يقوّلونهم ما لا يقولوا من الكلام * وأنهم بهٰذه الأكاذيب ساقطون عن درجات الصدق والعدالة والأمانة *

إلى دركات الظلم والعدوان والبهتان والفسق والكذب والخيانة *

وإليكم بعض نصوص بعض علماء الحنفية * لتعرفوا خيانة هٰؤلاء القبورية وكذب الديوبندية *:

١ ـ قال العـلامـة شكـري الآلوسي (١٣٤٢هـ) في الرد على ابن جرجيس أحـد أئمـة القبـورية العراقية (١٢٩٩هـ) خاصة وقبورية العالم عامة، مبطلاً هٰذه التهمة الفاجرة الماكرة:

(والجواب أن يقال:

إن هٰذا العراقي قد خلع ـ والعياذ بالله ـ جلباب الحياء عنه؛

ولم يراع وقوفه بين يدي مولاه * جل شأنه وعز علاه *؛
فأخذ يتكلم[1] ما خطر على قلبه * وألقاه شيطانه على لسانه *
ولم يستح من تكذيب الناس له؛
حتى أنه قد حدثني من أثق به:
أن هٰذا الضال المبتدع ـ قد أخبره بخبر ظهر كذبه للعيان؛
فلما عاتبه على هٰذا الكذب ـ
قال له: لأي شيء تعاتبني على الكذب؟
والحال أن الأنبياء يكذبون!
انظر إلى تجاسر هٰذا المفتري! و[2] إلى أي درجة وصل،
وإلى أي حد انتهى؛
وما كفاه الافتراء على المؤمنين حتى ترقى إلى القدح برسل[3] رب العالمين؛
فعياذاً بك اللهم؛ من هٰذا البلاء العظيم؛
وكم كان يقص في مجالسه على ضعفاء العقول من العوام قصصاً تقشعر منها جلود العقلاء؛
وكان يخبرهم أن القيامة تقوم سنة خمس وتسعين من المائتين والألف!
ويبرهن لهم على ذٰلك؛
فلما مضى الوقت الذي عينه لهم ـ

---

(١) هٰكذا في الأصل، والصواب: «يتكلم بما».
(٢) هٰكذا في الأصل بالواو، والأولى حذف الواو.
(٣) هٰكذا في الأصل، والصواب: «... في رسل...».

تغافل عنه، وربما أبدى لهم بعض الأعذار الباردة؛

فمن كانت هٰذه صفته ـ كيف يستحي من الافتراء على أناس أظهروا شركه للعيان * وكفره بالبرهان *؛

وأعجب من هٰذا ـ

تقوّل أمثال هٰذا العراقي من المبتدعة الغلاة ـ على أهل الحق * القاصرين الألوهية على خالق الخلق *:

أنهم ينتقصون الرسول الأكرم * والنبي الأعظم * ﷺ؛

وينسبون إلى جنابه * ما لا يليق بأعتابه *،

وكذا ينسبونهم إلى الإنكار على خلص عباد الله * وبغض الأولياء وأهل الانتباه *!

سبحان إلٰه الخلق ما أحلمه؟! * وما أجل سلطانه وما أعظمه؟! *

لا إلٰه إلا أنت، تعاليت عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً ـ

فاستمع ما كتبه الشيخ عبد الله[1] ابن العلامة الشيخ محمد[2] بن عبد الوهاب[3]، تغمّدهم الله برحمته،

---

(١) هو من كبار العلماء المجاهدين الدعاة إلى العقيدة السلفية توفي بمصر (١٢٤٢هـ).

ترجمته في عنوان المجد لابن البشر ١/٩٣ والأعلام للزركلي ٤/١٣١ وعقيدة الشيخ لشيخنا الدكتور صالح آل العبود ١١٥.

(٢) هو مجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ) قد ألف في سيرته وترجمته كتب كثيرة أحسنها نسقاً وأعظمها نفعاً كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» لشيخنا الدكتور صالح بن عبد الله بن عبد الرحمٰن آل العبود، وهي رسالة نال بها الدكتوراه.

(٣) والد مجدد الدعوة الإمام المذكور، فهو عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي (١١٥٣هـ) أحد كبار العلماء. ترجمته في السحب الوابلة لابن حسين النجدي ٢٧٥ والأعلام للزركلي ٤/١٨٢.

حين ذهب الأمير محمد[1] بن سعود لفتح الحرمين الشريفين[2] وقد قرئ هناك بمحضر علماء المذاهب الأربعة. . . ؛

وذلك قوله: إن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريق السلف الصالح التي هي الطريق الأسلم؛ بل الأحكم. . . ؛

وأما ما يكذب علينا ستراً للحق، وتلبيساً على الخلق:

بأنا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا،

من دون مراجعة شرح ولا معول[3] على شيخ؛

وأنا نضع من رتبة نبينا ﷺ بقولنا:

النبي رمّة في قبره،

وعصا أحدنا أنفع له منه، وليس له شفاعة،

وأنه لا يعرف معنى: «لا إله إلا الله» حتى أنزل عليه،

ونتلف مؤلفات أهل المذاهب؛ لكون الحق والباطل فيها؛

وأنا مجسمة، وأنا نكفر الناس على الإطلاق:

أهل زماننا ومن بعد الستمئة إلا من هو على ما نحن عليه؛

ومن فروع ذلك: أنا لا نقبل بيعة أحد، إلا إذا أقر عليه بأنه كان مشركاً، وأن أبويه ماتا على الشرك بالله،

وأنا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ،

---

(١) لم أعرف هذا الأمير، فإن كان محمد بن سعود بن محمد بن مقرن المؤسس الأول للدولة السعودية - فهو توفي (١١٧٩هـ). انظر الأعلام للزركلي ٦/١٣٨.

(٢) قلت: ذلك يوم السبت (١٢١٨/١/٨هـ) انظر الدرر السنية لعبد الرحمن بن محمد ١/١٤٧، وانظر صيانة الإنسان للسهسواني ٤١٧.

(٣) هكذا في الأصل، والأولى: «تعويل».

ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً؛
وأنا لا نرى حقاً لأهل البيت. . . ؛
فجميع هٰذه الخرافات ـ وأشباهها ـ
لما استفهمنا عنها من ذكرنا ـ
كان جوابنا عليه[1] في كل مسألة:
سبحانك هٰذا بهتان عظيم!؛
فمن روى عنا شيئاً من ذٰلك أو نسبه إلينا ـ
فقد كذب علينا وافترى؛
ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا ـ
علم قطعاً: أن جميع ذٰلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين، وإخوان الشياطين؛
تنفيراً للناس عن الإذعان لإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشرك الذي نص الله على أن لا يغفره،
ويغفر ما دون ذٰلك لمن يشاء؛
فإنا نعتقد: أن من فعل أنواعاً من الكبائر:
كالقتل للمسلم بغير الحق، والزنى، والربا، وشرب الخمر؛
وتكرر منه ذٰلك ـ
لا يخرج بفعل ذٰلك عن دائرة الإسلام،
ولا يخلد في دار الانتقام؛
إذا مات موحداً لله تعالى في جميع أنواع العبادة؛
والذي نعتقد: أن رتبة نبينا ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على

(١) الأولى «عنه».

الإطلاق؛

وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل؛ إذ هو ﷺ أفضل منهم بلا ريب،

وأن الله يسمعه سلام من يسلم عليه،

وتسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه؛

ومتى أنفق أنفس أوقاته[1] بالصلاة عليه الواردة عنه ـ

فقد فاز بسعادة الدارين، وكفي همه وغمه، كما جاء في الحديث،

ولا ننكر كرامات الأولياء، ونعترف لهم بالحق،

وأنهم على هدى من ربهم؛

مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية؛

إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادة؛

لا حال الحياة ولا بعد الممات. . . ؛

ونثبت الشفاعة لنبينا ﷺ يوم القيامة، حيثما ورد أيضاً. . . ؛

ولا يلزم أن نكون مجسمة وإن قلنا بالجهة[2]. . . ؛

ولا نقول بكفر من صحت ديانته. . . ؛

وإن كان مخطئاً في هٰذه المسألة، أو غيرها. . . ؛

هٰذا ما نحن عليه مخاطبين من له عقل ودين وهو متصف بالإنصاف، خال عن الميل إلى التعصب والاعتساف؛

ينظر إلى ما يقال، ولا ينظر إلى من قال.

وأما من شأنه لزوم مألوفه، وعادته ـ

---

(١) هٰكذا في الأصل، والأولى: «على الصلاة».

(٢) أي إذا اعتقدنا أن الله تعالى فوق عباده على عرشه.

سواء كان حقّاً أو غير حق مقلداً ـ

فهـو ممّن قال تعـالى فيهـم: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾ [الزخرف: ٢٣]،

عادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق؛

فلا نخاطبه وأمثاله؛

فجنود التوحيد بحمد الله منصورة وراياتهم بالسعد والإقبال منشورة» انتهى كلامه ملخصاً[١].

قلت: حاصـل هٰذا الجـواب: أن القبورية أكذب الناس وأشدهم تقولاً على أهل التوحيد.

ولقد حقق علماء الحنفية في مباحث كثيرة ستأتي إن شاء الله:

أن القبورية أكذب الناس وأشدهم تقوّلاً وافتراء على الله ورسوله ﷺ وعلى الناس، بل هم أشد كذباً وتقوّلاً من الخوارج والروافض[٢].

الجواب الثاني:

أن علماء الحنفية قد صرحوا بأن حقيقة اتهام هٰؤلاء القبورية لأهل التوحيد بتنقيص الأنبياء والأولياء ـ

وهي عقيدتهم أن من لا يستغيث بهم عند الكربات * ولا ينذر لهم عند الملمات * ولا يطوف بقبورهم لقضاء الحاجات * ـ

فقد استخف بهم وتنقصهم وهضمهم حقهم،

وهٰذه بعينها شبهة المشركين والنصارى[٣].

---

(١) فتح المنان ٤٥٤ـ٤٥٨ وراجع صيانة الإنسان للسهسواني ٤١٩ـ٤٢٠، وانظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/١٥٠ـ١٥٣ للشيخ عبد الرحمٰن بن محمد.

(٢) راجع ما سيأتي في ص ١٠٢١، ١٢٣٧ـ١٢٤٣.

(٣) غاية الأماني ١/٣٧ـ٣٨ و٢/٣٦٦.

قال العلامة شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ):

(ومن المحن أن مشائخ المذاهب الأربعة وفقهاءهم -

جزموا بوجوب هدم القباب، ونهوا عن الطواف بالقبور ودعاء أربابها بل دعاء الله عندها،

ومنعوا من الذبح لها والغلو فيها،

بل ومن عبادة الله بالصلاة عندها؛

فإذا عمل بمقتضى أقوالهم عامل، وألزم بها الناس -

نسبه هؤلاء الجهال إلى الاستخفاف بالأنبياء والصالحين وإلى مخالفة العلماء)[١].

الجواب الثالث:

أن علماء الحنفية قد صرحوا:

بأن القبورية هم الذين قد تنقصوا الأنبياء والأولياء بسبب مخالفة طريقتهم ومناقضتهم، وارتكابهم للإشراك بالله تعالى ونبذهم لأوامرهم، وتركهم لما جاؤوا به[٢].

وبظنهم أن هؤلاء الأنبياء والأولياء راضون بشركهم ونداِئهم والاستغاثة بهم والنذر لهم، أو أنهم أمروهم بذلك[٣].

الجواب الرابع:

أن علماء الحنفية قد حققوا أن القبورية لم يكتفوا بتنقيص الأنبياء والأولياء ولم يستخفوا بهم فحسب، ولم يهضموا حقهم فقط؛

---

(١) غاية الأماني ٢/٣٦٥-٣٦٦.

(٢) غاية الأماني ١/٣٨.

(٣) الكواكب الدرية للرباطي ٦٦ نقلاً عن مدارج الإمام ابن القيم، ولم أجده عنده!

بل إنهم قد تنقصوا الله عز وجل وهضموه حقه؛
قال الإمام البركوي (٩٨١هـ):
(وهٰذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية؛
وتنقيص لعظمة الإلٰهية، وسوء ظن برب العالمين،
فإنهم ظنوا به ظن السوء؛
حتى أشركوا به،
ولو أحسنوا الظن «به» -
لوحدوه حق توحيده، ولم يرجوا شيئاً من غيره؛
ولهٰذا أخبر سبحانه وتعالى عنهم في ثلاثة مواضع من كتابه: أنهم **﴿ما قدروا الله حق قدره﴾**[1]:
أي ما عرفوه حق معرفته،
وكيف يعرفه حق معرفته من يجعل له عدلاً ونداً يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له)[2].

وقال العلامة الرباطي[3]:
(فعكس المشركون «أي القبورية» هٰذا، وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد؛
فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه،
ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى التنقيص بالأموات؛

---

(١) انظر الأنعام ٩١ والحج ٧٤ والزمر ٦٧.
(٢) زيارة القبور ٢١.
(٣) هو من كبار علماء الحنفية المنصفين غير المتعصبين وسمعت أنه في هٰذه الأيام اختار مذهب أهل الحديث.

وهم قد تنقصوا الخالق سبحانه بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم،

وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص؛

إذ ظنوا أنهم راضون منهم أو أنهم أمروهم به؛

وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان)[1].

قلت: القبورية في الاستخفاف بالله تعالى على طريقة المشركين؛

فقد صرح الإمام محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ [الزمر: ٤٥]،

ونقل كلامه العلامتان: ابنه نعمان (١٣١٧هـ) وحفيده محمود شكري (١٣٤٢هـ)،

وفضيلة الشيخ عبد السلام الرستمي أحد كبار علماء الحنفية المعاصرة -:

أن القبورية على هذه الصفة التي وصف الله بها المشركين فإنهم يهشون ويطربون عند ذكر الأموات الذين يستغيثون بهم وذكر حكاياتهم الكاذبة، ويعظمون من يحكي لهم تلك الأكاذيب ولكنهم ينقبضون من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل،

ويتضايقون من سرد ما يدل على تعظيمه سبحانه وتعالى؛

وينفرون من أهل التوحيد كل النفرة،

ويكرهون من يذكر تعظيم الله تعالى وعظمته وجلاله وينسبونه إلى ما يكره وقد رأيت يوماً رجلاً يستغيث في شدة ببعض الأموات وينادي يا فلان

---

(١) الكواكب الدرية ٦٦، عن المدارج للإمام ابن القيم ولم أجده عنده!

أغثني،

فقلت له: قل يا الله واستغث بربك!

فغضب علي وقال أنت منكر للأولياء[1].

قلت: وللعلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) كلام مهم في هذا الصدد[2].

وأقول: لقد تذكرت بهذه المناسبة كلام الإمام ابن القيم؛ حيث قال:

وإذا ذكرت الله توحيداً رأيـ ـت وجوههم مكسوفة الألوان
بل ينظرون إليك شزراً مثل ما نظر التيوس إلى عصا الجوبان
وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم يتباشرون تباشر الفرحان
والله ما شموا روائح دينه يا زكمة أعيت طبيب زمان[3]

الجواب الخامس:

أن علماء الحنفية قد صرحوا بأن أهل التوحيد الذين لا يغالون في الأنبياء والأولياء ـ من عهد رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة ـ في الحقيقة هم المعظمون للرسل، الموقرون لهم، العارفون بحقوقهم،

القائمون بما يجب لله، وما يجب لعباده من الحقوق فهم ليسوا بأهل شرك بهم ولا أهل المعصية لهم،

ولا نبذوا أوامرهم، ولا تركوا ما جاؤا به من الحق،

---

(١) روح المعاني ٢٤/١١ وجلاء العينين ٤٨-٤٩٠ وغاية الأماني ٢/٣١٤، ٣١٥ والتبيان للعلامة الرستمي ١١٠-١١١.

(٢) صيانة الإنسان ٨١-٨٢.

(٣) النونية ١٥٩، ولعل الأولى: «يتكاشرون تكاشر».

فهم أهل التوحيد لله تعالى وأهل طاعة رسول الله ﷺ وأهل الإخلاص لله.

فتركهم الاستغاثة بهم عند الكربات وترك الطواف بقبورهم عند الملمات هو عين التعظيم لهم،

وتركهم النذور لهم، وترك السجود إليهم، وترك الغلو فيهم - هو عين التوقير لهم[1].

قلت: هذه كانت أمثلة من شبهات هؤلاء القبورية الكذبة الخونة؛ ذكرتها وعرضت أجوبة علماء الحنفية لقلعها وقمع أصحابها ليعرف المسلمون: أنهم في تلك الشبهات أكذب الناس *

* وأن دسائس هؤلاء القبورية هي من وساوس الخناس *

وليعلم المنصفون: أن جدالهم إنما هو المكر والدجل والكذب والبهتان *

ولذلك صرح الإمام ابن القيم بأن أولياء الرحمن لا يخافون شبهات أولياء الشيطان *:

واصدع بما قال الرسول ولا تخف	من قلة الأنصار والأعوان
فالله ناصر دينه وكتابه	والله كاف عبده بأمان
لا تخش من كيد العدو ومكرهم	فقتالهم بالكذب والبهتان
فجنود أتباع الرسول ملائك	وجنودهم فعساكر الشيطان
شتان بين العسكرين فمن يكن	متحيراً فلينظر الفئتان[2]

(١) غاية الأماني ١/٣٨.

(٢) هكذا في الأصل، وهو ركيك، والصواب: «الفئتين»؛ ولعله من ضرورة الشعر؛ =

إلى أن قال رحمه الله:

وادرأ بلفظ النص في نحر العدى   وارجمهم بثواقب الشهبان

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى   وذبابه أتخاف من ذبّان[1]

وبعد هٰذا ننتقل إلى الباب الرابع لنعرف جهود علماء الحنفية في التحذير من الشرك وحماية حمى التوحيد وسد الذرائع الموصلة إلى الشرك.

* فنقول: وبربنا الرحمٰن المستعان نستعين * وبه نستغيث إذ هو المستغاث المغيث المعين *:

= ولٰكن الإمام السيرافي (٣٦٨هـ) صرح بمنع مثله، وعدّه لحناً حيث قال:

«هٰذا باب ما يحتمل الشعر، قال سيبويه: اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام. . .، وليس في شيء من ذٰلك رفع منصوب، ولا نصب مخفوض، ولا لفظ يكون المتكلم به لاحناً، ومتى وجد هٰذا في شعر كان ساقطاً، ولم يدخل في ضرورة الشعر»،

ما يحتمل الشعر «ضرورة الشعر» ٣٣-٣٤، وانظر الكتاب ١/٨-١٣،

أقول: لٰكن من العرب قبائل تجعل المثنى وأخواته بالألف مطلقاً، واستدل لهم بقوله تعالى: ﴿**إنَّ هٰذان**﴾ [طه: ٦٣]، على التشديد، وبحديث: «**لا وتران في ليلة**» رواه أبو داود ٢/١٤١ والنسائي ٣/٢٣٠ والترمذي ٢/٣٣٤،

وبقول الشاعر: «هوبر الحارثي» كما في اللسان ١٥/٣٥١:

تزوّد منا بين أذناه طعنة   دعته إلى هابي التراب عقيم

وقول الشاعر وهو المتلمس كما في تهذيب الأزهري ١٢/١٢٨، أو غيره:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى   مساغاً لناباه الشجاع لصمّما

انظر المسألة في شرح ابن عقيل مع الهامش ١/٦٠، ومعاني القرآن للفراء ٢/١٨٤، وجامع ابن جرير ١٦/١٨٠،

فعلى هٰذا نجا كلام ابن القيم من الركاكة والحمد لله تعالى.

(١) النونية ١٩، وشرحها توضيح المقاصد ١/١٢١-١٢٢، وشرحها لهراس ١/٤٩-٥٠.

